فهرس مناظرات في العقائد

الإهداء

تقديم بقلم المحقق الكبير العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

المقدمة

المشيئة ـ القضاء والقدر

المُناظرة الأُولى

المُناظرة الثانية

المعصية

المُناظرة الثالثة

المُناظرة الرابعة

البداء والإرادة

المُناظرة الخامسة

المُناظرة السادسة

الجبر والتفويض

المُناظرة السابعة

المُناظرة الثامنة

الصفات المنافية لجلال الله تعالى

المُناظرة التاسعة

عقيدتنا في الله

عقيدة أبناء السنة في الله

عقيدتنا في النبي صلى الله عليه وآله

عقيدة بعضهم في النبي صلى الله عليه وآله

المُناظرة العاشرة

المُناظرة الحادية عشر

الناس يوم القيمة والخلود في الآخرة

المُناظرة الثانية عشر

المُناظرة الثالثة عشر

المُناظرة الرابعة عشر

القرآن الكريم

المُناظرة الخامسة عشر

المُناظرة السادسة عشر

الأحاديث الموضوعة

المُناظرة السابعة عشر

المُناظرة الثامنة عشر

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضل العترة عليهم السلام

المُناظرة التاسعة عشر

المُناظرة العشرون

المُناظرة الحادية والعشرون

المُناظرة الثانية والعشرون

المُناظرة الثالثة والعشرون

المُناظرة الرابعة والعشرون

في صفات الباري عزّ وجلّ

في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

المُناظرة الخامسة والعشرون

فاطمة الزهراء عليها السلام وفدك

المُناظرة السادسة والعشرون

المناظرة السابعة والعشرون

المناظرة الثامنة والعشرون

المناظرة التاسعة والعشرون

المُناظرة الثلاثون

المُناظرة الحادية والثلاثون

المُناظرة الثانية والثلاثون

المُناظرة الثالثة والثلاثون

المُناظرة الرابعة والثلاثون

المُناظرة الخامسة والثلاثون

المُناظرة السادسة والثلاثون

المُناظرة السابعة والثلاثون

الحسن والحسين عليهما السلام إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذريّته

المُناظرة الثامنة والثلاثون

المُناظرة التاسعة والثلاثون

المُناظرة الاَربعون

المُناظرة الحادية والاَربعون

النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

المُناظرة الثانية والاَربعون

المُناظرة الثالثة والاَربعون

المُناظرة الرابعة والاَربعون

في عصمة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام

المُناظرة الخامسة والاَربعون

المُناظرة السادسة والاَربعون

المُناظرة السابعة والاَربعون

المُناظرة الثامنة والاَربعون

المُناظرة التاسعة والاَربعون

المُناظرة الخمسون

أبو طالبعليه السلام مؤمن قريش

المُناظرة الحادية والخمسون

المُناظرة الثانية والخمسون

المُناظرة الثالثة والخمسون

المُناظرة الرابعة والخمسون

حديث الثقلين

المُناظرة الخامسة والخمسون

المُناظرة السادسة والخمسون

الرجعة

المُناظرة السابعة والخمسون

المُناظرة الثامنة والخمسون

المُناظرة التاسعة والخمسون

الإمام الحجّة عليه السلام والحكمة من الغيبة

المُناظرة الستّون

المُناظرة الحادية والستون

المُناظرة الثانية والستون

المُناظرة الثالثة والستون

المُناظرة الرابعة والستون

المُناظرة الخامسة والستون

المُناظرة السادسة والستون

المُناظرة السابعة والستون

المُناظرة الثامنة والستون

المُناظرة التاسعة والستون

حديث الصحابة

المُناظرة السبعون

المُناظرة الحادية والسبعون

المُناظرة الثانية والسبعون

المُناظرة الثالثة والسبعون

المُناظرة الرابعة والسبعون

المُناظرة الخامسة والسبعون

المُناظرة السادسة والسبعون

مفتريات

المُناظرة السابعة والسبعون

المُناظرة الثامنة والسبعون

مُنَاظَراتٌ في العَقَائِدِ والأحْكامِ

الجزء الأول

تأليف وتحقيق

الشيخ عبدالله الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

(وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا اِلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ اِنَّني من المُسْلِمِينَ)

فصلت : 33

وقال تعالى :

(إنَّ في ذلكَ لذكرى لمن كان لهُ قلبٌ أو ألقى

السمعَ وهو شهيد)

ق : 37

الاهداء

إلى المنتظر لإقامة الإمت والعوج والمرتجى لإزالة الجور والعدوان .
إلى المدّخر لتجديد الفرائض والسنن والمتخير لاعادة الملّة والشريعة .
إلى معز الأولياء ومذلّ الأعداء وجامع الكلمة على التقوى وباب الله الذي منه يؤتى .
إلى صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى ومؤلف شمل الصلاح والرضا.
إلى الحجّة بن الحسن المهدي ... الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

بين يديك سيّدي هذا المجهود الضئيل راجياً القبول .

(يَا اَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَاهلَنَا الضُّرُّ وجئنَا ببِضَاعةٍ مُزجاة فَاَوْفِ لنا الكَيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ الله يَجزِي المُتَصَدِّقينَ)
سورة يوسف آية 88

عبدالله الحسن

تقديم بقلم فضيلة العلامة المحقّق الكبير البحاثة الشيخ باقر شريف القرشي ـ حفظه الله تعالى ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الطاقات العلمية الهائلة التي فجرها الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله قد استوعبت جميع لغات الأرض ، وامتدت موجاتها المشرقة إلى جميع مناحي الفكر الأنساني، والتي كان منها المناظرات الواقعة بين العلماء في مختلف القضايا العلمية والمذهبية، وكثير منها لا يخلو من الابداع، وهي تحكي قوة الدليل ، وروعة الاحتجاج عند بعض، ووهن الدليل وضعفه عند الطرف الآخر.
وقد كان العصر العباسي مسرحاً للاَحتجاجات والمناظرات في المسائل الكلامية والفلسفية، وقد شهدت أروقة البلاط العباسي أيام الرشيد والمأمون ألواناً ممتعة من المناظرات التي أقامها الخلفاء ووزراؤهم، وفي طليعتها ما تذهب إليه الشيعة في أمر الإمامة بالنص لا بالانتخاب، وأن الإمام معصوم من الخطأ، ومحيطٌ بجميع ما تحتاج إليه الأُمة في شؤونها الاَدارية والاَقتصادية والسياسية، وأنه لا بد أن يكون أعلم أهل زمانه، وكل هذه الأُمور كانت موضع جدل وأخذ ورد بين علماء الشيعة وعلماء السنة.
وكان جمع تلك المناظرات في كتاب أو في موسوعة ، ضرورة ملحة لا تستغني عنه المكتبة الاَسلامية لاَنها تلقي الاَضواء على الحياة الفكرية والمذهبية في تلك العصور ... وقد انبرى الاَستاذ الفاضل الشيخ عبدالله الحسن إلى جمعها وتحقيقها في كتابه (مناظرات في الإمامة) .
ومضافاً لذلك، فقد عرض المؤلّف في كتابه الحديث (مناظرات في العقائد والاَحكام) إلى إبراز القيم الاَصيلة ، والمثل العليا التي تؤمن بها الشيعة، وما أثير حولها من شبه وأوهام ، قد فندها علماء الإمامية بصورة موضوعية، وأبرزوا زيفها ، وأنها لا ميزان لها في البحوث العلمية.
وإني أثني على هذه الفكرة، وأبارك له هذا الجهد الخلاق متمنياً له التوفيق، وأن يتحف المكتبة الإسلامية بالمزيد من البحوث التي تنفع الناس، والتوفيق بيده تعالى يهبه للصالحين من عباده .

باقر شريف القرشي
النجف الاَشرف 16 | ربيع الأول 1416 هـ

مقدّمة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على أشرف الاَنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد :
قد يحسب المرءُ أن ما خالف رأيه عقيدةً وفكراً ـ نتيجةً لتراكم القناعات الموروثة أو لغيرها من الاَسباب ـ أنّه باطلٌ أو شاذٌ لا يُعوَّل عليه ، وهذا خطأٌ محض ، إذ يجب (1) بص أن تُمحّصَ آراءُ الطرفِ الآخر لاحتمال أن يكون الصواب معه، ولولا ذلك لما عَدل أحدٌ إلى الحقّ بعد الإهتداء إليه .
وإذا كان من الصَعب على المرء أن ينسى ما اعتقده أو يتناساه إذا ما ثبت بطلانه ، فإن في تاريخ الإسلام العقائدي

ما يُثبت أنّ هناك صَفوة من رجاله تركوا ما اعتقدوا به بعد انكشاف الحقّ ، إمّا بدراسة مختلف الآراء والنظريات في بُطون الكتب والأسفار وعرضها على المعايير العلمية الدقيقة، أو عن طريق حوار علمي يتناول الموضوع المعني من جميع جوانبه للكشف عن غوامضه ومن ثمّ اتباع الحق فإنه أحقّ أن يتبع قال الحقّ تعالى : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (2) ومِن هنا تدخل المناظرة كسبيلٍ مختصرٍ يوفر الطريق الآمن للوصول إلى المحجّة الواضحة ، غيرَ أنّ هذا منوطٌ بطلب الحقّ لا الجدل والمراء والمكابرة .

وَلما كان للمناظرة مثلُ هذه الأهميةِ البالغةِ لمعرفةِ الحق ، وَلمّا فيها من تأصيل أيضاً على صعيد التراث الإسلامي ، والذي يُمثّل أفكار وآراء علماء ورجال الإسلام قديماً وحديثاً على مختلف مذاهبهم ومشاربهم ، وكلٌّ منهم يدعم فكرته ورأيه بالدليل والبرهان ، وحينها تُمحّصُ الآراءُ وتنقحُ الأفكار ، إذا ما التزمَ فيها بالموضوعية والصراحة الحقّة ، وبالتالي تؤدي إلى إظهار الحقّ واتباعه ونبذ الباطل واجتنابه ـ فقد وجدت نفسي شغوفاً بجمع ما تيسر منها ، وتحقيقها تحقيقاً علمياً معضداً بمصادر المتناظرين ، وهذا ما سيجده القارىء الكريم وشيكاً في مناظراتنا هذه التي تناولت جلّ عقائد الشيعة وأحكامهم.

وحيث انّه قد ثبت عند الشيعة الإمامية بالدليل القطعي ـ الذي لا شكّ فيه ـ وجوبُ التمسّك بأهل البيت : ووجوب الاهتداء بهديهم والسير على طريقتهم، كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله إذ هم المنبعُ الصافي والمعين الذي لا ينضب ، والامتداد الطبيعي لرسالته ـ لهذا أخذت الشيعة الإمامية عقائدها وأحكامها الشرعية منهم ، واستمدت من فكرهم الثقافة الإسلامية ، وقد انعكس ذلك في مؤلّفاتهم ومقالاتهم ، وظهر بشكل واضح على سلوكهم ، وتناولوا بالبحث كلّ ما يتّصل بالأُصول والفروع والتفسير والأخلاق ، كبحثهم في مسائل التوحيد والنبوة والإمامة وشؤونها ونحو ذلك ، كما بحثوا أيضاً مسائل الأحكام الشرعيّة ، والمختلف فيها كمسألة الجمع بين الصلاتين ، والسجود على التربة الحسينيّة ، وزيارة القبور ، والمتعة ، وعشرات غيرها من المسائل التي أثبتوا شرعيتها بالأدلّة الشرعية والعقلية.

ومِنَ البداهة أن يرى كلٌ من المتناظرين صحّة ما يعتقده أصولاً وفروعاً ، ولمّا كان الحقّ واحداً فلا بدّ حينئذٍ أن يكون حليفاً لأحدهما دون الآخر ، ومِنْ هنا فالعقل يحكم بضرورة مقابلة ما اختلفت فيه المذاهب الإسلامية ، لتنقيح الصحيح من غيره ، والتعرف على الحقّ واتباعه ، والذي يحقق للعبد الأمن من الضرر الأخروي ، ولذلك كانت المسائل الخلافية محط نظر جميع علماء المذاهب الإسلامية ومفكريهم للتعرف عليها ، ومِنْ ثمَّ مناقشتها والمناظرة فيها، ثم الحكم عليها بعد ذلك إما بالتأييد ـ وإن كان على خلاف ما يراه سابقاً ـ إذا ما اقتنع بالدليل كما تسنى ذلك لبعضهم ـ ، وإما بالتفنيد إذا استطاع أن يقيم الدليل والبرهان على بطلانها وفسادها .

ومن هنا قلما تجد مسألة لم تقع عرضة للأخذ والرد ، في ما بين المذاهب الإسلامية ، وحتى في المذهب الواحد أيضاً ، حرصاً منهم على معرفة ما هو الصحيح من الباطل ، ولذا شكلت هذه المناظرات والمحاورات موسوعةً علميّةً خصبة ينبغي الاهتمام والاعتناء بها ، إذ هي غنيّةٌ بالأدلّة العلمية والحقائق التاريخية ، التي لا يزال بعضها مجهولاً عند كثير من الباحثين فضلاً عن غيرهم ، أضف إلى ذلك أنّ كثيراً منها يُعدّ من التراث الإسلامي الذي ينبغي المحافظة عليه وإعدادهُ في المكتبة الإسلامية.

وامتداداً لموسوعة المناظرات التي ابتدءتها بإعداد وتحقيق ما تعلق منها بالإمامة والخلافة بعنوان (مناظرات في الإمامة) فقد أعددت في هذا الكتاب المناظرات التي جرت في العقائد والأحكام الشرعية وغيرها من المسائل المهمة، التي دارت بين علماء الشيعة الإمامية وسائر علماء المذاهب الإسلامية الأخرى ، كما حوت أيضاً جملة من مناظرات أئمّة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ القيمة والتي ينبغي النظر فيها بتأمّل للإستفادة منها بالشكل المناسب ولا أدعي استيفاء كل ما صدر من المناظرات في هذا الموضوع ، إذ ربما فاتني منها الكثير ، غير أنّي آمل أن يكون عملي هذا قد شغل فراغاً في المكتبة الإسلامية .

وقد جعلت هذه المناظرات في جزئين ، فقد حوى الجزء الأول المناظرات في العقائد وما يرتبط بها من المعارف الإسلامية ، كما حوى الجزء الثاني المناظرات في الأحكام الشرعية وما يرتبط بها من المسائل الأخرى .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المناظرات قد تتداخل في كلا الأمرين ، إذ قد تلحظ تارة من ناحية عقائدية وأخرى من ناحية شرعية ، فإذا لوحظت المسألة من ناحية الاعتقاد بها وكانت من الضروريات أو المسلمات التي قام الدليل عليها فهي من العقائد التي يجب عقد القلب عليها ، وتارة تلحظ من حيث ارتباطها بأحد الأحكام الخمسة الشرعية فتكون مسألة فرعية مرتبطة بفعل المكلّف نفسه ، وقد ألحقت كلّ مناظرة بما يناسبها ويغلب عليها في أحد القسمين ، إذ أن بعضها لا يخلو من تشابه ومفارقات ، كما إني قدمت مناظرات الأئمّة المعصومين : على غيرهم في كلّ باب .

وممّا أودُّ التنبيه عليه ، هو أن الاستفادة من هذه المناظرات ، وما يتعلّق بها من مسائل تخصّ الشيعة الإمامية ، إنما تتم بالوجه الأكمل بربطها بما زخرت به المكتبة الشيعية من ذخائر التراث الإسلامي الخاص بمسائل العقائد

والكلام، المبسوطة في ذلك أو المختصرة كـ : الشافي ، وتلخيصه ، وكشف المراد ، ونهج الحق ، وحقّ اليقين في معرفة أُصول الدين ، وأصل الشيعة وأُصولها ، وعقائد الإمامية ، وغيرها من عشرات الكتب التي لا يستغني عنها كلّ باحث في خصوص هذا الموضوع ، أو في ما يتعلّق بمسائل الأحكام الشرعية الرجوع إلى ما في المكتبة الشيعية من الكتب المبسوطة في الفقه ، كـ : كتاب المبسوط للشيخ الطوسي ، والتذكرة ، وشرائع الإسلام ، وجواهر الكلام ، ومستمسك العروة الوثقى ، وكتاب مسائل فقهية للسيد شرف الدين ، حيث اعتنى فيه بوجه خاص لمعالجة بعض الفروع الفقهية الخلافية بين الطائفة الإمامية وغيرها من المذاهب الإسلامية .

كما أنه من الضروري بمكان لكلّ باحث عن الحقيقة والمعرفة في خصوص التعرّف على عقائد وأفكار الشيعة الإمامية أن يبحثها بنفسه ، ويطلع عليها من كتب ومصادر الإمامية المعتمدة الموثوقة عندهم ، لا من كتب ومصادر غيرهم أو ما كتبه عنهم خصومهم ، كما هو الظاهر في أكثر ما تناولته الأقلام الحديثة من بعض الكتّاب والباحثين ، إذ من الضروري أن يتحلى الباحث بأمانة النقل والتثبت التام قبل الحكم في أيِّ مسألةٍ والتأكد من فهمها فهماً صحيحاً ، فإن مما منيت به الشيعة الإمامية أنهم أُسيء فهمهم واستغل الحاقدون ذلك في الكيد بهم والوقيعة فيهم على غير بينة وبرهان ، إذ ليس كلّ ما يُنسب إليهم هو من معتقدهم ومعتبراً عندهم ، وليس من الحقّ والإنصاف أن تُدان طائفةٌ بما ينسبه إليها غيرها ، ولا بما يقوله الشواذ الذين لا وزن لكلمتهم ولا حيثيّة لهم ، بل الصحيح أن تؤاخذ بما هو متّفق عليه عند علمائهم ، أو ما هو متسالم عليه عندهم.

ولذا خفيت على كثير من الباحثين والمحقّقين فضلاً عن غيرهم حقيقة مبادىء وفكر المذهب الشيعي ، وما ذلك إلاّ لعدم التثبّت التام الدقيق والدراسة المستوعبة ، وقد حذر القرآن الكريم من مغبة اتباع هذا النحو ، قال تعالى : (يَا أيُّها الّذين آمنُوا إنْ جاءَكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أنْ تُصيبُوا قوماً بجهالةٍ فتُصبِحوا عَلى مَا فَعَلْتُم نادمين) (3) كما حَذرَنا من الاعتماد على الظنّ فقال تعالى : (إنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحقِّ شيئاً) (4) ، والعاقل المنصف لا يأنف من اتباع الحقّ ، فإن الحكمة ضالة المؤمن ، (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (5) وأملي أن يتابع القارىء الكريم معي هذه المناظرات ففيها من الحقّ ما يُسمعُ الصُمَ ، ومن النور ما يراه البصير، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة على نبيّه المختار وآله الأطهار ، ما طلع بدر الدُجى ، وسطعت شمس النهار ، إنّه نعم المولى ونعم النصير .

في يوم الجمعة المصادف
ميلاد الإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام
15 | 8 | 1414هـ

---

(1) كما يحكم بذلك العقل وذلك للأمن من الضرر الأخروي ، حتى ولو كان محتملاً .
(2) سورة الزمر : الآية 18 .
(3) سورة الحجرات : الآية 6 .
(4) سورة يونس : الآية 36 .
(5) سورة يوسف : الآية 108 .

المشيئة ـ القضاء والقدر

المناظرة الاولى

روى ابن عساكر ـ بسنده ـ عن الحرث ، قال : جاء رجلٌ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القَدَر ؟
قال عليه السلام : طريق مظلم لا تسلكه !!
قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القَدَر ؟
قال عليه السلام : بحر عميق لا تلجه.
قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القَدَر ؟
قال عليه السلام : سر الله قد خفي عليك فلا تلجه.
قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القَدَر ؟
قال عليه السلام : سرّ الله قد خفي عليك فلا تفشه.
قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القَدَر ؟
قال عليه السلام : أيّها السائل إذاً الله خلقك لما شاء أو لما شئت؟
قال : بل لما شاء.
قال : فيستعملك كما شاء أو كما شِئْت ؟
قال: بل كما شاء.
قال عليه السلام : فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت ؟
قال : بل كما شاء.
قال عليه السلام : أيّها السائل ألست تسأل ربّك العافية ؟
قال : نعم.
قال عليه السلام : فمن أي شيء تسأله العافية ، أمِن البلاء الذي ابتلاك به غيره ؟
قال : من البلاء الذي ابتلاني به.
قال عليه السلام : أيّها السائل تقول : لا حول ولا قوّة إلاّ بمن ؟
قال : إلاّ بـالله العلي العظيم.
قال عليه السلام : أفتعلم ما تفسيرها ؟
قال : تعلّمني ممّا علّمك الله يا أمير المؤمنين ؟
قال عليه السلام : إنّ تفسيرها ، لا تقدر على طاعة الله ، ولا يكون له قوّةٌ في معصية في الاَمرين جميعاً إلاّ بالله.
أيّها السائل ألك مع الله مشيئة (1) أو فوق الله مشيئة ، أو دون الله مشيئة ؟ فإن قلت ، إنّ لك دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله ، وإن زعمت أنّ لك فوق الله مشيئة فقد ادّعيت أنّ قوّتك ومشيئتك غالبتان على قوّة الله ومشيئته ، وإن زعمت أنّ لك مع الله مشيئة فقد ادّعيت مع الله شركاً في مشيئته.
أيّها السائل إنّ الله يشجّ ويداوي ، فمنه الداء ومنه الدواء (2) ، أعقلت عن الله أمره.
قال : نعم.
قال علي عليه السلام : الآن أسلم أخوكم ، فقوموا فصافحوه.
ثمّ قال علي عليه السلام : لو أن عندي رجلاً من القدرية لاَخذت برقبته ثمّ لا أزال أجأها حتى أقطعها ، فإنّهم يهود هذه الأمّة ونصاراها ومجوسها.(3)

---

(1) أي ليس للعبد مشيئة مستقلة دون مشيئة الله تعالى ، قال تعالى : (وَمَا تَشاؤن إلاّ أن يَشاء الله إنّ الله كان عليماً حكيماً).
(2) قال تعالى : (وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلاّ هو).
(3) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3 ص 285 - 286 ، ح 1307 ، العقد الفريد للاَندلسي : ج 2 ص 218 - 219 ، دستور معالم الحِكَمْ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام للقضاعي : ص 107 - 109 ، تذكرة الخواص لابن الجوزي : ص 144 ، بتفاوت.

المناظرة الثانية

مناظرة أمير المؤمنين عليه السلام مع رجل من أهل الشام في القضاء والقدر

قال الشيخ الصدوق ـ عليه الرحمة ـ : وأخبرني الشيخ أدام الله عزّه مرسلاًعن عمرو بن وهب اليماني قال : حدّثني عمرو بن سعد عن محمد بن جابر عن أبي إسحاق السبيعي قال : قال شيخ من أهل الشام حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافهم من صفين : أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء من الله وقدر ؟

قال : نعم يا أخا أهل الشام ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما وطئنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً ، ولا علونا تلعة ، إلاّ بقضاء من الله وقدر.(1)

فقال الشامي : عند الله تعالى أحتسب عنائي إذاً يا أمير المؤمنين ، وما أظن أن لي أجراً في سعيي إذا كان الله قضاه عليَّ وقدَّره لي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين ، ولا عليها مجبرين.

فقال الشامي : فكيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ !

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويحك يا أخا أهل الشام! لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله عز وجل والنهي منه ، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، ولا المسيء أولى بعقوبة المذنب من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية (2) هذه الأُمّة ومجوسها (3) إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلَّف يسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يكلف عسيراً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب على العباد عبثاً (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) (4) . قال الشامي : فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما ؟

قال : الأمر من الله تعالى في ذلك والحكم منه ثمّ تلا : (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرَاً مَّقْدُورَاً) (5) .

فقام الشامي مسروراً فرحاً لما سمع هذا المقال وقال : فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين ، فرَّج الله عنك وأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً	جزاك ربك عنّا فيه إحسانا
نفى الشكوك مقال منك متّضح	وزاد ذا العلم والإيمان إيقانا
فلن أرى عاذراً في فعل فاحشة	ما كنت راكبها ظلماً وعدوانا
كلا ولا قائلاً يوماً لداهية	أرداه فيها لدينا غير شيطانا
ولا أراد ولا شاء الفسوق لنا	قبل البيان لنا ظلماً وعدوانا
نفسي الفداء لخير الخلق كُلّهمُ	بعد النبي علي الخير مولانا
أخي النبي ومولى المؤمنين معاً	وأوّل الناس تصديقاً وإيمانا
وبعل بنت رسول الله سيّدنا	أكرم به وبها سراً وإعلانا (6)

(1) قيل إن القضاء والقدر هو : الأمر من الله تعالى والحكم بمعنى أنّه تعالى بيّن ذلك وكتبه وأعلم أنّهم سيفعلون ذلك في اللوح المحفوظ وبيّنه لملائكته ، وقدر ذلك في سابق علمه وقد اشتهر في الحديث النبوي الشريف إن كلّ شيء بقضاءٍ وقدر ، وانّه يجب الإيمان بالقدر خيره وشرّه ، وأنّ أفعال العباد واقعة بقضاء الله وقدره ، لا بمعنى أنّه تعالى خلق أفعالهم وأوجدها ـ كي ينسب فعل العباد له ـ إذ لو كان بهذا المعنى لسقط اللوم عن العاصي وعقابه ، ولم يستحق المطيع الثواب على عمله ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.
فالأفعال الصادرة من العبد كلّها واقعة بقدرته واختياره غير مجبور على فعله ، بل له أن يفعل غير مضطر ، وله أن لا يفعل غير مكره.
وهذا ما جاء عن أئمّة الهدى ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ، قال إمامنا الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمرٌ بين أمرين.
وهذا ما ذهبت إليه الإمامية ومن حذا حذوهم.
فأفعال العباد واقعة تحت قدرتهم واختيارهم ، ولكن غير خارجة عن قدرة الله تعالى ، إذ هو المفيض على الخلق ، فليست أفعالهم واقعة تحت الجبر بتمكينه لهم ، ولم يفوّض لهم خلق الأفعال فتكون خارجة عن قدرته وسلطانه ، بل له الحكم والأمر ، وهو على كلّ شيء قدير.
وهناك من ذهب إلى أنّ الفاعل لأفعال المخلوقين من المعاصي هو الله تعالى ومع ذلك يعاقبهم عليها وهو الفاعل للطاعة ومع ذلك يثيبهم عليها ، وانّه لا فعل للعبد أصلاً ـ وهم المجبرة ـ ولا فاعل سواه ولا شريك له في ذلك فنسبوا إلى الله الظلم بمقالتهم هذه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وقد فنّد أمير المؤمنين عليه السلام مقالتهم هذه وزعمهم الباطل قال عليه السلام : (لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب) إذ كيف يجبرهم على الطاعة ثمّ يثيبهم على عمل لم يصدر منهم ، وكيف يجبرهم على المعصية ثم يعاقبهم عليها إذ لا عقاب على عمل لم يفعله العبد (وسقط الوعد والوعيد) الوعد على الطاعة بالثواب ، والوعيد على المعصية بالعقاب حيث انّه تعالى وعد المطيعين بالثواب الجزيل ، وأوعد العاصين بالعقاب ، ولا يكون ذلك إلاّ باختيارهم وإرادتهم، ولذا أمرهم تعالى ونهاهم وأرسل الرسل لهم وأنزل الكتب عليهم وكلفهم ، ومع الجبر لا قدرة لهم فلا تكليف فيبطل كلّ ذلك ما داموا مجبورين على أفعالهم. وليس هناك أدلّ من الوجدان على قدرة العبد واختياره وانّه غير مجبور على فعله فله أن يفعل وله أن لا يفعل وهو الصواب ، ولذا نجد القرآن الكريم ينسب الأفعال إلى أصحابها ويحملهم مسؤولية أفعالهم إن خيراً فخير وان شرّاً فشر. فمن تلك الآيات الشريفة قوله تعالى : (من يعمل مثقال ذرّة) ، (من يعمل سوءاً يجز به) ، (كلّ امرىءٍ بما كسب رهين) ، (جزاءاً بما كانوا يعملون) إلى غير ذلك من آيات الوعد والوعيد والذم والمدح.
وقد سئل الإمام أبو الحسن الهادي ـ صلوات الله عليه ـ عن أفعال العباد ، فقيل له : هل هي مخلوقة لله تعالى ؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها وقد قال سبحانه : (إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله) التوبة | 3.
راجع : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ص 315 ، تصحيح الاعتقاد ـ من مصنّفات الشيخ المفيد ـ : ج 5 ص 43 ، الباب الحادي عشر للعلاّمة الحلّي : ص 59 ، حقّ اليقين في معرفة أصول الدين لشبّر : ج 1 ص 60 ، عقائد الإمامية للمظفّر : ص 267.
(2) القدرية قيل : هم جاحدوا القدر القائلون بنفي كون الخير والشر كلّه بتقدير الله ومشيئته ، وسمّوا بذلك لمبالغتهم في نفيه. وقالت المعتزلة : القدريّة هم القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه من الله وبتقديره ومشيئته لأنّ الشائع نسبة الشخص إلى ما يثبته ، وقال أبو سعيد الحميري: وسميت القدريّة : قدريّة لكثرة ذكرهم القدر ، وقولهم في كلّ ما يفعلونه قدّره الله عليهم ، والقدرية يسمون: العدلية ، بهذا الاسم ، والصحيح ما قلناه لأنّ من أكثر من ذكر شيء نُسب إليه ، مثل من أكثر من رواية النحو ، نسب إليه ، فقيل : نحوي ، ومن أكثر من رواية اللغة نسب إليها ، فقيل : لغوي، وكذلك من أكثر من ذكر القدر ، وقال في كلّ فعل يفعله : قدّره الله عليه ، قيل : قدري ، والقياس في ذلك مطرد.
وأمّا في أخبار أهل البيت عليهم السلام فقد يطلق القدري على الجبري والتفويضي، كما عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل زعم أنّ الله عزّ وجلّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عزّ وجلّ في حكمه وهو كافر ، ورجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليهم فهذا وهّن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول : إنّ الله عزّ وجلّ كلّف العباد ما يطيقون ، ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ.
راجع : معجم الفرق الاسلامية للأمين : ص 190 ، الحور العين أبو سعيد الحميري : ص204، بحار الأنوار : ج 5 ص 9 ح 14 ، سفينة البحار : ج 2 ص 409.
(3) جاء في كنز العمّال ج 1 ص 121 ، ح 2677 : إنّ لكلّ أمّة مجوس ومجوس أمّتي هذه القدرية الخ ، وجاء في سفينة البحار ج2 ص409، وقد ورد في صحاح الأحاديث: لعن الله القدريّة على لسان سبعين نبيّاً.
(4) سورة ص : الآية 27.
(5) سورة الأحزاب : الآية 38.
(6) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ص 42 ـ 43 ، عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج 2 ص 127 ـ 128 ح 38 ، كنز الفوائد للكراجكي : ج 1 ص 363 ـ 364 ، الاحتجاج للطبرسي : ج 1 ص 208 ـ 209 ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق : ج 3 ص 284 ـ 285 ح 1306 ، نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام تحقيق صبحي الصالح : ص 481 من كلام له رقم : 78 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 18 ص 227 ـ 228 ، بتفاوت.

المُناظرة الثالثة

مناظرة الإمام الكاظم عليه السلام مع أبي حنيفة (1) في أنّ المعصية من فعل العبد
قال الشيخ الصدوق ـ عليه الرحمة ـ : وأخبرني الشيخ أيده الله أيضاً قال: قال أبو حنيفة: دخلت المدينة فأتيت جعفر بن محمد عليه السلام فسلّمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى عليه السلام في دهليز قاعداً في مكتب له وهو صبي صغير السن فقلت له : يا غلام ، أين يحدث الغريب عندكم إذا أراد ذلك ؟
فنظر إليَّ ثمّ قال : يا شيخ اجتنب شطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، وفيىء النزَّال ، وأفنية الدور ، والطرق النافذة ، والمساجد ، وارفع وضع بعد ذلك حيث شئت.
قال : فلمّا سمعت هذا القول منه ، نَبُل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له: جعلت فداك ، ممّن المعصية ؟
فنظر إليَّ نظراً ازدراني به ثمّ قال : اجلس حتى أخبرك ، فجلست بين يديه.
فقال: إنَّ المعصية لا بدَّ من أن تكون من العبد أو من خالقه أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر ، وإليه توجّه النهي ، وله حق الثواب ، وعليه العقاب ، ووجبت له الجنّة والنار.
قال أبو حنيفة : فلمّا سمعت ذلك ، قلت : (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (2) .
قال الشيخ أيّده الله : وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا اللاّتي يُذمُّ بها * إحدى ثلاث معانٍ حين نأتيها

إما تفرد بارينا بصنعتها * فيسقط اللوم عنّا حين ننشيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه * ما سوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لإلهي في جنايتها * ذنب فما الذنب إلاّ ذنب جانيها (3)

---

(1) هو : النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي ، مولى تيم الله ابن ثعلبة وقيل : أصله من أبناء فارس ، أحد الأئمّة الأربعة ، وإمام أصحاب الرأي والقياس ، ولد بالكوفة سنة 80 هـ ، عاصر بعض الصحابة أمثال أنس بن مالك ، وله : مسند في الحديث ، المخارج في الفقه ، الفقه الأكبر. نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى ، فأمر به إلى الحبس فكان يساط في كلّ يوم مائة سوط حتى توفّي في السجن سنة 150 هـ ، ودفن بمقبرة الخيزران.
راجع ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب : ج 13 ص 323 ترجمة رقم : 7297 ، وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 5 ص 405 ، ترجمة رقم : 765 ، الأعلام للزركلي : ج 9 ص 4 ، سير أعلام النبلاء : ج 6 ص 390 ترجمة رقم : 163.
(2) سورة آل عمران : الآية 34.
(3) الفصول المختارة للمفيد : ص 43 ـ 44 ، كنز الفوائد للكراجكي : ج1 ص 366 ، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 247 ـ 248 ح 16 و 17 بتفاوت .

المُناظرة الرابعة

مناظرة الكراجكي(1) مع بعضهم في المعصية

قال الشيخ الكراجكي ـ أعلى الله مقامه ـ : وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء مستظرفاً له بها، وعنده جمع من الناس ، فقال رجل ممّن كان في المجلس يميل إلى الجبر : إن كان هذه المسألة لا حيلة للمجبرة فيها، فعليكم أنتم أيضاً مسألة لهم أُخرى ، لا خلاص لكم مما يلزمكم منها.

فقلت : وما هي ؟

قال : يقال لكم إذا كان الله تعالى لا يشاء المعصية ، وإبليس يشاؤها ، ثمّ وقعت معصية من المعاصي ، فقد لزم من هذا أن تكون مشيئة إبليس غلبت مشيئة رب العالمين.

فقلت: إنّما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة، ولو كنّا نقول: إنّ الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة، ويضطره إليها، ويحيل بينه وبين المعصية بالقسر والإلجاء إلى غيرها، لزمنا ما ذكرت، وإلاّ بخلاف ذلك، وعندنا أن الله تعالى يقدر أن يجبر عباده، ويضطرهم، ويحيل بينهم وبين ما اختاروه، فليس يلزمنا ما ذكرتم من الغلبة.

وقد أبان الله تعالى فقال : (وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) (2) ، وقال تعالى : (وَلَو شِئنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفسٍ هُدَاهَا) (3) ، وإنّما لم يفعل ذلك، لما فيه من الخروج عن سنن التكليف ، وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم، فتأمّل ما ذكرت تجده صحيحاً.

فلم يأت بحرفٍ بعد هذا (4).

---

(1) هو : أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المعروف بالكراجكي نسبة إلى كراجك قرية على باب واسط ، من أجلاّء علماء وفقهاء ورؤساء الشيعة ، والكراجكي من أئمّة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم ، وقد أطراه عدد من مترجميه ، فوصفوه بالشيخ المحدّث الفقيه المتكلّم المتبحّر الرفيع الشأن من أكابر تلامذة المرتضى والشيخ المفيد والديلمي والواسطي، وسلار وأبي الحسن ابن شاذان القمّي، ويعبر عنه الشهيد الأول العاملي كثيراً في كتبه بالعلاّمة مع تعبيره عن العلامة الحلّي بالفاضل ، ومصنّفاته كثيرة جداً منها : 1 ـ روضة العابدين ، 2 ـ الرسالة الناصرية ، 3 ـ الاستنصار ، 4 ـ كنز الفوائد وغيرها. توفّي في سنة 449 هـ ، راجع ترجمته في : سير أعلام النبلاء : ج 18 ، ص 121 ، لسان الميزان : ج5 ، ص 300 ، مرآة الجنان : ج3 ، ص 70 ، تنقيح المقال ، للمامقاني : ج 3 ، ص 159 ترجمة رقم : 11134 ، كنز الفوائد : ج 1 ، ص11.

(2) سورة هود : الآية 118.

(3) سورة السجدة : الآية 13.

(4) كنز الفوائد للكراجكي : ج1 ، ص 115.

البداء والإرادة المُناظرة الخامسة

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي في البداء وإرادة الله تعالى
روي عن الحسن بن محمد النوفلي انّه قال: قدم سليمان المروزي(1) متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ثم قال له : إن ابن عمي علي بن موسى الرضا عليهما السلام قدم عليّ من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.
فقال سليمان : يا أمير المؤمنين ، إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم إذا كلّمني ولا يجوز الانتقاص عليه.
قال المأمون : إنما وجّهت إليه لمعرفتي بقوتك وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط.
فقال سليمان : حسبك يا أمير المؤمنين اجمع بيني وبينه وخلني والذم.
فوجه المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال : إنه قدم إلينا رجل من أهل مرو ، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام فإن خف عليك أن تتجشّم المصير إلينا فعلت.
فنهض عليه السلام للوضوء وقال لنا : تقدموني ، وعمران الصابي معنا فصرنا إلى الباب ، فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله تعالى ؟
قلت: خلّفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن عمران مولاك معي وهو على الباب.
فقال: ومن عمران ؟
قلت: الصابي الذي أسلم على يدك.
قال: فليدخل فدخل فرحَّب به المأمون ثمَّ قال له: يا عمران لم تمت حتى صرت من بني هاشم.
قال: الحمد لله الذي شرَّفني بكم يا أمير المؤمنين.
فقال له المأمون : يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان.
قال عمران : يا أمير المؤمنين ، انّه يزعم واحد خراسان في النظر ، وينكر البداء.
قال: فلم لا تناظروه ؟
قال عمران: ذلك إليه.
فدخل الرضا عليه السلام فقال: في أي شيء كنتم ؟
قال عمران : يا ابن رسول الله هذا سليمان المروزي.
فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه ؟
فقال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجة أحتجُّ بها على نظرائي من أهل النظر.
قال المأمون : يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه ؟
قال : وما أنكرت من البداء يا سليمان ، والله عزّ وجلّ يقول: (أوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أنَّا خَلَقْنَاه مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيئاً)(2)ويقول عزّ وجلّ : (وَهُوَ الَّذي يَبْدَءُ الخَلْق ثُمَّ يُعيدهُ)(3)ويقول : (بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالاَرْضِ)(4)ويقول عزّ وجلّ : (يَزِيدُ في الخَلقِ مَا يشاءُ)(5)ويقول : (وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ من طِينٍ)(6) ويقول عز وجل : (وَآخَرونَ مُرجَونَ لاِمْرِ اللهِ إمَّا يُعَذِّبُهم وإمَّا يَتُوبُ عَلَيهِمْ)(7)ويقول عزّ وجلّ: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ إلاّ في كِتابٍ)(8).
قال سليمان: هل رويت فيه من آبائك شيئاً ؟
قال: نعم رويت عن أبي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنَّ لله عزّ وجلّ علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلماً علَّمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه.
قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عزّ وجلّ.
قال: قول الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله : (فَتَوَلَّ عَنهُم فَمَا أنتَ بِمَلُومٍ)(9)أراد هلاكهم ، ثمَّ بدا لله تعالى فقال: (وَذَكِّر فإنَّ الذِكرَى تَنْفعُ المؤُمِنِينَ)(10).
قال سليمان: زدني جعلت فداك.
قال الرضا: لقد أخبرني أبي عن آبائه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبي من أنبيائه أنْ أخبر فلاناً الملك : أني متوفيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير وقال : يا رب ، أجِّلني حتى يشبَّ طفلي وأقضي أمري ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبي أن ائت فلاناً الملك ، فأعلمه انّي قد انسيت في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة ، فقال ذلك النبي عليه السلام: يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّما أنت عبدٌ مأمورٌ فأبلغه ذلك ، والله لا يسئل عمّا يفعل.

ثمّ التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب.
قال: أعوذ بالله من ذلك ، وما قالت اليهود ؟
قال: قالت اليهود: (يَدُ اللهِ مَغْلُولةٌ)(11)يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً ، فقال الله عزّ وجلّ : (غُلَّت أيدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)(12) ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء ، فقال: وما ينكر الناس من البداء ، وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره.
قال سليمان: ألا تخبرني عن (إنَّا أنزَلنَاهُ في لَيلَةِ القَدرِ)(13)في أي شيء أنزلت ؟
قال: يا سليمان ، ليلة القدر يقدر الله عزّ وجلّ فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم.
قال سليمان : الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني.
قال الرضا عليه السلام : إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله عزّ وجلّ يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ، يا سليمان إنَّ علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان فعلم علِمه الله وملائكته ورسله فما علَّمه ملائكته ورسله فإنّه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء.
قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين ، لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذب به إن شاء الله.
فقال المأمون: يا سليمان ، سل أبا الحسن عما بدا لك ، وعليك بحسن الاستماع والإنصاف.
قال سليمان: يا سيدي أسألك ؟
قال الرضا عليه السلام : سل عمّا بدا لك.
قال : ما تقول فيمن جعل الارادة اسماً وصفة ، مثل حي وسميع وبصير وقدير.
قال الرضا عليه السلام : إنما قلتم: حدثت الأشياء واختلفت لأنّه شاء وأراد، ولم تقولوا: حدثت الأشياء واختلفت لأنّه سميع بصير ، فهذا دليل على أنّهما ليستا مثل سميع ولا بصير ولا قدير.
قال سليمان: فإنّه لم يزل مريداً.
قال عليه السلام : يا سليمان فإرادته غيره.
قال: نعم.
قال: فقد أثبتَّ معه شيئاً غيره لم يزل.
قال سليمان: ما أثبتُّ.
قال الرضا عليه السلام : أهي محدثة ؟
قال سليمان: لا ، ما هي محدثة.
فصاح به المأمون وقال: يا سليمان ، مثله يعايى أو يكابر ؟ عليك بالإنصاف أما ترى من حولك من أهل النظر ؟ثمّ قال: كلِّمه يا أبا الحسن فإنّه متكلم خراسان ، فأعاد عليه المسألة.
فقال: هي محدثة يا سليمان ، فإن الشيء إذا لم يكن أزلياً كان مُحدَثاً ، وإذا لم يكم محدثاً كان أزلياً.
قال سليمان : إرادته منه كما أن سمعه وبصره وعلمه منه.
قال الرضا عليه السلام : فأراد نفسه ؟
قال: لا.
قال: فليس المريد مثل السميع البصير ؟
قال سليمان: إنما أراد نفسه وعلم نفسه.
قال الرضا عليه السلام : ما معنى أراد نفسه ؟ أراد أن يكون شيئاً ، وأراد أن يكون حياً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً ؟
قال: نعم.
قال الرضا عليه السلام : أفبإرادته كان ذلك ؟
قال سليمان : نعم.
قال الرضا عليه السلام : فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى ، إذا لم يكن ذلك بإرادته.
قال سليمان: بلى قد كان ذلك بإرادته.
فضحك المأمون ومن حوله ، وضحك الرضا عليه السلام ، ثمّ قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان ، فقال: يا سليمان فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها ، وهذا ما لا يوصف الله عزّ وجلّ به فانقطع.
ثمّ قال الرضا عليه السلام : يا سليمان أسألك عن مسألة.
قال: سل جعلت فداك.

قال : أخبرني عنك وعن أصحابك ، تُكلِّمون الناس بما تفقهون وتعرفون، أو بما لا تفقهون ولا تعرفون ؟
قال: بل بما نفقه ونعلم.
قال الرضا عليه السلام : فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة ، وأن المريد قبل الإرادة ، وأن الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم أن الإرادة والمريد شيءٌ واحدٌ.
قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون.
قال الرضا عليه السلام : فأراكم ادَّعيتم علم ذلك بلا معرفة وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر ، إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل، فلم يحر جواباً.
ثمّ قال الرضا عليه السلام : يا سليمان ، هل يعلم الله جميع ما في الجنة والنار ؟
قال سليمان: نعم.
قال: أفيكون ما علم الله تعالى أنه يكون من ذلك ؟
قال: نعم.
قال: فإذا كان حتى لا يبقى منه شيء إلا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟
قال سليمان: بل يزيدهم.
قال : فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون.
قال: جعلت فداك ، فالمريد لا غاية له.
قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما، إذا لم يعرف غاية ذلك، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علواً كبيراً.
قال سليمان: إنّما قلت: لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا لأن الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً.
قال الرضا عليه السلام : ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّه قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عزّ وجلّ في كتابه : (كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُم جُلُوداً غَيرَهَا لِيَذُقُوا العَذَابَ)(14)وقال لأهل الجنة: (عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذٍ)(15)وقال عزّ وجلّ : (وَفَاكِهةٍ كثيرَةٍ * لاَّ مَقطُوعةٍ وَلاَ مَمنُوعَةٍ)(16) فهو عزّ وجلّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا ليس يخلف مكانه ؟
قال: بلى.
قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟
قال سليمان : لا.
قال : فكذلك كلما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم ؟
قال سليمان: بلى يقطعه عنهم ولا يزيدهم.
قال الرضا عليه السلام : إذاً يبيد فيها ، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: (لَهُم مَّا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَلَدينَا مَزِيدٌ)(17)ويقول عزّ وجلّ :(عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذٍ)(18)ويقول عزّ وجلّ : (وَمَا هُم مِّنهَا بِمُخرَجِينَ)(19) ويقول عزّ وجلّ : (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)(20)ويقول عزّ وجلّ : (وَفَاكِهةٍ كثيرَةٍ * لا مَقطُوعةٍ وَلاَ مَمنُوعَةٍ)(21).
فلم يحر جواباً ؟!
ثمّ قال الرضا عليه السلام : يا سليمان ، ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟
قال: بلى هي فعل.
قال عليه السلام : فهي محدثة لأنّ الفعل كله محدث.
قال: ليست بفعل.
قال: فمعه غيره لم يزل.
قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء.
قال: يا سليمان ، هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إن كُلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو بر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة إرادة الله ، وإن إرادة الله تحيي وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك ، فيبرأ منها ويعاد بها ، وهذا حدها.
قال سليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم.
قال الرضا عليه السلام : قد رجعت إلى هذا ثانية ، فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع ؟
قال سليمان : لا.
قال الرضا عليه السلام : فكيف نفيتموه ؟ قلتم : لم يرد ، ومرة قلتم: أراد وليست بمفعول له.
قال سليمان: إنّما ذلك كقولنا مرة علم ومرة لم يعلم.

قال الرضا عليه السلام : ليس ذلك سواء ، لأن نفي المعلوم ليس كنفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ؛ لأن الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة ، فقد يكون العلم ثابتاً ، وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر ، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم.
قال سليمان: إنّها مصنوعة.
قال: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر ، لأن السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة.
قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تزل.
قال: فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل ، لأن صفته لم تزل.
قال سليمان: لا لأنّه لم يفعلها.
قال الرضا عليه السلام : يا خراساني ، ما أكثر غلطك ! أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء ؟
قال سليمان: لا.
قال: فإذا لم تكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمباشرة فكيف يكون ذلك ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
فلم يحر جواباً ؟!
ثمّ قال الرضا عليه السلام : ألا تخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا)(22)
يعني بذلك أنّه يحدث إرادة.
قال له : نعم.
قال عليه السلام : فإذا حدث إرادة كان قولك إن الإرادة هي هو أو شيء منه باطلاً، لأنّه لا يكون أن يحدث نفسه ، ولا يتغير عن حالةٍ تعالى الله عن ذلك.
قال سليمان: إنّه لم يكن عنى بذلك أنّه يحدث إرادة.
قال: فما عنى به ؟
قال : عنى فعل الشيء.
قال الرضا عليه السلام : ويلك كم تردد في هذه المسألة ؟ وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشيء محدث.
قال: فليس لها معنى.
قال الرضا عليه السلام : قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم إن الله عزّ وجلّ لم يزل مريداً.
قال سليمان: إنّما عنيت أنّها فعلٌ من الله تعالى لم يزل.
قال: ألا تعلم أن ما لم يزل لا يكون مفعولاً وقديماً وحديثاً في حالة واحدة ؟
فلم يحر جواباً ؟!
قال الرضا عليه السلام : لا بأس أتمم مسألتك.
قال سليمان : قلت إنّ الإرادة صفة من صفاته.
قال: كم تردِّد عليَّ أنها صفة من صفاته فصفته محدثة أو لم تزل ؟
قال سليمان: محدثة.
قال الرضا عليه السلام : الله أكبر فالإرادة محدثة وإن كانت صفة من صفاته لم تزل.
فلم يرد شيئاً.
قال الرضا عليه السلام : إنّما لم يزل لم يكن مفعولاً.
قال سليمان : ليس الأشياء ارادة ، ولم يرد شيئاً.
قال الرضا عليه السلام : وسوست يا سليمان ، فقد فعل وخلق ما لم يزل خلقه وفعله، وهذه صفة من لا يدري ما فعل ، تعالى الله عن ذلك.
قال سليمان: يا سيّدي فقد أخبرتك أنّها كالسمع والبصر والعلم.
قال المأمون : ويلك يا سليمان ، كم هذا الغلط والتردّد ؟ اقطع هذا وخذ في غيره ، إذ لست تقوى على غير هذا الرد.
قال الرضا عليه السلام : دعه يا أمير المؤمنين ، لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجّة، تكلم يا سليمان.
قال: قد أخبرتك أنّها كالسمع والبصر والعلم.
قال الرضا عليه السلام : لا بأس أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحد أم معانٍ مختلفة ؟
قال سليمان: معنى واحد.
قال الرضا عليه السلام : فمعنى الإرادات كلها معنى واحد ؟
قال سليمان: نعم.

قال الرضا عليه السلام : فإن كان معناها معنى واحداً كانت إرادة القيام إرادة القعود، وإرادة الحياة إرادة الموت ، إذا كانت إرادته واحدة لم تتقدم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً وكانت شيئاً واحداً.
قال سليمان: إن معناها مختلف.
قال عليه السلام : فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها؟
قال سليمان: بل هو الإرادة.
قال الرضا عليه السلام : فالمريد عندكم مختلف إذا كان هو الإرادة.
قال: يا سيدي ليس الإرادة المريد.
قال: فالإرادة محدثة وإلا فمعه غيره ، إفهم وزد في مسألتك.
قال سليمان: بل هي اسم من أسمائه.
قال الرضا عليه السلام : هل سمَّى نفسه بذلك ؟
قال سليمان: لا ، لم يسمِّ نفسه بذلك.
قال الرضا عليه السلام : فليس لك أن تسميه بما لم يسمِّ به نفسه.
قال: قد وصف نفسه بأنّه مريد.
قال الرضا عليه السلام : ليس صفته نفسه أنّه مريد إخبار عن أنّه إرادة ولا إخبار عن أن الإرادة اسم من أسمائه.
قال سليمان: لأن إرادته علمه.
قال الرضا عليه السلام : يا جاهل ، فإذا علم الشيء فقد أراده ؟
قال سليمان: أجل.
فقال: فإذا لم يرده لم يعلمه.
قال سليمان: أجل.
قال: من أين قلت ذاك ؟ وما الدليل على إرادته علمه ؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً ، وذلك قوله عزّ وجلّ : (وَلَئِن شِئنَا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِليكَ)(23) فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبداً ؟
قال سليمان: لأنّه قد فرغ من الأمر ، فليس يزيد فيه شيئاً.
قال الرضا عليه السلام : هذا قول اليهود ، فكيف قال تعالى: (ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُم)(24)؟
قال سليمان: إنّما عنى بذلك أنه قادر عليه.
قال: أفيعد ما لا يفي به ، فكيف قال: (يَزِيدُ فِي الخَلقِ مَا يشاءُ)(25)وقال عزّ وجلّ : (يَمحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ)(26)وقد فرغ من الأمر.
فلم يحر جواباً ؟!
قال الرضا عليه السلام : يا سليمان ، هل يعلم أن إنساناً يكون ، ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً ، وأن إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم.
قال سليمان : نعم.
قال الرضا عليه السلام : فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون ، أو يعلم أنه يكون ما لا يريد أن يكون ؟
قال: يعلم أنهما يكونان جميعاً.
قال الرضا عليه السلام : إذاً يعلم أن إنساناً حي ميت قائم قاعد أعمى بصير في حالة واحدة ، وهذا هو المحال.
قال : جعلت فداك ، فإنه يعلم انّه يكون احدهما دون الآخر ؟
قال : لا بأس ، فأيهما يكون الذي أراد أن يكون أو الذي لم يرد أن يكون؟
قال سليمان: الذي أراد أن يكون.
فضحك الرضا عليه السلام والمأمون وأصحاب المقالات.
قال الرضا عليه السلام : غلطت وتركت قولك: إنّه يعلم أن إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم ، وأنه يخلق خلقاً وأنه لا يريد أن يخلقهم ، وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون فإنّما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون.
قال سليمان: فإنّما قولي أن الإرادة ليست هو ولا غيره.
قال الرضا عليه السلام : يا جاهل ، إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره وإذا قلت: ليست هي غيره فقد جعلتها هو.
قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشيء؟
قال: نعم.
قال سليمان: فإن ذلك إثبات للشيء.
قال الرضا عليه السلام : أحلت ؛ لأن الرجل قد يحسن البناء وإن لم يبن ، ويحسن الخياطة وإن لم يخط ، ويحسن

صنعة الشيء وإن لم يصنعه أبداً، ثمّ قال له عليه السلام : يا سليمان هل تعلم أنّه واحد لا شيء معه ؟
قال: نعم.
قال الرضا عليه السلام : فيكون ذلك إثباتاً للشيء ؟
قال سليمان: ليس يعلم أنّه واحد لا شيء معه.
قال الرضا عليه السلام : أفتعلم أنت ذاك ؟
قال : نعم.
قال: فأنت يا سليمان أعلم منه إذاً.
قال: سليمان: المسألة محال.
قال : محال عندك أنّه واحد لا شيء معه ، وأنّه حي سميع بصير حكيم قادر؟
قال: نعم.
قال: فكيف أخبر عزّ وجلّ : أنّه واحد حي سميع بصير حكيم قادر عليم خبير وهو لا يعلم ذلك ، وهذا رد ما قال وتكذيبه ، تعالى الله عن ذلك.
ثمّ قال له الرضا عليه السلام : فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو ؟ وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه فإنّما هو متحيّر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
قال سليمان: فإن الإرادة القدرة.
قال الرضا عليه السلام : وهو عزّ وجلّ يقدر على ما لا يريده أبداً ولا بدَّ من ذلك، لأنّه قال تبارك وتعالى : (وَلَئِن شِئنَا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِليكَ)(27)فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.
فانقطع سليمان.
فقال المأمون عند ذلك: يا سليمان ، هذا أعلم هاشمي ، ثمّ تفرّق القوم(28)

---

(1) سليمان المروزي ، متكلم خراسان ، مشتبه فيه ، ولم يميز على وجه الدقة ، إذ احتمل بعضهم انّه سليمان بن حفص المروزي الذي نقل المحقّق الداماد عن الشيخ أنّه من أصحاب الهادي عليه السلام ، واحتمل آخر أيضاً أنه سليمان بن داوود المروزي المعدود من أصحاب الهادي عليه السلام ، وقول لثالث : أنه سليمان بن جعفر المروزي من أصحاب الكاظم والرضا عليه السلام ، ومنشأ هذه الاختلاف، إنّ سليمان المروزي الذي ذُكر في مناظرة الإمام الرضا عليه السلام لم يذكر اسم أبيه ، فمن هنا نشأ هذا الاختلاف في ما بينهم ، ولذا صعب تمييزه ، وخصوصاً إنه يوجد بهذا الاسم أكثر من واحد في زمن واحد ، فإن كانت هناك قرائن تميّزه عن غيره وإلاّ يبقى مجهولاً ، قال الشيخ علي النمازي : والأظهر أن سليمان المروزي المتكلّم الباحث مع الرضا عليه السلام ليس أحد هؤلاء الثلاثة ، ولا يجري ما قيل فيهم عليه ، فراجع كتاب العلامة المامقاني في ترجمة هؤلاء الثلاثة حتى يتضح لك الحال والاشكال فيما توهموه وبطلان تطبيق ما ذكر في الروايات من دون ذكر اسم الأب على المعنون في أول الترجمة حتى تقوم حجة على التطبيق ، ومما ذكرنا ظهر عدم الاطمئنان في تطبيق المضمر في الروايات على المعنون ، وقال أيضاً ـ عليه الرحمة ـ : ومن هذه المحاجة يظهر ذمّه ولجاجُه ، فراجع حتى ترى ذمه ، وتعرف فساد توهم من زعم حسنه ، وأنّه ما رجع إلى الحق. انتهى كلامه رفع في علو مقامه.
أقول : والذي يظهر لكل من يراجع مناظراته مع الإمام عليه السلام أن سليمان هذا من أهل العناد ، وإلاّ لم يجلبه المأمون لمحاجة الإمام عليه السلام ، إذ أن المأمون العباسي كان يجلب العلماء لمناظرة الإمام عليه السلام ليظهروا عليه.
ويريد أن يبين للناس عجزه : (ويأبى الله إلاّ أن يُتم نوره ولو كره الكافرون) ولذا قال المأمون لسليمان : وليس مرادي إلاّ أن تقطعه عن حُجة واحدة فقط ، فهذا ما كان يسعى إليه المأمون ومن مشى في ركابه واستجاب له.
وبما أن سليمان المروزي الواقع بهذا الاسم قد تُرجم له في كتب رجال السنة ولم يغفلوه ، كما تدلّ فحوى ترجمتهم له على رقعته عندهم وأنّه من أهل الحديث الذين حفظوا أحاديث لم تقع في الكتب ، كما أن هذا المترجم له كان أيضاً في زمان الإمام الرضا عليه السلام إذ أن الإمام عليه السلام توفي في سنة 203 هـ وتوفي سليمان هذا قبل سنة 210 هـ ، كما أنّه لم يذكر بهذا الاسم في كتب الرجال عند السنة غيره ، وإلاّ كيف يغفله أهل السنة في الوقت الذي ذكروا من الرجال من هو أقل منه في نظرهم ، فمن المحتمل القريب جداً أن يكون هو نفس المذكور في مناظرة الإمام الرضا عليه السلام ، والله العالم بحقائق الأمور ، كما عده أيضاً العطاردي من رواة الإمام الرضا عليه السلام تحت رقم : 149 ، وإليك ترجمته كما جاءت في كتب التراجم عندهم هو : سليمان بن صالح ، مولاهم ، أبو صالح المَرْوَزِيُّ المعروف بسلمويه ، صاحب «وقائع خراسان» ويقال : اسمهُ سليمان بن داود ، قيل انّه سمع من ابن المبارك نحو ثماني مئة حديث ممَّا لم يقع منه في الكتب ، مات قبل سنة عشر ومئتين ، وكان قد جاوز مئة سنة. راجع ما جاء في هذه الترجمة : تهذيب الكمال : ج 11 ص 453 ترجمة رقم : 2529 ، تهذيب التهذيب لابن حجر : ج 4 ص 199 ترجمة رقم : 338 ، مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي : ج 4 ص 146 ترجمة رقم : 6608 ، منتهى المقال في أحوال الرجال للمازندراني : ج 3 ص 387 ترجمة رقم : 1363 ، مسند الإمام الرضا عليه السلام للعطاردي : ج 2 ص 534.
(2) سورة مريم : الآية 67.
(3) سورة الروم : الآية 27.
(4) سورة البقرة : الآية 117.

(5) سورة فاطر : الآية 1.
(6) سورة السجدة : الآية 7.
(7) سورة التوبة: الآية 106.
(8) سورة فاطر: الآية 11.
(9) سورة الذاريات : الآية 54.
(10) سورة الذاريات : الآية 55.
(11) سورة المائدة : الآية 64.
(12) سورة المائدة : الآية 64.
(13) سورة القدر: الآية 1.
(14) سوره النساء : الآية 56.
(15) سورة هود: الآية 108.
(16) سورة الواقعة : الآية 32 و 33.
(17) سورة ق : الآية 35.
(18) سورة هود: الآية 108.
(19) سورة الحجر: الآية 48.
(20) سورة النساء: الآية 57.
(21) سورة الواقعة : الآية 32 و 33.
(22) سورة الإسراء : الآية 16.
(23) سورة الإسراء: الآية 86.
(24) سورة غافر : الآية 60.
(25) سورة فاطر : الآية 1.
(26) سورة الرعد: الآية 39.
(27) سورة الاسراء: الآية 86.
(28) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج2 ص 159 - 168 ب 13، التوحيد للصدوق: ص441 - 454 ب 66 ح 1، بحار الأنوار للمجلسي : ج10 ص 329 - 338 ح 2.

المُناظرة السادسة

مناظرة الكراجكي مع أحد المعتزلة في مسألة البداء

اعلم ـ أيدك الله تعالى ـ أن أصحابنا دون المتكلمين يقولون بالبداء، ولهم في نصرة القول به كلام، ومعهم فيه آثار. وقد استشنع ذلك منهم مخالفوهم، وشنّع عليهم به مناظروهم، وإنّما استشنعوه لظنّهم أنّه يؤدي إلى القول بأن الله تعالى علم في البداء ما لم يكن يعلم، فإذا قدر الناصر للبداء على الاحتراز من هذا الموضع فقد أحسن ، ولم يبق عليه أكثر من إطلاق اللفظ، وقد قلنا إن ذلك قد ورد به السمع، وقد اتفق لي فيه كلام مع أحد المعتزلة بمصر، أنا أحكيه، لتقف عليه.

كنت سألت معتزلياً، حضرت معه مجلساً، فيه قوم من أهل العلم، فقلت له: لِمَ أنكرت القول بالبداء ؟ وزعمت أنّه لا يجوز على الله تعالى.

فقال: لأنّه يقتضي ظهور أمر لله سبحانه كان عنه مستوراً، وفي هذا أنّه قد تجدد له العلم بما لم يكن به عالماً.

فقلت له: أَبِنْ لنا من أين علمت أنّه يوجب ذلك ، وتقتضيه، ليسع الكلام معك فيه ؟

فقال: هذا هو معنى البداء، والتعارف يقضي بيننا، ولسنا نشك أن البداء هو الظهور، ولا يبدو للآمر إلا لظهور شيءٍ تجدد من علمٍ أو ظنٍ لم يكن معه من قبل.

وبيان ذلك: أن طبيباً لو وصف لعليل أن يشرب في وقته شراب الورد، حتى إذا أخذ العليل القدح بيده ليشرب ما أمره به، قال له الطبيب في الحال: صُبَّه ولا تشربه، وعليك بشرب النيلوفر(1)بدله، فلسنا نشك في أن الطبيب قد استدرك الآمر وظهر له من حال العليل ما لم يكن عالماً به من قبل، فغير عليه الآمر لما تجدد له من العلم، ولولا ذلك لم يكن معنى لهذا الاختلاف.

فقلت له: هذا مما في الشاهد وهو من البداء، فيجوز عندك أن يكون في البداء قسم غير هذا ؟

فقال: لا أعلم في الشاهد غير هذا القسم، ولا أرى أنّه يجوز في البداء قسم غيره ولا يُعلم.

فقلت له: ما تقول في رجل له عبد، أراد أن يختبر حاله وطاعته من معصيته، ونشاطه من كسله، فقال له في يوم شديد البرد: سر لوقتك هذا إلى مدينة كذا، لتقبض مالاً لي بها، فأحسن العبد لسيده الطاعة، وقدم المبادرة، ولم يحتج بحجة، فلما رأى سيده مسارعته، وعرف شهامته ونهضته، شكره على ذلك، وقال له: أقم على حالك، فقد عرفت أنك موضع للصنيعة، وأهل للتعويل عليك في الأُمور العظيمة، أيجوز عندك هذا ؟ وإن جاز فهل هذا داخل في البداء أم لا ؟

فقال: هذا مستعمل ورأينا في الشاهد، وقد بدا فيه للسيد، وليس هو قسماً ثانياً، بل هو بعينه الأوّل، هو الذي لا يجوز على الله عزّ وجلّ.

فقلت له: لِمَ جعلت الجمع بينهما من حيث ذكرت أولى من التفرقة بينهما، من حيث كان أحدهما مريداً لإتمام قبل أن يبدو له فيه فينهى عنه ، وهو الطبيب، والآخر غير مريدٍ لإتمامه على كل وجهٍ، وهو سيد العبد، بل كيف لم تفرق بينهما من حيث أن الطبيب لم يجز قط أن يقع منه اختلاف الآمر إلا لتجدد علمٍ له لم يكن، وسيد العبد يجوز أن يقع منه النهي بعد الآمر من غير أن يتجدد له علم، ويكون عالماً بنهضته في الحالين، ومسارعته إلى ما أحب، وإنّما أمره بذلك ليعلم الحاضرون حُسن طاعته، ومبادرته إلى أمره، وأنّه ممن يجب اصطفاؤه، والإحسان إليه، والتعويل في الأُمور عليه.

قال: فإذا سلمت لك الفرق بينهما، فما تنكر أن يكون دالاً على أن مثالك الذي أتيت به غير داخلٍ في البداء ؟

قلت: أنكرت ذلك من قِبَلِ أن البداء عندنا جميعاً نهي الآمر عمّا أمر به قبل وقوعه في وقته، وإذا كان هذا هو الحد المراعى فهو موجود في مثالنا، وقد أجمع العقلاء أيضاً على أن السيد فيه قد بدا له فيما أمر به عبده.

قال: فإذا دخل القسمان في البداء، فما الذي تجيز على الله تعالى منهما ؟

فقلت أقربهما إلى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام وأشبههما لما أمر الله تعالى في المنام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام ، فلما سارع إلى المأمور راضياً بالمقدور، وأسلما جميعاً صابرين، وتلّه للجبين، نهاه الله عن الذبح بعد متقدم الأمر، وأحسن الثناء عليهما، وضاعف لهما الأجر.

وهذا نظير ما مثلت من أمر السيد وعبده، وهو النهي عن المأمور به قبل وقوع فعله.

قال: فمن سَلَّم لك أن إبراهيم عليه السلام مأمور بذلك من قبل الله سبحانه ؟

قلت: سلَّمه لي من يقر بأن منامات الأنبياء عليهم السلام صادقة، ويعترف بأنها وحي الله في الحقيقة، وسلَّمه لي من يؤمن بالقرآن، ويصدق ما فيه من الأخبار.

وقد تضمن الخبر عن إسماعيل أنّه قال لأبيه : (يَا أَبتِ افعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)(2)، وقول الله تعالى لإبراهيم : (قَد صَدَّقتَ الرُّؤيَا) وثناؤه عليه، حيث قال: (كَذَلِكَ نَجزِي المُحسِنِينَ)(3). وليس

بمحسنٍ من إمتثل غير أمر الله تعالى في ذبح ولده، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه.
قال: فإنّي لا أُسمّي هذا بداءً.
فقلت له: ما المانع لك من ذلك، أتوجه الحجّة عليك به، أم مخالفته للمثال المتقدّم ذكره ؟
فقال: يمنعني من أن أُسميه البداء، أن البداء لا يكشف إلا عن متجدد علمٍ لمن بدا له، وظهوره له بعد ستره، وليس في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ما يكشف عن تجدد علم الله سبحانه، ولا يجوز ذلك عليه ، فلهذا قلت إنه ليس ببداء.
فقلت له: هذا خلاف ما سلمته لنا من قبل، وأقررت به ، من أن سيد العبد يجوز أن يأمره بما ذكرناه، ثم يمنعه مما أمره به وينهاه، مع علمه بأنه يطيعه في الحالين لغرضه في كشف أمره للحاضرين.
ثمّ يقال لك : ما تنكر من إطلاق اللفظ بالبتداء في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لأنها كشفت لهما عن علم متجدد، ظهر لهما، كان ظنهما سواه، وهو إزالة هذا التكليف بعد تعلقه ، والنهي عن الذبح بعد الأمر به.
قال : أفتقول انّ الله تعالى أراد الذبح لما أمر به أم لم يرده ؟
واعلم أنك إن قلت: إنه لم يرده دخلت في مذاهب المجبرة، لقولك إن الله تعالى أمر بما لا يريده.
وكذلك إن قلت: إنه أراده دخلت في مذهبهم أيضاً، من حيث أنّه نهى عمّا أراده، فما خلاصك من هذا ؟
فقلت له: هذه شبهة يقرب أمرها، والجواب عنها لازم لنا جميعاً، لتصديقنا بالقصة، وإقرارنا بها.
وجوابي فيها أن الذبح في الحقيقة هو تفرقة الأجزاء، ثمّ قد تسمَّى الأفعال التي في مقدمات الذبح، مثل القصد، والإضجاع، وأخذ الشفرة، ووضعها على الحلق، ونحو ذلك، ذبحاً مجازاً واتساعاً.
ونظير ذلك أن الحاج في الحقيقة هو زائر بيت الله تعالى، على منهاج ما قررته الشريعة، من الإحرام، والطواف، والسعي، وقد يقال لمن شرع في حوائجه لسفره في حجة من قبل أن يتوجه إليه، أنه حاج اتساعاً ومجازاً.
فأقول: إن مراد الله تعالى فيما أمر به لخليله إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده، إنما كان مقدمات الذبح، من الاعتقاد أولاً والقصد، ثمّ الإضطجاع للذبح، ترك الشفرة على الحلق، وهذه الأفعال الشاقة التي ليس بعدها غير الإتمام بتفرقة أجزاء الحلق.
وعَبَّرَ عن ذلك بلفظ الذبح، ليصح من إبراهيم عليه السلام الاعتقاد له، والصبر على المضض فيه، الذي يستحق جزيل الثواب عليه، ولو فُسِّرَ له في الأمر المراد على التعيين لما صح منه الاعتقاد للذبح، ولا كان ما أُمر به شاقاً، يستحق عليه الثناء، والمدح، وعظيم الأجر، والذي نهى الله تعالى عنه هو الذبح في الحقيقة، وهو الذي لم يبق غيره، ولم تتعلق الإرادة قط به، فقد صح بهذا أن الله تعالى لم يأمر بما لا يريد، ولا نهى عما أراد، والحمد لله.
قال الخصم: فقد انتهى قولك إلى أن الذي أمر به غير الذي نهى عنه، وليس هذا هو البداء.
فقلت له: أمَّا في ابتداء الأمر فما ظن إبراهيم عليه السلام إلا أن المراد هو الحقيقة، وكذلك كان ظن ولده إسماعيل عليه السلام ، فلما انكشفت بالنهي لهما ما علماه مما كان ظنّهما سواه، كان ظاهره بداءً، لمشابهته لحال من يأمر بالشيء، وينهى عنه بعينه في وقته، وليستسلمه على ظاهر الأمر دون باطنه.
فلم يرد على ما ذكرت شيئاً، وهذا الذي اتفق لي من الكلام في البداء(4)

---

(1) النيْلَوْفَر : نبات مائي من فصيلة النيلوفريات ، ورقه كبير مستدير يعوم على صفحة الماء ، وأزهاره جميلة كثيرة القُعَالات ، تعوم أيضاً ، منه أنواع تعيش في مستنقعات وبحيرات القارة القديمة ، ومنه نوع جعل منه المصريون الأقدمون موضوعاً. المنجد : ص 850.
(2) سورة الصافات : الآية 102.
(3) سورة الصافات : الآية 105.
(4) كنز الفوائد للكراجكي: ج1 ص 227 - 232.

الجبر والتفويض المُناظرة السابعة

مناظرة البهلول (1) مع أبي حنيفة في ثلاث مسائل
روي في بعض الكتب إن البهلول أتى إلى المسجد يوماً وأبو حنيفة يقرّر للناس علومه ، فقال في جملة كلامه : أن جعفر بن محمد (الصادق عليه السلام) تكلم في مسائل ، ما يعجبني كلامه فيها :
الأُولى ، يقول : إن الله سبحانه موجود ، لكنه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهل يكون موجود لا يُرى ؟ ما هذه إلاّ تناقض.
الثانية ، إنّه قال : إنّ الشيطان يُعذب في النار مع أن الشيطان خُلق من النار ، فكيف يعذب الشيء بما خلق منه ؟ !
الثالثة ، إنه يقول : إن أفعال العباد مستندة إليهم مع أنّ الآيات دالة على أنّه تعالى فاعل كلّ شيء !
فلما سمعه بهلول أخذ مداةً وضرب بها رأسه وشجه ، وصار الدم يسيل على وجهه ولحيته ، فبادر إلى الخليفة يشكو من بهلول !!
فلما أحضر بهلول وسئل عن السبب ؟ قال للخليفة : إن هذا الرجل غلّط جعفر بن محمد عليهما السلام في ثلاث مسائل :
الأُولى : إن أبا حنيفة يزعم أن الأفعال كلّها لا فاعل لها إلاّ الله ، فهذه الشجة من الله تعالى ، وما تقصيري ؟ !
الثانية : إنّه يقول : كلّ شيء موجود لا بدّ أن يُرى ؟! فهذا الوجع في رأسه موجود ، مع أنّه لا يُرى ؟ !
الثالثة : إنه مخلوق من التراب ، وهذه المداة من التراب ، وهو يقول : إن الجنس لا يُعذب بجنسه ، فكيف يتألم من هذه المداة ؟
فأعجب الخليفة كلامُه ، وتخلّص من شجة أبي حنيفة (2).

---

(1) هو : أبو وهيب بهلول بن عمر الصيرفي الكوفي ، ولد بالكوفة وعن مجالس المؤمنين ، أن بهلولاً كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأنّه كان يستعمل التقية ، وان الرشيد كان يسعى في قتل الإمام الكاظم عليه السلام ، ويحتال في ذلك ، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم في إباحة دمه متهماً أياه بارادة الخروج عليه ، ومنهم البهلول ، فخاف من هذا واستشار الكاظم عليه السلام فأمره بإظهار الجنون ليسلم ، وفي روضات الجنات : ان الرشيد أراد منه ان يتولى القضاء ، فأبى ذلك ، وأراد أن يتخلص منه فاظهر الجنون ، فلما أصبح تجانن وركب قصبة ودخل السوق وكان يقول : طرقوا خلوا الطريق لا يطأكم فرسي ، فقال الناس : جن بهلول ، فقال هارون : ما جنّ ولكن فر بدينه منا ، وبقي على ذلك إلى أن مات ، ويظهر من أخباره ومناظراته انّه كان من أهل الموالاة والتشيع لأهل البيت عليه السلام عن بصيرة نافذة ، وله كلمات حسنة ومواعظ بليغة وأشعار رائقة منها قوله :

يـا مـن تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله مـاذا حين تلقاه

وقال للرشيد يوماً :

هب أنك قد ملكت الأرض يوماً * ودان لك العباد فكان ماذا
ألست تـصير فـي قبر ويحث * وعليك ترابه هـذا وهذا

قيل توفي سنة 190 هـ ، وقبره ببغداد. راجع ترجمته وأخباره في : أعيان الشيعة للأمين : ج 3 ص 617 - 623 ، فوات الوفيات للكتبي: ج 1 ص 228 ترجمة رقم : 84 ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ج 19 ص 91 ترجمة رقم : 60 ، الطبقات الكبرى للشعراني : ج 1 ص 68 رقم : 138 ، البداية والنهاية : ج 10 ص 200 ، عقلاء المجانين للنيسابوري: ص100.
(2) شجرة طوبى للحائري : ج 1 ص 48 - 49 (المجلس العشرون) ، أعيان الشيعة للأمين : ج 3 ص 618 ، عن مجالس المؤمنين.

المُناظرة الثامنة

مناظرة التيجاني(1) مع أحد العلماء في الجبر

قلتُ لبعض علمائنا بعد استعراض كل هذه المسائل (2) : إن القرآن يكذّب هذه المزاعم ، ولا يمكن للحديث أن يناقض القرآن ! قال تعالى في شأن الزواج: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِسَاءِ) (3) فهذا يدلّ على حرية الاختيار ، وفي شأن الطلاق : (الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (4) وهو أيضاً اختيار ، وفي الزنا قال : (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سبيلاً) (5) وهو أيضاً دليل الاختيار ، وفي الخمر قال : (إِنَّما يُرِيدُ الشَّيطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوةَ والبَغْضَاءَ في الخَمْرِ وَالمَيْسرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ) (1) وهي أيضاً تنهى بمعنى الاختيار.

أمّا قتل النفس فقد قال فيها : (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ) (2) وقال : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عليه وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ له عَذَاباً عظيماً) (3) فهذه أيضاً تفيد الاختيار في القتل.

وحتّى بخصوص الأكل والشرب فقد رسم لنا حدوداً فقال : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) (4) فهذه أيضاً بالاختيار.

فكيف يا سيدي بعد هذه الأدلّة القرآنية تقولون بأن كل شيء من الله ، والعبد مسيّر في كل أفعاله ؟؟.

أجابني: بأنّ الله سبحانه هو وحده الذي يتصرّف في الكون واستدلّ بقوله: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الملك ممّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تشاء وتُذِلُّ مَنْ تشاء بيدِك الخيرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ) (5).

قلتُ: لا خلاف بيننا في مشيئة الله سبحانه ، وإذا شاء الله أن يفعل شيئاً ، فليس بإمكان الإنس والجنّ ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته ! وإنّما اختلافنا في أفعال العباد هل هي منهم أم من الله ؟؟

أجابني: لكم دينكم ولي ديني ، وأغلق باب النقاش بذلك ، هذه هي في أغلب الأحيان حجّة علمائنا.

وأذكر أني رجعتُ إليه بعد يومين وقلتُ له : إذا كان اعتقادك أنّ الله هو الذي يفعل كل شيء ، وليس للعباد أن يختاروا أي شيء ، فلماذا لا تقول في الخلافة نفس القول ، وأن الله سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ؟

فقال: نعم أقول بذلك ، لأن الله هو الذي اختار أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليه السلام ، ولو شاء الله أن يكون علي هو الخليفة الأول ما كان الجنّ والإنس بقادرين على منع ذلك. (1)

قلتُ: الآن وقعت.

قال: كيف وقعتُ ؟

قلتُ: إمّا أن تقول بأنّ الله اختار الخلفاء الرّاشدين الأربعة ، ثم بعد ذلك ترك الأمر للناس يختارون من شاؤوا.

وإما أن تقول : بأن الله لم يترك للناس الاختيار ، وإنّما يختار هو كل الخلفاء من وفاة الرسول إلى قيام الساعة؟

أجاب: أقول بالثاني (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ ممّن تَشاءُ...) (1).

قلتُ: إذاً فكلّ انحراف وكل ضلالة وكل جريمة وقعت في الإسلام بسبب الملوك والأمراء فهي من الله ، لأنّه هو الذي أمّر هؤلاء على رقاب المسلمين؟

أجاب : وهو كذلك ، ومن الصالحين من قرأ : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيةً أَمَرْنا مُتْرَفِيهَا) (2) أي جعلناهم أمراء.

قلتُ متعجّباً : إذاً فقتلُ علي عليه السلام على يد ابن ملجم ، وقتل الحسين بن علي عليه السلام أراده الله ؟؟

فقال منتصراً: نعم طبعاً ـ ألم تسمع قول الرسول لعلي : «أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه حتى تبتلّ هذه ، وأشار إلى رأسه ولحيته (3) كرّم الله وجهه».

وكذلك سيدنا الحسين عليه السلام قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتله في كربلاء، وحدّث أم سلمة بذلك (1) ، كما علم بأن سيدنا الحسن سيصلحُ الله به فرقتين عظيمتين من المسلمين (2) ، فكل شيء مسطر ومكتوب في الأزل ، وليس للإنسان مفرّ ، وبهذا أنت الذي وقعتَ لا أنا.

سكتُّ قليلاً أنظر إليه وهو مزهوٌ بهذا الكلام ، وظنّ أنه أفحمني بالدليل؛ كيف لي أن أقنعه بأنّ علم الله بالشيء لا يفيد حتماً بأنّه هو الذي قدّره وأجبر النّاس عليه، وأنا أعلم مسبقاً بأن فكره لا يستوعب مثل هذه النظرية.

وسألته من جديد: إذاً فكلّ الرؤساء والملوك قديماً وحديثاً والذين يحاربون الإسلام والمسلمين نصّبهم الله ؟!

قال : نعم بدون شك.

قلتُ : حتّى الاستعمار الفرنسي على تونس والجزائر والمغرب هو من الله!؟

قال : بلى ، لمّا جاء الوقتُ المعلوم خرجت فرنسا من تلك الأقطار.

قلتُ : سبحان الله ! فكيف كنت تدافع سابقاً عن نظرية أهل السنّة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤون ؟

قال : نعم ، ولا زلتُ على ذلك ، وسأبقى على ذلك إن شاء الله !
قلتُ : فكيف توفّق بين القولين : اختيار الله واختيار الناس بالشورى ؟
قال : بما أن المسلمين اختاروا أبا بكر فقد اختاره الله !
قلتُ : أنزل عليهم الوحي في السقيفة يدلّهم على اختيار الخليفة ؟
قال : أستغفر الله ، ليس هناك وحي بعد محمّد صلى الله عليه وآله (والشيعة كما هو معروف لا يعتقدون بهذا وإنما هي تهمة ألصقها بهم أعداؤهم).
قلتُ : دعنا من الشيعة ، وأقنعنا بما عندك ! كيف علمت بأن الله اختار أبابكر ؟
قال: لو أراد الله خلاف ذلك لما تمكّن المسلمون ، ولا العالمون خلاف ما يريده الله تعالى.
عرفتُ حينئذ أنّ هؤلاء لا يفكّرون ، ولا يتدبّرون القرآن، وعلى رأيهم سوف لن تستقيم أية نظرية فلسفية أو علمية (1).

---

(1) هو : الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون ـ باريس، وكان على مذهب الإمام مالك بن أنس، وأخيراً اعتنق المذهب الشيعي بعد بحث طويل في تحقيق مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية وقد جرت بينه وبين العلماء مناظرات كثيرة في المسائل الخلافية وقد شرح كيفية استبصاره، والأسباب التي دعته إلى الأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام في كتابه الشهير (ثم اهتديت).
(2) يعني المسائل المرتبطة بمسائل الجبر.
(3) سورة النساء: الآية 3
(4) سورة البقرة : الآية 229.
(5) سورة الإسراء: الآية 32.
(6) سورة المائدة : الآية 91.
(7) سورة الأنعام : الآية 151.
(8) سورة النساء: الآية 93.
(6) سورة الأعراف: الآية 31.
(10) سورة آل عمران : الآية 26.
(11) من الواضح أنه خلط بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية ، ولم يفرق بينهما ـ حتى لجأ للقول بمقالة المجبرة ـ والفرق بينهما إن متعلق الإرادة التكوينية لا يتخلف عنها في الخارج أبداً، قال تعالى : (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) البقرة | 117 ، وقال تعالى: (ولو شاءَ ربُّكَ لآمنَ مَنْ في الأرضِ كلهم جميعاً) يونس | 99 ، فلا يتخلف المراد فيها عن الإرادة، أما الإرادة أو المشيئة التشريعية فهي تتعلّق بالمكلّفين وأفعالهم ، فليست خارجة عن إرادتهم واختيارهم ، فبقدرتهم إطاعة الله تعالى غير ملجئين عليها فيثيبهم الله ، وبإمكانهم معصيته باختيارهم غير مجبرين عليها فيعاقبهم الله ، ولو أن الله تعالى أجبر العباد على الطاعة أو على المعصية ـ تعالى الله عن ذلك ـ لبطل الثواب والعقاب ، بل أمرهم ونهاهم تشريعاً لا تكويناً. أما بالنسبة للمثال المذكور في المناظرة ، فنقول : إن الله تعالى أراد أن يكون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الخليفة الشرعي للنبي صلى الله عليه وآله تكويناً ، فلا بد أن يكون الإمام بارادة الله تعالى ومشيئته ، رضي الناس بذلك أم لم يرضوا ! وأما اتباع الناس له وطاعتهم له فهو متعلق بالإرادة التشريعية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فلا جبر فيها ، فشأن أولئك الذين خالفوا أمر الله تعالى في أوليائه وأوصيائه ، شأن تلك الأمم السالفة التي عصت الرسل وكذبوهم بل هناك من الأمم من قتلت أنبياءها ، كما حصل في بني إسرائيل الذين قتلوا سبعين نبياً في ساعة واحدة ، فهل يقال : إن الله تعالى أراد من بني إسرائيل قتل الأنبياء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، هذا وكل شيء بمشيئته غير خارج عنها بمعنى أنه لو أراد تكويناً عدم وقوعها في الخارج لما وقعت ، وجرت حكمته تعالى في خلقه أن يمتحنهم بعدما هداهم السبيل (إنا هَديناهُ السبيلَ إما شَاكراً وإما كفورا) غير مكرهين على الفعل ولا مجبورين على عدمه ، بل هو أمر بين أمرين كما في الأخبار.
(12) سورة آل عمران : الآية 26.
(13) سورة الإسراء : الآية 16.
(14) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ج 3 ص 342 ح 1389 - 1392 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 42 ص 195 ح 13.
(15) راجع : مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 159 - 163 ، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ص 247 - 259 ح 221 - 228 وص 270 ح 236.
(16) راجع : بحار الأنوار : ج 43 ص 293 ح 54 ، فرائد السمطين للجويني : ج 2 ص 115 ح418، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ص 83 ح 143 وص 125 - 134 ح 200 - 223.
(17) مع الصادقين للدكتور التيجاني السماوي : ص 133 و 138.

الصفات
المنافية لجلال الله تعالى

المُناظرة التاسعة

مناظرة السيد محمد جواد المُهري مع بعضهم في نفي الصفات المنافية لجلال الله ، والصفات المنافية لشخصية النبي صلى الله عليه وآله

دخلت غرفة المعلمين في ساعة محددة ، ووجدت أن الوضع قد اختلف هذه المرّة؛ فقد كان ثلاثة من مدرسي الدين واللغة العربية جالسين إلى جانب مدرسنا، وقد أضفت الوجوه العابسة والملامح الغاضبة صمتاً مطلقاً ، زاد من الرهبة التي تسود جو الغرفة.

دخلت الغرفة متوكّلاً على الله وواثقاً بنصرة أهل البيت عليهم السلام ..

قدم لي الأستاذ سائر المدرسين وابتسم قائلاً: لقد أطلعتهم على قضية نقاشنا ، ورأوا من المصلحة المشاركة في هذا اللقاء.

واصلت حديث الأسبوع الماضي بتقديم مسرد يتضمن أسماء التفاسير والمفسرين الذين ذكروا أن الآية المذكورة نزلت بشأن علي عليه السلام.

فجأة صاح أحد المدرسين بحدّة وقد بدأ الغضب ظاهراً عليه: لكن العلامة الكبير إبن تيميّة لا يقر بمثل هذا التفسير للآية على الإطلاق، وهو يخطىء الشيعة!

قلت: إن لم تكن له نوايا سيئة ، ولا يضمر العداء لأهل البيت عليهم السلام ، فهو مخطىء في هذا المجال قطعاً، فهل من الممكن أن يكون جميع العلماء الكبار والمحققون المتعمقون وأكابر مفسري القرآن الكريم الذين يجمعون كلهم على قضية واحدة مخطئين، وابن تيمية وحده على صواب؟ ثم إننا نرد على كل اعتراض من خلال الاستدلال بالقرآن والسنّة، وأنتم أيضاً اعرضوا مؤاخذاتكم فإن عجزت عن الإجابة عليها يحق لكم حينئذ إدخال ابن تيمية في الحديث، فما معنى أن تحشره في الحديث بدون أي مقدمات؟ دهش من شدّة جرأتي، والتفت إلى أستاذنا وهو مضطرب وقال: أنا أتعجب منك كيف تصغي لكلام طفل؟! وتجعل اعتقادك العوبة بيد الشيعة؟

أحب أن انبهك إلى أن هؤلاء لديهم مصحف خاص اسمه « مصحف فاطمة عليها السلام » (1) ، وهم لا يعترفون بالخلفاء، وحتى أن لهم رأي آخر في الرسول صلى الله عليه وآله نفسه، فهم يعتقدون أن جبرائيل أخطأ ـ والعياذ بالله ـ حين نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وإنما كان يجب أن ينزل على علي (2) ، وهم يرفعون علياً إلى مرتبة الإلوهية ، وهم... وأخذ ينسب التهم والأكاذيب والأفتراءات إلى الشيعة.

أيد الشخصان الآخران كلامه ، وأخذا يرددان أقواله بإسلوب أهدأ.

لم يداخلني أي ذعر من هذا الموقف ، لإنهم لم يكونوا قادرين على إبداء أي رد فعل سوى الكلام، وشعرت من جانب آخر بالبهجة لأنهم لم يدخلوا في النقاش بالمنطق والاستدلال، وإنما انتهجوا إسلوب العربدة والصياح للتغلب عليَّ، ولهذا أصغيت لثرثرته وكلامه الفارغ، وبقيت أتربص الفرصة لأهجم.

كان أستاذنا في غاية الإستياء والقلق كما يبدو على ظاهره، والتفتَ إليهم قائلاً: لم تخبروني أنكم تبغون العراك وإلا لما دعوتكم، فما الداعي للصياح؟ أنظروا ولاحظوا كيف أن هذا الطفل، وهو في نظري أستاذ، كيف يرد عليكم؟ فلماذا تريدون إسكاته بالإهانة والإستخفاف؟ هذا الإسلوب غير صائب للبحث والنقاش، كان من المقرر أن تدخلوا هذا اللقاء بمودّة وأن تناقشوا برزانة وبرهان، ولكن مع الأسف هاجمتموه بشراسة، وتريدون الإستيلاء على زمام الموقف بدون استثمار الوقت.

قلت: يا أستاذ دعهم يتحدثون فإني أراهم محقّين في بعض أقوالهم.

أخذتهم الدهشة بغته وظلّوا يترقبون مني مواصلة الحديث.

إستأنفت حديثي قائلاً: الحق معه، فإن إلهنا غير إلهكم!! ونبيّنا غير نبيّكم!! وقرآننا غير قرآنكم!! وإمامنا وخليفتنا غير خليفتكم!!

إلتفت المعلم ـ الذي لم أكن أعرف اسمه وقد بان على وجهه الغضب ـ إلى أستاذنا وقال: ألم أقل لكم أن لهؤلاء ديناً آخر، وحتى عقيدتهم بالله تختلف عن عقيدتنا!! ها هو قد اعترف بلسانه.

هؤلاء ـ وبطبيعة الحال ـ لا يزيلون اللثام عن واقع معتقداتهم بهذه السهولة بل يتمسّكون بالتقية، ولكن يبدو أنه قد وضع التقية جانباً.

قلت: نلتزم التقية في المواطن التي تتعرض فيها النفس للخطر، وهي أمر مرغوب فيه من وجهة نظر القرآن

والعقل والنقل، وليس الآن مجال الخوض فيها، ولكنني سأبرهن لكم في محلّه أنّ التقية حكم إسلامي صحيح تماماً ويتطابق مع موازين القرآن والسنّة والعقل، ولكننا الآن بصدد موضوع آخر.
قال لي الأستاذ: واصل حديثك الأصلي، ماذا تقول في الله والقرآن والرسول؟

عقيدتنا في الله

قلت: ربّنا الله الذي (ليس كمثله شيء) (3) ، وليس له شبيه، ولا هو بجسم، ولا تدركه الأبصار (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (4) ونعتقد أنّه لا يراه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ لأنه لا هيئة له ولاشكل.
قال موسى عليه السلام : « ربّ أرني أنظر إليك، (قال لن تراني) (5) ، و« لن » هنا تفيد التأبيد، ثم أوحى إليه: (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) (6).
فدك الجبل لما تجلى ربُّه، وخر موسى على الأرض صعقاً، إننا نعتقد أنه لا يتسنى لأحد الوقوف على حقيقة الله حتى وأن جمع علوم الأولين والآخرين، وأن الله تعالى لا يحده شيء فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن ، وأن كل من يبغي إدراكه ـ تعالى ـ بوهمه وخياله ، فهو لا يدرك سواهما شيء.

عقيدة أبناء السنة في الله

أما أنتم أيها الاخوة الأعزاء من أبناء السنّة؛ فعقيدتكم في هذا المجال تغاير نص القرآن تماماً ، لأنه تعالى ينفي إمكان رؤيته بالمرّة، ولكنكم تعتقدون أنه يكشف عن ساقه للمؤمنين يوم القيامة ، وأن فيها علامة خاصّة (7).
أنتم تصورتم أن الله جسم (8) ، وأي جسم ! يضحك ويمشي (9) ، وله يدان ورجلان (10)!! وينزل كل ليلة من السماء إلى الدنيا (11) !! وفي يوم القيامة حين تطلب جهنم من الله ملأها؛ لأنَّ فيها متّسعاً من المكان، يضع رجله فيها فتمتلىء وتقول: قط قط قط » (12).
بالله عليكم ما هذه الجرأة على الله، وما بذاك تريدون؟ فهل تجوز مثل هذه السخرية بالله جلّت عظمته؟! ما بالكم لو سمعت الأمم الأخرى بمثل هذا الكلام، ألا يمقتون الله ورسوله والإسلام؟! ما الذي يدفعكم إلى وصف الله بأنه جسم متحرك له عواطف ذاتية وصفات مادية؟! فإن كان هذا تصوركم عن الله، سوف لا يكون رأيكم بالرسول صلى الله عليه وآله والقرآن أحسن حالاً مما وصفتم به الله تعالى.
وخلاصة القول: هو إني واصلت الحديث وبكل جرأة وإقدام، حتى أني تعجبت لذلك فيما بعد ، وأيقنت أن ذلك كان مني بالهام وتسديد من الله تعالى.
وفجأة قطع أحد الحاضرين من هؤلاء ـ وكان كلامي قد بهته ـ قائلاً لي: هل أنت تمزح عندما تنسب ذلك إلينا؟
قلت: عذراً، إن كل ما ذكرته مسطور في صحيح البخاري، وهو الكتاب الذي ترون له المنزلة بعد القرآن، ولا يأتيه الخطأ والباطل وتحسبونه سند السنّة، وتأخذون عنه الأحكام، وتعتقدون أن كل ما بين دفّتيه صحيح مائة بالمائة بلا زيادة أو نقصان! وأنا الآن لا أستحضر أرقام تلك الصفحات، ولكني سأتيكم غداً بتفاصيل ذلك مع أرقام صفحاتها.
قال آخر: كيف لنا أن نعلم بأن كلامك ينطبق على ما في صحيح البخاري؟ فرّبما إنك لم تستوعب ما فيه بنحو صحيح، أو لعلك تسخر منا!
قال الأستاذ: كونوا على ثقة بأن كلامه صحيح من غير شك، وأن ما قاله موجود قطعاً في صحيح البخاري، لقد كان كلامه حتّى الآن قائماً على الإستدلال والمنطق، وهو اليوم لا يقول هذا اعتباطاً.
قلت: يا أستاذ، أرجو السماح لي بمواصلة كلامي لِاجل استثمار الوقت على أفضل ما يكون.
قال: تفضل تكلم.
قلت: لقد تحدثتُ عن الله تعالى بإشارة إجمالية، وإلا فكل واحدة من هذه النقاط وردت في رواية مفصّلة وطويلة في صحيح البخاري، مما لا يحضرني الآن رواية جميعها، لكن أشير إلى رواية واحدة منها فقط على سبيل المثال، وليعلم الاخوة إنني لم آت بهذا الكلام من عندي، بل ورد كل ما أقوله في صحيح البخاري والصحاح الأخرى عند أبناء السنّة.
نقل أبو سعيد الخدري رواية طويلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيها: «...سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا ، فلا يكلمه إلاّ الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آيه تعرفونه! فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ». (13) أليس هذا هو الله الذي يصف ذاته في القرآن الكريم بالقول: (وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب) (14).

كلا، قسماً بالله ، هذا إله غيره صاغته أوهام وتصورات الرواة الكاذبين، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة، وفي صحيح البخاري رواية منكرة منقولة عن أبي هريرة، تثير الدهشة والسخرية حقاً، ولا أدري كيف تعولون على صحيح البخاري مع وجود هذه الروايات فيه؟ ينقل بشأن النبي موسى عليه السلام رواية عجيبة فيها إهانة له بل وفيها أكبر استهانة بالله عز شأنه.
يقول أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنه أدر فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول : ثوبي يا حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقال: والله ما بموسى من بأسٍ وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً، فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر » (15).
وأنا هنا لا أبغي التعليق على هذا الخبر ولكن أيها السادة المحترمون! هل حقاً أن هذا الكتاب هو الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ وعلى كل حال فإن المواضيع في هذا المجال كثيرة، وبما أن الوقت لا يسمح، فإني أود تناول موضوعين أو ثلاثة مواضيع اخرى.
هذه عقيدتنا بالله تعالى، ولا بأس بعقد مقارنة بين نبيّنا ونبيّكم في الفصل اللاحق!.

عقيدتنا في النبي صلى الله عليه وآله

نبينا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله أفضل وأسمى وأكمل إنسان خلقه الله تعالى، هو خيرة الإنبياء وسيّدهم، وقدوة الاولين والآخرين، وأشرف الخلائق والكائنات أجمعين، فهو العبد الذي اصطفاه الله وخلق لأجله جميع الكائنات، وقال عنه كما ورد في الحديث القدسي: « لولاك ما خلقت الأفلاك » (16) ، وهو الذي بلغ مرتبة (دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى) (17) وهي المرتبة التي لم يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرّب، وهي المرتبة التي تركه جبرئيل الأمين مع علو منزلته في هذا « الدنو » لوحده ولم يستطع مرافقته، وقال : إنه لو اقترب قيد أنملة لاحترق، وهو من وصفه الله بأنّه (رحمة للعالمين) (18) ، وقال فيه:(وانك لعلى خلق عظيم) (19).
هو النور الساطع في عالم الوجود الذي أرسل بشيراً للصالحين ونذيراً للمفسدين: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) (20).
ونحن نذهب إلى أبعد من ذلك حيث نعتقد بأنه النبي الذي جعلت له النبوة من يوم خلقة آدم، بل أول ما خلق الله نوره، وأنه كان نبياً في وقت كان فيه آدم بين الماء والطين، فقد ورد عنه صلوات الله عليه وآله أنه قال: « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » (21) ، وهو معصوم من جميع الأخطاء والذنوب صغيرها وكبيرها، ومن الزلل والنسيان، ومن ينسب إليه الهذيان والنسيان خصمه القرآن، وقوله مخالف لكلام الله الذي وصف به الرسول صلى الله عليه وآله : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) (22).
وإذا اعتبرناه كسائر من يخطأ وينسى من الناس نكون قد أسأنا إليه أيّما إساءة، إذ لم نعرفه حق معرفته، وإن اعتبرنا أنفسنا أتباعاً له ، فهل يمكن أن يكون مبعوثاً عن الله ثم يسهو أو يهذي، نعوذ بالله؟
إن الحديث عن رسول الله ليس بالأمر اليسير، وهو الذي خضعت له رقاب الملائكة المقرّبين، وباهى خالقُ الكون بخُلقه العظيم، فإن كل ما نقوله في وصفه ليس إلاّ بمثابة القطرة في البحر، وإننا لم نعرفه قط كما ينبغي.
قال علي عليه السلام في وصف هذا الإنسان الفذ، وصفوة الوجود، ووسيط رب العالمين: « إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان... وقبل أن يخلق الإنبياء كلهم » (23).

عقيدة بعضهم في النبي صلى الله عليه وآله

هذه هي عقيدتنا بالنبي الكريم، وأما عقيدة البعض فهي الهبوط به إلى أدنى من مستوى الإنسان العادي، والإستهانة به ونسبة الكذب والله و والنسيان والهذيان إليه، وهذا والله لا ينطبق على نبيّنا، الذي: (وما ينطق عن الهوى) (24) ، والذي وجوده رحمة إلاهية ممتدة ظلالها على الخلائق إلى يوم الحشر.
قال أحد الحاضرين ـ وكان شخصاً هادئاً نسبياً ـ بلهجة تنم عن الشكوى والتذمّر: نحن أيضاً نعتقد بمثل هذه الصفات للرسول صلى الله عليه وآله ، ولا نقول في وصفه بهذا الهراء أبداً، ولكن هل لك أن تخبرنا من أين جئت بهذا الكلام؟ فمن ذا الذي يصف الرسول صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ بالجهل؟

قلت: من المؤسف أن الوقت ضيّق، وليس أمامي سوى الإشارة إلى بعض الموارد، إن النبي عندكم يأتيه النسيان أثناء الصلاة فيصلي ركعتين بدل الأربع! (25) يث وينام في المسجد، وبعد الإستيقاظ يصلّي بلا وضوء (26).
ويسب شخصاً من غير ذنب أو جريرة ارتكبها (27). ويُجنب في شهر رمضان ، ويقضي صلاة الفجر (28) ، وأن النسيان يستولي عليه إلى حد ينسى حتّى القرآن، وأنه سمع في أحد الأيام رجلاً يقرأ القرآن في المسجد، فيقول: رحمه الله ذكرني بآيات كنت قد حذفتها من هذه السورة وتلك!!
(ورويتم أنه) يهذي من شدّة المرض إلى حد يقول فيه عمر بن الخطاب: إنه يهجر، فقد قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :« ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يهجر » (29).
والأكثر من هذا أنكم تصفون النبي بأنه شخص لا يمنعه الحياء من أن يقول لرجل سأله عمن يجامع ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ ـ : إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل (30).
قسماً بالله نحن لا نرتضي لمثل الرسول صلى الله عليه وآله أن يكون إنساناً عادياً ، فما بالك بتلك المرتبة الرفيعة.
فجأة تعالت صيحات الإحتجاج: ما هذا الكلام الذي تقوله؟ ومتى كانت لنا مثل هذه المعتقدات؟ إنّك بقولك هذا تسيء إلى الرسول صلى الله عليه وآله و...؟
قلت: إهدأوا، فإني لا أسيء إلى الرسول، بل إن عمر بن الخطاب خليفة المسلمين هو الذي وصفه بالهجر، أن صحيحي مسلم والبخاري هما اللذان يتحدثان عنه بمثل هذا الكلام، فأمامكم خياران إما التخلي عن صحاحكم وإما الإعتراف بسوء موقفكم أزاء الرسول صلى الله عليه وآله.
أليس هذا البخاري هو الذي نقل عن عائشة أنها قالت: « إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان ، والنبي عليه السلام متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وآله عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد.... » (31).
أنتم تصفون الرسول ـ والعياذ بالله ـ بعدم الحياء، فقد ورد عن عائشة أنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي ، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة » (32).
وكتبكم حافلة بمثل هذه الإفتراءات على الرسول! فهل تريدون دعوة الناس إلى الإسلام وإلى القرآن بمثل هذا الرسول؟ أي تفكير هذا؟ وما هذا السلوك الخاطىء حيال أكمل إنسان على الأرض؟
دق جرس الدرس ـ وللأسف ـ قبل أن أنهي كلامي، وقد رأيتهم بهتوا والكلمات قد جفّت على شفاههم فصاروا يتمنون من الله أن ينتهي كلامي بأي نحو ممكن وينفضّ اللقاء، ولكن بقي في نفسي شيء إلى اليوم وهو أنني لم استطع التنفيس أكثر عمّا في قلبي (33).

---

(1) روي عن حمّاد بن عثمان انّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام ؟ فقال عليه السلام : إنَّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عزَّ وجلَّ ، فأرسل إليها ملكاً يسلّي عنها غمّها ويحدّثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي ، فأعلمته فجعل يكتب كلّما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً ، ثمَّ قال : أما إنّه ليس من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون. بصائر الدرجات : ج 3 ص 177 ح 18 ب 14 ، وعنه بحار الأنوار : ج 43 ص 80 ح 68.
وقد صرّح أهل البيت عليهم السلام بأنّه لا يوجد فيه شيء من القرآن الكريم ، وإنّما فيه ما يخصهم من الأخبار وما يجري عليهم ، وعلم ما كان وما يكون. فلاحظ ما رواه أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار (المتوفى سنة 290 هـ) في البصائر عن بعض الرواة ، وإليك بعضها على سبيل المثال :
ح 1 ـ الحسين بن أبي العلاء عن الإمام الصادق عليه السلام يقول : عندي الجفر الأبيض ـ إلى أن قال ـ : ومصحف فاطمة ما أزعم انّ فيه قرآناً...
ح 2 ـ عن محمد بن عبد الملك عن الإمام الصادق عليه السلام... وعندنا مصحف فاطمة أما و الله ما هو بالقرآن...
ح 3 ـ عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام... وانّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة ، قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.
راجع : بصائر الدرجات : ج 3 ص 170 الخ (باب في أنّ الأئمّة أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة).
(2) سوف يأتي الحديث عن هذه الفرية وانّها لا أساس لها من الصحة.
(3) سورة الشورى: الآية 11.

(4) سورة الأنعام: الآية 103.
(5 و6) سورة الأعراف: الآية 143.
(7) صحيح البخاري ج 9 : ص 159.
(8) وفي مسند أحمد بن حنبل : ج 2 ص 323 : عن عبدالله عن أبيه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله : انّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته ، وفي كتاب ابي : وطوله ستون ذراعاً فلا أدري حدثنا به أم لا.
(9) صحيح البخاري ج 9: ص158.
(10) صحيح البخاري ج 9: ص 152 و 164 ، وقد جاء في كتاب التوحيد لأبي بكر بن خزيمة (المتوفى سنة 311 هـ) ص 159 قال : تبين وتوضح أن لخالقنا ـ جلا وعلا ـ يدين كلتاهما يمينان ، لا يسار لخالقنا عزّ وجلّ إذ اليسار من صفة المخلوقين ، فجل ربّنا عن أن يكون له يسار.
أقول : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً من إن يشابه المخلوقين وأيضاً ان اثبات له يمين فهو أيضاً قد شابه المخلوقين ومن صفتهم.
(11) صحيح البخاري 9: 175.
(12) صحيح البخاري ج9: ص164.
(13) صحيح البخاري ج9: ص159.
(14) سورة الشورى: الآية 51.
(15) صحيح البخاري : ج 1 ص 78 (ك الغسل ب من اغتسل عرياناً وحده).
(16) بحار الأنوار : ج15 ص28 ح 48 و ج 54 ص 199 ح 145 ، الفوائد المجموعة للشوكاني: ص326 ح 18 ، تذكرة الموضوعات للهندي : ص 86 ، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني : ج1 ص 299 ح 282 ، وجاء في السيرة الحلبية : ج 1 ص 357 ما هذا نصّه : ذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ، ولا رفعت هذه الخضراء ، ولا بسطت هذه الغبراء ، وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله : ولا خلقت سماء ولا أرضاً ولا طولاً ولا عرضاً. وبهذا يرد على من رد على القائل في مدحه صلى الله عليه وآله :

لولاه ما كان لا فُلْكٌ ولا فَلَكٌ * كلا ولا بان تحريم وتحليل

(17) سورة النجم: الآية 8، 9.
(18) سورة الأنبياء: الآية 107.
(19) سورة القلم: الآية 4.
(20) سورة الأحزاب: الآية 45، 46.
(21) بحار الأنوار ج16: ص402 ح 1 ، كشف الخفاء للعجلوني : ج 2 ص 173 ح 2017 ، تنزيه الشريعة لابن عراف : ج 1 ص 341 ، تذكرة الموضوعات للفتني : ص 86 ، الأسرار المرفوعة للقاري : 178 و 179 ، التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي : 172 ح 16.
(22) سورة النجم: الآية 3، 4.
(23) بحار الأنوار ج 15: ص4 ح4.
(24) سورة النجم: الآية 3.
(25) صحيح البخاري : ج 8 ص 2 (ك الأدب ب ما يجوز من ذكر الناس).
(26) صحيح البخاري : ج1 ص 47 (ك الوضوء ب التخفيف في الوضوء).
(27) صحيح مسلم : ج 4 ص 207 ح 88 (ك البر والصلة والآداب ب 25 ، والجدير بالذكر انّه أورد مسلم في نفس المصدر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله (ح 87) مفاده أنّ اللعن والسبّ ليسا من خلق النبي صلى الله عليه وآله وهو : عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين ، قال : إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة.
(28) صحيح البخاري : ج1 ص 154 (ك مواقيت الصلاة ب الأذان بعد ذهاب الوقت).
(29) صحيح مسلم : ج 3 ص 1259 ح 21 و 22 (ك الوصية ب 5).
(30) صحيح مسلم : ج 1 ص 272 ح 89 (ك الطهارة ب 22).
(31) صحيح البخاري : ج2 ص 20 و 29 (ك العيدين) وج 4 ص 47 و 225 ، إتحاف السادة المتقين للزبيدي : ج 6 ص 490.
(32) صحيح مسلم : ج4: ص 1866 ح 36 (ك الصحابة ب من فضائل عثمان).
(33) مذكرات المدرسة للمُهري : ص 47 ـ 58.

المُناظرة العاشرة

مناظرة التيجاني مع أحد العلماء في مسألة التجسيم

وأهم ما يذكر في هذا الموضوع عند الطرفين هي رؤية الله تعالى، فقد أثبتها أهل السنّة والجماعة لكلّ المؤمنين في الآخرة، وعندما نقرأ صحاح السنّة والجماعة كالبخاري ومسلم مثلاً نجد روايات كثيرة تؤكد الرؤية حقيقة لا مجازاً (1) ، بل نجد فيها تشبيهاً لله سبحانه، وأنّه يضحك (2) ويأتي ويمشي وينزل إلى سماء الدنيا (3) بل ويكشف عن ساقه التي بها علامة يُعرف بها (4) ويضعُ رجله في جهنّم فتمتلىء وتقول قط قط (5) إلى غير ذلك من الأشياء والأوصاف التي يتنزّه الله جلّ وعلا عن أمثالها.

وأذكر أنّني مررت بمدينة لامو في كينيا (6) بشرق أفريقيا ، ووجدت إماماً من الوهّابية يحاضر المصلّين داخل المسجد ويقول لهم: بأنّ لله يدين ورجلين وعينين ووجهاً، ولمّا استنكرتُ عليه ذلك ! قام يستدلّ بآيات من القرآن قائلاً: (وَقالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أيديهم وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبسُوطَتان...) (7) وقال أيضاً : (وَاصنَعِ الفُلْكَ بِأَعيُنِنا ...) (8) وقال: (كُلُّ مَنْ عَليها فانٍ ، وَيَبقى وَجهُ رَبِّكَ...) (9)

قلتُ: يا أخي، كلّ هذه الآيات التى أدليت بها وغيرها إنما هي مجازٌ وليست حقيقة!

أجاب قائلاً: كل القرآن حقيقة وليس فيه مجاز !!

قلتُ : إذن ما هو تفسيركم للآية التي تقول : (وَمَنْ كانَ في هذِهِ أَعمَى فَهُوَ في الآخِرَةِ أَعمى...) (10) ، فهل تحملون هذه الآية على المعنى الحقيقي؟ فكل أعمى في الدنيا يكون أعمى في الآخرة؟

أجاب الشيخ : نحن نتكلّم عن يد الله وعين الله ووجه الله، ولا دخل لنا فى العميان !

قلتُ : دعنا من العميان ، فما هو تفسيركم في الآية التي ذكرتها : (كُلُّ مَنْ عليَها فانٍ ، وَيَبقى وَجهُ رَبِّكَ...) ؟

التفتَ إلى الحاضرين وقال لهم : هل فيكم من لم يفهم هذه الآية ؛ إنها واضحة جليّة كقوله سبحانه : (كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ اِلاّ وَجهَه) (11) .

قلتُ : أنت زدت الطين بلّةً ! يا أخي نحن إنّما اختلفنا في القرآن ، ادّعيت أنت بأن القرآن ليس فيه مجاز وكلّه حقيقة ! وادّعيتُ أنا بأنّ في القرآن مجازاً وبالخصوص الآيات التي فيها تجسيم لله تعالى أو تشبيه ، وإذا أصررت على رأيك فيلزمك أن تقول ، بأنّ كل شيء هالك إلا وجهه ، معناه يداه ورجلاه وكل جسمه يفنى ويهلك ولا يبقى منه إلا الوجه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً! ثمّ التفتُّ إلى الحاضرين قائلاً : فهل ترضون بهذا التفسير؟

سكت الجميع ولم يتكلّم شيخهم المحاضر بكلمة فودّعتهم وخرجت داعياً لهم بالهداية والتوفيق.

نعم هذه عقيدتهم في الله في صحاحهم وفي محاضراتهم ، ولاأقول إنّ بعض علمائنا ينكر ذلك ولكن الأغلبية يؤمنون برؤية الله سبحانه في الآخرة ، وأنهم سوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ، ويستدلّون بالآية (وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (12) . (13) وبمجرّد إطلاعك على عقيدة الشيعة الإمامية في هذا الصدد (14) يرتاح ضميرك ، ويُسلّم عقلك بقبول تأويل الآيات القرآنية التي فيها تجسيم أو تشبيه لله تعالى وحملها على المجاز والاستعارة ، لا على الحقيقة ولا على ظواهر الألفاظ، كما توهمّه البعض.

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: « لا يُدركُهُ بُعْدُ الهِمَم ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَن ، الَّذِي لَيْس لِصفَتِه حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلا نَعْتٌ مَوجُودٌ ، وَلا وَقْتٌ معدُودٌ ، وَلا أَجَلٌ مَمدُودٌ... » (15).

ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في الردّ على المشبّهة : « وكلُّ ماميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم مردود إليكم... » (16).

ويكفينا في هذا ردّ الله سبحانه في محكم كتابه قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ) (14) شخ وقوله (لاَ تُدْرِكُهُ الاَبْصَارُ) (18) وقوله لرسوله وكليمه موسى عليه السلام لمّا طلب رؤيته : (قَالَ رَبِّ أَرِني أَنظُر إِلَيكَ قَالَ لَنْ تَرانِي) (19) ولن « الزمخشرية » (20) تفيد التأبيد كما يقول النحاة.

كل ذلك دليل قاطع على صحة أقوال الشيعة الذين يعتمدون فيها على أقوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام معدن العلم وموضع الرسالة ، ومن أورثهم الله علم الكتاب.

ومن أراد التوسّع في هذا البحث فما عليه إلا الرجوع إلى الكتب المفصّلة لهذا الموضوع ككتاب « كلمة حول الرؤية » للسيد شرف الدين صاحب المراجعات (21).

---

(1) صحيح البخاري : ج9 ص 156 وج6 ص 157 - 158.
(2) صحيح مسلم : ج1 ص 166 ح 299 (ك الإيمان ب 81).

(3) صحيح البخاري : ج 2 ص 66 ، وج9 ص 175 ، صحيح مسلم : ج1 ص 168 ح 302.
(4) صحيح البخاري : ج9 ص 159.
(5) صحيح البخاري : ج9 ص164.
(6) كينيا : جمهورية في شرق أفريقيا الاستوائية على المحيط الهندي عاصمتها نيروبي. المنجد ـ قسم الأعلام ـ ص 605.
(7) سورة المائدة : الآية 64.
(8) سورة هود : الآية 37.
(9) سورة الرحمن : الآية 26 و 27.
(10) سورة الإسراء : الآية 72.
(11) سورة القصص: الآية 88.
(12) سورة القيامة: الآية 22 و 23.
(13) روي عن عبد العظيم الحسني ، عن إبراهيم بن أبي محمود ، قال : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة) قال: يعني مشرقة تنتظر ثواب ربّها (بحار الأنوار : ج 4 ص 28).
(14) راجع : كشف المراد للعلاّمة الحلّي : ص 296 ، حق اليقين في معرفة أصول الدين : ج 1 ص39، بحار الأنوار : ج 4 ص 16 (كتاب التوحيد).
(15) نهج البلاغة ، تحقيق صبحي الصالح : خطبة رقم 1 ص 39.
(16) بحار الأنوار للمجلسي : ج 69 ص 293 ح 23 ، المحجّة البيضاء : ج 1 ص 219.
(17) سورة الشورى : الآية 11.
(18) سورة الأنعام: الآية 103.
(19) سورة الأعراف : الآية 143.
(20) إذ أن الزمخشري من القائلين باستحالة رؤية الله تعالى ـ كما عليه الإمامية ـ إذ أنّ الرؤية تستلزم التشبيه والتجسيم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ولن عند الزمخشري ـ انّها تشعر باستحالة المنفي بها عقلاً ـ إلاّ إذا قامت على تخصيصها قرينة متّصلة أو منفصلة أو قرينة عقلية ـ إذ أنّ نسبة جواز الرؤية إلى الله تعالى كنسبة الولد إليه كما صرّح بذلك الزمخشري وأن حالها في النفي هو تأكيد النفي الذي تعطيه « لا » وذلك أن « لا » تنفي المستقبل ، تقول : لا أفعل غداً ، فإذا أكدت نفيها قلت : لن أفعل غداً ، والمعنى أنَّ فعله نفي حالي ، كقوله : (لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) فقوله : (لا تدركه الأبصار) نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان الخ راجع : الكشاف للزمخشري : ج 2 ص 154.
(21) مع الصادقين للدكتور التيجاني : ص 25 ـ 28.

المُناظرة الحادية عشر

مناظرة أحد العلماء مع بعض الجامعيين في مسألة رؤية الله تعالى

الجامعي: في موارد عديدة من القرآن ، منها الآية 143 من سورة الاعراف ، اذ دعى موسى ربه قائلاً: (ربِّ أرني أنظر إليك)، وخاطبه الله قائلاً : (لن تراني).

فالسؤال: إن الذات المقدسة لله تعالى ، ليست بجسم، ولا مكانَ لها، وغير قابلة للرؤية ، فلماذا سأل النبي موسى عليه السلام هذا السؤال، مع أنه كان من أنبياء أولي العزم؟ فضلاً عن قبح هذا السؤال لو صدر من إنسان عادي.

عالم الدين: يحتمل أن يكون طلب موسى عليه السلام ، مشاهدة الله بعين القلب، لا المشاهدة بالعين، وكان الغرض من طلبه هذا، الحضور والشهود الكامل الفكري والروحي، فيعني الهي إجعل قلبي مملوءاً باليقين، حتى كأني أراك، وكثيراً ما يستعمل لفظ الرؤية في هذا السياق، كقولنا: إني أرى في نفسي القدرة على فعل ذلك العمل، مع ان القدرة، ليست قابلة للرؤية، فالمراد أن هذه الحالة واضحة في نفسي.

الجامعي: هذا التفسير خلاف ظاهر الآية، لأن الظاهر من لفظ « أرني » هو الرؤية بالعين، كما أن جواب الله سبحانه قائلاً: (لن تراني)، يفهم منه أن طلب موسى عليه السلام كان المشاهدة بالعين، ولو كان المشاهدة الباطنية، بالشهود الكامل الروحي والفكري، لما كان جواب الله لطلب موسى عليه السلام بالنفي، لأن الله يهدي هذا النوع من الشهود لاوليائه المرسلين.

عالم الدين: لو فرضنا أن طلب موسى عليه السلام هو رؤية الذات الإلهية المقدسة، حسب ما يقتضيه ظاهر العبارة، ولو أخذنا بنظر الاعتبار تاريخ هذه الحادثة، لتبين أن طلب موسى عليه السلام كان من لسان قومه، بعد أن تعرض للضغوط من قبلهم.

وتوضيحه: أنه بعد هلاك فرعون ومن اتبعه ونجاة بني إسرائيل، ظهرت مواقف أخرى بين موسى عليه السلام وبني إسرائيل، منها أن جماعة من بني إسرائيل أصروا على موسى عليه السلام برؤية الله سبحانه، وإلا فلن يؤمنوا به، وأخيراً اضطر موسى ان يختار سبعين نفراً من بني إسرائيل، واخذهم إلى الوادي المقدس (طور) (1) ، وهناك طلب من الحضرة الربوبية هذا الطلب.

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام : (لن تراني) (2) وبهذا الجواب اتضح لبني إسرائيل كل شيء، لذلك يكون طلب موسى عليه السلام من لسان قومه نتيجة لإصرارهم وضغطهم عليه، وحينما أرسل الله الزلزلة والصاعقة إلى المرافقين لموسى والبالغ عددهم سبعين نفراً وهلاكهم، قال موسى عليه السلام مخاطباً ربه: (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) (3).

فأجابه الله تعالى: (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين) (4)

فالتجلّي الإلهي على الجبل، لأجل رؤية الآثار الإلهية، كأمواج الصاعقة الشديدة، التي أدت إلى تلاشي الجبل، مما أدى إلى دهشة موسى عليه السلام وأصحابه، فلله سبحانه بهذه القدرة، أراد أن يفهم أصحاب موسى بعجزهم عن تحمل إحدى آثاره، فكيف النظر إلى الذات الإلهية المقدسة؟ فأنتم أعجز من رؤيته بالعين، التي هي جسم مادي، في حين أن الله مجرد مطلق.

وبهذا التجلي الإلهي، رأى أصحاب موسى عليه السلام الله تعالى بعين القلب، وأدركوا عدم قابليتهم على رؤيته بالعين المادية، وكانت توبة موسى عليه السلام ، كطلبه الرؤية نيابة عن قومه، ولأجل رفع الشبهة، كان من اللازم على موسى عليه السلام أن يظهر إيمانه ليعلم أصحابه أنه لم يطلب طلباً مخالفاً لإيمانه مطلقاً، بل عرض هذا الطلب كممثل عنهم.

الجامعي: أشكرك على توضيحاتك، لقد اقتنعت، وأرجو بهذه التوضيحات المنطقية، أن تحل بقية الشبهات ، لدي هناك شبهة أخرى وبعون الله سوف أطرحها عليكم في الجلسة القادمة.

عالم الدين: من اللطيف، أن أغلب مفسري السنة، في ذيل تفسير « آية الكرسي » 255 من سورة البقرة، قد ذكروا طلباً لموسى عليه السلام شبيهاً بهذا الطلب، واليك خلاصته: رأى موسى عليه السلام الملائكة في عالم النوم، فسألهم ، هل الله ينام؟ فأوحى الله لملائكته، بأن لا تجعلوا موسى عليه السلام ينام، فأيقظت الملائكة موسى عليه السلام ثلاث مرات من نومه وكانوا يراقبوه حتى لا ينام، فحينما أحس موسى بالتعب الشديد والاحتياج المبرم للنوم، أُعطي بيد موسى قنينتين مملوءتين بالماء على أن يحمل في كل يد قنينة مملوءة بالماء طبقاً للوحي الإلهي، فلما تركوه ولم يراقبوه سقطت القنينتين من يديه وانكسرتا.

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام : بقدرتي جعلت السموات والأرض، فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا (5).

وهنا يطرح هذا السؤال، كيف يسأل موسى عليه السلام الملائكة هذا السؤال مع أنه رسول الله، ويعلم أن الله لا

يكون في معرض العوارض الجسمية، كالنوم.
فأجاب الفخر الرازي عن هذا السؤال: « على فرض صحة الرواية، لابد من القول أن سؤال موسى عليه السلام كان من لسان قومه الجهلة (6) .
وبعبارة أوضح: تعرض موسى عليه السلام تحت ضغط وإصرار قومه الجهلة، وسأل الله هذا السؤال، حتى أظهر الله آثاراً أدت إلى هداية قومه، وكسر القناني من يد موسى عليه السلام ، وإن كانت حادثة بسيطة، ولكن لأجل تفهيم العوام، فهي حادثة عميقة وجالبة وكاملة.
ويمكن القول أيضاً، عن وجود أفراد من قوم موسى عليه السلام أبرزوا هذا النوع من التشكيك والسؤال، وقام موسى عليه السلام لأجل هدايتهم، أن يطرح تلك الأسئلةعلى الله سبحانه وتعالى، ليكون جواب الله سبحانه منقذاً قومه من الضلالة. (7)

---

(1) الطور : جَبل بيت المقدس ، ممتدٌّ ما بين مصر وأيلة ، وعن بعض أهل السير أنّه : سمّي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم 8 ، قال تعالى : (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) وهو طور سيناء، قال الله سبحانه : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبُتُ) ، وقال في موضع آخر من كتابه المجيد: (والتين والزيتون وطور سينين) ومعناهما واحد ، وقال ابن أبي نجيح : الطور : الجبل ، وسيناء : الحجارة أضيف إليها ، وقال بعض أهل اللغة : لا يسمى الجبل طوراً حتى يكون ذا شجر ولا يقال للأجرد طور ، وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مَدْيَن جبل يسمى الطور ، ولا يخلو من الصالحين ، وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق ، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام عند خروجه من مصر ببني إسرائيل ، والطور أيضاً : يسمى عند كورة تشتمل على عدّة قرى تعرف بهذا الاسم بأرض مصر القبلية ، وبالقرب منها جبل فاران.
راجع : معجم ما استعجم للأندلسي : ج 3 ص 897 ، معجم البلدان للحموي : ج 4 ص 47.
(2) سورة الأعراف: الآية 143.
(3) سورة الأعراف: الآية 143.
(4) سورة الأعراف: الآية 143.
(5) تفسير روح البيان: ج1 ص400 ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ج3 ص273، التفسير الكبير للرازي: ج7 ص9.
(6) التفسير الكبير للرازي: ج7 ص9
(7) أجود المناظرات للاشتهاردي: ص 370 - 374.

الناس يوم القيامة
والخلود في الآخرة

المُناظرة الثانية عشر

مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع هشام بن عبد الملك (1) في حال الناس يوم القيامة
روي عن عبد الرحمن بن عبد الزُّهري قال : حجّ هشام بن عبد الملك ، فدخل المسجد الحرام متكياً على يد سالم مولاه ، ومحمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام جالس في المسجد فقال له سالم : يا أمير المؤمنين ! هذا محمد بن علي بن الحسين.
فقال له هشام : المفتون به أهل العراق ؟
قال : نعم.
قال : إذهب إليه فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟
فقال أبو جعفر عليه السلام : يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي ، فيها أنهار متفجّرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.
قال : فرأى هشام أنّه قد ظفر به ، فقال : الله أكبر إذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ ؟ !
فقال له أبو جعفر عليه السلام : فهم في النار أشغل ، ولم يشغلوا عن أن قالوا: (أفِيضُوا عَلَينا مِنَ الماءِ أو مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ) (2).
فسكت هشام لا يرجع كلاماً (3).

---

(1) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي من أشد الناس عداوة لأهل البيت : وليَ الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة 105 هـ وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر، توفّي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ ، وله ثلاث وخمسون سنة. الملل والنحل للشهرستاني : ص 279.
(2) سورة الأعراف : الآية 50.
(3) الإرشاد للمفيد : ص 264 - 265 ، الروضة من الكافي للكليني : ج 8 ص 121 - 122 ح 93 ، الإحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 323 - 324 ، المناقب لابن شهرأشوب : ج 4 ص 198 ، بحار الأنوار : ج 7 ص 105 - 106 ح 21.

المُناظرة الثالثة عشر

مناظرة هشام بن الحكم مع النظام في بقاء أهل الجنة إلى الأَبد

روى علي بن محمد بن قتيبة ، عن يحيى بن أبي بكر قال : قال النظّام (1) لهشام بن الحكم (2) : إنَّ أهل الجنة لا يبقون في الجنة بقاء الأَبد ، فيكون بقاؤهم كبقاء الله ، ومحال أن يبقوا كذلك ؟

فقال هشام : إنَّ أهل الجنة يبقون بمبقٍ لهم ، والله يبقى بلا مبقٍ ، وليس هو كذلك.

فقال : محال أن يبقوا للأَبد.

قال : قال : ما يصيرون ؟

قال : يدركهم الخمود.

قال : فبلغك أنّ في الجنة ما تشتهى الأَنفس (3)؟

قال : نعم.

قال : فإن اشتهوا أو سألوا ربّهم بقاء الأَبد.

قال : إنّ الله تعالى لا يلهمهم ذلك.

قال : فلو أنّ رجلاً من أهل الجنة نظر إلى ثمرة على شجرة ، فمدّ يده ليأخذها فتدلّت إليه الشجرة والثمار ، ثمّ حانت منه لفتةً فنظر إلى ثمرة أخرى أحسن منها ، فمدّ يده اليسرى ليأخذها فأدركه الخمود ، ويداه متعلّقتان بشجرتين، فارتفعت الأَشجار وبقي هو مصلوباً ، فبلغك أنّ في الجنة مصلوبين؟!

قال : هذا محال !

قال : فالّذي أتيت به أمحل منه ، أن يكون قوم قد خُلقوا وعاشوا ، فأدخلوا الجنان ، تموتهم فيها يا جاهل (4).

---

(1) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري المعروف بالنظام ابن أخت أبي الهُذيل العلاف شيخ المعتزلة ، وكان النظام أستاذ الجاحظ ، قالت المعتزلة : إنّما سمّي بذلك لحسن كلامه نظماً ونثراً ، وقال غيرهم : إنّما سُمي بذلك لأَنّه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها ، قيل : وإليه تنسب الطائفة النظامية ، ووافق المعتزلة في مسائلهم وانفرد عنهم بمسائل أخرى ، وقد ذكر الصفدي في الوافي جملة منها ، والتي منها : عدم إمكان خروج أحد من الجنة ولو بالقدرة ، وأن الأَجماع ليس بحجّة في الشرع ، وكذلك القياس ليس بحجة ، وإنّما الحجة قول الإمام المعصوم ، وان النبي صلى الله عليه واله نص على أن الإمام عليّ عليه السلام وعينه ، وعرفت الصحابة ذلك...الخ ، وأن الثاني ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها ، توفي النظام في سنة 230 هـ تقريباً.
راجع ترجمته في : سفينة البحار : ج 2 ص 597 ، الوافي بالوفيات للصفدي : ج 6 ص 14 - 18 ، الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 59.

(2) هو هشام بن الحكم ، أبو محمد ، مولى كندة ، ولد بالكوفة ونشأ في واسط ، وتجارته ببغداد ، عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها ، له نوادر وحكايات ومناظرات ، ممن اتفق علماننا على وثاقته ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وقد قال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، وكان هشام من الحاذقين بصناعة الكلام ، والمدافعين عن إمامة أهل البيت عليهم السلام ولذا له مناظرات كثيرة مع المخالفين في هذا الشأن ، عُد من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهم السلام ، توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة وقيل في خلافة المأمون العباسي سنة 199 هـ ، راجع ترجمته في : رجال النجاشي : ج 2 ص 397 رقم : 1165 ، سفينة البحار : ج 2 ص 719 ، سير أعلام النبلاء : ج 10 ص 543 ترجمة رقم : 174 ، تنقيح المقال للمامقاني : ج 3 ص 294.

(3) جاء ذلك في بعض الآيات الشريفة وهي :
1 ـ قوله تعالى : (وفيها ما تشتهيه الأَنفس وتلذ الأَعين) الزخرف : 71.
2 ـ قوله تعالى : (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون) فصلت : 31.
3 ـ قوله تعالى : (وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون) الأَنبياء : 102.

(4) إختيار معرفة الرجال للطوسي : ج 2 ص 552 ح 593 ، بحار الأَنوار : ج 8 ص 143 ح 66.

المُناظرة الرابعة عشر

مناظرة الكراجكي مع بعض أهل الكلام في عذاب الكافر يوم القيامة إلى الأبد

قال الشيخ الكراجكي ـ أعلى الله مقامه ـ : حضرت في سنة ثماني عشرة وأربعمائة مجلساً، فيه جماعة ممّن يحب استماع الكلام ، ومطلع نفسه فيه إلى السؤال، فسألني أحدهم، فقال: كيف يصح لكم القول بالعدل ، والاعتقاد بأن الله تعالى لا يجوز عليه الظلم ؟ مع قولكم أنّه سبحانه يعذّب الكافر في يوم القيامة بنار الأبد، عذاباً متّصلاً غير منقطع، وما وجه الحكمة والعدل في ذلك ؟

وقد علمنا أنَّ هذا الكافر وقع منه كفره في مدّة متناهية، وأوقات محصورة، وهي مائة سنة في المثل ، وأقل وأكثر، فكيف جاز في العدل عذابه أكثر من زمان كفره ؟

وأَلاَ زعمتم أن عذابه متناهٍ كعمره، ليستمر القول بالعدل، وتزول مناقضتكم لما تنفون عن الله تعالى من الظلم.

الجواب :

فقلت له: سألت فافهم الجواب، اعلم أنّ الحكمة لما اقتضت الخلق والتكليف، وجب أن يرغب العبد فيما أمره به من الإيمان بغاية الترغيب، ويزجره عمّا نهى عنه في الكفر بغاية التخويف والترهيب، ليكون ذلك أدعى له إلى فعل المأمور به، وأزجر له عن ارتكاب المنهي عنه.

وليس غاية الترغيب إلا الوعد بالنعيم الدائم المقيم، ولا يكون غاية التخويف والترهيب، إلاّ التوعيد بالعذاب الخالد الأليم، وخلف الخبر كذب، والكذب لا يجوز على الحكيم، فبان بهذا الوجه ، أنّ تخليد الكافر في العذاب الدائم، ليس بخارج عن الحكمة، والقول به مناقض للأدلّة.

فقال صاحب المجلس: قد أتيت في جوابك بالصحيح الواضح، غير أنّا نظن بقيةً في السؤال، تطّلع نفوسنا إلى أن نسمع عنها الجواب، وهي: أنَّ الحال أفضت إلى ما ينفر منه العقل، وهو أن عذاب أوقات غير محصورة، يكون مستحقاً على ذنوب مدّة متناهية محصورة.

فقلت له: أجل، إنَّ الحال قد أفضت إلى أن الهالك على كفره، يعذب بعذاب تقدير زمانه أضعاف زمان عمره، وهذا هو السؤال بعينه، وفي مراعاة ما أجبت به عنه بيان أنَّ العقل لا يشهد به ، ولا ينفر منه، على أنّني آتٍ بزيادة في الجواب مقنعة في هذا الباب.

فأقول: إنَّ المعاصي تتعاظم في نفوسنا على قدر نِعَم المعصي بها، ولذلك عظم عقوق الولد لوالده لعظم إحسان الوالد عليه، وجلت جناية العبد على سيّده، لجليل إنعام السيّد عليه، فلمّا كانت نعم الله تعالى أعظم قدراً، وأجل أثراً من أن توفى بشكر، أو تحصى بحصر، وهي الغاية في الإنعام، الموافق لمصالح الأنفس والأجسام، كان المستحق على الكفر به، وجحده إحسانه ونعمه، هو غاية الآلام، وغايتها هو الخلود في النار.

فقال رجل ينتمي إلى الفقه كان حاضراً: قد أجاب صاحبنا الشافعي عن هذه المسألة بجوابين، هما أجلى وأبين ممّا ذكرت.

قال له السائل: وما هما ؟

قال: أمّا أحدهما فهو أنّ الله سبحانه، كما ينعم في القيامة على من وقعت منه الطاعة في مدةٍ متناهية بنعيم لا آخر له ولا غاية، وجب قياساً على ذلك أن يعذب من وقعت منه المعصية في زمان محصور متناهٍ، بعذاب دائم غير منقضٍ ولا متناهٍ.

قال: والجواب الآخر، أنّه خلّد الكفار في النار لعلمه أنّهم لو بقوا أبداً لكانوا كفاراً. (1)

فاستحسن السائل هذين الجوابين منه استحساناً مفرطاً ، إما لمغايظتي بذلك، أو لمطابقتهما ركاكة فهمه.

فقال صاحب المجلس: ما تقول في هذين الجوابين ؟

فقلت: اعفني من الكلام، فقد مضى في هذه المسألة ما فيه كفاية.

فأقسم عليَّ وناشدني.

فقلت: إن المعهود من الشافعي والمحفوظ منه كلامه في الفقه وقياسه في الشرع، أما أصول العبادات والكلام في العقليّات فلم تكن من صناعته، ولو كانت له في ذلك بضاعة لاشتهرت، إذ لم يكن خامل الذكر، فمن نسب إليه الكلام فيما لا يعلمه على طريق القياس والجواب، فقد سبّه، من حيث أن فساد هذين الجوابين لا يكاد يخفى عمّن له أدنى تحصيل.

أمّا الأوّل منهما وهو : مماثلته بيت إدامة الثواب والعقاب، فإنّه خطأ في العقل والقياس، وذلك أن مبتدىء النعم المتّصلة في تقدير زمانٍ أكثر من زمان الطاعة، إن لم يكن ما يفعله مستحقاً، كان تفضلاً، ولا يقال للمتفضّل المحسن: لِمَ تفضّلت وأحسنت، ولا للجواد المنعم، لِمَ جُدت وأنعمت.

وليس كذلك المعذِبُ على المعصية في تقدير زمانٍ زائدٍ على زمانها، لأنَّ ذلك إن لم يكن مستحقاً كان ظلماً، تعالى

الله عن الظلم، فالمطالبة بعلة المماثلة بين الموضعين لازمة، والمسألة مع هذا الجواب عمّا يوجب التخليد قائمة.
والعقلاء مجمعون على أنّ من أعطى زيداً على فعله أكثر من مقدار أجره، فليس له ـ قياساً على ذلك ـ أن يعاقب عمراً على ذنبه بأضعاف ما يجب في جرمه.
وأمّا جوابه الثاني فهو وإن كان ذكره بعض الناس، لاحقٌ بالأَول في السقوط، لأنّه لو كان تعذيب الله عزّ وجلّ للكافر بعذاب الأَبد، إنّما هو لأنّه علم منه أنه لو بقي أبداً كافراً، لكان إنّما عذّبه على تقدير كفر لم يفعله، وهذا هو الظلم في الحقيقة، الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه، لأنّ العبد لم يفعل الكفر إلاّ مدة محصورة (2).
وقد اقتضى هذا الجواب أن تعذيبه الزائد على مدّة كفره هو عذاب على ما لم يفعله، ولو جاز ذلك لجاز أن يبتدىء خلقاً، ثم يعذبه من غير أن يبقيه ويقدره، ويكلفه، إذا علم منه أنه إذا أبقاه، وأقدره، وكلفه، كان كافراً جاحداً لأنعمه، وقد أجمع أهل العدل على أن ذلك لا يجوز منه سبحانه، وهو كالأَول بعينه في العذاب ، للعلم بالكفر قبل وجوده، لا على ما فعله وأحدثه ، وقبحها يشهد العقل به ويدل عليه، تعالى الله عن إضافة القبيح إليه.
فَعُلِمَ أنّه لا يعتبر في الجواب عن هذا السؤال بما أورده هذا الحاكي عن الشافعي، وأن المصير إلى ما قدمناه من الجواب عنه أولى ، والحمد لله.
فلمّا سمع المتفقه طعني فيما أورده، وقولي إن الشافعي ليس من أهل العلم بهذه الصناعة، ولا له فيها بضاعة، ظهرت إمارات الغضب في وجهه، وتعذّر عليه نصرة ما جاء به، كما تعذّر عليه وعلى غيره ممن حضر القدح فيما كنت أجبت به، فتعمد لقطع ما كنا فيه بحديثٍ ابتداه لا يليق بالمجلس ولا يقتضيه.
فبينا نحن كذلك إذ حضر رجل، كانوا يصفونه بالمعرفة، وينسبونه إلى الاصطلاح بالفلسفة، فلما استقرّ به المجلس، حكوا له السؤال، وبعض ما جرى فيه من الكلام.
فقال الرجل : هذا سؤال يلزم الكلام فيه، ويجب على من أقر بالشريعة، طلب جواب صحيح عنه، يعتمد عليه.
ثمّ سألوني الرجوع إلى الكلام والإعادة لما سلف لي من الجواب، ليسمع ذلك الرجل الحاضر.
فقلت له: ألا سألتم الفقيه إعادة ما كان أورده لعله أن يرضى هذا الشيخ إذا سمعه، وعنيت بالفقيه، الحاكي عن الشافعي ؟
قالوا: قد تبين لنا فساد ما أجاب به، ولا حاجة بنا إلى إشغال الزمان بإعادته.
قلت: فأنا مجيبكم إلى الكلام، وسالك غير الطريقة الأُولى في الجواب، لعل ذلك أن يكون أسرع لزوال اللبس، وأقرب إلى سكون النفس، إن وجدت منكم مع الاستماع حسن إنصاف.
قالوا: نحن مستمعون لك غير جاحدين لحق يظهر في كلامك.
فقلت: كان السؤال عن وجه العدل والحكمة في تعذيب الله عزّ وجلّ لمن مات وهو كافر بالعذاب الدائم، الذي تقدير زمانه لا ينحصر، وقد وقع من العبد كفره في مبلغ عمره المتناهي.
والجواب عن ذلك:
أنّ العذاب المجازى به على المعصية، كائنةً ما كانت، لا كلام بيننا في استحقاقه، وإنّما الكلام في اتصاله وانقطاعه، فلا يخلو المعتبر في ذلك أن يكون هو الزمان الذي وقعت المعصية فيه ومقداره وتناهيه، أو المعصية في نفسها وعِظمِها من صغرها.
فلو كانت مدة هي المعتبرة، وكانت يجب تناهي العذاب لأجل تناهيها في نفسها، لوجب أن يكون تقدير زمان العقاب عليها بحسبها وقدرها، حتى لا يتجاوزها ولا يزيد عليها.
وهذا حكم يقضي الشاهد بخلافه، ويجمع العقلاء على فساده، فكم قد رأينا فيما بيننا معصية قد وقعت في مدة قصيرة، كان المستحق من العقاب عليها يحتاج إلى أضعاف تلك المدة، ورأينا معصيتين، تماثل في القدر زمانهما، واختلف زمان العقاب المستحق عليهما، كعبد شتم سيده، فاستحق من الأدب على ذلك أضعاف ما يستحقه إذا شتم عبداً مثله، وإن كان زمان الشتمين متماثلاً.
فالمستحق عليهما من الأدب والعقاب يقع في زمان غير متماثل، ولو لم يكن في هذا حجّة إلاّ ما نشاهده من هجران الوالد أياماً كثيرة لولده على فعل، وقع في ساعة واحدة منه، مع تصويب كافة العقلاء للوالد في فعله، بل لو لم يكن فيه إلا جواز حبس السيد فيما بيننا لعبده زماناً طويلاً على خطيئته.
وكذلك الإمام العادل لمن يرى من رعيته، لكان فيه كفاية في وضح الدلالة، وليس يدفع الشاهد إلاّ مكابر معاند، فَعُلِمَ ممّا ذكرناه أنه لا يعتبر فيما يستحق على المعصية بقدر زمانها، ولا يجب أن يماثل وقت الجزاء عليها لوقتها، ووجب أن يكون المرجع إليها نفسها، فبعظمها يعظم المستحق عليها، سواء أطال الزمان أو قصر، اتصل أم انقطع، وجد فكان محققاً، أو عُدِم فكان مقدراً، والحمد لله.
فلمّا سمع القوم مني هذا الكلام، وتأمّلوا ما تضمّنه من الإفصاح والبيان، وتمثيلي بالمتعارف من الشاهد والعيان، لم يسعهم غير الإقرار للحق والإذعان والتسليم في جواب السؤال لما أوجبه الدليل والبرهان، والحمد لله الموفق

للصواب، وصلواته على سيّدنا محمد خاتم النبيّين وآله الطاهرين.

زيادة في المسألة:

وقد احتج من نصر الجواب الثاني المنسوب إلى الشافعي بقول الله تعالى: (وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنهُ) (3) ، وجعل ذلك دلالة على أنه عذّبهم بعذاب الأبد، لعلمه بذلك من حالهم ، وليس في هذه الآية دلالة على ما ظن، وإنّما هي مبنية على باطن أمرهم، ومكذبة لهم فيما يكون في القيامة من قولهم، وما قبل الآية تتضمن وصف ذلك من حالهم، وهو قوله تعالى سبحانه:

(إِذ وُقِفُوا عَلى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ ربِّنَا، وَنَكُونَ مِنَ المؤمِنِينَ) (4) ، فقال الله سبحانه : (بَل بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبلُ وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنهُ وإِنَّهُم لَكَاذِبُونَ) (5).

هذا: لمّا تمنوا الرجوع إلى دار التكليف، وليس فيه إخبار بأنه عذبهم لما علمه منهم أن لو أعادهم، حسبنا الله ونعم الوكيل (6).

---

(1) سوف يأتي إن مفاد بعض الروايات إنما خُلد أهل النار فيها لنياتهم العصيان (الكفر به تعالى) وهذا غير القول أنه يعذبهم لعلمه بعصيانهم لو بقوا أبداً ، فهل يمكن القول : بأنه لو مات إنسانٌ مؤمن صالح ، وكان في علم الله تعالى أن هذا الرجل لو بقي في الحياة حيناً لكان عاصياً فاسقاً، كان يعذبه الله تعالى على ما علم منه ذلك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، إن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة ، فكيف يعذبه على أمر لم يفعله !

(2) وقد جاء مفاد بعض الروايات ، إنما خلد أهل النار في النار لنيتهم العصيان الأبدي لو خلدوا في الدنيا ، لاحظ ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في العلل عن أبيه عن سعد ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داوود الشاذكوني عن أحمد بن يوسف ، عن أبي هاشم قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الخلود في الجنّة والنار ، فقال : إنما خلّد أهل النار في النار لأنّ نياتهم كانت في الدنيا لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطيعوا الله أبداً ما بقوا ، فالنيّات تخلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلى قوله تعالى : (قل كلّ يعمل على شاكلته) قال : على نيّته. علل الشرائع : ج 2 ص 523 ب 299 ح 1 وعنه بحار الأنوار : ج 8 ص 347 ح 5.

وعلى ضوء هذه الرواية والله العالم أنّ أهل النار إنما خلدوا لنيتهم الكفر الأبدي ، فعذابه الأبدي ليس زائداً على مدة كفره بل مؤاخذ عليه ، إذ عقد قلبه على الكفر بالله تعالى لو بقي مخلداً في الحياة ، فيكون عذابه الأبدي في الآخرة على أمر فعله في الدنيا.

(3) سورة الأنعام : الآية 28.

(4) سورة الأنعام : الآية 27.

(5) سورة الأنعام : الآية 28.

(6) كنز الفوائد للكراجكي : ج1 ، ص 308 - 314.

القرآن الكريم

المُناظرة الخامسة عشر

مناظرة ابن حازم (1) مع بعضهم في أنّ القرآن لا يكون حجة إلا بقيم

روي عن صفوان بن يحيى عن أبي حازم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إني ناظرت قوماً (2) فقلت : ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الحجة من الله على الخلق ، فحين ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة بعده ؟

فقالوا : القرآن.

فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم فيها المرجيّ والحروري والزنديق الذي لا يؤمن حتى يغلب الرجل خصمه ، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلاّ بقيم ، ما قال فيه من شيء كان حقاً.

قلت : فمن قيّم القرآن ؟

قالوا : قد كان عبدالله بن مسعود وفلان وفلان يعلم.

قلت : كلّه ؟

قالوا : لا.

فلم أجد أحداً يقال : إنّه يعرف ذلك كلّه إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وإذا كان الشيء بين القوم ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، فأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفروضة ، وكان حجّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس كلّهم ، وإنّه عليه السلام ما قال في القرآن فهو حقّ.

فقال ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ : رحمك الله.

فقبلت رأسه ، وقلت : إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله حجة من بعده ، وإن الحجة من بعد عليّ عليه السلام الحسن بن علي عليه السلام ، وأشهد على الحسن بن علي عليه السلام أنّه كان الحجة وأنّ طاعته مفترضة.

فقال : رحمك الله.

فقبلت رأسه ، وقلت : أشهد على الحسن بن علي عليه السلام انّه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده ، كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه ، وأن الحجة بعد الحسن عليه السلام الحسين بن علي عليه السلام ، وكانت طاعته مفترضة.

فقال : رحمك الله.

فقبلت رأسه ، وقلت : وأشهد على الحسين بن علي عليه السلام انّه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده ، وأنّ الحجة من بعد عليّ بن الحسين عليه السلام ، وكانت طاعته مفترضة.

فقال : رحمك الله.

فقبلت رأسه ، وقلت : وأشهد على علي بن الحسين عليه السلام انّه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده ، وأنّ الحجة من بعد محمد بن علي أبو جعفر عليه السلام ، وكانت طاعته مفترضة.

فقال : رحمك الله.

قلت : أصلحك الله أعطني رأسك ، فقبّلت رأسه ، فضحك.

فقلت : أصلحك الله قد علمت أنّ أباك عليه السلام لم يذهب حتى ترك من بعده كما ترك أبوه ، فأشهد بالله انّك أنت الحجة من بعده ، وأن طاعتك مفترضة.

فقال : كفّ رحمك الله.

قلت : أعطني رأسك أُقبله ، فضحك !

قال عليه السلام سلني عمّا شئت ؟ فلا أنكرك بعد اليوم أبداً (3).

---

(1) هو : منصور بن حازم أبو أيوب البجلي الكوفي عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام ، وقال النجاشي عنه : ثقة عين صدوق من جملة أصحابنا وفقهائهم ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام ، له كتب منها أصول الشرائع ،

كتاب الحج ، وعده بعضهم من فقهاء الصادقين عليهما السلام والأَعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأَحكام الذين لايطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم. راجع ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 249 ترجمة رقم : 12166 ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي : ج 18 ترجمة رقم : 12672.

(2) وفي رجال الكشي : ج 2 ص 718 ، هكذا : قلت لأَبي عبدالله عليه السلام : إن الله أجل وأكرم من أن يُعرف بخلقه ، بل الخلق يعرفون بالله ، قال : صدقت.

قال : قلت : إن من عرف أن له رباً فقد ينبغي أن يُعرف أن لذلك الرب رضاً وسخطاً ، وأنّه لا يُعرف رضاه وسخطه إلاّ برسول لمن لم يأته الوصي ، فينبغي أن يطلب الرسل ، فإذا لقيهم عرف أنّه الحجّة ، وأن لهم الطاعة المفترضة ، فقلت للناس : أليس يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على الخلق ؟ قالوا : بلى...الخ.

(3) علل الشرائع للصدوق : ج 1 ص 192 - 193 ب 152 ، وعنه بحار الأنوار : ج 23 ص 17 - 18 ح 13 ، رجال الكشي : ج 2 ص 718 - 719 ، تنقيح المقال للمامقاني : ج 3 ص 249.

المُناظرة السادسة عشر

مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ أحمد الأمين في صيانة القرآن عن التحريف (1)
قال الشيخ معتصم السوداني ـ في معرض كلامه عمّا جرى له مع بعض أولئك الذين ينالون من الشيعة ـ : وجرى حوار بيني وبين شيخهم ـ أحمد الأمين ـ وطلبت منه العقلانية وترك الإستهتار والتهجم دون جدوى، وبعدما طفح الكيل وازداد تعنتهم وتعصبهم ذهبت إلى مسجدهم وصليتُ خلفه صلاة الظهر، وبعد الإنتهاء من الصلاة سألته: هل تعرضتُ لك يوماً طوال هذه المدة، التي تسب فيها الشيعة وتكفرهم بمكبرات الصوت؟!
قال: لا.
قلت: أو تدري ما السبب؟!
قال: لا أدري.
قلت: إن كلامك تهجم وجهل، وتعرّض لشخصيتي، فخفتُ أن أعترض عليك فيكون ذلك دفاعاً عن نفسي، وليس دفاعاً عن الحق، والآن أطلب منك مناظرة علمية ومنهجية أمام الجميع حتى ينكشف الحق.
قال: لا مانع عندي.
قلت: إذاً حدد محاور المناظرة.
قال: تحريف القرآن، وعدالة الصحابة.
قلت: حسناً، ولكن هناك أمران ضروريان لابد من مناقشتهما، وهما صفات الله، والنبوة في اعتقادكم ورواياتكم.
قال: لا.
قلت: ولِمَ؟
قال: أناأحدد المحاور، فإذا طلبتُ منك ـ أنا ـ المناظرة، يكون الحق لك في تحديد المحاور.
قلت: لا خلاف... متى موعدنا؟
قال: اليوم، بعد صلاة المغرب ـ ظناً منه أنه سيرهبني بهذا الموعد القريب ـ فأظهرت موافقتي بكل سرور، وخرجت من المسجد.
وبعد أداء صلاة المغرب، بدأت المناظرة، فبدأ شيخهم ـ أحمد الأمين ـ الحديث كعادته يتهجم ويتهم الشيعة بالقول بتحريف القرآن ، وكان يمسك في يده كتاب (الخطوط العريضة لمحب الدين).
وبعد الفراغ من حديثه، ابتدأت حديثي، وقمت بالرد على كل ما افتراه من اتهامات بالتفصيل، وبرأت الشيعةتماماً من القول بتحريف القرآن، وبعد ذلك، قلت له كما قيل : ترون التبنة في أعين غيركم ، ولا ترون الخشبة في أعينكم، فإن الروايات التي احتوتها كتب الحديث عند السنة ظاهرة في اتهام القرآن الكريم بالتحريف، فنسبةالقول بالتحريف إلى السنة أقرب منها إلى الشيعة. وذكرت ما يقارب عشرين رواية مع ذكر المصدر ورقم الصفحة من صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، مثال:
أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن أُبي بن كعب قال: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعاً وسبعين آية،قال: لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله مثل البقرة أو أكثر منها ، وإن فيها آية الرجم (1).
وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب، قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه وآله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله... إلى أن يقول: ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم) (2) .
وروى مسلم في صحيحه، قال: بُعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة، وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمر، فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها ، غير أني قد حفظت منها لوكان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) (3).
وفي أثناء ذكري لهذه الروايات، لاحظت أن الشيخ حملق عينيه وفتح فاه وظهرت الحيرة والدهشة على وجهه، فمأن توقفت عن الكلام حتى أخذ يقول: أنا لم أسمع بذلك وأنا لم ارَ ذلك، وأطالبك أن تحضر هذه المصادر أمامي.
قلت: قبل قليل كنت تتهجم على الشيعة وتتهمهم بالتحريف،فلماذا لم تحضر كتبهم التي لم ترها في حياتك كلها، فأنت ملزم بإحضار مصادرك وهذه مكتبتك، فيها البخاري ومسلم وكتب الحديث، أحضرها حتى أُخرجَ لك هذه

الروايات منها، وعندما لم يجد مخرجاً قفز إلى موضوع آخر، وهو أن الشيعة تقول بالتقية فكيف نصدق كلامهم؟! وهرج ومرج، حتى قام أحدهم وأذن لصلاة العشاء، وبعد الصلاة تواعدنا أن نكمل المناظرة في الأيام القادمة، على أن نختار في كل يوم موضوعاً نتناظر حوله... ولما جاء الغد كنتُ جالساً أمام منزلنا في الصباح فمر الشيخ وسلّم عليَّ بكل احترام وقال: إن هذه المباحث لا يفهمها العامة، فمن الأفضل أن نتحاور ونتناظر أنا وأنت على انفراد. قلت: أوافق، لكن بشرط أن تترك التهجم على الشيعة، وفيما بعد لم نسمع له تهجماً على الشيعة.. (4)

---

(1) من أراد الاطلاع الواسع على رأي الشيعة الإمامية واعتقادهم بصيانة القرآن الكريم عن التحريف فليراجع :
1 ـ البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي قدس سره : ص 197 ـ 272.
2 ـ التحقيق في نفي التحريف للسيد علي الميلاني.
3 ـ سلامة القرآن من التحريف ، نشر وإصدار مؤسسة الإمام عليّ عليه السلام وغيرها الكثير.
(2) مسند أحمد بن حنبل : ج 5 ص 132.
(3) صحيح البخاري : ج 8 ص 209 ـ 210 (ك المحاربين ، ب رجم الحبلى إذا زنت).
(1) صحيح مسلم : ج 2 ص 726 ح 119 (ك الزكاة ب 39).
(4) الحقيقة الضائعة للشيخ معتصم السوداني : ص 26 ـ 29.

احاديث موضوعة

المُناظرة السابعة عشر

مناظرة أمير المؤمنين عليه السلام مع الزبير (1) في حديث العشرة المبشرة بالجنة
عن سليم بن قيس الهلالي قال : لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة يوم الجمل نادى الزبير : يا أبا عبدالله أخرج إلي ؟ فخرج الزبير ومعه طلحة ، فقال لهما : والله إنكما لتعلمان ، وأولوا العلم من آل محمد ، وعائشة بنت أبي بكر ، أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله ، وقد خاب من افترى !!
قالا له : كيف نكون معلونين ، ونحن أصحاب بدر وأهل الجنّة ؟ !
فقال لهما علي عليه السلام : لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم ؟ !
فقال له الزبير : أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي : أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « عشرة من قريش في الجنة » (2) فقال له علي عليه السلام : سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته ؟
فقال له الزبير : أفتراه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟
فقال له علي عليه السلام : لست أخبرك بشيء حتى تسميهم ؟!
قال الزبير : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل.
فقال له علي عليه السلام : عددت تسعةً فمن العاشر ؟
قال له : أنت.
فقال له علي عليه السلام : قد أقررت أني من أهل الجنة ، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين.
قال له الزبير : أفتراه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال عليه السلام : ما أراه كذب، ولكنه والله ، اليقين...الخ (3).
وممّا روي في محاورتهما أيضاً يوم الجمل ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي بسنده عن عبد السلام ـ رجل من حية ـ قال : خلا علي عليه السلام بالزبير يوم الجمل فقال : أنشدك الله ؟ هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت لاوي يدي سقيفة بني فلان: لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ ثمّ لينصرنّ عليك ؟!
ثمّ قال : قد سمعته لا جرم ، لا أقاتلك !
ومن طريق آخر بسنده عن أبي جرو المازني قال : سمعت علياً عليه السلام وهو ناشد الزبير ، فقال : أنشدك الله يا زبير ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنك تقاتلني وأنت ظالم ؟ !
قال : بلى ، ولكني نسيت (4)
وفي رواية أخرى قال له : نشدتك الله ! أتذكر يوم مررت بي ورسول الله صلى الله عليه وآله متكىء على يدك ، وهو جاءٍ من بني عوف ، فسلّم عليَّ وضحك في وجهي، فضحكت إليه ، لم أزده على ذلك ، فقلت : لا يترك ابن أبي طالب يا رسول الله زهوه ! فقال لك : مه إنه ليس بذي زهو ، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم!!
فاسترجع الزبير وقال : لقد كان ذلك ، ولكن الدهر أنسانيه ، ولاَنصرفن عنك، فرجع. (5)
وفي رواية ثالثة عن أبي مخنف في كتاب الجمل ، قال : برز عليّ عليه السلام يوم الجمل ، ونادى بالزبير : يا أبا عبدالله، مراراً ، فخرج الزبير فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما ، فقال له علي عليه السلام : إنما دعوتك لاَذكِّرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله : أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي ، فقال لك : أتحبه ؟ قلت : وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي ! فقال : أما إنّك ستحاربه وأنت ظالم له !
فاسترجع الزبير ، وقال : أذكرتني ما أنسانيه الدّهر ، ورجع إلى صفوفه.
فقال له عبدالله ابنه : لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به !
فقال : أذكرني عليّ عليه السلام حديثاً أنسانيه الدهر ، فلا أحاربه أبداً ، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.
فقال له عبدالله : ما أراك إلاّ جبنت عن سيوف بني عبد المطلب ، إنّها لسيوف حداد ، تحملها فتية أنجاد.
فقال الزبير : ويلك ! أتهيجني على حربه ، أما إني قد حلفت ألاّ أحاربه !
قال : كفّر عن يمينك ، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت ، وما كنت جباناً؟!
فقال الزبير : غلامي مكحول حرّ ، كفّارة عن يميني (6) ثمّ انصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له.
فقال علي عليه السلام : أفرجوا له ، فأنه مخرج ، ثمّ عاد إلى أصحابه ، ثمّ حمل ثانية، ثمّ ثالثة ، ثمّ قال لابنه :

أجبنا ويلك ترى !
فقال : لقد أعذرت.
قال أبو مخنف : لما أذكر عليّ عليه السلام الزبير بما أذكره به ورجع الزبير ، قال :

نادى عليٌّ بـأمـر لستُ أنكره * وكان عمرُ أبيك الخير مُذّ حينِ

فقلت حسبك من عذلٍ أبا حسنٍ * بعض الذي قلت مُنذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى مغبتها * والله أمـثـلُ في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نار مؤجّجة * أنى يقومُ لـهـا خلقٌ من الطين

قال : لما خرج علي عليه السلام لطلب الزبير ، خرج حاسراً ، وخرج إليه الزبير دارعاً مدججاً ، فقال للزبير : يا أبا عبدالله ، قد لعمري أعددت سلاحاً ، وحبذا! فهل أعددت عند الله عذراً ؟ !
فقال الزبير : إنّ مردَّنا إلى الله ؟
قال علي عليه السلام : (يومئذٍ يُوفيهُمُ الله دينهم الحقّ ويعلمون انّ الله هو الحق المبين) (7) ثمّ أذكره الخبر ، فلما كرّ الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً، رجع عليّ عليه السلام إلى أصحابه جذلاً مسروراً ، فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين ، تبرز إلى الزبير حاسراً ، وهو شاكٍ في السلاح ، وأنت تعرف شجاعته !
قال : إنّه ليس بقاتلي ، إنّما يقتلني رجل خامل الذكر ، ضئيل النسب غيلةً في غير مأقطٍ (8) حرب ، ولا معركة رجال ، ويلُ امّهِ أشقى البشر ، ليودَّنّ أنّ أمّه هبلت به ! أما إنّه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن (9) .

---

(1) هو : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي ، كنيته أبو عبدالله وأمّه صفية بنت عبد المطلب ، فهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وابن أخي خديجة الكبرى ، كان من ناصري أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته قبل أن ينحرف عنه ويعاديه ، فهو أحد الأربعة الذين استجابوا لأمير المؤمنين عليه السلام لما دعاهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لأخذ حقه ، روي عن سلمان انّه قال فيه : وكان الزبير أشدنا بصيرة في نصرته ، كما انّه وهب حقّه يوم الشورى لأمير المؤمنين عليه السلام لما دخلته من حمية النسب ، وهو أحد الذين شهدوا علي وصية فاطمة عليها السلام كما شهد دفنها ليلاً ، وهو الذي اخترط سيفه دفاعاً عن أمير المؤمنين عليه السلام لما أخرج من منزله ملبباً حتى رموه بصخرة فأصابت قفاه ، وسقط السيف من يده ، فأخذوه وكسروه ، هذا مع ما عرف عنه من الشجاعة التي ظهرت في أيّام النبي صلى الله عليه وآله واشتراكه في الغزوات معه ، وروي أن الزبير كان ممن أعير الإيمان وكان إيمانه مستودعاً ، فمشى في ضوء نوره ثمّ سلبه الله إياه ، وقد سعى ابنه عبدالله في عدول أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام فكان سبباً في انحرافه عن ناحية أهل البيت عليهم السلام ، وجاء عنه عليه السلام انّه قال : لا زال الزبير منا حتى أدرك فرخه ، وفي رواية أخرى : ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى شب ابنه عبدالله ، قتله ابن جرموز غدراً في وادي السباع، وله خمس وسبعون سنة ، وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه ، فقال علي عليه السلام : سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله .
راجع ترجمته في : سفينة البحار للقمي : ج 1 ص 543 - 545 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 1 ص 231 - 236 وج 2 ص 167 ، سير أعلام النبلاء : ج 1 ص 41 ترجمة رقم : 3 ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ج 3 ص 100 ، تهذيب الكمال للمزي : ج 9 ص 319 ترجمة رقم : 1971.
(2) راجع : مسند أحمد بن حنبل : ج 1 ص 193 ، الجامع الصحيح للترمذي : ج 5 ص 605 ح 3747 وص 606 ح 3748 ، سنن أبي داود : ج 4 ص 212 ح 4649 ، الرياض النضرة لمحب الدين : ج 1 ص 34 - 35 ، المستدرك للحاكم : ج 3 ص 316 - 317 و 440 ، كنز العمال : ج 11 ص 638 ح 33105 و 33106 وص 646 ح 33137 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ج 3 ص 419 ح 1435. وقد فند المأمون العباسي هذا الحديث كما جاء في مناظرته مع العامة ، وقد قال له أحدهم : إن النبي صلى الله عليه وآله شهد لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة ؟ فقال له المأمون : لو كان هذا كما زعمتم ، لكان عمر لا يقول لحذيفة : نشدتك بالله أمن المنافقين أنا ؟ فإن كان قد قال له النبي صلى الله عليه وآله : أنت من أهل الجنة ولم يصدقه حتى زكّاه حذيفة فصدّق حذيفة ولم يصدق النبي صلى الله عليه وآله فهذا على غير الإيلام ، وإن كان قد صدق النبي صلى الله عليه وآله فلم سأل حذيفة ؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 1 ص 203 ، مناظرات في الإمامة : ص 227 المناظرة الأربعون.
وراجع كلام العلامة الأميني قدس سره حول الحديث المذكور في كتابه الغدير : ج 10 ص 118 - 131 ح 37 فقد استوفى البحث حوله دلالة وسنداً.

(3) الإحتجاج للطبرسي : ج 1 ص 162 ، بحار الأنوار : ج 32 ص 197 ح 147 و ص 216 ح 171 و ج 36 ص 324 ح 182.
(4) العلل المتناهية لابن الجوزي : ج 2 ص 847 - 848 ح 1417 و 1418 ، تاريخ الأمم والملوك: ج 4 ص 509 ، الكامل في التاريخ : ج 3 ص 240.
(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 167.
(6) قال همام الثقفي في فعل الزبير وما فعل وعتقه عبده في قتال علي عليه السلام :

أيعتـق مكحـولاً ويعصـي نبيّـه * لقد تاه عن قصـدالهـدى ثمّ عـوق

أينـوي بهذا الصـدق والبر والتقـى * سيعلـم يـوماً مـن يبـر ويصـدق

لشتان مـا بيـن الضـلال والهـدى * وشتان من يعصي النبي صلى الله عليه وآله ويعتق

ومـن هـو في ذات الإله مشمـر * يكبـر بـراً ربّـه ويصـدق

أخـي الحقّ أن يعصى النبي صلى الله عليه وآله سفاهة * ويعتـقمـن عصيـانه ويطلـق

كدافـق مـاء للسـراب يؤمـه * ألاّ في ضلال مـا يصـبويدفـق

بحار الأنوار : ج 32 ص 204 ح 158.
(7) سورة النور : الآية 25.
(8)المأقط : ساحة القتال.
(9) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج1 ص 233 - 235 ، البداية والنهاية : ج 7 ص 240-241، الفتوح لابن أعثم: ج2 ص309 - 312، بحار الأنوار: ج32 ص189 ح140.

المُناظرة الثامنة عشر

مناظرة الإمام الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم في بعض الأحاديث الموضوعة

روي أنّ المأمون بعدما تزوّج ابنته أم الفضل أبا جعفر عليه السلام ، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم : ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي : أنّه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا محمد ! إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبا بكر هل هو عنّي راضٍ فإنّي عنه راض. (1)

فقال ابو جعفر عليه السلام : لست بمنكر فضل أبي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع : قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عزّ وجلّ وسنتي ، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به (2) وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله ، قال الله تعالى : (وَلَقَد خَلَقْنَا الإنسانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحنُ أقرَبُ إلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) (3) فلله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سرّه ؟ هذا مستحيل في العقول !

ثمّ قال يحيى بن أكثم : وقد روي : أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء (4).

فقال عليه السلام : وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قطّ ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك ، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبّههما بهما.

قال يحيى : وقد روي أيضاً : أنهما سيدا كهول أهل الجنة (5) فما تقول فيه ؟

فقال عليه السلام : وهذا الخبر محال أيضاً ، لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شباناً ولا يكونُ فيهم كهل ، وهذا الخبر وضعه بنو أُمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما سيدا شباب أهل الجنّة. (6)

فقال يحيى بن أكثم : وروي : أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنّة. (7)

فقال عليه السلام : وهذا أيضاً محال ، لأنّ في الجنة ملائكة الله المقربين ، وآدم ومحمد صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والمرسلين ، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر ؟ !

فقال يحيى بن أكثم : وقد روي : أنّ السكينة تنطق على لسان عمر. (8)

فقال عليه السلام : لست بمنكر فضل عمر ، ولكن أبا بكر أفضل من عمر ، فقال ـ على رأس المنبر ـ : « إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملت فسددوني » (9).

فقال يحيى : قد روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « لو لم أبعث لبعث عمر ». (10)

فقال عليه السلام : كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : (وَإذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوح) (11) فقد أخذ الله ميثاق النبيّين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه ، وكلّ الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : بعثت وآدم بين الروح والجسد (12) .

فقال يحيى بن أكثم : وقد روي أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : ما احتبس عنّي الوحي قط إلاّ ظننته قد نزل على آل الخطاب. (13)

فقال عليه السلام : وهذا محال أيضاً ، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبيّ صلى الله عليه وآله في نبوته ، قال الله تعالى : (اللهُ يَصطَفي من الملائكة رُسلاً ومن الناس) (14) فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممّا اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به.

قال يحيى : روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : لو نزل العذاب لما نجى منه إلاّ عمر (15).

فقال عليه السلام وهذا محال أيضاً ، لأنّ الله تعالى يقول : (وَمَا كان الله لِيُعذِبَهُمْ وأَنتَ فيهم وَما كان الله مُعَذبَهُمْ وَهم يستغفرون) (16) فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون الله (17) .

---

(1) ذكره الأَميني عليه الرحمة في الغدير : ج 5 ص 321 في سلسلة الموضوعات رقم : 65 ، قال : أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : ج 2 ص 106 من طريق محمد بن بابشاد صاحب الطامات ، ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال : ج 2 ص 302 فقال : كذب ، أقول : وقد نصّ ابن أبي الحديد في شرح النهج : ج 11 ص 49 على أنّه من وضع البكرية.
(2) وعنه بحار الأنوار : ج 2 ص 225 ح 2 ، (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) راجع : صحيح البخاري : ج 1 ص 38 ، مسند أحمد بن حنبل : ج 1 ص 78 ، مجمع الزوائد : ج 1 ص 142 ، إتحاف السادة المتقين : ج 1 ص 258 ، كنز العمال : ج 10 ص 297 ح 29498.
(3) سورة ق : الآية 16.
(4) الدر المنثور للسيوطي : ج 4 ص 107 ، كنز العمال : ج 11 ص 569 ح 32695 وج 13 ص 18 ح 36134 وص 19 ح 26137 ، وذكره الاصبهاني في حلية الأولياء : ج 4 ص 304 وقال عنه : غريب من حديث سعيد بن جبير تفرد به رباح عن ابن عجلان.
(5) صحيح الترمذي : ج 5 ص 570 ، سنن أبن ماجة : ج 1 ص 36 و 38 ، مجمع الزوائد : ج 1 ص 89 ، الإمامة والسياسة : ج 1 ص 9 - 10 ، كنز العمال : ج 11 ص 573 ح 32712 و 32713 ، وجميع أسانيد هذا الحديث ساقطة عن الاعتبار بشهادة علماء الحديث لوقوع من لا يحتج بقوله في أسانيدها أو لضعفه وعدم وثاقته ، والمتأمّل في هذا الحديث انّه وضع من قبل الأمويين في قبال حديث النبي صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام : إنهما سيدا شباب أهل الجنة. ومن أراد التوسع والاطلاع على طبيعة هذا الحديث ووضعه وسقوطه فليراجع ما كتبه المحقّق العلاّمة السيد علي الميلاني في كتابه (الإمامة في أهم الكتب الكلامية) : ص 451 تحت عنوان رسالة في حديث سيدا كهول أهل الجنة ، فإنه أشبع الموضوع وناقشه سنداً ودلالة.
وراجع : كلام الشيخ الطوسي عليه الرحمة حول الحديث المذكور في تلخيص الشافي : ج 3 ص 219. وذكره الحجّة الأَميني عليه الرحمة : في سلسلة الموضوعات : ج 5 ص 322 رقم : 71 ، قال عنه: من موضوعات يحيى بن عنبسة ، وهو ذلك الدجال الوضاع ، ذكره الذهبي في الميزان : ج 3 ص 126. الخ.
(6) راجع : المعجم الكبير للطبراني : ج 3 ص 25 - 30 ح 2598 - 2618 ، مجمع الزوائد : ج 9 ص 182 - 184 ، حلية الأولياء للأَصبهاني : ج 5 ص 71 ، مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 92 ، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ص 72 ح 129 وص 74 ح 132 وص 76 ح 133 وص 77 ح 134 وص 79 ح 138 وص 80 - 83 ح 139 - 143 ، فرائد السمطين للجويني : ج 2 ص 41 ح 374 ، وص 98 - 99 ح 409 و 410 و ص 129 ح 428 ، بحار الأنوار : ج 11 ص 164 ح 9 وج 16 ص 362 ح 62 وج 22 ص 280 ح 33 وج 25 ص 360 ح 18.
(7)الرياض النضرة لمحب الدين : ج 2 ص 311 ، كنز العمال : ج 11 ص 577 ح 32734 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 178 ، وذكر في ص 180 ما ذكر من الاعتراض على الحديث المذكور ، قال :قالوا : وأمّا كونه سراج أهل الجنّة ، فيقتضي أنّه لو لم يكن تجلّى عمر لكانت الجنّة مظلمة لا سراج لها.
(8) ورووا في بعض الأخبار بما نصّه : إن الله جعل الحقّ على لسان عمر ، انّ الله نزل الحقّ على قلب عمر ولسانه ، انّ السكينة تنطق على لسان عمر. راجع : الرياض النضرة لمحب الدين : ج 2 ص 298 - 299 ، المستدرك للحاكم : ج 3 ص 87 ، كنز العمال : ج 11 ص 573 ح 32714 - 32718.
قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة في تلخيص الشافي : ج 2 ص 347 : وأمّا ما روي من قوله: الحق ينطق على لسان عمر ، فإن كان صحيحاً فانّه يقتضي عصمة عمر ، والقطع على أنّ أقواله كلّها حجّة ، وليس هذا مذهب أحد فيه ، لأنّه لا خلاف في أنّه ليس بمعصوم ، وأن خلافه سائغ ، وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول، وشهد لنفسه بالخطأ ، ويخالف بالشيء ثمّ يعود إلى قول من خالفه ويوافقه عليه ، ويقول : لولا علي لهلك عمر ، ولولا معاد لهلك عمر ، وكيف لا يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الاحتجاج فيها. الخ.
وراجع كلام العلاّمة الأَميني عليه الرحمة حول الحديث في الغدير : ج 8 ص 92 - 93 ، وما أُورد على الحديث من الاعتراضات راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 178- 188.
(9) راجع : تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 3 ص 224 ، مجمع الزوائد ج 5 ص 183 ، البداية والنهاية : ج 6 ص 303 ، الامامة والسياسة : ج 1 ص 22 ، كنز العمّال : ج 5 ص 587 - 588 ح 14050 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6 ص 20 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 54.
(10) راجع : فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 6 ص 356 ح 519 وص 428 ح 676 ، ضعفاء الرجال للجرجاني : ج 4 ص 1511 ، كنز العمال : ج 11 ص 581 ح 32761 - 32763 ، مجمع الزوائد: ج 9 ص 68 ، اللالىء المصنوعة : ج 1 ص 302 ، بتفاوت. ويُعد هذا الحديث من الموضوعات ، ذكره العلامة الأَميني في كتابه الغدير : ج 5 ص 312 (في سلسلة الموضوعات) رقم : 30 - عن بلال بن رباح : لو لم أُبعث فيكم لبُعث عمر.
وأخرجه ابن عدي بطريقين ، وقال : لا يصح ، زكريا كذّاب يضع ، وابن واقد (عبدالله) متروك، ومشرح بن عاهان لا يحتجّ به. وأورده بالطريقين ابن الجوزي في الموضوعات : ج1 ص 320 (ب فضل عمر بن الخطاب) ، فقال : هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمّا الأول ، فإن زكريا بن يحيى كان من الكذابين الكبار ، قال ابن عدي : كان يضع الحديث. وأمّا الثاني ، فقال أحمد : ويحيى بن عبدالله بن واقد ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك الحديث. وقال ابن حبان : انقلبت على مشرح صحائفه ، فبطل الاحتجاج به.
وأخرجه أبن عساكر في تاريخه : ج 44 ص 114 - 115 من طريق مشرح بن عاهان ، تارة بلفظ: لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر ، وتارة بلفظ : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب.
وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج : ج 12 ص 178 ، وذكر في ص 180 : ما ذكر من الاعتراض على الحديث المذكور ، قال : وقالوا : والحديث الذي مضمونه : لو لم أبعث فيكم لبعث عمر ، فيلزم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله عذاباً على عمر ، وأذى شديداً له ، لأنّه لو لم يبعث لبعث عمر نبياً ورسولاً ، ولم نعلم مرتبة أجل من رتبة الرسالة ، فالمزيل لعمر عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة ، ينبغي ألاّ يكون في الأرض أحدٌ أبغض إليه منه.
(11) سورة الأَحزاب : الآية 7.
(12) الأَسرار المرفوعة للقاري : ص 179 ح 697 ، كشف الخفاء للعجلوني : ج 2 ص 191 ، تذكرة الموضوعات للفتني : ص 86 ،

تنزيه الشريعة لابن عراق : ج 2 ص 341 ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي : ص 126 ، بحار الأنوار : ج 15 ص 353 ح 13.

(13) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 178.

(14) سورة النساء : الآية 77.

(15) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض : ج 2 ص 364 ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ج 8 ص 47 ، الدر المنثور للسيوطي : ج 4 ص 108 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 178 وقد ذكر ابن أبي الحديد الاعتراض المذكور على الحديث ، قال ـ في ص 180 ـ : قالوا : وكيف يجوز أن يقال : لو نزل العذاب لم ينج منه إلاّ عمر ، والله تعالى يقول : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم).

(16) سورة الأنفال : الآية 33.

(17) الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 446 - 449 ، وعنه بحار الأنوار : ج 50 ص 80 ح 6.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام
وفضل العترة عليهم السلام

المُناظرة التاسعة عشر

مناظرة الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام مع بعضهم حول مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وعدم إنصاف بعض الناس له

روي عن أبي محمد الحسن العسكري عليهما السلام أنّه قال : كان عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام جالساً في مجلسه ، فقال يوماً في مجلسه : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أمر بالمسير إلى تبوك ، أمر بأن يخلف عليّاً بالمدينة ، فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ! ما كنت أحب أن أتخلّف عنك في شيء من أُمورك ، وأن أغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ! أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي (1) ، تقيم [يا عليّ وإنَّ لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ، ولك مثل أجور كلّ من خرج مع رسول الله موقناً طائعاً ، وإنَّ لك على الله يا علي لمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله ، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي نسير عليها ، والأرض التي تكون أنت عليها ، ويقوي بصرك حتى تشاهد محمداً وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم ، فلا يفوتك الآنس من رؤيته ورؤية أصحابه ، ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

فقام رجل من مجلس زين العابدين عليه السلام لما ذكر هذا ، وقال له : يا بن رسول الله ! كيف يكون هذا لعليّ ؟ إنّما يكون هذا للأنبياء لا لغيرهم.

فقال زين العابدين عليه السلام : هذا هو معجزة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله لا لغيره ، لأنّ الله تعالى إنّما رفعه بدعاء محمد ، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محمد ، حتى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك.

ثمّ قال له الباقر عليه السلام : يا عبدالله ! ما أكثر ظلم كثير من هذه الأُمّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وأقل إنصافهم له ؟! يمنعون عليّاً ما يعطونه ساير الصحابة ، وعليّ أفضلهم ، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره ؟ !

قيل : وكيف ذاك يا بن رسول الله ؟

قال : لأنّكم تتولّون محبّي أبي بكر بن أبي قحافة ، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان ، وكذلك تتولون عمر بن الخطّاب ، وتتبرؤون من أعادئه كائناً من كان ، وتتولون عثمان بن عفّان ، وتتبرؤون من أعادئه كائناً من كان ، حتى إذا صار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قالوا : نتولّى محبّيه ، ولا نتبرّأ من أعدائه بل نحبّهم!!

فكيف يجوز هذا لهم ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول في علي عليه السلام : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (2) أفترونه لا يعادي من عاداه ؟ ! ولا يخذل من يخذله ؟ ! ليس هذا بإنصاف (3)!!

ثمّ أُخرى : أنّهم إذا ذكر لهم ما اختص الله به عليّاً عليه السلام بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكرامته على ربّه تعالى جحدوه ، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة ، فما الذي منع عليّاً عليه السلام ما جعله لسائر أصحاب رسول الله ؟

هذا عمر بن الخطاب ، أذا قيل لهم : إنّه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته : يا سارية الجبل ! عجبت الصحابة وقالوا : ما هذا الكلام الذي في هذه الخطبة ؟ فلمّا قضى الخطبة والصلاة قالوا : ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل ؟

فقال : اعلموا أنّي وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها إخوانكم إلى غزو الكافرين بنهاوند ، وعليهم سعد بن أبي وقّاص ، ففتح الله لي الأستار والحجب ، وقوي بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك ، وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية ، وسائر من معه من المسلمين ، فيحيطوا بهم فيقتلوهم ، فقلت : يا سارية الجبل ، ليلتجىء إليه ، فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ، ثمّ يقاتلوا ، ومنح الله إخوانكم المؤمنين أكناف الكافرين ، وفتح الله عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت ، فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوماً.

قال الباقر عليه السلام : فإذا كان مثل هذا لعمر ، فكيف لا يكون مثل هذا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ ! ولكنّهم قوم لا ينصفون بل يكابرون (5) .

(1) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي : ص 27 - 37 ح 40 - 56 ، بحار الأنوار : ج2 ص226 ح 3 ، وج 5ص 21 ح 30.
(2) راجع : مسند أحمد بن حنبل : ج 1 ص 219 ، وج 4 ص 281 وج 5 ص 370 ، مجمع الزوائد : ج 9 ص 107 ، كنز العمال : ج 13 ص 104 ح 36342 وص 138 ح 36437 وص 170 ح 36515 ، البداية والنهاية : ج 5 ص 211 و ص 212 وج 7 ص 335 ، وغيرها الكثير.
(3) إذ أن مقتضى المحبّة ومن لوازمها أيضاً هو محبّة محب المحبوب ـ كما قيل : ألف عين لأجل عين تكرمُ ـ ومعاداة عدو المحبوب ، فإن محبّة المحبوب وموالاة أعدائه لا تجتمعان ، قال الشاعر :

تودُّ عدوي ثم تزعم أنني * صديقك ، إنَّ الرّأي عنك لعازبُ

وقال شاعر آخر :

صديق صديقي داخل في صداقتي * صديق عدوي ليس لي بصديق

فإذا كان هذا هو مقتضى الصداقة والأخوة ، فكيف بمن هم ولاة الدين وحماته ، ومن كان أخاً لرسول الله عليه السلام ونفسه بنص الآية الشريفة (وأنفسنا وأنفسكم) ذلك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، أضف إلى ذلك نص الأدلة الآمرة بولايته ومعاداة أعدائه ، والبراءة منهم ، وأن المحب له عليه السلام محبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن مبغضه مبغضاً له صلى الله عليه وآله وأن بغض أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجتمعان ، وإليك بعض الأحاديث في ذلك على سبيل المثال :
1 ـ قوله صلى الله عليه وآله : محبّك محبّي ومبغضك مبغضي. (كنز العمال : ج 11 ص 622 ح 33023).
2 ـ قوله صلى الله عليه وآله : يا علي كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك. (ميزان الاعتدال : ج 3 ص 596 ترجمة رقم : 7707 ، لسان الميزان : ج 5 ص 206 ترجمة رقم : 722 ، كتاب المجروحين لابن حبان : ج 2 ص 310).
3 ـ قوله صلى الله عليه وآله :من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله. (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني : ج 3 ص 288 ، كنز العمّال : ج 11 ص 601 ح 32902 وص 622 ح 33024 ، مجمع الزوائد : ج 9 ص 132).
4 ـ قوله صلى الله عليه وآله : هذا وليّي وأنا وليه ، عاديت من عاداه وسالمت من سالمه.
5 ـ قوله صلى الله عليه وآله : عدوك عدوي ، وعدوي عدو الله عزّ وجلّ.
6 ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام : يهلك فيَّ ثلاثة : اللاعن والمستمع المقرّ ، وحامل الوزر ، وهو الملك المترف ، الذي يُتقرب إليه بلعنتي ، ويُبرأ عنده من ديني ، وينتقص عنده حسبي ، وإنما حسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وديني دينه ، وينجو فيَّ ثلاثة : من أحبني ، ومن أحبَّ محبي ، ومن عادى عدوي ، فمن أشرب قلبه بغضي أو ألَبَ على بغضي ، أو انتقصني ، فليعلم أنَّ الله عدوه وخصمه (وجبرئيل) والله عدو للكافرين (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 4 ص 105 - 107).
(4) هو سارية بن زنيم الدنلي ، والقصّة مذكورة في الكامل لابن الأثير : ج 3 ص 42 عند ذكره (فتح فسا ودارابجرد) ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 4 ص 178 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص125 (فصل في كراماته) ، دلائل النبوة لأبي نعيم : ج 2 ص 578 - 581 ح 525 - 528 ، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي : ص 155 - 156 ، الرياض النضرة لمحب الدين : ج 2 ص 326 - 327.
(5) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص 561 - 563 ح 331 ، الأحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 330 - 331 ، بحار الأنوار : ج 21 ص 238 - 240 ح 24.

المُناظرة العشرون

مناظرة الإمام الكاظم عليه السلام مع عبدالله بن نافع في مسألة قتال أميرالمؤمنين عليه السلام لأهل النهروان

الكليني : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسين بن يزيد النوفليّ ، عن عليّ بن داود اليعقوبي ، عن عيسى بن عبدالله العلوي ، قال : وحدّثني الأسيديّ ومحمد بن مبشّر أنّ عبدالله بن نافع الأزرق كان يقول : لو أنّي علمت أنّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا ، يخصمني أنّ علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم ، لرحلت إليه.

فقيل له : ولا ولده ؟

فقال : أفي ولده عالم ؟

فقيل له : هذا أوّل جهلك ، وهم يخلون من عالم ؟ !

قال : فمن عالمهم اليوم ؟

قيل : محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام.

قال : فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة ، فاستأذن على أبي جعفر عليه السلام.

فقيل له : هذا عبدالله بن نافع.

فقال : وما يصنع بي وهو يبرء منّي ومن أبي طرفي النهار.

فقال له أبو بصير الكوفي : جعلت فداك إنَّ هذا يزعم أنّه لو علم أنّ بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أنّ علياً عليه السلام قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أتراه جاءني مناظراً ؟

قال : نعم.

قال : يا غلام اخرج فحطّ رحله وقل له : إذا كان الغد فأتنا.

قال : فلمّا أصبح عبدالله بن نافع غدا في صناديد أصحابه ، وبعث أبوجعفر عليه السلام إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم ، ثمَّ خرج إلى الناس في ثوبين ممغّرين ، وأقبل على الناس كأنّه فلقة قمر ، فقال : الحمد لله محيّث الحيث ، ومكيّف الكيف ، ومؤيّن الأين ، الحمد لله الّذي (لاَ تَأخذه سنَة وَلاَ نَوم لَه مَا في السموات وَمَا في الأرض) إلى آخر الآية (1) ـ وأشهد أن لا إله إلاّ الله [وحده لا شريك له] وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، الحمد لله الّذي أكرمنا بنبوّته ، واختصّنا بولايته ، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في عليّ بن أبي طالب عليه السلام فليقم وليتحدَّث ؟

قال : فقام الناس فسردوا تلك المناقب.

فقال عبدالله : أنا أروي لهذه المناقب من هؤلاء ، وإنّما أحدث عليٌّ الكفر بعد تحكيمه الحكمين ـ حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر لأعطينَّ الرَّاية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه (2).

فقال أبو جعفر عليه السلام : ما تقول في هذا الحديث ؟

فقال : هو حقٌّ لا شكّ فيه ، ولكن أحدث الكفر بعد.

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أخبرني عن الله عزّ وجلّ أحبَّ عليّ بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم ؟

قال ابن نافع : أعد عليَّ ؟!

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أخبرني عن الله جلّ ذكره أحبَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم أحبّه ، وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم ؟

قال : إن قلت : لا ، كفرت. قال : فقال : قد علم.

قال : فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته ؟

فقال : على أن يعمل بطاعته.

فقال له أبو جعفر عليه السلام : فقم مخصوماً.

فقام وهو يقول : (حتّى يتبيّن لَكُم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (3) والله أعلم حيث يجعل رسالته. (4)

---

(1) سورة البقرة : الآية 255.
(2) يُعد هذا الحديث من المتواترات ، فقد رواه الجمهور في الصحاح والسنن ، فراجع على سبيل المثال : مسند أحمد بن حنبل : ج 1 ص 99 ، مجمع الزوائد للهيثمي : ج 6 ص 150 وج 9 ص 124 ، المعجم الكبير للطبراني : ج 18 ص 237 - 238ح 594 - 598 ، إتحاف السادة المتّقين للزبيدي : ج 1 ص 106 وج 7 ص 188 ، البداية والنهاية لابن كثير : ح 7 ص 225 و 338 و 341 ، حلية الأولياء للأصفهاني : ج 4 ص 356 ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج 2 ص 604 ح 1034 وص 607 ح 1037 وص 659 ح 1122 ، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي : ص 176 - 189 ح 213 - 224.
(3) سورة البقرة : الآية 187.
(4) الروضة من الكافي للكليني : ج 8 ص 349 - 351 ح 548.

المُناظرة الحادية والعشرون

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع علماء أهل العراق وخراسان في فضل العترة على الأُمّة
عن الريان بن الصلت (1) قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو (2) وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان.
فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنا) (3) .
فقالت العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الاُمّة كلها.
فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟
فقال الرضا عليه السلام : لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة (4) .
فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأُمّة ؟
فقال الرضا عليه السلام : إنّه لو أراد الاُمّة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عزّ وجلّ: (فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرات بِإذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ) (5) ، ثمّ جمعهم كلهم في الجنة فقال عزّ وجلّ : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدخُلُونَها يُحَلَّونَ فيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) (6) الآية ، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.
فقال المأمون: من العترة الطاهرة ؟
فقال الرضا عليه السلام : الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ: (إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُمْ تَطهيراً) (7) وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، أيها الناس لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم (8) .
قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل ؟
فقال الرضا عليه السلام : هم الآل .
فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنّه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه ، (آل محمد أُمته).
فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل ؟
فقالوا: نعم .
قال: فتحرم على الاُمّة.
قالوا: لا.
قال: هذا فرق بين الآل والاُمّة ، ويحكم أين يذهب بكم ؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟
قالوا: ومن أين يا أبا الحسن ؟
فقال من قول الله عزّ وجلّ: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإبْراهيم وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُبوَّةَ وَالكتابَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ منهم فَاسِقون) (9) فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم أن نوحاً حين سأل ربه عزّ وجلّ : (فَقَالَ رَبِّ إنَّ ابني من أَهْلي وَإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ وأنتَ أحكمُ الحاكمين) (10) ـ وذلك ـ أن الله عزّ وجلّ وعده أن ينجيه وأهله فقال ربّه عزّ وجلّ: (يا نُوحُ إنَّه ليس من أهلِك إنَّه عملٌ غيرُ صالحٍ فلا تسئَلنِ ما ليس لك بِهِ علمٌ إني أَعِظُك أن تكون من الجاهلين) (11) .
فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟
فقال أبو الحسن: إن الله عزّ وجلّ أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.
فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب الله ؟
فقال له الرضا عليه السلام : في قول الله عزّ وجلّ: (إنَّ اللهَ اصطفى آدَمَ ونُوحاً وَآلَ إبراهيمَ وآل عِمرانَ على العالمين ، ذرِّيَّةً بَعضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليم) (12).
وقال عزّ وجلّ في موضع آخر: (أم يحسُدُونَ النّاس على ما آتيهُمُ اللهُ من فضلِه فقد آتينا آلَ إبراهيم الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم مُلكاً عظيماً) (13) ثمّ ردَّ المخاطبة في أثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال: (يا أيُّها الذين آمنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأمرِ منكُم) (14) يعني الذي قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عزّ وجلّ: (أم يحسُدُونَ النّاس على ما آتيهُمُ اللهُ من فضلِه فقد آتينا آلَ إبراهيم الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم مُلكاً عظيماً) يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك هنا هو الطاعة لهم.
فقالت العلماء: فأخبرنا هل فسَّر الله عزّ وجلّ الاصطفاء في الكتاب؟
فقال الرضا ـ عليه السلام ـ : فسَّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً .

فأوّل ذلك قوله عزّ وجلّ: (وأنذِر عشيرَتَكَ الأقرَبين) (15) ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أُبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبدالله بن مسعود، وهذة منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عالٍ حين عنى الله عزّ وجلّ بذلك الإنذار فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله فهذه واحدة .
والآية الثانية في الاصطفاء قوله عزّ وجلّ: (إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُمْ تَطهِيراً) (16) وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلاّ معاند ضال لأنَّه فضل بعد طهارة تنتظر ، فهذه الثانية .
وأمّا الثالثة فحين ميَّز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عزّ وجلّ: يا محمد (فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أبنَاءَنَا وأبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ) (17) فبرز النبي صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة ـ صلوات الله عليهم ـ وقرن أنفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله: (وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم) ؟
قالت العلماء: عنى به نفسه.
فقال أبو الحسن عليه السلام : لقد غلطتم إنما عنى بها علي بن أبي طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لابعثن إليهم رجلاً كنفسي (18) يعني علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وعنى بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام وعنى بالنساء فاطمة عليها السلام فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد ، وفضل لا يلحقهم فيه بشر ، وشرف لا يسبقهم إليه خلق ، إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة.
وأمّا الرابعة فإخراجه صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلّم الناس في ذلك ، وتكلَّم العبّاس فقال: يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن الله عزّ وجلّ تركه وأخرجكم (19) وفي هذا تبيان قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى (20) .
قالت العلماء: وأين هذا من القرآن ؟
قال أبو الحسن : أوجِدُكم في ذلك قرآناً وأقرأه عليكم .
قالوا: هات .
قال: قول الله عزّ وجلّ : (وَأَوحَينَا إلى مُوسى وَأَخِيهِ أن تَبَوَّءا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتاً واجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً) (21) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ومع هذا دليل واضح في قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد صلى الله عليه وآله (22) .
قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها (23)؟ ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند والحمد لله عزّ وجلّ على ذلك ، فهذه الرابعة.
والآية الخامسة قول الله عز وجل : (وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) (24) خصوصية خصَّهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأُمة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة ، فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبَّيك يا رسول الله فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لك لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك (25) ، فهذه الخامسة.
والآية السادسة قول الله عزّ وجلّ : (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى) (26) وهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة وخصوصية للآل دون غيرهم وذلك أن الله عزّ وجلّ حكى في ذكر نوح في كتابه: (ويَا قَومِ لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مَالاً إن أَجرِيَ إلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِم وَلَكِنِّي أَرَاكُم قَوماً تَجهَلُونَ) (27) وحكى عز وجل عن هود أنه قال: (ويَا قَومِ لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إن أَجرِيَ إلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعقِلونَ) (28) وقال عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وآله : قل: يا محمد (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى) ولم يفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلال أبداً.
وأخرى أن يكون الرجل واداً للرجل فيكون بعض أهل بيته عدواً له فلا يسلم له قلب الرجل ، فأحب الله عز وجل أن لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين شيء ففرض عليهم الله مودة ذوي القربى ، فمن أخذ بها أحبَّ رسولالله صلى الله عليه وآله وأحبَّ أهل بيته لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه ، ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته فعلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه ، لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ فأي فضيلة وأي شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيه صلى الله

عليه وآله : (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى) (29) ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إن الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدوه ؟ فلم يجبه أحدٌ فقال: يا أيها الناس إنه ليس بذهبٍ ولا فضةٍ ولا مأكولٍ ولا مشروب فقالوا: هات إذاً فتلا عليهم هذه الآية فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى بها أكثرهم.

وما بعث الله عزّ وجلّ نبياً إلاّ أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً لأن الله عزّ وجلّ يوفيه أجر الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وآله فرض الله عزّ وجلّ مودة طاعته ومودة قرابته على أُمّته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم فإن المودة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل ، فلما أوجب الله تعالى ثَقُل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسَّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفا وعاند أهل الشقاق والنفاق وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حده الذي حده الله عزّ وجلّ فقالوا: القرابة هم العرب كلهم وأهل دعوته.

فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أن المودة هي القرابة فأقربهم من النبي صلى الله عليه وآله أولاهم بالمودة وكلما قربت القرابة كانت المودة على قدرها ، وما أنصفوا نبي الله صلى الله عليه وآله في حيطته ورأفته وما منَّ الله به على أُمّته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه : أن لا يؤذوه في ذريته وأهل بيته وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظاً لرسول الله فيهم ، والذين فرض الله تعالى مودتهم ووعد الجزاء عليها، فما وفى أحد بها فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمناً مخلصاً إلا استوجب الجنة لقول الله عز وجلّ في هذه الآية: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُم مَا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِم ذَلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبِيرُ ، ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى) (30) مفسراً ومبيناً (31) .

ثمّ قال أبو الحسن عليه السلام : حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله فقالوا: إن لك يا رسول الله مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها باراً مأجوراً ، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج قال: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه الروح الأمين فقال: يا محمد (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى) يعني أن تودوا قرابتي من بعدي ، فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلاّ ليحثنا على قرابته من بعده إنْ هو إلاّ شيءٌ افتراه في مجلسه ! وكان ذلك من قولهم عظيماً فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: (أَم يَقُولُونَ افتَرَاهُ قُل إِنِ افتَرَيتُهُ فَلاَ تَملِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيئاً هُوَ أَعلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَينِي وَبَينَكُم وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) (32) فبعث عليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل من حدث ؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه ، فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الآية ، فبكوا واشتد بكاؤهم فأنزل عزّوجلّ: (وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعلَمُ مَا تَفعَلُونَ) (33) فهذه السادسة.

وأمَّا الآية السابعة فقول الله عزّ وجلّ: (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيماً) (34) قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك ؟ فقال: تقولون: الله م صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد (35) .

فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف ؟

فقالوا: لا.

فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأُمّة فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن ؟

فقال أبو الحسن: نعم ، أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ : (يس ، وَالقُرآنِ الحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ) (36) فمن عنى بقوله يس ؟

قالت العلماء: يس محمد صلى الله عليه وآله لم يشك فيه أحد قال أبو الحسن: فإن الله عزّ وجلّ أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عَقَلَه ، وذلك أن الله عزّ وجلّ لم يسلِّم على أحد إلا على الأنبياء - صلوات الله عليهم - فقال تبارك وتعالى : (سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ) (37) وقال: (سَلاَمٌ على إبراهيم) (38) وقال: (سَلاَمٌ عَلَى مُوسى وَهَارونَ) (39) ولم يقل: سلامٌ على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عزّ وجلّ : (سَلاَمٌ على آل يَاسِينَ) (40) يعني آل محمد (41) - صلوات الله عليهم - .

فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه فهذه السابعة.

وأمّا الثامنة فقول الله عزّ وجلّ: (واعلموا أنّما غَنِمتُم من شيءٍ فأنَّ للهِ خُمسَهُ وللرسُول ولِذِي القُربى) (42) فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسول الله صلى الله عليه وآله فهذا فضل أيضاً بين الآل والأُمة لأن الله تعالى جعلهم في حيّزٍ وجعل الناس في حيّزٍ دون ذلك ، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه فبدأ بنفسه ثم ثنّى برسوله ثم بذي القربى فكل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عزّ وجلّ لنفسه فرضيه لهم فقال

وقوله الحق: (واعلموا أنّما غَنِمتُم من شيءٍ فأنَّ للهِ خُمسَهُ وللرسُول ولِذي القُربى) فهذا تأكيد مؤكد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد) (43) .
وأمّا قوله (واليتامى والمساكين) (44) فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحل له أخذه ، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغني والفقير منهم لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّ وجلّ ولا من رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله صلى الله عليه وآله فما رضيه لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله رضيه لهم ، وكذلك الفيء ما رضيه منه لنفسه ولنبيه صلى الله عليه وآله رضيه لذي القربى كما أجراهم في الغنيمة ، فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم ، وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وكذلك في الطاعة قال: (يا أيُّها الذين آمنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأمرِ مِنكُم) (45) فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته ، كذلك آية الولاية: (إنّما وليُّكم اللهُ ورسولهُ والذينَ آمَنُوا الّذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاة وهم راكِعُون) (46) فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته ، كذلك ولا يتهم مع ولاية الرسول مقرونة بطاعته كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه في الغنيمة والفيء فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال: (إنَّما الصَّدقاتُ للفقراءِ والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قُلوبُهم وفي الرِقابِ والغارمينَ وفي سبيل اللهِ وابن السبيلِ فريضةً من الله) (47) فهل تجد في شيء من ذلك أنّه سمَّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى لأنه لما نزّه نفسه عن الصدقة ونزَّه رسوله ونزَّه أهل بيته لا بل حرَّم عليهم لأن الصدقة محرَّمة على محمد وآله وهي أوساخ أيدي الناس لا يحل لهم لأنهم طُهِّروا من كل دنس ووسخ فلما طهَّرهم الله عزّ وجلّ واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عزّ وجلّ فهذه الثامنة.
وأمّا التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل: (فاسألوا أهلَ الذِكرِ إن كُنتُم لا تعلمون) (48) فنحن أهل الذكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون.
فقالت العلماء: إنّما عنى الله بذلك اليهود والنصارى.
فقال أبو الحسن عليه السلام : سبحان الله ! وهل يجوز ذلك ؟ إذاً يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنّه أفضل من دين الإسلام . فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن ؟
فقال أبو الحسن عليه السلام : نعم ، الذكر رسول الله ونحن أهله وذلك بيِّنٌ في كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول في سورة الطلاق: (فاتَّقوا اللهَ يا أُولي الألباب الذين آمَنُوا قد أنزلَ اللهُ إليكُم ذِكراً رسُولاً يتلو عليكُم آياتِ اللهِ مُبيناتٍ) (49) فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله (50) ونحن أهله فهذه التاسعة.
وأمّا العاشرة فقول الله عزّ وجلّ في آية التحريم: (حُرِّمت عليكُم أمّهاتُكُم وبناتكُم وأخواتُكُم) (51) فأخبروني هل تصلح ابنتي وابنة ابني وما تناسل من صلبي لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوَّجها لو كان حياً؟
قالوا: لا .
قال: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوَّجها لو كان حياً ؟
قالوا: نعم .
قال: ففي هذا بيان لأني أنا من آله ، ولستم من آله ، ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتي لأني من آله وأنتم من أُمّته ، فهذا فرق بين الآل والأُمّة لأن الآل منه ، والأُمّة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة.
وأمّا الحادية عشرة فقول الله عزّ وجلّ في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إيمانَهُ أَتَقتلُونَ رَجُلاً أَن يَقولَ رَبّيَ اللهُ وَقَد جاءَكُم بِالبيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُم) (52) إلى تمام الآية ، فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يُضِفهُ إليه بدينه ، وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله بولادتنا منه وعممنا الناس بالدين فهذا فرق بين الآل والأُمة فهذه الحادية عشرة .
وأمّا الثانية عشرة فقوله عزّ وجلّ: (وَامُر أَهلَكَ بِالصَّلاةِ واصطَبِر عَلَيهَا) (53) فخصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأُمّة بإقامة الصلاة ثمّ خصصنا من دون الأُمّة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمسَ مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله ، وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم.
فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأُمّة خيراً فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلاّ عندكم (54) .

(1) هو: الريّان أبو علي بن الصلت البغدادي الأَشعري القمّي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه ، كان ثقة صدوقاً، له كتاب جمع فيه كلام الرضا عليه السلام في الفرق بين الآل والأئمّة عليهم السلام ، وله روايات نافعة في الأحكام وفي أحوال الرضا عليه السلام مذكورة في كتب الفروع والأصول كما له رواية مفصلة حاكية لبيانات من الرضا عليه السلام في فضل أهل البيت عليهم السلام أذعن بها المأمون والحاضرون في مجلسه من علماء أهل العراق وخراسان. انظر ترجمته في: تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 1 ص 436 ترجمة رقم : 4183.

(2) مَرْو الشاهجان: هي أشهر مدن خراسان، وقصبتُها وهي العظمى ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً، وإلى سرخس ثلاثون فرسخاً، وبها نهر الرَّزيق والشاهجان، وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها، ومنها يسقي أكثر ضياعها. مراصد الاطلاع: ج 3 ص 1262 .

(3) سورة فاطر: الآية 32 .

(4) قد جاء في الأخبار أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ، راجع : شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي : ج 2 ص 155 - 157 ح782 - 783 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ب 30 ص 104 ، غاية المرام للبحراني : ب 51 و 52 ص 351.

(5) سورة فاطر: الآية 32 .

(6) سورة فاطر: الآية 33 .

(7) سورة الأحزاب : الآية 33 .

(8) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة وقد أخرجه علماء السنة في كتبهم من الصحاح والسنن منها: مسند أحمد بن حنبل : ج 3 ص 14 و17 ، صحيح مسلم : ج4 ص 1874 ح37، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ب 4 ص 30 ، فرائد السمطين : ج2 ص 142 ح436 - 441، الصواعق المحرقة لابن حجر : ص 149 و228 ، بحار الأنوار للمجلسي: ج23 ص 108 ح11 و 12 و ص 134 ح 72 ، وص 147 ح 109.

(9) سورة الحديد: الآية 26 .

(10) سورة هود: الآية 45 .

(11) سورة هود : الآية 46 .

(12) سورة آل عمران: الآية 33 و34 .

(13) سورة النساء: الآية 54 .
فقد روي أن هذه الآية الشريفة نزلت في أهل البيت عليهم السلام وأنّهم هم المحسودون، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية أنّه قال: نحن الناس المحسودون والله .
راجع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ب 59 ص 298 ، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي : ص 152، نور الابصار للشبلنجي : ص 102 ط السعيدية وص 124 نشر دار الفكر، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج1 ص183 - 185 ح195 - 198 ، مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي الشافعي : ص267 ح314 ، الغدير للأميني : ج3 ص 61 .

(14) سورة النساء: الآية 59 .
فقد ذكر المفسرون وغيرهم أن المراد بـ (أُولي الأمر) هم علي عليه السلام والأئمّة من ولده.
راجع : شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج1 ص 189 ح202 - 203 ، التفسير الكبير للرازي : ج10 ص 144، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 134 و137 ط الحيدرية وص 114 و117 ط إسلامبول، فرائد السمطين : ج1 ص 314 ح250، إحقاق الحق للتستري : ج3 ص 424 .

(15) سورة الشعراء: الآية 214 . فقد روي أنّه لما نزلت هذه الآية جمع النبي صلى الله عليه وآله عشيرته وكانوا أربعين رجلاً ووضع لهم طعاماً وبعد أن فرغوا قال لهم صلى الله عليه وآله : يا بني هاشم من منكم يؤازرني على أمري هذا ؟ فلم يجبه أحد فقال علي عليه السلام : أنا يا رسول الله أوازرك، قالها ثلاثاً، وفي كل مرة يجيب علي أنا يا رسول الله فأخذ برقبته وقال: أنت وصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة فقد رواه جل الحفاظ والعلماء.
راجع : شواهد التنزيل للحسكاني : ج1 ص485 ح514 و580 ، ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي : ج1 ص 97 - 105 ح133 - 140، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج13 ص 210 و244 ، تاريخ الطبري: ج2 ص319- 321.

(16) سورة الأحزاب : الآية 33 .

(17) سورة آل عمران: الآية 61 .
فقد أجمع الجمهور على أن هذه الآية الشريفة نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وذلك لما أراد المباهلة مع نصارى نجران .
راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج1 ص 155 - 166 ح168 - 176، المستدرك للحاكم : ج3 ص 150 ، أسباب النزول للواحدي : ص 58 - 59، صحيح مسلم : ج4 ص 1871 ح32، سنن الترمذي : ج5 ص 210 ح 2999 ، إحقاق الحقّ للتستري : ج3 ص 46 - 62 .

(18) راجع: مجمع الزوائد : ج7 ص 110، فضائل الصحابة لابن حنبل : ج2 ص 571 ح966 وص 593 ح1008 ، الكتاب المصنف لابن أبي شيبة : ج12 ص85 ح12186، المطالب العلية لابن حجر : ج4 ص 56 ح3949 .

(19) راجع : المستدرك للحاكم : ج3 ص 125، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ص203، ينابيع المودة للقندوزي : ص 87 ، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي : ج1 ص 279 ح324، إحقاق الحق : ج5 ص 546- 585، الغدير للأميني : ج3 ص 202 .

(20) راجع : صحيح البخاري : ج5 ص 24، صحيح مسلم : ب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ج4 ص 1870 ح30 ، سنن الترمذي : ج5 ص 596 ح3724 وص 598 ح3730 ، مسند أحمد بن حنبل : ج1 ص179 وج3 ص 32 ، المستدرك للحاكم : ج3

ص109 ، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر : ج1 ص 125 ح150 وغيرها الكثير.
(21) سورة يونس: الآية 87 .
(22) راجع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ب 17 ص 87 - 88.
(23) راجع: المستدرك للحاكم : ج3 ص 127 ، مجمع الزوائد : ج9 ص 114 ، المعجم الكبير للطبراني: ج11 ص 65 - 66 ، تاريخ بغداد : ج4 ص 348 ، كنز العمّال : ج11 ص 614 ح32979 ، ذخائر العقبى : ص 77 ، وقد أفردت لهذا الحديث كتب مستقلة، مثل كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للمغربي.
(24) سورة الإسراء: الآية 26 .
(25) راجع: الدر المنثور للسيوطي : ج5 ص 273 في تفسير قوله تعالى: (وآت ذا القربى حقه)، شواهد التنزيل للحسكاني : ج1 ص 438 - 442 ح467 - 473 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 49 و140 ط الحيدرية وص 119 ط إسلامبول، إحقاق الحقّ للتستري : ج3 ص 549، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ج3 ص 136 وغيرها.
(26) سورة الشورى: الآية 23 .
فقد روى الجمهور أنّ هذه الآية نزلت في قربى النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين : .
راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج2 ص 189 - 211 ح 822 - 844، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي : ص 169 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 91 و93 و313 ط الفارابي وص 31 و32 و175 و178 ط الغري، التفسير الكبير للرازي : ج27 ص 166 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 106 و194 و261 ط إسلامبول وص 123 و229 و311 ط الحيدرية، فرائد السمطين : ج1 ص 20 وج 2 ص13 ح359 ، إحقاق الحق للتستري : ج3 ص 2 - 22 .
(27) سورة هود : الآية 29 .
(28) سورة هود: الآية 51 .
(29) سورة الشورى: الآية 23 .
(30) سورة الشورى: الآية 22 و23 .
(31) هكذا في الأصل .
(32) سورة الأحقاف: الآية 8 .
(33) سورة الشورى: الآية 25 .
(34) سورة الأحزاب: الآية 56 .
(35) راجع: صحيح البخاري كتاب التفسير ب قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلّون على النبي...) ج6 ص 151 ، صحيح مسلم كتاب الصلاة ب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله : ج1 ص 305 ح 65 و 66 ، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص146، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 295 ط إسلامبول وص 354 ط الحيدرية، فرائد السمطين ج1 ص 31 - 34 ح9، وغيرها الكثير .
(36) سورة يس: الآية 1 - 4 .
(37) سورة الصافات: الآية 79 .
(38) سورة الصافات: الآية 109 .
(39) سورة الصافات الآية 120 .
(40) سورة الصافات: الآية 130 .
(41) راجع: نظم درر السمطين: ص 94 ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج4 ص 22 ، الدر المنثور للسيوطي : ج7 ص 120 ، ينابيع المودة للقندوزي : ب 29 ص 295.
(42) سورة الأنفال: الآية 41.
فقد روي أن المقصود من (ذي القربى) هم: أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي : ج1 ص 285 - 289 ح292 - 298 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 50 ط الحيدرية وص 45 ط إسلامبول، جامع البيان للطبري : ج10 ص 5 .
(43) سورة فصلت: الآية 42 .
(44) سورة الأنفال : الآية 41 .
(45) سورة النساء: الآية 59 .
(46) سورة المائدة: الآية 55 .
نزول هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام مما اتفق عليه المفسرون والمحدّثون.
راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي : ج1 ص 209 - 239 ح216 - 240 ، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج2 ص 409 ح915 و916، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ص 228 و 250 و251 ط الفارابي وص 106 و122 و123 ط الغري، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 115 ط إسلامبول وص 135 ط الحيدرية، التفسير الكبير للرازي : ج12 ص 20 و26 ، إحقاق الحقّ : ج2 ص 399، الغدير للأميني : ج2 ص 52 وج 3 ص 156، وغيرها الكثير.
(47) سورة التوبة: الآية 60 .
(48) سورة النحل: الآية 43 .
فقد روى الجمهور أن هذه الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام . راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج 1 ص 432 - 437 ح459 - 466، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 51 و140 ط الحيدرية وص 46 و119 ط إسلامبول، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج11 ص 272 ، جامع البيان للطبري : ج14 ص 75، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج2 ص 591 ، روح المعاني للآلوسي: ج14 ص 147 ، إحقاق الحق للتستري : ج3 ص 482.
(49) سورة الطلاق: الآية 10 و11 .
(50) راجع: الدر المنثور للسيوطي: ج8 ص 209 .
(51) سورة النساء : الآية 23 .

(52) سورة غافر (المؤمن): الآية 28 .
(53) سورة طه: الآية 132 .
(54) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج2 ص207 - 217 ب 23.

المُناظرة الثانية والعشرون

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي في أكبر فضيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام

قال الشيخ الصدوق ـ عليه الرحمة ـ : وحدّثني الشيخ أدام الله عزه أيضاً قال المأمون للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن.

قال: فقال له الرضا عليه السلام : فضيلته في المباهلة قال الله جل جلاله: (فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جاءَك مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أبنَاءَنَا وأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ) (1) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ودعا فاطمةعليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عزّ وجلّ .

قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنّما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنيه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنّما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وحدها فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل.

قال: فقال له الرضا عليه السلام : ليس بصحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين ، وذلك أن الداعي إنّما يكون داعياً لغيره ، كما يكون الآمر آمراً لغيره ، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة ، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسولالله صلى الله عليه واله رجلاً في المباهلة إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه ، وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

قال: فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال (2) .

---

(1) سورة آل عمران: الآية 61 .

(2) الفصول المختارة للمفيد : ص 17 - 18 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 10 ص 350 - 351 ح10.

المُناظرة الثالثة والعشرون

مناظرة البهلول مع عمرو بن عطاء في فضل أهل البيت عليهم السلام
حكى صاحب المجالس عن الشيخ الأجل المتكلم محمد بن جرير بن رستم الطبري انّه روى في كتاب الايضاح أن البهلول كان ماراً في بعض أزقة البصرة فرأى جماعة يسرعون في المشي أمامه فقال لرجل منهم : هؤلاء البهائم الشاردون بلا راع إلى أين يذهبون ؟!
فقال له ذلك الرجل من باب المزاح : يطلبون الماء والكلأ !!
فقال له البهلول : كيف ذلك مع قلة الحمى والمنع الشديد ، والله لقد كان العلف كثيراً رخيصاً ولكنهم أحرقوه بالنار ، ثم أنشد هذه الأبيات :

برئت إلى الله من ظالم لسبط النبي أبي القاسم
ودنت إلهي بحب الوصي وحب النبي أبي فاطم
وذلك حرز من النائبات ومن كل متهم غاشم
بهم أرتجي الفوز يوم المعاد وأنجو غداً من لظى ضارم

فلما سمعوا كلامه رجعوا إليه ، وقالوا له : إنهم ذاهبون إلى مجلس والي البصرة محمد بن سليمان ابن عم الرشيد .
فقال : لأي شيءٍ تذهبون إليه ؟
فقالوا : إن عمرو بن عطاء العدوي من أولاد عمر بن الخطاب ، ومن علماء الزمان حضر مجلسه ، ونريد تحقيق حاله ومعرفة مبلغ فضله وكماله ، وإن كنت تذهب معنا لتناظره كان ذلك حسناً !
فقال لهم بهلول : ويلكم ، مجادلة العاصي توجب زيادة جرأته على العصيان ، ويمكن أن توقع أصحاب البصيرة في الشبهة ، ولا شكّ في وجود الله تعالى ، ولا شبهة في الحق ولا التباس ، فإذا كنتم من أهل المعرفة تقنعون بما أخذتم من أهل العرفان .
فلما يئسوا منه ذهبوا إلى مجلس محمد بن سليمان ، وحكوا له ما جرى لهم مع البهلول ، فأمر غلمانه بإحضاره فأحضروه ، فلما وصل إلى قرب دار محمد بن سليمان ، قام عمرو بن عطاء العدوي واستأذن محمد بن سليمان في مناظرة بهلول؟ فإذن له .
فلما وصل بهلول إلى الدار قال : السلام على من اتبع الهدى وتجنب الضلالة والغوى .
فقال عمرو بن عطاء : السلام على المسلمين ، إجلس يا بهلول ؟
فقال بهلول : أتأمرني بشيء لا مدخل لك فيه ، وتتقدم فيه على رجل فضله عليك ظاهر ، ومثلك في هذا الباب مثل رجل طفيلي على خوان رجل آخر ويريد أن يمتن على الناس ويعطيهم من هذا الخوان !!
فبقي عمرو بن عطاء مبهوتاً لا يحير جواباً !!
فحينئذٍ قال محمد بن سليمان لعمرو بن عطاء : كنت تريد أن تناظره ، وهو في حديث الورود جعلك ساكتاً مبهوتاً !
فقال بهلول : أيها الأمير هذا الأمر ليس صعباً عند الله تعالى ، أما قرأت قوله تعالى : (فبهتَ الذي كفرَ واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين) (1).
ثم قال محمد بن سليمان للبهلول : المجلس مجلسي وقد أذنت لك في الجلوس !
فدعا له بهلول فقال : عمر الله مجلسك ، وأسبغ نعمه عليك ، وأوضح برهان الحق لديك ، وأراك الحق حقاً ، وأعانك على اتباعه ، وأراك الباطل باطلاً ، وأعانك على اجتنابه .
فقال عمرو بن عطاء : يا بهلول التزم طريق الحق وابتعد عن الهزل ، وتكلم كلاماً حسناً !؟
فقال بهلول : ويلك ! هل يوجد كلام أحسن من هذا الكلام الإلهي ؟ وهل يوجد كلام جدي غيره ؟ فأنت تكلم كلاماً تقياً ، ولا تشر إلى عيوب الناس قبل أن تنظر في عيب نفسك !
فقال عمرو بن عطاء : أنت ترى نفسك من مشهوري زمانك ، وتدعي الاطلاع على المعارف ، فأريد إما أن تسألني أو أسألك ؟

فقال بهلول : لا أحب أن أكون سائلاً ولا مسؤلاً !!
فقال العدوي : لماذا ؟
قال : لأني إذا سألتك عن شيء لا تعلمه ؟ لا تقدر أن تجيبني عنه ، وإذا سألتني تسألني بطريق أهل التعنت والعناد ؟ فيختلط الحق بالباطل ، والذين هم كذلك نهى الله تعالى عن مجالستهم بقوله تعالى : (وإذا رأيتَ الَّذينَ يَخُوضونَ في آياتِنا فأعرِض عنهُم حتى يخُوضُوا في حديثٍ غَيرهِ وإما يُنسينَّكَ الشيطانُ فلا تقعُد بعدَ الذكرى مع القومِ الظالمين) (2).
فقال العدوي : إن كنت من أهل الإيمان ، فقل لي ما هو الإيمان ؟
فقال بهلول : قال مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : الإيمان عقد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل الجوارح والأركان . (3)
فقال العدوي : تقول ان إمامك الصادق ! فيظهر من هذا انه في زمانه لم يكن صادق غيره ؟
فقال بهلول : هو كذلك (4) ، ومع ذلك فهذا يجري عليك فإن سُميَّ أبا بكر الصديق ، فهل في زمانه لم يكن صديق غيره ؟!
فقال العدوي : بلى ، لم يكن غيره ؟
فقال بهلول : كلامك هذا ردٌ على الكتاب والسنة ، أما الكتاب : فلأن الله تعالى جعل من آمن بالله ورسوله صدِّيقاً ، فقال : (والذين آمنوا بالله ورسُله أولئك هُمُ الصديقُون) (5) ، وأما السنة فلأن الرسول صلى الله عليه وآله قال لبعض أصحابه : إذا فعلت الخير كنتَ صدِّيقاً (6) .
فقال العدوي : إن أبا بكر سمي صدِّيقاً لأنه أول رجل صَدق الرسول صلى الله عليه واله .
فقال بهلول : مع أن الأولوية ممنوعة ، تخصيصه بذلك خطأ في اللغة ، ورداً على الآية المذكورة ؟!
فترك العدوي هذه الجهة وجعل ينتقل معه من غصن إلى غصن إلى أن قال لبهلول : من إمامك ؟
قال : إمامي من أوجب الرسول صلى الله عليه وآله له على الخلق الولاء ، وتكاملت فيه الخيرات ، وتنزّه عن الأخلاق الدنيات ، ذلك إمامي وإمام البريات.
فقال له العدوي : ويلك إذاً لا ترى أن إمامك هارون الرشيد ؟
فقال البهلول : أنت لأي شيءٍ ترى أن أمير المؤمنين خال من هذه الصفات والمحامد ، والله إني لا أظن إلا أنك عدو لأمير المؤمنين ، مخالف له في الباطن وتظهر الاعتقاد بخلافته ، وأقسم بالله لو بلغه هذا الخبر لأدبك تأديباً بليغاً.
فضحك عند ذلك محمد بن سليمان ! وقال لعمرو بن عطاء : والله لقد ضيعك بهلول ، وجعلك لا شيءَ ، وأوقعك في الورطة التي أردت أن توقعه فيها ، وما أحسن بالإنسان أن يبتعد عما لا يحسنه ، وما أقبح به أن يدخل في شيءٍ يعلم أنه ليس من أهله ، ثمّ أمر بعض غلمانه فأخذَ بيد عمرو بن عطاء وأخرجه من المجلس !
وقال لبهلول : ما الفضل إلا فيك ، وما العقل إلا عندك ، والمجنون من سماك مجنوناً ، يا بهلول ، أخبرني : أيهما أفضل علي بن أبي طالب عليه السلام أو أبو بكر؟
فقال بهلول : أصلح الله الأمير : إن علياً من النبي صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو، والعضد من الذراع ، وأبو بكر ليس منه ، ولا يوازيه في فضله إلا مثله ، ولكل فاضل فضله !
ثم قال محمد بن سليمان لبهلول : أخبرني أولاد علي أحق بالخلافة أو أولاد العباس ؟
فرأى بهلول أن المقام حرج ! فسكت خوفاً من محمد !
فقال له محمد : لم لا تتكلم ؟
فقال بهلول : أين للمجانين قوة تمييز وتحقيق هذه الأمور (7) ؟!

---

(1) سورة البقرة : الآية 258 .
(2) سورة الأنعام : الآية 68 .
(3) راجع بحار الأنوار : ج 69 ص 65 ح 13 وص 69 ح 24 و25 وج 77 ص 162 ح1.
(4) فقد جاء في سبب تسمية الإمام الصادق عليه السلام بالصادق : عن أبي خالد الكابلي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في حديث له ...إلى أن قال عليه السلام : ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق ، فقلت له : يا سيدي كيف صار اسمه الصادق وكلهم صادقون ؟ قال: حدثني أبي عن ابيه عليهما السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق فإن الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه وهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله الخ ، (راجع: بحار الأنوار : ج 36 ص 386 ح 1 ، علل الشرائع : ج 1 ص 234 ب 169) .

(5) سورة الحديد : الآية 19 .
(6) روي عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : مايزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً. (راجع: بحار الأنوار : ج 72 ص 235 ح 2) .
(7) أعيان الشيعة للأمين : ج 3 ص 618 - 619 .

المُناظرة الرابعة والعشرون

مناظرة الصاحب بن عباد (1)وفي مناقب أمير المؤمنين عليهم السلام

1قالت : أبا القاسم استَخْفَفْتَ بالغــزَل * فقلتُ : ما ذاك من همِّي ولا شغلـي

2قالت : أريد اعتـذاراً منكَ تظهــرُهُ * فقلتُ : عذراً وما أخشى مـن العَذَلِ

3قالت : ألِحُّ على تكريــرمسألتــي * فقلتُ : ما أنا عن رأيي بذي حـوَلِ

4قالــت : أريد رشـاداً منكَ أتبعُــهُ * فقلتُ : سمعاً فانَّ الرشدَ مــن قبلي

5قالــت : أبِنْهُ فانـي جدُّ سامعــة * فقلتُ : كيف اجتماعُ الشيب والغزل

6قالت : وكيف اقتضاك الشيبُ تركَ هوىً * فقلتُ : فــيالشيب إدناءٌ من الأَجَلِ

7قالت : فما اختــرتمن دينٍ تفوزُ بهِ * فقلت : إنــي شيعيٌّ ومعتزلي (2)

8قالت : أقلّدت أم قــد دنت عننظـرٍ * فقلت : كلاّ فإنــي واحـدُ الجدَلِ

9قالت : فكيف عرفتَ الحقَّ هات بــه * فقلت : بالفكر فـيالأَقـوالِ والعِلَل

10قالت : فهل هذه الأَجسـام محدثــةٌ * فقلت : جدّاً وإنْ رمتِ الدليلَ سلــي

11قالت : أريدُ دليلاً فيــه مختصـراً * فقلت : أنْ ليس فيهــا غيرُ مُنْتَقِلِ

(في صفات الباري عزّ وجلّ)

12قالت : فهل صانعٌ تدعو إليــه أجِبْ * فقلت : لا بدّ قـولاً غيــرَ ذي مَيَل

13قالت : فهــل من دليلٍ فيه تذكرهُ * فقلت : بيتٌ بلا بــانٍ مـن الخَطَـل

14قالت : فهــل هو ذو شِبْهٍ وذو مثلٍ * فقلت : قد جلّ عنشبــه وعـن مَثَّل

15قالت : أبِنْ لـي أجسمٌ ذاك أم عَرَضٌ * فقلت : بل خــالقُ الجِنسَين فانتقلـي

16قالت : وما ضرَّ لــو اثبتَّهُ جسداً * فقلت : لا توجدُ الأَجسام فــي الأَزل

17قالت : فقلْ لي أبالأبصارنــدركُهُ * فقلت : جَلَّ عـنالإدراكِ بالــمُقلِ

18قالت : ولِمْ ذا وهل شــيءٌ يغيِّبُهُ * فقلت : ما هــو محجوبٌ فيظهرُ لي

19قالت : لعلَّ حجاباً عنــكيستُــرُهُ * فقلت : أخبرتِ عن شخصٍ وعن طَلَل

20قالت : فما القولُ في القرآن سُقّهُ لنا * فقلت : ذاك كــلامُ الله أينَ تُلــي

21قالت : فأينَ دليلُ الخَلْقِ فيــه أبِــنْ * فقلت : تركيبُهُ مــن أحرفِ الجُمَلِ

22قالت : فـأعمالنا منْ ذا يكوِّنُهـا * فقلت : نحنُ مقالاً صِيْنَ عــن خَلَل

23قالت : ولِمْلا يكـونُ الله ُخالقَهـا * فقلت : لــو كُنَّ خلْقاً لم يكنْ عملي

24قالت : أيُلــزم نفساً فوق طاقتِهـا * فقلت : حاشاه هذافعــلُ ذي خَبَل

25قالت : يشاءُ معاصينـا ويؤثِرهُـا * فقلت : لو شاءها لـم نَخْشَ من زَلَل

(في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام)

26قالت : فمــن صاحبُ الدين الحنيف أجبْ * فقلت : أحمدُ خيـرُ الســادةالرُّسُل

27قالت : فهـل معجزٌ وافى الرسولُ بــه * فقلت : القرآنُ وقد أعيـاعلـى الأوَلِ

28قالت : فَمَنْ بعده يُصفـى الـولاء لــه * فقلت : الوصيُّ الذي أربـعلى زحل

29قالت : فهل أحَدٌ فـي الفضـلِ يقـدمُهُ * فقلت : هل هضبةٌ تـرقى علــى جبل

30قالت : فَمَـنْأوَّلُ الأقـوام صـدقَهُ * فقلت : مَنْ لم يصِرْ يومـاً إلى هُبَـلِ

31قالت : فمــن بـاتمن فوق الفراش فدىَ * فقلت : أثْبَتُ خلـق الله في الوَهـلِ

32قالت : فمــن ذا الذي أخــاه عن مِقَةٍ * فقلت : مَنْ حاز ردَّ الشمس فـي الطَفَلِ

33قالت : فمن زوُجَ الزهـراءَ فاطمــةً * فقلت : أفضلُ من حــافٍ ومُنْتَعـلِ

34قالت : فمــن والـدُ السبطَيْنِ إذ فَرَعا * فقلت : سابق أهـلالسَّبـق في مَهَل

35قالت : فمن فاز فــي بـدرٍ بمفخرها * فقلت : أضـرَبُ خلـق الله للقَلَلِ

36قالت : فمــن ســاد يوم الرَّوْع في أحُدٍ * فقلت : مَنْ هالهم بأسـاَولـم يُهَـلِ

37قالت : فمن فـارسُ الأحـزاب يفرسُها * فقلت : قاتل عمرو الضيغمِ البــطَل

38قالت : فخيبــرُ مـن ذا هدَّ مـعقلها * فقلت : سائق أهل الكفرفــي عُقُل

39قالت : فيـوم حنينٍ مَنْ بـرى وفرَى * فقلت : حاصدُ أهل الشركفـي عَجَل

40قالت : فمن صاحبُ الرايـات يحملُهـا * فقلت : مَنْ حِيطَ عن غشٍ وعـن وغل

41قالت : بــراءةُمَنْ أدّى قـوارعَهـا * فقلت : مَنْ صِينَ عن خَتلٍ وعن دغل

42قالت : فمن ذا دعــي للطيـر يأكلـهُ * فقلت : أقــربُ مرضــيٍ ومُنتحَل

43قالت : فمــنراكـعٌ زكّى بـخاتمه * فقلت : أطعنُهم مُذْ كـان بــالأسَل

44قالت : ففيمــن أتى في (هل أتى) شرفٌ * فقلت : أبْـذَلُ خلـــقالله للنَّفَل

45قالت : فمــنتلــوهُ يوم الكساء أجبْ * فقلت : أنْجـبُمكسـوٌّ ومُشْتَمِـل

46قالت : فمن بَاهَـل الطهـرُ النبيُّ بـه * فقلت : تاليــه فــي حلٍّ ومـرتحل

47قالت : فمن ذا قسيـمُ النــار يــسهِمُها * فقلت : مَن رأيُهُ أذكى مــنالشَّعَـل

48قالت : فمن شبــههــارون لنعـرفه * فقلت : مَن لم يَحُل يومـاً ولــم يَزُل

49قالت : فمــن ذا غــدا باب المدينةِ قُلْ * فقلت : مَن سألوهالعلــمَ لم يَسـل

50قالت : فمــن ســاد في يوم الغدير أبِن * فقلت : مَن صــار للاِسلام خيرَ ولي

51قالت : فمــن قاتــل الأقـوامَ إذ نكثوا * فقلت : تفسيرهُ فــي وقعــة الجملِ

52قالت : فمن حارب الأنجــاس إذ قسطوا * فقلت : صفّين تُبدي صــفحةالعمَل

53قالت : فمن قارع الأرجــاسَ إذ مرقوا * فقلت : معناه يوم النهــروانِ جلــي

54قالت : فمن صاحبُ الحوض الشريف غداً * فقلت : مَن بيتُه في أشــرف الــحِلَلِ

55قالت : فمن ذا لـواءُ الحمـد يحملــهُ * فقلت : مَن لم يكن في الرَّوْع بالوَكل (3)

56قالت : أكُلُّ الذي قــد قلتَ في رجــلٍ * فقلت : كلُّ الذي قد قلت فــي رجــل

57قالت : ومَن هو هذا المرء (4) سمِّ (5) لنا * فقلت : ذاك أميــر المؤمنيــن علي

58قالت : مــعاويــةالطــاغي أتلعنــهُ * فقلت : لعنتُهُ أحلــى مــن العســل

59قالت : تُكَفِّرهُ فيمــا أتــى وعَتــا * فقلت : أي وإلهِ الســهـلوالجبــل

60قالت : أهَلْ لك مــن نظــمٍ لِنَرْوِيَـه * فقلت : إنَّ جوابي فــيه حــيَّ هلِ

61قالت : فَأملِ على هذا الفتــى عَجــلاً * فقلت : هـذا ولــم أَلْبَثْ ولــم أتُل

62قالت : أمُبتَدِهاً فــي القــول مرتجلاً * فقلت : ما قلتُ شعراً غيرمــرتَجَل

63قالت : أتيــتَ ابنَ عــبادٍ بمعجــزةٍ * فقلت : لا تعجبي فالشعر مــن خولي

64قالت : فهل منشــدٌ ترضلينشــدها * فقلت : ابنُ صالحِ النحريرُ ينشد لي (6)

---

(1) هو : أبو القاسم ، اسماعيل بن عباد بن العباس ، بن أحمد بن إدريس الملقب بالصاحب (الإصفهاني) ولد سنة 326 هـ ، أحد أقطاب الأدب العربي ، له منهج خاص في الأدب ، واسلوبه المتميز في نثره وشعره ، وقد ترك أثراً كبيراً في دنيا العلم والادب في ذلك العصر الزاهر ، والذي حفظ إلينا بعض الشيء منه ، وسماه بالصاحب الأمير أبو منصور بويه ركن الدولة لما صحبه إلى بغداد سنة 347 هـ ، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة ولما تولى الحكومة استدعى الصاحب من أصفهان وولاه الوزارة ، ودبرها برأي وثيق ، وقد نال من الهيبة والمقام السامي أيام وزارته ما لم ينل مثله أحد من أمثاله ، قرأ الصاحب على الكثير من علماء عصره وأدباءه وروى عنهم ، أمثال العميد ، وبن فارس ، والسيرافي ، وابن كامل وغيرهم ، وقد كانت له مكتبة حافلة بأنفس الكتب ، وقيل ان عنده من الكتب ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر ، فكانت من منابع ثقافته وأدبه . وقد أخذ من كل فن بالنصيب الوافر ، وما أوتيه من الفصاحة والاطلاع الواسع بالتفسير والحديث والكلام واللغة والنحو والعروض والنقد الأدبي ، والتاريخ ، والطب ، وقد عدَّ له بعضهم سبعاً وثلاثين مؤلفاً وقد طبع منها اثني عشر كتاباً ، وقد أثنى عليه علماء السلف . قال عنه المجلسي : انه من أفقه فقهاء الشيعة ، وعده القاضي في مجالسه من وزراء الشيعة ، وعده ابن شهراشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين ، وقال الرافعي : وكتبه ورسائله ومناظراته دالة على قدره ، وكان يناظر ويدرس ويصنف ويملى الحديث ، ومن اطلع على أدبه اذعن بولائه الصادق لأهل البيت : والذي انعكس في شعره والذي لا يخلو

أكثره ـ تصريحاً أو تلويحاً ـ مما يرتبط بالنبوة والإمامة وفضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم ، كما ضمنها أيضاً بعض مسائل التوحيد والعدل ـ انطلاقاً من واجبه الديني الذي يملي عليه ، كما هو شأن الموالي صادق العقيدة ، والذي يسخر كل طاقاته في الدفاع عنهم ، واظهار فضلهم ، وعدم الاكتراث بما يسمعه من جاحدي حقهم كابن عباد الذي يقول :

فكم دعوني رافضياً لحبكم * فلم ينثني عنكم طويل عوائهم

ولذا ضمن قصائده الحوادث والمناظرات والمحاورات التي تتضمن الأخذ والرد في مجال العقيدة ، فجزى الله الصاحب بن عباد جزاء المحسنين الذي ما فتىء مدافعاً عن عقيدته الصادقة حياً وميتاً ، توفي عليه الرحمة عام 385 هـ ودفن في داره بالري ، ثمّ نقل إلى تربة له باصفهان .

راجع ترجمته في : ديوان الصاحب بن عباد : ص 6 - 18 ، الغدير للأميني : ج 4 ص 42 - 81 ، أعيان الشيعة للأمين : ج 3 ص 328 ، معجم الأدباء : ج 6 ص 168 ، يتيمة الدهر : ج 3 ص 188 ، وفيات الأعيان : ج 1 ص 228 لسان الميزان : ج 1 ص 413 ، البداية والنهاية : ج 11 ص 314 ، المنتظم : ج 14 ص 375 ترجمة رقم (2911) ، سير أعلام النبلاء : ج 16 ص 511 .

(2) لا مذهباً ، بل في بعض الآراء التي وافقوا فيها الإمامية في بعض مسائل الاعتقاد والتي منها على سبيل المثال ، كمسألة عدم التجسيم ومسألة نفي الرؤية عنه تعالى ، ومسألة القبح والحسن العقليين ، ومسالة وجوب اللطف، وغيرها .

قال ابن حجر في لسان الميزان : ج 1 ص 416 في ترجمة الصاحب ـ : قال ابن أبي طي : كان إمامي الرأي ، وأخطأ من زعم انّه كان معتزلياً ، وقد قال عبد الجبار القاضي لما تقدّم للصلاة عليه : ما أدري كيف أصلي على هذا الرافضي ، وعن ابن أبي طي : أن الشيخ المفيد شهد بأن الكتاب الذي نسب إلى الصاحب في الاعتزال وضع على لسانه ، ونسب إليه ، وليس هو له . وقال العلامة الأميني في الغدير : ج 4 ص 62 : وهناك نقول متهافتة يبطل بعضها بعضاً تفيد اعتناق الصاحب مذهب الاعتزال تارة ، وتمذهبه بالشافعية أخرى ، وبالحنفية طوراً ، وبالزيدية مرّة ، وفي القاذفين من يحمل عليه حقداً يريد تشويه سمعته بكل ما توحي إليه ضغاينه...الخ .

(3) ورد عجزه في بعض النسخ : فقلت خير الملأ الآتين والأول .

(4) في بعض النسخ : هذا القرم ، وفي المناقب : الفرد .

(5) في المناقب وبعض النسخ : سِمْهُ ، وفي بعضها : صِفْهُ .

(6) ديوان الصاحب بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ص 38 - 47 ، الغدير للأميني : ج 4 ص 40 - 41 ، بتفاوت ، كما ورد منها البيتان 26 و 27 في المناقب لابن شهر أشوب : ج 1 ص 99 ، والأبيات 26 و 28 - 43 و 45 - 57 في المناقب : ج 2 ص 68 - 69 . والجدير بالذكر إنه يوجد للامية الصاحب بن عباد عدة نسخ خطية ـ كما ذكر ذلك العلامة المحقّق الشيخ محمد حسن آل ياسين محقق ديوان الصاحب بن عباد في ص 16 - 17 جزاه الله خير الجزاء ، ولا بأس بالاشارة إليها ، وهي : 1 ـ نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة ، برقم (16 ش تاريخ) وتقع في ثلاث صفحات ، وأسماها مفهرس دار الكتب (المنظومة الفريدة) وجاء في آخرها تمت وبالخير عمت ، الفريدة المشتملة على أفضل كل عقيدة ، رحم الله منشئها ، وغفر لكاتبها ، وكان الفراغ من زبرها ليلة الأحد عاشور محرم الحرام سنة تسع وثمانين [وألف] .

2 ـ نسخة ايطاليا المحفوظة بالمكتبة الأمبروزيانية في ميلانو ، ضمن مجموعة برقم (74 (ب) وآثار القدم بارزة عليها .

3 ـ شرح هذه القصيدة للقاضي شمس الدين جعفر بن أحمد البهلولي اليماني ، وقد عُثر منها على نسختين : الأولى ، نسخة المكتبة الامبروزيانية بميلانو ـ ايطاليا تحت رقم (205 س) في (21) ورقة ، وعليها تملك تاريخ 1113 هـ . الثانية ، نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة، تحت رقم (380 مجاميع) في (14) ورقة ، وليس في آخرها تاريخ .

المُناظرة الخامس والعشرون

مناظرة الشيخ الكراجكي مع بعضهم في القول بأن أمير المؤمنين عليهم السلام اسلم

اعلموا ـ أيدكم الله ـ أن المخالفين لشدة عداوتهم لأمير المؤمنين ألقوا شبهة موّهوا بها على المستضعفين، وجعلوا لها طريقاً، يسلكها من يروم نفي الإسلام عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وذلك أنهم قالوا: إنما يصح الإسلام ممن كان كافراً، فأما من لم يك قط ذا كفر ولا ضلال، فلا يجوز أن يقال أنه أسلم، وإذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكفر قط، فلا يصح القول بأنه أسلم .

وهذا ملعنة من النصاب لا تخفى على أولي الألباب، يتشبثون بها إلى القدح في أمير المؤمنين عليه السلام ، والراحة من أن يسمعوا القول بأنه أسلم قبل سائر الناس، وقد تعدتهم هذه الشبهة، فصارت في مستضعفي الشيعة، ومن لا خبرة له بالنظر والأدلة، حتى إني رأيت جماعةً منهم يقولون هذا المقال، ويستعظمون القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام أسلم أتم استعظام.

وقد نبهتهم على أن هذه الشبهة مدسوسة عليهم، وأن أعداءهم ألقوها بينهم، فمنهم من قبل ما أقول، ومنهم من أصر على ما يقول .

وقد كنت اجتمعت بأحد الناصرين لهذه الشبهة من الشيعة، فقلت له: أتقول إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مسلم؟

فقال: لا يسعني غير ذلك.

فقلت له: أفتقول إنه يكون مسلماً من لم يسلم؟

فقال: إن قلت بأنه أسلم، لزمني الإقرار بأنه قبل إسلامه لم يكن مسلماً، ولكني أقول: إنه ولد مسلماً مؤمناً.

فقلت: هذا كقولك إنه ولد حياً قادراً، وهو يؤديك إلى أن الله تعالى خلق فيه الإسلام والإيمان، كما خلق فيه القدرة والحياة، ويدخل بك في مذهب أهل الجبر، ويبطل عليك القول بفضيلة أمير المؤمنين عليه السلام في الإسلام، وما يستحق عليه من الأجر .

فاختر لنفسك: إما القول بأن إسلامه وإيمانه فعل الله سبحانه، وأنه ولد مسلماً ومؤمناً، وإن ساقك إلى ما ذكرناه .

وإما القول بأن الله تعالى أوجده حياً قادراً ثم آتاه عقلاً، وكلّفه بعد هذا، فأطاع، وفعل ما أمر به مما يستحق جزيل الأجر على فعله، فإسلامه وإيمانه من أفعاله الواقعة بحسب قصده وإيثاره، وإن أدراك في وجوده قبل فعله إلى ما وصفناه.

فحَيَّره هذا الكلام، ولم يجد فيه حيلةً من جواب.

ومما يجب أن يكلم به في هذه المسألة أهل الخلاف، أن يقال لهم: لِمَ زعمتم أنه لم يسلم إلا من كان كافراً؟

فإن قالوا: لأن من صح منه وقوع الإسلام فهو قبله عارٍ منه، وإذا عري منه كان على ضده، وضده الكفر.

قيل لهم: لمَ زعمتم أنه إذا عري منه كان على ضده؟ وما أنكرتم من أن يخلو منهما، فلا يكون على أحدهما؟

فإن قالوا: إن ترك الدخول في الإسلام هو ضده، لأنه لا يصح اجتماع الترك والدخول، فمتى كان تاركاً كان كافراً، لأن معه الضد.

قيل لهم: إنما يلزم ما ذكرتم، متى وجدت شريعة الإسلام، ولزم العمل بها، وعلم العبد وجوبها عليه بعد وجودها، فأما إذا لم يكن نزل به الوحي، ولا لزم المكلف منها أمر ولا نهي، فإلزامكم الكفر جهل وغي.

فإن قالوا: قد سمعناكم تقولون: إن الوحي لما نزل على النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الإسلام دعا إليه أمير المؤمنين عليه السلام فلم يجبه عند الدعاء، وقال له: أجلني الليلة، وتعدون هذا له فضيلة، وفيه أنه قد ترك الدخول في الإسلام بعد وجوده.

قلنا: هو كذلك، لكنه قبل علمه بوجوبه، وهذه المدة التي سأل فيها الإنظار هي زمان مهلة النظر، التي أباحها الله تعالى للمستدل، ولو مات قبل اعتقاد الحق لم يكن على غلط، وهكذا رأيناكم تفسرون قول إبراهيم عليه السلام لما (رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ) (1) ، إلى تمام قصته عليه السلام .

وقوله: (إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ) (2) ، وتقولون: إن هذا منه كان استدلالاً، وهي في زمان مهلة النظر التي وقع عقيبها العلم بالحق .

فإن قالوا: فما تقولون في أمير المؤمنين عليه السلام قبل الإسلام ؟ وهل كان على شيء من الاعتقادات؟

قيل لهم: الذي نقول فيه أنه كان في صغره عاقلاً مميزاً، وكان في الاعتقاد على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الإسلام، من استعماله عقله، والمعرفة بالله تعالى وحده، وإن ذلك حصل من تنبيه الرسول صلى الله عليه وآله ، وتحريك خاطره إليه، وحصل للرسول من ألطاف الله تعالى، التي حركت خواطره إلى الإسلام والاعتبار، ولم يكن منهما من سجد لوثن، ولا دان بشرع متقدم .

فأما الأمور الشرعية فلم تكن حاصلةً لهما، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله لزم أمير المؤمنين عليه السلام الإقرار به، والتصديق له، وأخذ الشرع منه.
وإنما قال له: أجلني الليلة ليعتبر فيقع له العلم واليقين مع اعتقاد التصديق لرسول رب العالمين، فلما ثبت له ذلك أقَرَّ بالشهادتين، مجدداً للإقرار بالله سبحانه، وشاهداً ببعثة رسول الله صلى الله عليه وآله .
فإن قالوا: فأنتم إذاً تقولون إن رسول الله صلى الله عليه وآله أسلم؟ وهذا أعظم من الأُولى.
قيل لهم: إن العظيم في العقول هو الانصراف من هذا القول، فإن لم تفهموا فيه حجة العقل فما تصنعون في دليل السمع، وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ) (3) وقوله سبحانه: (قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ) (4) ، وقوله: (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَقُل لِّلَّذِينَ أوتُوا الكتَابَ وَالاَمِّيِّنَ أأَسلَمتم فَإِنْ أَسلموا فقد اهتدوا وَإِن تَوَلَّوا فإنَّما عَليكَ البلاغُ والله بصيرٌ بالعبادِ) (5) .
ونظير ذلك كثير في القرآن، فكيف يصح هذا الإسلام من الرسول ولم يكن قط كافراً، وهل بعد هذا البيان شك يعترض عاقلاً ؟؟
ثم يقال لهم: إذا كان لا يسلم إلاّ من كان كافراً، فما تقولون في إسلام إبراهيم الخليل عليه السلام ولم يكن قط كافراً، ولا عبد وثناً، حين (قالَ لهُ رَبُّه أَسلِم قال أسلمتُ لِربِّ العالمينَ * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بَنيَّ إنَّ الله اصطفى لكُمُ الدِّين فَلا تَموتُنَّ إلاّ وأنتم مُسلمون) (6) .
فقد تبين لكم ـ أيها الأخوة ثبتكم الله على الإيمان ـ ما تضمنه هذا الفصل من البيان عن صحة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام .
وأنا أتكلم بعد هذا على الذين قالوا إنه عليه السلام قد أسلم، ولكن لم يكن السابق الأول ، وزعمهم أن المتقدم على جميع الناس أبو بكر (7) .

---

(1) سورة الأنعام: الآية 76 .
(2) سورة الأنعام: الآية 78 و 79 .
(3) سورة الأنعام: الآية 14 .
(4) سورة الأنعام: الآية 71 .
(5) سورة آل عمران: الآية 20 .
(6) سورة البقرة : الآية 131 و 132 .
(7) كنز الفوائد للكراجكي: ج1 ص 257 - 261 .

فاطمة الزهراء عليها السلام وفدك

المُناظرة السادسة والعشرون

مناظرة أميرالمؤمنين عليه السلام مع أبي بكر في شأن فدك
عن حمّاد بن عثمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك (1) من أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها .
فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثمّ قالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخرجت وكيلي من فدك ، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى؟
فقال : هاتي على ذلك بشهود ، فجاءت بأمّ أيمن (2) ، فقالت له أمّ أيمن : لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أم أيمن امرأة من أهل الجنة » (3).
فقال : بلى .
قالت : « فاشهد : أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله : (فآت ذا القربى حقّه) (4) فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله (5).
فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك ، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إنّ فاطمة عليها السلام ادعت في فدك ، وشهدت لها أم أيمن وعلي عليه السلام ، فكتبته لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه (6) ، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي .
فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .
فقال أبو بكر : هذا فيء للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها وإلا فلا حقّ لها فيه .
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين .
قال : لا .
قال : فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة ؟
قال : إياك أسأل البينة .
قال : فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده ، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهوداً ، كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟
فسكت أبو بكر فقال عمر : يا علي دعنا من كلامك ، فإنا لا نقوى على حجتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيء للمسلمين ، لا حق لك ولا لفاطمة عليهما السلام فيه .
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟
قال: نعم.
قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : (إنّما يُريدُ اللهُ ليذهبَ عَنكُمْ الرِجسَ أهلَ البيت ويُطهّركُمْ تطهيراً) (7) فيمن نزلت (8) ؟ فينا أم في غيرنا؟
قال: بل فيكم.
قال: فلو أنَّ شهوداً شهدوا على فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ما كنت صانعاً ؟
قال: كنت أُقيم عليها الحد ، كما أُقيمه على نساء المسلمين.
قال: إذن كنت عند الله من الكافرين.
قال: ولِمَ ؟
قال: لأنَّك كنت رددت شهادة الله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم الله وحكم رسوله ، أن جعل لها فدكاً قد قبضته في حياته، ثم قبلت شهادة إعرابي بائل على عقبيه ، عليها ، وأخذت منها فدكاً، وزعمت أنّه فيء للمسلمين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « البينة على المدّعي ، واليمين على المدّعى عليه » (9) فرددت قول رسول الله صلى الله عليه وآله : البينة على من ادعى ، واليمين على من ادعى عليه !
قال : فدمدم الناس وأنكروا ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : صدق والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ! ورجع إلى منزله .
قال : ثمّ دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول :

قد كان بعدك أنبـــاء وهنبثة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلهـــا * واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب

قد كان جبريل بالآيات يؤنسنـــا * فغاب عنا فكلّ الخيــر محتجب

وكنت بدراً ونوراً يُستضـــاء به * عليك ينزل من ذي العـزّة الكتب

تجهَّمتنا رجالٌ واستخف بنـــا * إذ غبت عنا فنحن اليومنغتصب

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت * منا العيون بتهمال لها سكب (10)

---

(1) فدك : هي : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، أفاءها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله صلحاً ، فيها عين فوّارة ونخل ، وقد كانت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة ، لأنها لم يوجب عليها بخيل ولا ركاب ، وقد أعطاها ابنته الزهراء عليها السلام فكانت بيدها في عهده صلى الله عليه وآله ، وروي إنّه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام : قد كان لأمّك خديجة على أبيك محمد صلى الله عليه وآله مهراً ، وأنّ أباك قد جعلها لك بذلك ، وانحلتكها تكون لك ولولدك

المُناظرة السابعة والعشرون

مناظرة فاطمة الزهراء عليهما السلام مع أبي بكر في أمر فدك لما استولى عليها

قال أبو زيد عمر بن شبّه النميري البصري (المتوفّى سنة 262 هـ) في كتابه تأريخ المدينة المنوّرة : حدّثنا سويد بن سعيد ، والحسن بن عثمان ، قالا : حدّثنا الوليد بن محمد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفاطمة عليها السلام حينئذٍ تطلب صدقة النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة (1) إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإني لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولاَعملنّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً .

فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك ، فهجرته ، فلم تكلّمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر ، فلمّا توفيت دفنها زوجها علي عليه السلام ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلّى عليها عليّ عليه السلام. (2) وفي رواية ، إنّها عليها السلام قالت له : يا أبا بكر أترثك بناتك ، ولا ترث رسول الله صلى الله عليه وآله بناتُه ؟

فقال لها : هو ذاك .

وفي أُخرى ، إنّها عليها السلام قالت له : من يرثك إذا مُتَّ ؟

قال : ولدي وأهلي .

قالت : فما لك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا ؟

قال : يا بنت رسول الله ! ما ورِثتُ أباكِ داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة .

قالت : بلى ، سهم الله الذي جعلَه لنا ، وصافيتنا التي بفدك .

فقال أبو بكر : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : إنّما هي طُعمة أطعمنا الله ، فإذا متُ كانت بين المسلمين .

وفي رابعة ، إنّها قالت عليها السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك .

فقال لها : هل لك على هذا بيّنة ؟

فجاءت بعليّ عليه السلام فشهد لها ، ثمّ جاءت بأمّ أيمن فقالت : أليس تشهد أنّي من أهل الجنّة ؟

قال : بلى .

قالت : فأشهد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطاها فَدك .

فقال أبو بكر : فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين بها القضية. (3) وفي رواية خامسة ـ كما عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : قال عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام : انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجاءت إلى أبي بكر، فقالت : أعطني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

(قال) : قال : النبي صلى الله عليه وآله لا يورث .

فقالت : ألم يرث سليمان داود ؟

فغضب وقال : النبي صلى الله عليه وآله لا يورث .

فقالت عليها السلام : ألم يقل زكريا : (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) (4) .

فقال : النبي صلى الله عليه وآله لا يورث .

فقالت عليها السلام : ألم يقل : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين) (5) .

فقال : النبي لا يورث . (6) وفي رواية سليم بن قيس عن ابن عياش في حديث له ... قال : ثم إن فاطمة عليها السلام بلغها أن أبا بكر قبض فدكاً فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر ، فقالت : يا أبا بكر تريد أن تأخذ مني أرضاً جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله وتصدق بها عليَّ من الوجيف الذي لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ؟

أما كان قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المرءُ يُحفظ في ولده ؟ وقد علمت أنه صلى الله عليه وآله لم يترك لولده شيئاً غيرها ؟ !

فلما سمع أبو بكر مقالتها والنسوة معها دعى بدواة ليكتب به لها ، فدخل عمر ، فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تكتب لها حتى تقيم البينة بما تدعي ؟!

فقالت فاطمة عليها السلام : نعم ، أُقيم البينة .

قال : من ؟
قالت : علي وأم أيمن .
فقال عمر : ولا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تُفصح ، وأما علي فيجر النار إلى قرصه ؟!
فرجعت فاطمة عليها السلام وقد دخلها من الغيظ ما لا يوصف (7) .
وفي رواية الثقفي قال : جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر فقالت : إن أبي أعطاني فدك ، وعلي يشهد لي وأم أيمن .
قال : ما كنت لتقولين على أبيك إلاّ الحق، قد أعطيتكها، ودعى بصحيفة من أدم فكتب لها فيها .
فخرجت فلقيت عمر ، فقال : من أين جئت يا فاطمة ؟
قالت : جئت من عند أبي بكر ، أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك وأن علياً وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها وكتب بها لي ، فأخذ عمر منها الكتاب ، ثمّ رجع إلى أبي بكر فقال : أعطيت فاطمة فدك وكتبت بها لها ؟
قال : نعم .
فقال : إن علياً يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة !! وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه (8) .
وفي رواية ابن طيفور (المتوفى سنة 380 هـ) قال : وحدّثني عبدالله بن أحمد العبدي عن الحسين بن علوان عن عطية العوفي انّه سمع أبا بكر يومئذٍ يقول لفاطمة عليها السلام : يا ابنة رسول الله لقد كان صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمؤمنين رؤفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وإذا عزوناه كان أباك دون النساء ، وأخا ابن عمّك دون الرجال ، أثره على كل حميم ، وساعده على الأمر العظيم ، لا يحبّكم إلاّ العظيم السعادة ، ولا يبغضكم إلاّ الردي الولادة ، وأنتم عترة الله الطيبون ، وخيرة الله المنتجبون على الأخرة أدلتنا ، وباب الجنة لسالكنا .
وأمّا منعك ما سألت فلا ذلك لي ؟! وأمّا فدك وما جعل لك أبوك ، فإنّ منعتكِ فأنا ظالم !
وأمّا الميراث فقد تعلمين انّه صلّى الله عليه وآله قال : لا نورث ما أبقيناه صدقة ؟
قالت عليها السلام : إنّ الله يقول عن نبي من أنبيائه : (يرثُني ويرثُ من آلِ يعقوب) (9) وقال : (وورثَ سليمانُ داودَ) (10) فهذان نبيّان ؟ وقد علمت أنّ النبوّة لا تُورَّث ، وإنّما يورث ما دونها ؟!
فمالي أمنع ارث أبي ؟ أأنزل الله في الكتاب إلاّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فتدلّني عليه !
فقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنت عينُ الحجّة ، ومنطق الرسالة ، لا يدَ لي بجوابك ولا أدفعك عن صوابك ! .. (11)
وذكر ابن قتيبة خبر دخول الشيخين على فاطمة عليها السلام وذلك بعد تفاقم الأمر، قال : فقال عمر لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة عليها السلام فإنّا قد أغضبناها ، فانطلقا جميعاً ، فاستأذنا على فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما ، فأتيا عليّاً عليه السلام فكلّماه ، فأدخلهما عليها ، فلما قعدا عندها ، حوّلت وجهها إلى الحائط ! فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام.
فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبّ إليَّ من قرابتي ، وإنّكِ لأحبّ إليَّ من عائشة ابنتي ، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ، ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلاّ أنّي سمعت أباكِ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة .
فقالت : أرايتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟
قالا : نعم .
فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبّني ، ومن أرض فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني .
قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله .
قالت : فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني ، وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله لأشكونكما إليه .
فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي ، حتى كادت نفسه أن تزهق ، وهي تقول : والله ، لأدعون الله عليك في كلّ صلاة أصليها .
ثمّ خرج باكياً فاجتمع إليه الناس ، فقال لهم : يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي...
قال : فلم يبايع علي كرّم الله وجهه حتى ماتت فاطمة عليها السلام ، ولم تمكث بعد أبيها إلاّ خمساً وسبعين ليلة. (12)

(1) راجع : زاد المسير لابن الجوزي : ج 5 ص 209 ، صحيح البخاري : ج 5 ص 114 - 115 ، البداية والنهاية لابن كثير : ج 5 ص 285 و 290 ، اللآلىء المصنوعة للسيوطي : ج 2 ص 442 ، الرياض النضرة للطبري : ج 1 ص 190 - 192 ، فتح الباري لابن حجر : ج 12 ص 6 - 7 عليه السلام .

(2) وممّن ذكر هذا الخبر أيضاً : السمهودي في وفاء الوفاء : ج 3 ص 995 ، السقيفة وفدك ، لأبي بكر الجوهري : ص 105 (وقد روى الخبر عن أبي زيد عمر بن شبّه راوي الحديث) وعنه أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 217 ، كشف الغمّة للأربلي : ج1 ص477.

(3) تاريخ المدينة المنورة لابن شبّه : ج 1 ص 196 - 200 ، وفاء الوفاء للسمهودي : ج 3 ص 999 - 1001 ، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري : ص 105 و 107 (وقد رواه أيضاً عن أبي زيد راوي الحديث) وعنه أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 219 ، فتوح البلدان للبلاذري : ص 44 - 45 .

(4) سورة مريم : الآية 5 .

(5) سورة النساء : الآية 11 .

(6) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة : ج 1 ص 478 .

(7) بحار الأنوار : ج 28 ص 302 - 303 ح 48 وج 43 ص 198 ح 29 .

(8) تلخيص الشافي للطوسي : ج 3 ص 124 - 125 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج16 ص 274 .

(9) سورة مريم : الآية 5 .

(10) سورة النمل : الآية 16 .

(11) بلاغات النساء لابن طيفور : ص 18 - 19 ، أعلام النساء لكحالة : ج 4 ص 118 - 119 .

(12) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج 1 ص 20 ، أعلام النساء لكحالة : ج 4 ص 123 - 124، وقد ذكر نتفاً ومقاطع من هذه المناظرات التي جرت بين فاطمة الزهراء عليها السلام والخليفة كلّ من : الذهبي في تاريخ الإسلام : ج 3 ص 23 - 24 ، والحموي في معجم البلدان : ج 4 ص 239 (عند ذكره فدكاً) وكحالة في أعلام النساء : ج 4 ص 124 ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : ج 16 ص 214 - 220 وص 230 و 232.

المُناظرة الثامنة والثلاثون

مناظرة أبي الجارود مع بعضهم في أن الحسن والحسين عليهما السلام إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام الإمام الباقر عليه السلام له في ذلك(1)

قال ابن شاذان في الإيضاح : وروى شريك بن عبدالله في حديث رفعه : إنّ عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقّصَ أمهات المؤمنين ما كان يعطيهنّ عمر ، فسألتاه أن يعطيهما ما فرض لهما عمر !

فقال : لا والله ما ذاك لكما عندي .

فقالتا له : فأتتنا ميراثنا من رسول الله صلى الله عليه وآله من حيطانه (1)؟

وكان عثمان متكئاً ، فجلس ، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام جالساً عنده ، فقال : ستعلم فاطمة عليها السلام أنّي ابن عمّ لها اليوم ، ثمّ قال : ألستما اللّتين شهدتما عند أبي بكر ، ولفقتما معكما أعرابيّاً يتطهر ببوله ، مالك بن الحويرث بن الحدثان (2) ، فشهدتم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ، ما تركناه صدقة (3) ، (حتمنعتما فاطمة ميراثها ، وأبطلتما حقّها ، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبي صلى الله عليه وآله) ؟!

فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما ، وإن كنتما شهدتما بباطل ، فعلى من شهد بالباطل لعنه الله والملائكة والناس أجمعين .

فقالتا : يا نعثل (4)، والله لقد شبّهك رسول الله صلى الله عليه وآله بنعثل اليهودي !!

فقال لهما : (ضَرَبَ اللّهُ مَثلاً للذينَ كفرُوا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوط) (5) فخرجتا من عنده ... (6)

---

(1) وليست هذه المطالبة الأولى لهن بميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وآله بل سبق وأن طالبن بميراثهن في زمن الخليفة الأول ، وممن روى ذلك : أبو زيد البصري (ت 262 هـ) في كتابه تاريخ المدينة المنورة : ج 1 ص 205 ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : ج 16 ص 210، عن كتاب السقيفة وفدك لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : قال أبو بكر ـ بسنده ـ عن عائشة أن أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله أردن لمّا توفي أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ ـ أو قال : ثُمنهنّ ـ قالت : فقلت لهنّ : أليس قد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : لا نورث، ما تركناه صدقة . ومثله أيضاً في ص 223 ، عن عائشة قالت : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألُ لهن ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه ...الخ .
وأيضاً رواه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي ب حديث بني النضير) ج 5 ص 115 .
أقول : والذي يظهر من هذه الأخبار ، أن قبول عثمان للذهاب إلى الخليفة في المطالبة بميراثهنّ ، وعدم ردعه لهن ، صريح في عدم تعويله وتصديقه للخبر المروي ، نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، وإلاّ لاحتج عليهن به ، ويكفيه عذراً في عدم الذهاب . إلاّ أن يقال لم يكن على دراية بالخبر ولم يعلم به بعد ، وذلك بعيد إذ من المقطوع به انّه كان مطلعاً بما جرى بين الخليفة والزهراء عليها السلام في مطالبتها بفدك ، واحتجاج الخليفة بهذا الحديث الذي تفرّد به ، وعلى رواية أخرى رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان . كما نصّ على ذلك أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج : ج 16 ص 245 .

(2) روي عن حنان بن سدير قال : سأل صدقة بن مسلم أبا عبدالله عليه السلام ـ وأنا عنده ـ فقال : من الشاهد على فاطمة عليها السلام بانها لا ترث أباها فقال : شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب ، يقال له : أوس بن الحدثان ، من بني النضير ، شهدوا عند أبي بكر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : لا أروث ، فمنعوا فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها صلى الله عليه وآله ، عن قرب الإسناد للحميري: ص 99 ح 335 ، وعنه بحار الأنوار : ج 22 ص 101 ح 59 .

(3) تقدّمت تخريجاته .

(4) فقد روى المؤرخون أنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان ، وكانت تسميه نعثلاً . راجع في ذلك : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6 ص 215 ـ 217 ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 4 ص 459 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج 3 ص 206 .

(5) سورة التحريم : الآية 10 .

(6) الإيضاح لابن شاذان : ص 139 ـ 142 ، الأمالي للشيخ المفيد : ص 125 م 15 ح 3 ، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة للأربلي : ج 1 ص 478 ـ 479 .

المُناظرة التاسعة والعشرون

مناظرة عمر بن العزيز مع مشائخ أهل الشام في أمر فدك

روي انّه لمّا ردّ عمر بن عبد العزيز (1) فدكاً على ولد فاطمة عليها السلام اجتمع عنده قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء ، وقالوا له : نقمت على الرجلين فعلهما ، وطعنت عليهما ، ونسبتهما إلى الظلم والغصب ؟ !
فقال : قد صحّ عندي وعندكم ، إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ادّعت فدكاً ، وكانت في يدها ، وما كانت لتكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، مع شهادة عليّ عليه السلام (2) وأم أيمن وأم سلمة ، وفاطمة عليها السلام عندي صادقة فيما تدّعي ، وإن لم تقم البينة، وهي سيدة نساء الجنّة ، فأنا اليوم أردّ على ورثتها ، وأتقرّب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .
وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشفعون لي يوم القيامة ، ولو كنت بدل أبي بكر وادّعت فاطمة عليها السلام كنت أصدقها على دعوتها ، فسلّمها إلى الباقر عليه السلام (3) .
وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي رواية أخرى تناسب المقام في ردّ عمر بن عبد العزيز فدكاً ، وهي : قال : قال أبو المقدام ـ هشام ابن زياد مولى آل عثمان ـ : فنقمت بنو أميّة ذلك على عمر بن عبد العزيز ، وعاتبوه فيه ، وقالوا له : هجّنت فعل الشيخين ؟!
وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة ، فلما عاتبوه على فعله!!
قال : إنكم جهلتم وعلمتُ ، ونسيتُمْ وذكرتْ ، إن أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم ، حدّثني عن أبيه ، عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فاطمة بضعة منّي يسخطها ما يسخطني ، ويرضيني ما أرضاها (4) ، وإن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر ، ثمّ صار أمرها إلى مروان ، فوهبها لعبد العزيز أبي ، فورثتها أنا وإخوتي عنه ، فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها ، فمن بائع وواهب حتى استُجمعتْ لي ، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة عليها السلام .
قالوا : فإن أبيت إلاّ هذا فامسك الأَصل ، واقسم الغلّة ، ففعل (5)،

---

(1) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس ، أبو حفص الأموي القرشي ، وهو خير بني مروان ، يعرف بأشجع بني أميّة ضربته دابّة في وجهه، وكانت أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى .
قال العلامة المامقاني : لا نشكر منه إلاّ رفعه السب عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد ابتداع معاوية عليه لعائن الله تعالى ، ولذا قال السيّد الرضي رضي الله عنه :

يابن عبد العزيز لو بكت العين * فتى من أميــة لبــكيتك
أنت نزهتنـا عن السب والشتم * فلو أمكــن الجـزاء جزيتك
دير سمعــان لا أغبك غيثٌ * خير ميت من آل مروان ميتك

وقد روي في سبب رفعه سبّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة ، وهو حينئذٍ أمير المدينة ، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقائقه ، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجمُ ، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك ، فقلت له يوماً : يا أبت ، أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك ، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل ، صرت ألكن عييا ، فقال : يا بني ، إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم ، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا أحد ، فوقرت كلمتهُ في صدري ، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً ، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لاغيّرنّه ، فلما منّ الله عليّ بالخلافة اسقطت ذلك ، وجعلت مكانه : (انّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكرون) وكتبت في الآفاق فصار سنّة ، توفّي بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وكان له يوم توفّي احدى وأربعون سنة . وكانت خلافته سنتين وخمس ليال . راجع ترجمته في : تنقيح المقال للمامقاني : ج 2 ص 345 ترجمة رقم : 9016 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 4 ص 58 - 60 ، سير أعلام النبلاء : ج 5 ص 114 .
(2) وهل تصح دعوى انّ فاطمة عليها السلام ادّعت ما ليس لها فيه حق ، وإنها لم تكن تعلم بأن الأنبياء لا يورثون حتى أخبرها أبو بكر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولو افترضنا صحّة ذلك ، أفترى إنّ فاطمة عليها السلام لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار ،

هذا مع ملازمة النبي صلى الله عليه وآله لها ليلاً ونهاراً ، إذ كان يحوطها برعايته وعنايته ، فهل يا ترى تقنع بأنّه صلى الله عليه وآله يخبر الناس بذلك ، ويخفي على ابنته مع كونها أولى الناس بمعرفة هذا الأمر لو كان صحيحاً ، فيكون النبي صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه ـ قد ترك ما ينبغي فعله ، ولم يقل ما ينبغي قوله .

وثانياً : إنها ـ صلوات الله عليها ـ لو لم تكن على حقّ ، أفترى أمير المؤمنين عليه السلام وهو أعلم الناس بالشريعة وأقضاهم يوافقها على ما ادّعت ، ويشهد لها بذلك ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : علي مع الحق والحق مع علي ، ألا ترى أنّ ردّ شهادة هؤلاء طعناً فيهم وفي عصمتهم التي نصّ عليها القرآن في قوله تعالى : (إنّما يُريدُ اللهُ ليذْهبَ عنكمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهّرَكُم تطهيراً) أفما كان من الإنصاف منهم أن تصدق فيما ادّعت وهي ابنة نبيّهم صلى الله عليه وآله الوحيدة ، أفما كان من حقّ رسول الله عليهم عدم إيذائها وإسخاطها .

(3) بحار الأنوار للمجلسي : ج 29 ص 209 ، سفينة البحار للقمّي : ج 2 ص 272 ، كشف الغمّة في معرفة الأئمة للأربلي : ج 1 ص 495 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص 231 ـ 232 ، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري : ص 145 ـ 146 .

(4) راجع : صحيح البخاري : ج 5 ص 26 و 36 ، السنن الكبرى للبيهقي : ج 7 عليه السلام ص 64 وج 10 ص 201 ، مستدرك الحاكم : ج 3 ص 158 ، كنز العمّال : ج 12 ص 108 ح 34222 و 34223 ، اتحاف السادة المتقين للزبيدي : ج 6 ص 244 وج 7 ص 281 ، فتح الباري لابن حجر : ج 7 ص 78 و 105 ، مشكاة المصابيح للتبريزي : ج 3 ص 1732 ح 6130 ، شرح السنة للبغوي: ج 14 ص 158 (نشر المكتب الإسلامي)، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج 2 ص 755 ح 1324 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 273 .

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 278 ، الشافي في الإمامة للمرتضى : ج 4 ص 103 ـ 104 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 29 ص 212 ـ 213 .

المُناظرة الثلاثون

مناظرة فضال بن الحسن (1)مع أبي حنيفة في مسألة الدفن عند النبي صلى الله عليه وآله وميراث الزهراء عليها السلام

روي أنّه مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير ، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه .

فقال ـ لصاحب كان معه ـ : والله لا أبرح حتى أُخجل أبا حنيفة .

فقال صاحبه الذي كان معه : إنّ أبا حنيفة ممّن قد علمت حاله ، وظهرت حجّته .

قال : مه ! هل رأيت حجّة ضالّ علت على حجّة مؤمن ؟ ! ثمّ دنا منه فسلم عليه ، فردّها ، وردّ القومُ السلام بأجمعهم .

فقال : يا أبا حنيفة ! إنّ أخاً لي يقول : إنَّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأنا أقول : أبو بكر خير الناس وبعده عمر ، فما تقول أنت رحمك الله ؟

فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال : كفى بمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله كرماً وفخراً ، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره ، فأي حجّة تريد أوضح من هذا ؟

فقال له فضال : إنّي قلت ذلك لأخي ، فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله لقد أساءا وما أحسنا ، إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثمّ قال له : لم يكن له ولا لهما خاصة ، ولكنّهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال : قد قلت له ذلك فقال : أنت تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله مات عن تسع نساء ، ونظرنا فإذا لكلّ واحدة منهنَّ تسع الثمن ، ثمّ نظرنا في تسع الثمن ، فإذا هو شبر في شبر ، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله وفاطمة بنته تُمنع الميراث ؟ !

فقال أبو حنيفة : يا قوم ! نحُّوه عني فانّه رافضي (2) خبيث (3) .

---

(1) هو : فضال بن الحسن بن فضال الكوفي ، حكي عن المولى الوحيد انّه قال : يظهر من معارضته مع أبي حنيفة المذكورة في البحار كونه من فضلاء الشيعة ، واحتمل الحائري كونه أخاً لعلي بن الحسن بن فضال . راجع تنقيح المقال للمامقاني : ج 2 ص 5 ترجمة رقم : 9442 ، (من أبواب الفاء) .

(2) كان على أبي حنيفة أن يقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل لا أن يستخدم اسلوب العنف والتهويل في مقاطعة خصمه إذ أنّ ذلك قبيح صدوره ممن لـه أدنى دراية ومعرفة فكيف بمن في مقام عالم بالفقه والحديث ـ كأبي حنيفة ، فكان عليه في منطق البحث وميزان المناظرة أن يتلطّف في جواب مناظِره ورده بما يناسب حجته لا أن يشتمه ويطرده إذ انّ ذلك ممّا ينافي المجلس العلمي وعدم مراعاةٍ لآداب المناظرة ، والحق ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها .

(3) الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 382 ، الفصول المختارة : ج 1 ص 44 ـ 45 ، كنز الفوائد للكراجكي : ج 1 ص 294 ـ 295 ، الخرائج والجرائح للراوندي : ج 1 ص 243 ـ 244 ، بحار الأنوار : ج 10 ص 231 ح 2 وج 47 ص 400 ح 2 .

المُناظرة الحادية والثلاثون

مناظرة الشيخ المفيد (1)مع علي بن عيسى الرماني (2) في أمر فدك

قال الشريف المرتضى ـ أعلى الله مقامه ـ : ومن حكايات الشيخ ـ المفيد ـ وكلامه، قال الشيخ أيده الله: حضرت مجلساً لبعض الرؤساء ، وكان فيه جمع كثير من المتكلمين والفقهاء ، فالتفت أبو الحسن علي بن عيسى الرماني يكلم رجلاً من الشيعة يعرف بأبي الصقر الموصلي في شيء يتعلق بالحكم في فدك ووجدته قد انتهى في كلامه إلى أن قال له: قد علمنا باضطرار أن أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام عند مطالبتها له بالميراث:

سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث (3) فسلمت عليها السلام لقوله ولم ترده عليه، وليس يجوز على فاطمة عليها السلام أن تصبر على المنكر وتترك المعروف وتسلم الباطل ، لا سيّما وأنتم تقولون إنّ علياً عليه السلام كان حاضراً في المجلس، ولا شك أن جماعة من المسلمين حضروه واتصل خبره بالباقين فلم ينكره أحد من الأُمّة ولا علمنا أن واحداً ردَّ على أبي بكر وأكذبه في الخبر، فلولا أنّه كان محقّاً فيما رواه من ذلك لما سلمت الجماعة له ذلك.

فاعترضه الرجل الإمامي بما روي عن فاطمة عليها السلام من ردها عليه وإنكارها لروايته وخطبتها في ذلك واستشهادها على بطلان خبره بظاهر القرآن وأورد كلاماً في هذا المعنى على حسب ما يقتضيه واتسعت له الحال.

فقال علي بن عيسى: هذا الذي ذكرته شيء تختص أنت وأصحابك به، والذي ذكرته من الحكم عليها شيء عليه الإجماع وبه حاصل علم الاضطرار، فلو كان ما تدّعونه من خلافه حقّاً لارتفع معه الخلاف وحصل عليه الإجماع كما حصل على ما ذكرت لك من رواية أبي بكر وحكمه، فلما لم يكن الأمر كذلك دلّ على بطلانه، فكلَّمه الإمامي بكلام لم أرتضه، وتكرر منهما جميعاً.

فأشار صاحب المجلس إليَّ لأخذ الكلام فأحسنَّ بذلك علي بن عيسى فقال لي: إنني قد جعلت نفسي أن لا أتكلم في مسألة واحدة مع نفسين في مجلس واحد، فأمسكت عنه وتركته حتى انقطع الكلام بينه وبين الرجل.

ثمّ قلت له: خبرني عن المختلف فيه هل يدل الاختلاف على بطلانه ؟ فظن أنني أريد شيئاً غير المسألة الماضية وأنني لا أكسر شرطه.

فقال: لست أدري أي شيء تريد بهذا الكلام ، فأبِن لي عن غرضك لأتكلم عليه.

فقلت: لم آتك بكلام مشكل ولا خاطبتك بغير العربية! وغرضي في نفس هذا السؤال مفهوم لكل ذي سمع من العرب إذا أصغى إليه ولم يله عنه، اللهم إلا أن تريد أن أبين لك عن غرضي فيما أجري بهذه المسألة إليه فلست أفعل ذلك بأول وهلة إلا أن يلزمني في حكم النظر والذي استخبرتك عنه معروف صحته وأنا أكرره، أتقول إن الشيء إذا اختلف العقلاء في وجوده أو صحته وفساده كان اختلافهم دليلاً على بطلانه، أو قد يكون حقاً وإن اختلفت العقلاء فيه.

فقال: ليس يكون الشي باطلاً من حيث اختلف الناس فيه ، ولا يذهب إلى ذلك عاقل.

فقلت له: فما أنكرت إلا أن تكون فاطمة عليها السلام قد أنكرت على أبي بكر حكمه وردت عليه في خبره واحتجّت عليه في بطلان قضائه واستشهدت بالقرآن (4) على ما جاء الأثر به ولا يجب أن يقع الاتفاق على ذلك وإن كان حقّاً ولا يكون الخلاف فيه علامة على كذب مدعاه بل قد يكون صدقاً وإن اختلف فيه على ما أعطيت في الفتيا التي قررناك عليها.

فقال: أنا لا أعتمد على ما سمعت مني من الكلام مع الرجل على الاختلاف فيما ادعاه إلا بعد أن قدمت معه مقدمات لم تحصرها، والذي أعتمد عليه الآن معك أن الذي يدلّ على صدق أبي بكر فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه لا يورث (5) ، وصوابه فيما حكم به ما جاء به الخبر عن علي عليه السلام أنّه قال: ما حدّثني أحد بحديث إلا استحلفته ، ولقد حدّثني أبو بكر وصدق أبو بكر، ولو لم يكن صادقاً أميناً عادلاً لما عدل عن استحلافه ولا صدقه في روايته ولا ميز بينه وبين الكافة في خبره، وهذا يدل على أن ما يدعونه على أبي بكر من تخرص الخبر فاسد محال.

فقلت له: أوّل ما في هذا الباب أنك قد تركت الاعتلال الذي اعتمدته بدأ ورغبت عنه بعد أن كنت راغباً فيه وأحلتنا على شيء لا نعرفه ولا سمعناه وإنما بينا الكلام على الاعتلال الذي حضرناه ولسنا نشاحك في هذا الباب لكنا نكلمك على استينافه من الكلام، وأنت تعلم وكل عاقل عرف المذاهب وسمع الأخبار أن الشيعة لا تروي هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ولا تصححه بل تشهد بفساده وكذب رواته وإنّما يرويه آحاد من العامة ويسلمه من دان بأبي بكر خاصة فإن لزم الشيعة أمراً بحديث تفرد به خصومهم لزم المخالفين ما تفردت الشيعة بروايته، هذا على شرط الإنصاف وحقيقة النظر والعدل فيه فيجب أن يصير إلى اعتقاد ضلالة كل ما روت الشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي والأئمّة من ذريته عليهما السلام ما يوجب ضلالتهم فإن لم تقبل ذلك ولم تلتزمه لتفرد القوم

بنقله دونك ، فكيف استجزت إلزامهم الإقرار برواية ما تفردت به دونهم لولا التحكم دون الإنصاف، على ان أقرب الأمور في هذا الكلام أن تتكافأ الروايات ولا يلزم أحد الفريقين منهما إلا ما حصل عليه الإجماع أو يضم إليه دليل يقوم مقام الإجماع في الحجة والبيان، وفي هذا إسقاط الاحتجاج بالخبر من أصله.

مع أني أسلمه لك تسليم جدل وأبين لك أنك لم توفِ الدليل حقّه ولا اعتمدت على برهان، وذلك أنه ليس من شرط الكاذب في خبر أن يكون كاذباً في جميع الأخبار ، ولا من شرط من صدق في شيءٍ أن يصدق في كل الأخبار، وقد وجدنا اليهود والنصارى والملحدين يكذبون في أشياء ويصدقون في غيرها، فلا يجب لصدقهم فيما صدقوا فيه أن نصدقهم فيما كذبوا فيه ولا نكذبهم فيما صدقوا فيه لأجل كذبهم في الأُمور الأُخر، ولا نعلم أنّ أحداً من العقلاء جعل التصديق لزيد في مقالة واحدة دليلاً على صدقه في كل أخباره، وإذا كان ذلك كذلك فما أنكرت أن يكون الرجل مخطئاً فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله في الميراث ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد صدقه فيما رواه من الحديث الذي لم يستحلفه فيه فيكون وجه تصديقه له وعلة ذلك أنه عليه السلام شاركه في سماعه من النبي صلى الله عليه وآله فكان حفظه له عينه يغنيه عن استحلافه ويدله على صدقه فيما أخبر به ولا يكون ذلك من حيث التعديل له والحكم على ظاهره، على أنّ الذي رواه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله شيء يدل على صحته العقل ويشهد بصوابه القرآن فكان تصديق أمير المؤمنين عليه السلام له من حيث العقل والقرآن لا من جهة روايته عن النبي صلى الله عليه وآله ولا لحسن ظاهر له على ما قدمناه، وذلك أن الخبر الذي رواه أبو بكر هو أن قال: سمعت رسول الله يقول: ما من عبد يذنب ذنباً فيندم عليه ويخرج إلى صحراء فلاة فيصلي ركعتين ثمّ يعترف به ويستغفر الله عزّ وجلّ منه إلا غفر الله له (6) وهذا شيء نطق به القرآن، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ وَيَعفُو عن السَّيِئاتِ وَيَعلَمُ ما تَفعَلُونَ) (7) وقال: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ) (8) والعقل يدل على قبول التوبة، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما تعلقت به وكان ذكره لإبي بكر خاصةً لأنّه لم يحدثه بحديث غير هذا فصدقه لما ذكرناه وأخبر عن تصديقه بما وصفناه ولم يكن ذلك لتعديله على ما ظننت ولا لتصويبه في الأحكام كلها على ما قدمت بما شرحناه.

فقال عند سماع هذا الكلام: أنا لم أعتمد في عدالة أبي بكر وصحة حكمه على الخبر وإنما جعلته توطئة للاعتماد وطوّلت الكلام فيه وأطنبت في معناه، والذي أعتمده في هذا الباب أنّي وجدت أمير المؤمنين عليه السلام قد بايع أبا بكر وأخذ عطاءه وصلّى خلفه ولم ينكر عليه بيد ولا لسان ، فلو كان أبو بكر ظالماً لفاطمة عليها السلام لما جاز أن يرضى به أمير المؤمنين عليه السلام إماماً ينتهي في طاعته إلى ما وصفت .

فقلت له: هذا انتقال ثان بعد انتقال أول وتدارك فائت وتلاف فارط وتذكر ما كان منسياً وإن عملنا على هذا انقطع المجلس بنشر المسائل والتنقل فيها والتحير وخرج الأمر عن حده وصار مجلس مذاكرة دون تحقيق جدل ومناظرة وأنت لا تزال تعتذر في كل دفعه عندما يظهر من وهن معتمداتك بأنك لم تردها ولكنك وطأت بها، فخبرني الآن هل هذا الذي ذكرته أخيراً هو توطئة أو عماد، فإن كان توطئة عدلنا عن الكلام فيه وسألناك عن المعتمد، وإن كان أصلاً كلّمناك عليه، مع أني لست أفهم منك معنى التوطئة لان كل كلام اعتل به معتل ففسد فقد انهدم ما بناه عليه ، ووضح فساد مبناه إن بناه عليه، فاعتذارك في فساد ما تقدّم بأنه توطئة لا معنى له، ولكننا نتجاوز هذا الباب ونقول لك ما أنكرت على من قال لك إن ما ادعيته من أن أمير المؤمنين عليه السلام بايع الرجل دعوى عرية عن برهان لا فرق بينها وبين قولك إنه كان مصيباً فيما حكم به على فاطمة عليها السلام فدلّ على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد بايع على ما ادعيت ثمّ ابن عليه.

فإما أن تعتمد على الدعوى المحضة فإنّها تضر ولا تنفع، وقولك إنّه عليه السلام صلّى خلف الرجل، فإن كنت تريد أنه صلّى متأخراً عن مقامه فلسنا ننكر ذلك وليس فيه دلالة على رضاه به، وإن أردت أنّه صلّى مقتدياً به ومؤتماً فما الدليل على ذلك ؟ فإنا نخالفك فيه وعنه ندفعك، وهذه دعوى كالأُولى تضر من اعتمد عليها أيضاً ولا تنفع.

وأمّا قولك إنه أخذ العطاء فالأمر كما وصفت، ولكن لم زعمت أن في ذلك دلالة على رضاه بإمامته والتسليم له في حكمه ؟ أوليس تعلم أن خصومك يقولون في ذلك إنه أخذ بعض حقّه ولم يحل له الامتناع من أخذه لأن في ذلك تضييعاً لماله وقد نهى الله تعالى عن التضييع وأكل الأموال بالباطل، وبعد فما الفصل بينك وبين من جعل هذا الذي اعتمدت بعينه حجة في إمامة معاوية.

فقال : وجدت الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر وغيرهم من المهاجرين والأنصار قد بايعوا معاوية بن أبي سفيان بعد صلح الحسن عليه السلام وأخذوا منه العطاء وصلّوا خلفه الفرائض ولم ينكروا عليه بيد ولا لسان ، فكلما جعلته إسقاطاً لهذا الاعتماد فهو بعينه دليل على فساد ما اعتمدته حذو النعل بالنعل.

فلم يأت بشيء تجب حكايته. (9)

(1) هو: محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ المفيد من أعاظم علماء الإمامية، انتهت إليه رئاسة متكلّمي الشيعة في عصره، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنّف، ولد سنة 338 هـ وتوفّي سنة 413 هـ وكان يوم وفاته يوماً لم يُر أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق ، وقيل شيعه ثمانون ألفاً من الناس وصلّى عليه الشريف المرتضى ودفن بجوار الامامين الكاظم والجواد عليهم السلام . راجع ترجمته في: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد في المقدّمة ص16 ، ميزان الاعتدال ج4 ص 30 ، الفهرست للشيخ الطوسي ص 157 ترجمة رقم : 696 .

(2) الرماني : أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني نحوي لغوي وفقيه مفسّر ومتكلّم معتزلي ، ولد في بغداد 296 هـ ، وأصله من سر من رأى ، أخذ عن ابن السراج وابن دريد ، له الجامع في علم القرآن ، وكتاب الألفاظ المتقاربة والمترادفة المعنى، وشرح كتاب سيبويه ، قيل في إسلوب الرماني انّه كان يمزج النحو بالمنطق ، توفي ببغداد سنة 384 هـ . راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 3 ص 299 ترجمة رقم: 435 ، تاريخ بغداد للخطيب : ج 12 ص 16 ترجمة رقم : 6377 ، الأعلام للزركلي : ج5 ص 134 .

(3) تقدمت تخريجاته .

(4) وقد احتجّت عليها السلام بالقرآن في خطبتها التي خطبتها بمحضر من الخليفة الأوّل وحشد من المهاجرين والأنصار لما منعوها فدكاً ومما احتجت به عليها السلام قالت: أيها المسلمون أأغلب على إرثي ؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فريّاً ! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول: (وورث سليمان داود) ، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) وقال: (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين) وزعمتم : أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون: إنّا أهل ملّتين لا يتوارثان ؟ أولستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ..الخ . راجع هذه الخطبة الشريفة في: الاحتجاج للطبرسي: ج1 ص97- 107، بلاغات النساء لابن طيفور ـ المتوفّي سنة 380 هـ : ص 12 - 19 ، أعلام النساء لعمر كحالة: ج4 ص 116 - 119، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج16 ص 211 - 213 و ص 249 - 251 .

(5) تقدّمت تخريجاته .

(6) مسند أحمد بن حنبل: ج1 ص 10 ، كنز العمّال: ج4 ص 206 ح 10168.

(7) سورة الشورى: الآية 25 .

(8) سورة البقرة : الآية 222 .

(9) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ص 269 - 274 .

المُناظرة الثانية والثلاثون

مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي (1) مع علي بن الفارقي وبعضهم في أمر فدك

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فدك: وسألت علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة ؟

قال: نعم .

قلت: فَلِم لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي عنده صادقة ؟

فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرْمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيءٍ؛ لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود .

وهذا كلام صحيح؛ وإن كان أخرجه مخرج الدُّعابة والهزل (2) .

وقال لي عَلَويّ من الحِلّة (3) يُعرَف بعلي بن مهنأ، ذكيّ ذو فضائل: ما تظنّ قصدَ أبي بكر وعمر بمنع فاطمة عليها السلام فَدَك ؟

قلت: ما قصدا ؟

قال: أرادا ألاّ يُظهرا لعليّ عليه السلام ـ وقد اغتصباه الخلافة ـ رقّة ولِيناً وخذلاناً، ولا يرى عندهما خوراً، فأتْبعا القرْح بالقرْح .

وقلت لمتكلّم من متكلّمي الإمامية يُعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل (4) : وهل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير!

فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدّاً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عليها السلام عنها إلاّ ألاّ يتقوّى عليٌّ عليه السلام بحاصِلِها وغَلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذ أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعليّ عليهما السلام وسائر بني هاشم وبنِي المطلب حقّهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب المُلك والرياسة (5) .

---

(1) هو : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين المدائني، ولد بالمدائن سنة 586 هـ ونشأ بها وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها، ثمّ مال إلى مذهب الاعتزال منها، وعلى أساسه جادل وناظر، وكان متضلعاً في فنون الأدب، عارفاً بأخبار العرب، وله عدّة مصنفات أشهرها شرح نهج البلاغة، توفّي سنة 655 هـ ، وقيل 656 هـ ، راجع ترجمته في: مقدمة شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل، وفيات الأعيان لابن خلكان : ج5 ص 391 - 392 ، البداية والنهاية: ج13 ص 199.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 284 .

(3) الحلة : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمّى الجامعين، وكان أوّل من عمّرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وذلك في محرّم سنة (495 هـ)، وكانت أجمة تأوي إليها السباع، فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة ، وتأنق أصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ ، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدّة حياة سيف الدولة، وفي الحلّة مسجد الإمام الصادق عليه السلام وفيها أيضاً مسجد ردّ الشمس ومسجد جمجمة. سفينة البحار: ج 1 ص 299 ، مراصد الاطلاع: ج1 ص419 .

(4) النِّيل: بُليدة في سواد الكوفة، قرب حلّة بني مزيد يخترقُها نَهْرٌ يتخلّج من الفرات العظمى، حفره الحجاج بن يوسف وسمّاه نيل مصر، وهو عمود عمل قُوسان يَصُبُّ فاضله إلى دجْلة تحت النعمانية، مراصد الاطلاع: ج 3 ص 1413.

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج16 ص 236 - 237 .

المُناظرة الثالثة والثلاثون

مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع النقيب أبي جعفر البصري العلوي في أمر فدك

قال ابن أبي الحديد : قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي رحمه الله ، هذا الخبر (1) فقال : أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد ! أما كان يقتضي التكريم والإحسان أن يُطيّبَ قلب فاطمة عليها السلام بفدك ، ويُستوهبَ لها من المسلمين ، أتقصرُ منزلتُها عند رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلة زينب أختها، وهي سيدة نساء العالمين ! هذا إذا لم يثبت لها حقّ، لا بالنحلة ولا بالإرث؟

فقلت له : فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقّاً من حقوق المسلمين ، فلم يَجُز له أن يأخذه منهم .

فقال : وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقّاً من حقوق المسلمين ، وقد أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهم .

فقلت : رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة ، والحُكم حكمه ، وليس أبو بكر كذلك .

فقال: ما قلت: هلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة عليها السلام ، وإنّما قلت : هلاّ استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها ، كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين فداء أبي العاص ! أتراه لو قال : هذه بنت نبيّكم قد حضرت تطلب هذه النِّحلات ، أفتطيبون عنها نفساً ، أكانوا منعوها ذلك ؟

فقلت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد نحو هذا ، قال : إنّهما لم يأتيا بحسنٍ في شرع التكرّم ، وإن كان ما أتياه حسناً في الدين! (2)

قال ابن أبي الحديد : وهذا الخبر أيضاً قرأته (3) على النقيب أبي جعفر رحمه الله.

فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقتْ ذا بطنها ، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من رَوّع فاطمة عليها السلام حتى ألقت ذا بطنها.

فقلت : أروي عنك ما يقوله قومٌ أنّ فاطمة عليها السلام رُوّعت فألقت المحسن .

فقال : لا تروه عنّي ، ولا ترو عنّي بطلانه ، فإنّي متوقف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه . (4)

---

(1) وهو خبر فداء زينب ـ أخت فاطمة الزهراء عليها السلام لأبي العاص زوجها ، وذلك لما يُروى إنّه لما بعث أهل مكة في فداء أساراهم في يوم بدر ـ وكان معهم أبو العاص ابن الربيع ـ بعثت زينب في فداء أبي العاص بمالٍ ، وكان فيما بعث به قلادة كانت خديجة أُمّها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه ، فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله رقّ لها رقة شديدة ، وقال للمسلمين : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله ، نفديك بأنفسنا وأموالنا فردوا عليها ما بعثت به ، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء . راجع : شرح النهج لابن أبي الحديد : ج 14 ص 190 ، السيرة النبويّة لابن هشام : ج 2 ص 296 - 297 .

(2) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج 14 ص 190 - 191 .

(3) وهو خبر خروج زينب من مكة إلى المدينة ، وذلك لما خرجت خرج بعضهم في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود ، ونافع بن عبد القيس الفهري ، فروعها هبّار بالرّمح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ، فلما رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج ، فلذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دمَ هبار بن الأسود . راجع : شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 192 ، السيرة النبوية لابن هشام : ج 2 ص 298 - 299 .

(4) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 14 ص 193 .

المُناظرة الرابعة والثلاثون

مناظرة نظام العلماء التبريزي (1) مع بعض المدنيين في علة دفن الزهراء عليها السلام ليلاً

قال نظام العلماء التبريزي في كتابه الشهاب الثاقب : إنّي تحدثت مع رجل من إخواننا السنة في المدينة المنورة ، فسألته قائلاً : لما دُفنت الزهراء عليها السلام ليلاً ، ولم يعملوا لها تشييعاً عظيماً ، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال لي المدني : لقد صار للزهراء عليها السلام يوم وفاتها تشييع عظيم !

قال : فقلت له : أسألك عن نافع (2) ـ وهو ـ من القرّاء ، كم حضر تشييعه يوم وفاته .

قال : لا أدري ؟ ولكن ما يزيد على خمسمائة إنسان .

قال : فقلت له : وهل معروف موضع قبره أم لا ؟

قال : نعم ، مدفون في البقيع ، وقبره معلوم .

فقلت له : فإذا كانت الزهراء عليها السلام قد صار لها تشييع عظيم ، وحضرها الآلاف من أهل المدينة ، فكيف لم يعلموا موضع قبرها ومحل دفنها ؟

قال : لا أدري ، بل أنت قل لي ما السبب ؟

قال نظام العلماء : فقلت له : إن سببَهُ ، لأنّها هي أوصت بدفنها ليلاً ، وعدم إخبار الناس بوفاتها .

قال المدني : وما سبب ذلك ؟

قلت : لأنّ الرجلين كانا قد ظلماها بعد أبيها وأغضباها ، فسخطت عليهما ، فأوصت بعدم إخبارهما بوفاتها ، لئلاّ يحضرا تشييعها ودفنها والصلاة عليها (3) ولا يمكن منع الرجلين وحدهما من حضورهما ، فأوصت بدفنها ليلاً ، وإخفاء قبرها ، احتجاجاً على موقفهما منها بعد أبيها صلى الله عليه وآله . (4)

---

(1) هو : المولى محمود بن محمد (نظام العلماء) التبريزي ـ عليه الرحمة ـ المتوفّى سنة 1271 هـ تقريباً ، كان جامعاً للمعقول والمنقول ، وكان معلماً للسلطان ناصر الدين شاه ، ومن آثاره : كتاب الأخلاق ، المطبوع سنة 1264 هـ ، الشهاب الثاقب في ردّ النواصب ، وقد طبع باللغة الفارسية، كما أوقفت مكتبته بعد موته في سنة 1272 هـ ، راجع : الذريعة لآغا بزرك الطهراني : ج 1 ص381 و ج 14 ص 253 .

(2) هو : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني ، أحد القراء السبعة ، أصله من أصبهان ، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة ، توفي سنة 169 هـ ، راجع : طبقات القراء : ج 2 ص 330 ، تهذيب التهذيب : ج 10 ص 407 رقم : 732 .

(3) وهذا متفق عليه عند كبار المحدثين ، بلا نكير يُذكر ، وما ينكر ذلك إلاّ متعنت وإليك جملة مما ذكرها أكابرهم في أنّ فاطمة عليها السلام هجرت الخليفة الأول فلم تكلمه حتى ماتت ، وأوصت أن تدفن ليلاً .

أ ـ صحيح البخاري : ج 5 ص 177 ، قال في ذلك : فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفّيت ، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر ، فلمّا توفيت دفنها علي عليه السلام ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر .

ب ـ السنن الكبرى للبيهقي : ج 4 ص 29 (ب الوالي أحق بالصلاة على الميت من الولي من كتاب الجنائز) قال : والصحيح عن ابن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة ، في قصة الميراث أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر فلما توفيت دفنها علي بن أبي طالب عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلّى عليها علي عليه السلام .

وذكر ذلك أيضاً في ج 6 ص 300 عن عائشة في حديث مطالبة فاطمة عليها السلام ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قالت ـ : فغضبت فاطمة عليها السلام وهجرته فلم تكلمه حتى ماتت فدفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ...الخ .

جـ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 2 ص 448 ، عن عائشة فهجرته فاطمة ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، ودفنها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر .

د ـ شرح النهج لابن أبي الحديد : ج 16 ص 280 ، فقد ذكر جملة من تلك الأحاديث والتي منها ، ما جاء عن القاضي في كتابه : أن علياً عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام دفنوها ليلاً، وغيبوا قبرها .

هـ ـ التنبيه والأشراف للمسعودي : ص 250 قال : وتولى غسلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودفنها ليلاً بالبقيع وقيل غيره ، ولم يُؤذن بها أبو بكر ، وكانت مهاجرة له منذ طالبته بإرثها من أبيها صلى الله عليه وآله من فدك وغيرها وما كان بينهما من النزاع في ذلك إلى أن ماتت .

وأما من طرق الإمامية فكثيرة جداً ، فمنها على سبيل المثال :

أ ـ روى الأصبغ بن نباتة ، قال سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن علة دفنه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه السلام ليلاً فقال عليه السلام : إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها ، وحرام على من يتولاهم أن يصلّي على أحد من ولدها . (الأمالي للصدوق : ص523 ح 9 ، بحار الأنوار : ج 43 ص 209 ح 37 .

ب ـ جاء عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث ـ قالت فاطمة عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام : سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنا مت ألا يشهداني ولا يصليا عليّ . قال : فلك ذلك . عن الاختصاص للمفيد : ص 183 .

جـ ـ جاء عن ابن البطائني عن أبيه قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام : لأي علّة دفنت فاطمةعليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار ؟ قال عليه السلام : لأنّها أوصت أن لا يصلّي عليها الرجلان الأعرابيان. عن علل الشرائع للصدوق : ج 1 ص 185 ح 1 ، عنه بحار الأنوار : ج 43 ص 306 ح34.

(4) هدي الملة إلى أن فدك نحلة ، للشيخ باقر المقدسي : ص 178 - 179 .

المُناظرة الخامسة والثلاثون

مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد العزيز بن صالح في مسألة إرث الزهراء عليها السلام
ذهبت في عام ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين للتسليم على إمام الحرم النبوي الشيخ عبدالعزيز بن صالح في بيته، فقلت له بعد التسليم والتحيات اللازمة: ما يقول شيخنا في معنى الرواية الواردة في صحيح البخاري في المجلد الخامس عن عائشة، جاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عند أبي بكر فطلبت منه ميراث أبيها فمنعها ميراث أبيها فقال : أنا سمعت من أبيك قال صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الآنبياء ما تركناه صدقة ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً من فدك ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه آله ستة اشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجهة في حياة فاطمة عليها السلام ، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس (1) ... إلخ.
فقلت للشيخ: قبل مجيء فاطمة عليها السلام عند أبي بكر هل كانت عالمة بأنها لم ترث من أبيها ، فلم جاءت عند أبي بكر ، وإن كانت لم تعلم برأي أبيها بأنها لم ترث لِمَ لم تقبل قول أبي بكر بعدما قال أبو بكر : أن الرسول صلى الله عليه وآله قال : نحن معاشر الآنبياء لا نورث (2) بل كذبته عملاً حيث أنها هجرته فلم تكلمه حتى ماتت ، فإن كان أبو بكر صادقاً في نسبة الرواية إلى الرسول صلى الله عليه وآله فلازمه رد الصديقة الطاهرة التي شهد القرآن بتطهيرها من الأرجاس في آية : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) (3) قول أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فهل ترضى نفس المسلم نسبة ردّ قول الرسول صلى الله عليه وآله أبي الصديقة الطاهرة ، فلازم عدم قبول الصديقة الطاهرة قول أبي بكر في نسبة الرواية إلى الرسول صلى الله عليه وآله عدم صدور الكلام ، أعني نحن معاشر الآنبياء لا نورث ما تركناه صدقة من الرسول صلى الله عليه وآله .
وأيضاً حينما اشتد مرض الرسول صلى الله عليه وآله قال عمر: حسبنا كتاب الله (4) ولا نحتاج إلى كتابة الرسول صلى الله عليه وآله الوصية ، من جهة أن الرسول أراد تعيين أوصيائه كما في فتح الباري (5) في شرح صحيح البخاري ، لكن حينما تطالب الصديقة بإرث أبيها مع أنها تحتج بآيات الإرث مثل آية (وورث سليمان داود) (6) وآية (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً) (7) ، أبوبكر يستدل على عدم الإرث بقول الرسول ، مع أن عمر قال : حسبنا كتاب الله، أي لا نحتاج إلى قول الرسول.
وقلت للشيخ: لازم هذا الكلام أعني (فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته) غضب فاطمة عليها السلام على أبي بكر ، وأيضاً لأي علة دفنها علي بالليل ، ولم يؤذن بها أبا بكر يصلي عليها؟
فقال الشيخ: يمكن أن يكون لأجل تعجيل تجهيز الميت.
قلت: إن بيت أبي بكر كان قريباً من بيت فاطمة عليها السلام لكنها ما طابت نفسها حضوره لدفن جثمانها ، ولازم الجمع بين هذه الرواية، والرواية التي وردت في فضيلة فاطمة عليها السلام في باب فضائل الصحابة من المجلد الخامس من صحيح البخاري عن مسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني (8) ، هو أنه أغضب أبو بكر الرسول الأعظم من جهة أنه أغضب فاطمة عليها السلام من جهة منع ميراث أبيها ، وغضب الرسول صلى الله عليه وآله غضب الله ، لأن القرآن يقول (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً) (9) . (10)

---

(1) صحيح البخاري : ج 5 ص 177 (ك المغازي ب غزوة خيبر) .
(2) تقدمت تخريجاته .
(3) سورة الأحزاب : الآية 33 .
(4) راجع : صحيح البخاري : ج 1 ص 39 (ك العلم ب كتابة العلم) وج 6 ص 12 (ك الغزوات ب مرض النبي صلى الله عليه وآله) وج 7 ص 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني) ، ج 9 ص137 (ك الاعتصام بالكتاب والسنة ب كراهية الخلاف) .
(5) فقد ذكر هذا الرأي ـ كما هو رأي الإمامية ـ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ج 1 ص 169 ، واليك نص كلامه في شرحه لقول النبي صلى الله عليه وآله : (أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وآله غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ، قال : قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع ، فخرج ابن عبّاس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه) قال ابن حجر : وقيل بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم الإختلاف قاله سفيان بن عيينه . انتهى موضع الحاجة ، أقول : والذي يؤيّد ذلك أيضاً تصريح الخليفة عمر بذلك في قوله : ولقد أراد في مرضه أن يصرح ـ يعني رسول الله ـ بأسمه ـ يعني بأسم علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فمنعت من ذلك ... الخ . راجع :

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص21 و 79 .
(6) سورة النمل : الآية 16 .
(7) سورة مريم : الآية 6 .
(8) صحيح البخاري : ج 5 ص 26 .
(9) سورة الأحزاب : الآية 57 .
(10) مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي : ص 25 - 27 .

المُناظرة السادسة والثلاثون

مناظرة السيد البطحائي مع بعض أعضاء هيئة الأمر بالمعروف في مسألة ظلامة الزهراء عليها السلام
قال الشيخ: لأي علة تجيئون إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام وتقولون: السلام عليكِ أيتها المظلومة، من ظلم فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وآله ؟!
قلت : قضية الظلم على فاطمة الزهراء عليها السلام مذكورة في كتبكم!!
قال: أيُ كتابٍ؟
قلت: كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ، راجع الورقة الثالثة عشر من الكتاب.
قال: غير موجود عندي.
قلت: أشتري لك من السوق ، فذهبت إلى السوق واشتريت الكتاب وجئت إلى الهيئة ، وقلت للشيخ: طالع الورثة الثالثة عشر ، وفيها يذكر كيف كانت بيعة علي كرم الله وجهه، ثم يقول : إن أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته ، وهم مجتمعون في دار علي ، فبعث عمر وقنفذ مرات إلى بيت علي عليه السلام فقال : أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال علي عليه السلام : لا أعلم لرسول الله صلى الله عليه وآله خليفة غيري ! قالوا: لتخرجن للبيعة وإلا أحرقنا البيت ومن فيه، قيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة! قال: وإن (1)، وفي ذيل الورقة يقول : لمّا اشتد مرض أبي بكر قال: يا ليتني لم أفعل أشياء ، وذكر منها التعرض لبيت علي ، ولو أعلن عليّ الحرب. (2)
قلت: يا شيخ، انظر إلى كلام أبي بكر وانه كيف يتأسف للتعرض لبيت علي عليه السلام عند الموت.
قال الشيخ: لكن صاحب هذا الكتاب يميل إلى الشيعة.
قلت: كلَ مَنْ يقول الحق فهو يميل إلى الشيعة. (3)

---

(1) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج 1 ص 19 عند قوله : (كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .
(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ص 24 ، فقد ذكر أن أبا بكر قال في مرضه : والله ما أسى إلاّ على ثلاث فعلتهن ، ليتني كنت تركتهن ، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن ، فأما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن ، فليتني تركت بيت علي عليه السلام وإن أعلن عليّ الحرب ، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين ... الخ ، وذكرها أيضاً اليعقوبي في تاريخه : ج 2 ص 137 ، والمسعودي في مروج الذهب : ج 2 ص 308 .
(3) مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي : ص 13 - 14 .

المُناظرة السابعة والثلاثون

مناظرة السيد مصطفى مرتضى العاملي مع بعضهم في تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم

سألني سائل فقال : مَنْ أفضل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أم مريم بنت عمران عليها السلام ؟

قلت : وما يعنيك من هذا، وماذا يفيدك، فإن لكلٍّ فضلها ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ .

قال : أحب أن أعلم ذلك، لأنّ الله ذكر مريم في القرآن، ولم يذكر فاطمة عليها السلام .

قلت : إنّ الله قصَّ في القرآن أخبار الماضين، فذكر الأنبياء، وبعض الصلحاء، وذكر الملوك وذكر بعض من هم على شاكلتهم من المتمردين .

كذلك ذكر من النساء الصالحات امرأة إبراهيم، وامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، ولم يذكر أحداً ممن كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله إلاّ ما ذكره من قصّة زيد بن حارثة مع زوجته ، وذلك لحكم شرعي كان صلى الله عليه وآله مكلَّفاً بتطبيقه عملياً بنفسه .

قال : وهل تظن أني أقنع منك بهذا، وألتزم السكوت عما سألتك عنه، إنني أحمق لو فعلت ذلك .

قلت : أنت أحمق بسؤالك، ولأنك أحمق لست تقتنع بما قلته لك ، ولكن قبل الشروع في أيّهما أفضل، لا بدّ من تقديم مقدمة تمهيداً للبحث .

قال : فهات .

قلت : إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بعثه الله تعالى لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وليعرفهم ما كانوا يجهلون ، فأورد فيه من الأمثال والقصص ما فيه معتبر للعاقل، فيتحصل بذلك فوائد :

منها : الدلالة على صحّة الرسالة المحمدية، حيث إنّه صلى الله عليه وآله لم يقرأ كتاباً ، ولم يختلف إلى معلِّم ، بل كان أجيراً راعياً، فمن أين له معرفة هذه القصص التي يجهلها أهل التاريخ ؟ ومن أين له بهذه القوانين والنظم الأخلاقية والاجتماعية التي قلبت العالم رأساً على عقب، وحوَّلت الناس من همجية الجاهلية، ووحشية العصبية، إلى سعة العدل والإنصاف والمساواة، وجعلتهم بعد العداوة والبغضاء إخواناً .

ومنها : الترغيب في الأعمال الصالحة والصبر عليها مهما كان العمل فيها شاقاً، والعناء شديداً، فإنّ من نظر في أحوال الأنبياء والصلحاء، وما عانوا من المشقات، وقاسوا من المحن، ليجد أن النصر والفلاح كان لهم أخيراً، وآبوا بحسن العاقبة، وباء غيرهم بالخسران .

ومنها : التحذير من بأس الله وانتقامه، وتأييد ذلك بما حصل في الأمم السالفة من أنواع العقوبات .

والذي يبعث إلى الناس إنّما يخبر عمَّن تقدمه قبلاً، وعن قصصهم وأخبارهم، لا أن يحدّث عن تاريخ ولادته وقصة حياته ، وأحوال أهله وأولاده، فإن ذلك معلوم عند المعاصرين له، فحديثه عن كل هذا إنّما يكون من قبيل تحصيل الحاصل، فلا معنى له إذاً .

ومريم كانت ممّن تقدّم البعثة، وفي قصّتها شُبَهٌ وأحوال غريبة، فيحسن الحديث عنها لإزالة الشبهة، ورد الأمر إلى حقيقته، وفاطمة عليها السلام لم تكن كذلك، ولا حصلت معها أي شبهة.

وقد ذكر في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (1) ، «اصطفاك» : أي اختارك ، وألطف لك، حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته، وقيل : اصطفاك لولادة المسيح.. عن الزجاج، «وطهرك»، بالإيمان عن الكفر، وبالطاعة عن المعصية .. عن الحسن وسعيد بن جبير، وقيل : طهرك من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس، حتى صرت صالحة لخدمة المسجد، عن الزجاج.

وقيل : طهرك من الأخلاق الذميمة، والطبائع الرّدية، (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ) ، أي على نساء زمانك ، لأنّ فاطمة بنت رسول الله ـ صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ـ سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر عليه السلام .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : فضلت خديجة على نساء أُمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين ، وقال أبو جعفر عليه السلام : معنى الآية : اصطفاك من ذرية الأنبياء، وطهرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى عليه السلام من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكريراً، إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين، (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أي اعبديه، وأخلصي له العبادة... عن سعيد بن جبير ، وقيل : معناه : أديمي الطاعة له ... عن قتادة، وقيل : أطيلي القيام في الصلاة .. عن مجاهد، (واسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)، أي كما يعمل الساجدون والراكعون، لا أن يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة، وقدم السجود على الركوع ، لأنّ الواو لا توجب الترتيب، فإنها في الأشياء المتغايرة نظيرة التثنية في المتماثلة، وإنما توجب الجمع والاشتراك،

وقيل: معناه : واسجدي لله شكراً واركعي، أي وصلّي مع المصلين، وقيل : معناه : صلّي في الجماعة ... عن الجبائي (2) .
قال الرجل : أليس إطلاق «العالمين» يدفع كونها مصطفاة على نساء عالم عصرها.
قلت : الظاهر ما ذكرت، ولكن قد تقدّم ـ عن مجمع البيان ـ أن الاصطفاء يكون على معنيين مختلفين ، فالاصطفاء المطلق : معناه الاختيار، وهو يفيد معنى التسليم ، والاصطفاء المتعدي بعلى أيضاً معناه الاختيار ولكنه يفيد معنى التقديم، إذاً نستطيع القول بأن اصطفاءها على نساء العالمين هو تقديم لها عليهن .
ولكن هذا التقديم هل هو من جميع الجهات، أو من بعضها، فإن كان من جميع الجهات فلا مشاحة في فضلها، هي أفضل من الجميع، فاطمة فمن دونها، وإن كان هذا التقديم من بعض الجهات، فلنا فيه نظر.
ظاهر الآيات التي تتعرض لقصة مريم تفيد التبعيض، فبعد آية بعد هذه الآية يقول : (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مريمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِن المُقَرَّبِين ، وَيُكلّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ وَكَهلاً وَمِنَ الصَالِحِين ...) (3) الخ ، وفي سورة الأنبياء : (وَالتي أَحْصَنَت فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيها مِنْ رُوحِنا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيةً لِلْعالمينَ) (4) ، وفي سورة التحريم : (وَمَريَمَ ابنةَ عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنا ...) (5) الخ، ونصوص هذه الآيات لم تشتمل إلا على شيء واحد، اختصت به من بين سائر النساء، وهو ولادة المسيح العجيبة منها من غير ملامسة ذكر، فإذاً لا وجه لاصطفائها وتقديمها على نساء العالمين إلا هذا الوجه .
وأمّا غير ذلك مما اشتملت عليه الآيات، كالتطهير والتصديق بكلمات الله وكتبه، وكلام الملائكة معها والقنوت وغير ذلك، فلا يختص فيها، بل يوجد عند غيرها كما يوجد عندها .
وكذلك نداء الملائكة، وأمرهم لها بالقنوت والسجود والركوع، إنما هو أمرٌ لها بالشكر وتعليم لها إيّاه، وتوجيه كيف تكون العبادة .
فمريم مصطفاة على نساء العالمين لأمر خاص، وهذا الأمر الخاص إنّما كان لإزالة شبهة كانت في عصر مريم عليها السلام وهو ردّ دعوى الماديين بقدم العالم، وإنكارهم بدء الخليقة .
وإن لفاطمة عليها السلام من الفضل عليها استعانة النبي صلى الله عليه وآله بها لدفع الشبهة الحاصلة، من جراء ولادتها للمسيح، وقولهم إنه ابن الله ، فقد جعلوها زوجة لله ، تعالى الله عن ذلك، ومريم اتهمت بالسوء، فوجب حينئذٍ ذكر اسمها، والشهادة لها بالبراءة والطهارة والعصمة، ولولا شهادة القرآن لها بذلك لما استطاع أحد إثبات براءتها وطهارة نفسها .
قال : إني مقتنع بهذا الذي ذكرت، ولكن هل من دليل غير هذا يكون كالشاهد له .
قلت : إن في قوله عزّ وجلّ : (اللهُ أَعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه) (6) ، ما يعطي أن الله عزّ وجلّ لا يختار لرسالته إلا من علم منه الإخلاص له والاجتهاد في مرضاته، وعدم الهم بمعصيته كما ورد في بعض الأخبار أنه أوحى إلى موسى عليه السلام : يا موسى أتدري لماذا اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؟ فقال : لا يا رب، فقال : إنّي نظرت في قلوب عبادي فلم أجد أحداً أذلّ إليَّ نفساً منك (7) ، وعلى هذا فالأنبياء هم أفضل الخلق وأشرفهم، وكل نبي فلا بد أن يكون أشرف أهل زمانه، فهو سيد أهل زمانه ، وحيث إنَّ محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد النبيّين ، فذريته أشرف من ذراري الأنبياء السابقين، وأمّته من الأُمم الماضين .
وإنَّ الله عزّ وجلّ اختار مريم ليجعلها وابنها آية، وإن الذي حصلت لتصديقه الآية أو حصلت على يده الآية ، لهو أفضل من الآية، فإن كانت المعجزات آيات، فأصحاب المعجزات آيات أعظم من الآيات، وإذا كان محمد صلى الله عليه وآله أشرف من أُولي العزم، ومنهم عيسى عليه السلام ففاطمة عليها السلام أشرف من جميع نساء الأُمم، ومنهم مريم عليها السلام ، ومريم شُرّفت بعيسى، ففاطمة محاطة بالشرف من جميع نواحيها، أبوها النبي الأعظم، وأُمّها ساعدت ذلك النبي الأكبر، والإسلام لم يقم إلا بمال خديجة عليها السلام وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبعلها سيد الوصيّين، وولداها سيدا شباب أهل الجنّة، وهي سيدة نساء العالمين، وأُمّ الأئمّة الميامين.
إنّ في قوله تعالى : (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً) (8) ، دلالة هي أعظم الدلالات على شرفها العظيم وفضلها العميم، فالرجس، معناه : كل نجاسة حسيّة ومعنويّة فهو يشمل كل ما يتعلق بذلك، ولو أنها باطلة، وان ما اتهمت به مريم وإن كان كذباً وإفكاً وزوراً ولكن الناس قالوا : وإن الشاعر العربي يقول :

قد قيل ذلك إن صدقاً وإن كذباً * فما اعتذارك من قول إذا قيلا (9)

وإن مريم طهرها الله، ولكن لم يذكر المصدر مؤكداً له، كما أكدَّ التطهير بالمصدر في الآية الكريمة .

ولو أكد ذلك لمريم، بأن يقول : وطهّرك تطهيراً ، لما استطاع أحدٌ أن ينسب إليها شيئاً من القبيح .
وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله : علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل (10) ، وفي رواية أفضل من أنبياء بني إسرائيل، فإذا كان العلماء في هذه الاُمّة أفضل من الأنبياء وليس العلماء بالمعصومين، فلم لا تكون فاطمة عليها السلام أفضل، وهي الطاهرة الزكية النقية المعصومة ، وفي هذا كفاية لمن تدبر ، والحمد لله ربّ العالمين (11) .

---

(1) سورة آل عمران : الآية 42 - 43 .
(2) مجمع البيان للطبرسي : ج 2 ص 745 - 746 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 14 ص193 .
(3) سورة آل عمران : الآية 45 - 46 .
(4) سورة الأنبياء : الآية 91 .
(5) سورة التحريم : الآية 12 .
(6) سورة الأنعام : الآية 124 .
(7) بحار الأنوار : ج 13 ص 8 ح 8 .
(8) سورة الأحزاب : الآية 33 .
(9) البيت للنعمان بن المنذر ضمن أبيات بعث بها إلى الربيع جواباً عن أبيات كتبها إليه ، مشهورة أولها :

شمر برحلك عني حيث شئت ولا * تكثر عليَّ ودع عنك الأقاويلا

راجع : خزانة الأدب للبغدادي : ج 4 ص 10 وج 9 ص 552 ، شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي أيضاً : ج 2 ص 8 .
(10) بحار الأنوار : ج 2 ص 22 ح 67 ، كشف الخفاء ومُزيل الألباس للعجلوني : ج 2 ص 83 ح 1744 ، التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي : ص 167 ح 8 ، الأسرار المرفوعة للقاري : ص 247 ح 298 ، الفوائد المجموعة للشوكاني : ص 286 ح 47 .
(11) الحقيبة ، مناظرات ومحاورات للسيد مصطفى العاملي : ص 245 - 251 .

الحسن والحسين (ع) إبنا رسول الله (ص) وذرّيته

المُناظرة الثامنة والثلاثون

مناظرة أبي الجارود مع بعضهم في أن الحسن والحسين عليهما السلام إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام الإمام الباقر عليه السلام له في ذلك (1)

روي عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا أبا الجارود ! ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام ؟

قلت : ينكرون علينا أنّهما إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فبأي شيء احتججتم عليهم ؟

قال : قلت : بقول الله في عيسى بن مريم عليهما السلام : (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُد وَسُليمانَ وَأيّوبَ ويُوسفَ وَمُوسى وَهَارونَ وَكذلك نَجزي المحسنين ، وزكريا وَيَحيى وَعيسى وَإلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحينَ) (2) فجعل عيسى من ذرية إبراهيم .

قال : فأي شيء قالوا لكم ؟

قلت : قالوا : قد يكون ولد الإبنة من الولد ولا يكون من الصلب .

قال : فبأي شيء احتججتم عليهم ؟

قال : قلت : احتججنا عليهم بقوله تعالى : (قُلْ تَعالَوا نَدْعُ أبْناءَنَا وَأبْناءَكُمْ ونِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأنْفُسَنا وَأنْفُسَكُمْ) (3).

ثمّ قال : فأي شيء قالوا ؟

قال : قلت : قالوا : قد يكون في كلام العرب إبني رجل من واحد ، فيقول أبناءنا وإنّما هما ابنُ واحدٍ .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : والله يا أبا الجارود ! لأعطينكها من كتاب الله آية تسمّيهما أنّهما لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلاّ كافر .

قال : قلت : جعلت فداك وأين ؟

قال : قال : حيث قال الله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُم أمّهاتُكم وَبَنَاتكُم وأخَواتُكم ـإلى قولهـ وَحلائلُ أبنائكُم الّذين من أصلابكُم) (4) فسلهم يا أباالجارود هل يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما ؟ فإن قالوا : نعم ، فكذبوا والله ، وإن قالوا: لا ، فهما والله إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله لصلبه ، وما حرّمن عليه إلاّ للصلب. (5)

---

(1) طالما أوضح أئمّة الحق ـ صلوات الله عليهم ـ هذا الأمر ـ إنّهم أبناءُ رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة ـ بما لا مزيد عليه ، بالأدلة الواضحة والحجّة البالغة من القرآن الشريف والتي لا ريب فيها ، والبراهين الأُخرى تأكيداً على ذلك ، والذي لا سبيل لإنكاره ، حتى أخذوا ينبهون أصحابهم وشيعتهم بذلك ، ويلقنونهم الحجّة لمقارعة خصومهم ـ إذا ما اضطروا إليها ـ أمثال بني أمية وبني العبّاس ومن حذى حذوهم ، والذين جدوا في إنكار هذه الحقيقة ـ في نسبتهم إلى جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ـ والتي لا تخفى على من له أدنى بصيرة ، عناداً لأهل البيت وحسداً لمقامهم وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإبعاداً لهم عن مناصبهم التي نصبهم الله تعالى فيها، مع علمهم الأكيد بذلك (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) ولم يقتصروا على ذلك حتى أخذوا يسخّرون تلك الأبواق المأجورة والأقلام المزيفة وبعض الشعراء المرتزقة أمثال مروان بن أبي حفصة وسوف تأتي بعض أشعارهم وما جاء في ردها من القصائد في هامش مناظرة الإمام الكاظم عليه السلام مع هارون الرشيد ، فراجع .

(2) سورة الأنعام : الآية 84 - 85 .

(3) سورة آل عمران : الآية 61 .

(4) سورة النساء : الآية 23 .

(5) راجع : تفسير القمّي : ج 1 ص 209 ، الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 324 - 325 ، الروضة من الكافي للكليني : ج 8 ص 317 - 318 ح 501 ، بحار الأنوار : ج 43 ص 232 ح 8 ، وج 96 ص 95 - 96 ح 3 .

المُناظرة التاسعة والثلاثون

مناظرة الإمام الكاظم مع هارون الرشيد في أنهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وأولاده
قال الشيخ الطبرسي عليه الرحمة : وحدث أبو أحمد هاني بن محمد العبدي، قال : حدّثني أبو محمد ، رفعه إلى موسى بن جعفر عليهما السلام قال : لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد عليَّ السلام ثمّ قال : يا موسى بن جعفر ، خليفتان يُجبى إليهما الخراج ؟
فقلت : يا أمير المؤمنين ! أُعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك ، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما علم ذلك عندك ، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أُحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ؟
فقال : قد أذنت لك .
فقلت : أخبرني أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت ، فناولني يدك جعلني الله فداك .
قال : ادن مني ! فدنوت منه ، فأخذ بيدي ثمّ جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثمّ تركني وقال : اجلس يا موسى ! فليس عليك بأس ، فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه ، فرجعت إليَّ نفسي ، فقال : صدقت وصدق جدّك صلى الله عليه وآله لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت عليَّ الرقة وفاضت عيناي ، وأنا أريد أن اسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين ، لم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك ، وقد بلغني عنك أنّك لم تكذب قطّ ، فأصدقني فيما أسألك ممّا في قلبي .
فقلت : ما كان علمه عندي فإني مخبرك به إن أنت أمنتني .
قال : لك الأمان إن أصدقتني ، وتركت التقية التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.
فقلت : ليسأل أمير المؤمنين عمّا يشاء .
قال : أخبرني لِمَ فُضّلتم علينا ، ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبد المطّلب ونحن وأنت واحد ، إنّا بنو عبّاس وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتهما منه سواء ؟
فقلت : نحن أقرب .
قال : وكيف ذلك ؟
قلت : لأنّ عبدالله وأبا طالب لأب وأمّ ، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبدالله ولا من أمّ أبي طالب .
قال : فلم ادّعيتم أنّكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله والعم يحجب ابن العم (1) وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمّه حي ؟
فقلت له : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة ، ويسألني عن كل باب سواه يريده .
فقال : لا ، أو تجيب .
فقلت : فآمني .
قال : قد آمنتك قبل الكلام .
فقلت : إنَّ في قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام : إنّه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو أنثى لأحد سهم إلاّ الأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنّة ، إلاّ أنّ تيماً وعدياً وبني أميّة قالوا : العم والدٌ ، رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن قال بقول علي عليه السلام من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء ، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي عليه السلام ، وقد حكم به ، وقد ولاّه أمير المؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله ، منهم : سفيان الثوري ، وإبراهيم المدني ، والفضيل بن عياض ، فشهدوا أنّه قول علي عليه السلام في هذه المسألة ، فقال لهم فيما أبلغني بعض العلماء من أهل الحجاز : لم لا تفتون وقد قضى به نوح بن دراج ؟
فقالوا : جسر وجبنّا ، وقد أمضى أمير المؤمنين عليه السلام قضيته بقول قدماء العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : أقضاكم علي (2) وكذلك عمر بن الخطاب قال : عليّ أقضانا (3) وهو اسم جامع ، لأنّ جميع ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء .
قال : زدني يا موسى !
قلت : المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك ؟
فقال : لا بأس به .
فقلت : إنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يورث من لم يهاجر ، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر.
فقال : ما حجّتك فيه ؟

قلت : قول الله تبارك وتعالى : (وَالّذين آمنُوا وَلَم يُهاجِرُوا ما لَكُم مِنْ ولايَتِهِم مِن شيءٍ حتى يُهاجِرُوا) (4) وإنّ عمّي العباس لم يهاجر .
فقال لي : إنّي أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا ، أم أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء ؟
فقلت : اللّهم لا ، وما سألني عنها إلاّ أمير المؤمنين .
ثمّ قال لي : لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولوا لكم : يا بني رسول الله ! وأنتم بنو علي ، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه ، وفاطمة إنّما هي وعاء ، والنبي صلى الله عليه وآله جدّكم من قبل أُمّكم؟ (5)
فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أنَّ النبي صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟
فقال : سبحان الله ! ولِمَ لا أُجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك .
فقلت له : لكنّه لا يخطب إليَّ ولا أزوجه .
فقال : ولِمَ ؟
فقلت : لأنّه ولدني ولم يلدك . (6)
فقال : أحسنت يا موسى ! ثمّ قال : كيف قلتم إنّا ذرّية النبي صلى الله عليه وآله والنبي لم يعقب ، وإنّما العقب للذكر لا للأُنثى ، وأنت ولد الابنة ولا يكون لها عقب له .
قلت : أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه ، إلاّ أعفيتني عن هذه المسألة .
فقال : لا ، أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي ! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم ، كذا أُنهي إليَّ ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله ، وأنتم تدعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلاّ تأويله عندكم ، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ : (ما فَرَّطنا في الكتاب مِن شيءٍ) (7) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم .
فقلت : تأذن لي في الجواب ؟
قال : هات .
فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (وَمِن ذُريَّتِهِ داوُد وسُليمان وأيُّوبَ وَموسى وَهارُون وَكذلِكَ نَجزِي المُحسنينَ وَزَكريا وَيحيى وَعيسى وإلياس كُلٌّ مِنَ الصالحينَ) (8) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟
فقال : ليس لعيسى أب .
فقلت : إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء : من طريق مريم عليها السلام ، وكذلك ألحقنا بذراري النبي عليهم السلام من قبل أُمنا فاطمة عليها السلام ، أزيدك يا أمير المؤمنين ؟
قال : هات .
قلت : قول الله عزّ وجلّ : (فَمن حاجَّكَ فيهِ من بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العلم فقُل تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وَأَبناءَكُم وَنِساءَنا وَنِساءَكُم وَأَنفُسنا وأنفُسكُم ثُمَّ نَبتَهِلُ فَنجعل لَعنَةَ اللهِ عَلى الكاذبين) (9) ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلاّ علي بن أبي طالب ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، فأبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وأنفسنا عليّ بن أبي طالب: ، على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أحد : يا محمد ! إنَّ هذه لهي المواساة من علي قال : لأنّه مني وأنا منه .
فقال جبرئيل : «وأنا منكما يا رسول الله» ثمّ قال :

لا سيف إلاّ ذو الفقار * ولا فتى إلاّ علي (10)

فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السلام إذ يقول : (قالُوا سَمِعنا فَتىً يَذكُرُهُم يُقال لَهُ إبراهيمُ) (11) إنّا نفتخر بقول جبرئيل أنّه منّا .
فقال : أحسنت يا موسى ! إرفع إلينا حوائجك .
فقلت له : إنَّ أول حاجة لي أن تأذن لابن عمّك أن يرجع إلى حرم جده صلى الله عليه وآله وإلى عياله .
فقال : ننظر إن شاء الله. (12)
وروي أنه لما حج الرشيد ونزل في المدينة ، اجتمع إليه بنو هاشم وبقايا المهاجرين والأنصار ووجوه الناس ، وكان في الناس الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام .
فقال لهم الرشيد : قوموا إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : ثمّ نهض معتمداً على يد أبي الحسن

موسى بن جعفر عليهما السلام حتى انتهى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف ثمّ قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا بن عم ، افتخاراً ! على قبائل العرب الذين حضروا معه ، واستطالةً عليهم بالنسب ؟!
قال : فنزع أبو الحسن موسى عليه السلام يده من يده ثمّ تقدم ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبة .
قال : فتغيّر لون الرشيد ثمّ قال : يا أبا الحسن ، إن هذا لهو الفخر الجسيم. (13)

---

(1) أقول : طالما أخذ بنو العباس أمثال هذه الدعاوى دليلاً على أولوية العباس ـ بميراث النبي صلى الله عليه وآله وخلافته ـ من أمير المؤمنين باعتبار أن العم أقرب من ابن العم وقد أغفلوا وتناسوا ابنته فاطمة عليها السلام التي تحجب العم ، وراحوا يضللون الناس بدعاواهم المزيفة ليعموا الناس عن الحقيقة ، مُسخّرين في ذلك الشعراء المرتزقة ذلك الأعلام المضلل الزائغ عن الحق ، فضمنوا ذلك في الأشعار محتجّين بآية : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الأنفال| 75 ، ومن أولئك الشعراء الذين استخدموهم في ذلك مروان بن أبي حفصة الذي لم يدخر وسعاً في هجاء الطالبيين ومقدّساتهم وذمّ محبّيهم ، فأخذ ينفث حقده الدفين عليهم متبجّحاً بدعاواه الباطلة ، مردداً :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الأعمام

(راجع : تاريخ بغداد : ج 13 ص 143 ، الأغاني للأصفهاني : ج 10 ص 94 .)
ليغيض به رسول الله صلى الله عليه وآله في ذرّيته بدل أن يتقرب إليه بحبّهم ومدحهم ، لم يبق شيء لم يفعلوه تجاه ذريته ـ كأنه لم يوص بهم ولم يكن أبوهم ـ فراحوا قتلاً وتشريداً وحبساً في السجون والمطامير ، ولم يبق سوى إنكار نسبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد فعلوها .
والجدير بالذكر هنا هو ما روي عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه عن عبدالسلام بن صالح الهروي ، قال : حدّثني معمّر بن خلاد وجماعة ، قالوا: دخلنا على الرضا عليه السلام ، فقال له بعضنا : جعلنا الله فداك ! ما لي أراك متغيّر الوجه؟! فقال عليه السلام : إني بقيت ليلتي ساهراً متفكّراً في قول مروان بن أبي حفصة :

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الأعمام

ثمّ نمت فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول :

أنَّــى يكونُ وليس ذاك بكائن * للمشــركين دعائم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم * والعــم متروك بغير سهام
ما للطليــق وللتراث ؟ وإنّما * سجد الطليق مخافة الصمصام
قد كان أخبـرك القرآن بفضله * فمضـى القضـاء بهمن الحكام
إنَّ ابن فاطمة المنــوه بأسمه * حاز الوراثة عن بني الأعمام
وبقي ابن نثلة واقفاً متــرددا * يبكي ويسعده ذووا الأرحـام

راجع : عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج 1 ص 188 - 189 ح 2 (ب 43) ، الإحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 393 - 394 وقد نسب هذه الحادثة إلى الإمام الكاظم عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 10 ص 391 عن الفصول المختارة للمفيد : ج 1 ص 65 ، وقد روى وقوع هذه الحادثة لأبي الحسن العسكري عليه السلام ، ولا يمنع تكرر وقوع هذه الحادثة لبعض الأئمّة عليهم السلام ، وقد ذكر بعض هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني : ج 10 ص 95 ، وقد نسبها إلى محمد بن يحيى بن أبي مرّة التغلبيّ .
وقد تناول هذه الدعوى أيضاً مروان نفسه في بعض قصائده فنال بذلك إعجاب المهدي العباسي ، متزلفاً إليه ، فكانت جائزته منه ثمانين ألف درهم ، فأصبحت أنشودتهم المفضلة ، وقد غناها لهم إبراهيم بن المهدي ، وإليكها :

هل تطمسون من السمـاء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالـــة عن ربكم * جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الأنفـــال آخر آية * بتراثهم فأردتمُ إبطالهـا

فذروا الأسـود خوادراً في غيلها * لا تولغن دماءكمأشبالهـا

(راجع الاغاني للاصفهاني : ج10 ص70 و87، تاريخ بغداد : ج13 ص143 - 144).
وقد أجاد الشاعر المبدع فرات الاسدي في رده على مروان بن أبي حفصة ـ حيث يقول :

ومقالةٍ عجب أثرت عجاجهـا * وحجبت عن وجه الحقيقة حالها

وتخبطت قدماك تهوى سـادراً * لا تستبين رشادها وضلالهـا

فطمست من فلك السماء نجومها * وسترت بالملق الرخيص هلالها

لو كنت تعلم ما تقول إذن هوت * شمس وزلزلت الدنى زلزالهـا

لكن ـ ويأبى الله إلا نورهـم * بتمامه ـ ما إن وردت وبالهـا

هـم آلبيت المصطفى ورّاثُهُ * وبهمْ أبانحرامها وحلالهـا

فاربـع على الزيغ القديم وهاكه * ـ كل بما كسبت يداه ـ نوالها

وممن سار على منوال مروان بن أبي حفصة أبان بن عبد الحميد ، الذي أراد أن يحضى بالقرب من الرشيد كمروان ، فقالوا له : إن لمروان مذهباً في هجاء آل أبي طالب به يحضى ، وعليه يعطى ، فاسلكه ؟
فقال : لا أستحل ذلك ، فقالوا له : لا تجيء أمور الدنيا إلا بفعل ما لا يحل ؟! ثم نظم قصيدة في مدح العباس وانّه أقرب الى رسول الله من علي بن أبي طالب عليهم السلام وأولى منه بميراثه ، فنال بذلك إعجاب الرشيد ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، ثم أصبح من المقربين إليه ، وإليك بعض أبياته التي قالها في قصيدته الطويلة :

نشدت بحق الله من كان مسلماً * أعُمُّ بما قد قلته العُجـم والعـرب

أعـم رسول الله أقرب زلفة * لديه ، أم ابن العم في رتبـة النسب

وأيهمـا أولـى به وبعهده * ومن ذا له حق التراث بمـا وجـب

فإن كان عباس أحق بتلكـم ُ * وكان علي بعد ذلك عـلى سـبب

فأبناء عباس هم يرثونـه * كما العم لابن العم في الارث قد حجب

(راجع خزانة الادب للبغدادي : ج8 ص176) .
ويقول أيضاً الأستاذ فرات الاسدي في جوابه له :

أثمـت إذ استنشدت من كان مسلماً * تعم بما قد قلته العجــم والعرب

وحدت عن الحق الصراح ولم تكن * لتدفع عنك الزيغ في الرأي والعطب

أنفـس رسـول الله حيدرة الذي * له دون كل الناس حق العلـى وجب

تحيد بك الأهـواء عنه وغيـره * له تبع وهو المقدم فـيالرتـب

أخوه وأبناه من الطهـر نسلـه * فكيف لعمّ قبلـه الارث والنسـب

فأيهما أولى ولـم يك مشرعـاً * سوى بابه ما ســد قط ولأ حب

لأن علياً باب علـم محمـدٍ * ووراثه والمرتضـى والأخ والاحب

ومن الشعراء الذين بالغوا ايضاً في تنقيص أهل البيت حقهم ، وإثبات أن الحق للعباس وبنيه هو عبدالله بن المعتز العباسي، الذي يقول في بعض قصائده :

ألا من لعين وتسكابها * تشكي القذى وبكاها بها

ومنها :

نحن ورثنا ثياب النبي * فكم تجذبون بأهدابهـا

لكم رحم يا بني بنته * ولكن بنو العم أولى بها

فمهلاً بنـي عمنا إنها * عطية رب حبانا بهـا

راجع ديوان أبن المعتز : ص30 - 33 .
ولله در صفي الدين الحلي الشاعر المجاهد حيث يقول في جوابه :

ألا قـل لشر عبيد الالــه * وطاغي قريش وكذابهـا

وباغي العباد وباغيالعنــاد * وهاجي الكرام ومغتابهـا

أأنت تفاخـر آل النبـي * وتجحدها فضل أحسابهـا

بكم بأهل المصطفـى أم بهم * فرد العداة بأوصابهـــا

أعنكم نفى الرجس أم عنهم * لطهر النفوس وألبابهـا

وقلت ورثنا ثيـاب النبي * فكـم تجذبون بـأهدابها

وعندك لا يـورث الأنبياء * فكيف حضيتـم بأثوبهـا

فكذبت نفسك في الحالتين * ولم تعلم الشهد من صابها

وقولك أنتم بنو بنته *)ولكن بنو العم أولى بها (

بنوا البنت أيضاً بنو عمه * وذلك أدنى لانسابها

فدع في الخلافة فصل الخلاف * فليست ذلولاً لركابها

وما أنت والفحص عن شأنها * وما قمصوك بأثوابها

راجع : ديوان صفي الدين الحلي : ص192 .
(2) الرياض النضرة : ج 3 ص 167 ، كشف الخفاء للعجلوني : ج 1 ص 184 ح 489 ، ذخائر العقبى : ص 83 ، المناقب للخوارزمي : ص 81 ح 66 ، بحار الأنوار : ج 40 ص 277 ح 41 .
(3) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني : ج 1 ص 185 ، مسند أحمد بن حنبل : ج 5 ص 113 ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ج 2 ص 339 ، الرياض النضرة : ج 3 ص 167 .
(4) سورة الأنفال : الآية 72 .
(5) فالعجب كل العجب من هؤلاء الزمرة الفاسدة التي تصر على أن ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام ليسوا بأولاد لرسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما هم أولاد علي عليه السلام وذلك لأنّ ابن البنت ليس بولد ويستشهدون لذلك بقول الشاعر :

بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا * بنوهُنَّ أبناء الرّجال الأباعد

هذا مع نصوص النبي صلى الله عليه وآله الكثيرة الدالة على صحة النسبة حقيقة وأنهم أبناءه وهو أبوهم ، والتي منها على سبيل المثال :
1 ـ قوله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام : إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا (راجع : كنز العمال : ج 13 ص 667 ح 37699 ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : ج 4 ص 207) .
2 ـ ما روي عنه صلى الله عليه وآله : كل بنيّ أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة عليها السلام فإنّي أنا عصبتهم وأنا أبوهم (راجع : كنز العمال : ج 12 ص 116 ح 34267 ، مجمع الزوائد : ج 4 ص 224 وج 6 ص 301) .
3 ـ ما روي عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: قال رسول الله9: كل بنيّ آدم ينتمون إلى عصبتهم إلاّ ولد فاطمة ، فإنّي أنا أبوهم وأنا عصبتهم (راجع : تاريخ بغداد : ج 11 ص 285) .
(6) وفي التذكرة الحمدونية : ج 7 ص 180 رقم : 835 ، قال : وروي أنّه قال ـ الإمام الكاظم عليه السلام لهارون ـ : هل كان يجوز أن يدخل على حرمك وهن متكشفات ؟
فقال : لا .
قال : لكنه كان يدخل على حرمي كذلك ، وكان يجوز له .
أقول : فقد أوضح أهل البيت عليهم السلام بما لا مزيد عليه لوازم قربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله باعتباره أولدهم فهم ذريته وهو أبوهم ، فمن تلك اللوازم التي أشاروا إليها انّه لا يحل لذريته نكاح زوجاته على فرض لو لم يحرم الله على الناس نكاح زوجات النبي صلى الله عليه وآله فلا يجوز لهم ذلك باعتباره جدّهم وأبوهم ، وإليك نصّ الرواية في ذلك :
الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : لو لم يحرم على الناس أزواج النبي صلى الله عليه وآله لقول الله عزّ وجلّ : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده) حرم على الحسن والحسين عليهما السلام بقول الله تبارك وتعالى اسمه : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ولا يصلح للرجل أن ينكح امرأة جدّه . راجع الفروع من الكافي : ج 5 ص 565 ح 41 ، بحار الأنوار : ج 2 ص 279 ح 42 .
(7) سورة الأنعام : الآية 38 .
(8) سورة الأنعام : الآية 84 و 85 .
(9) سورة آل عمران : الآية 61 .
(10) المناقب للخوارزمي : ص167 ح 200 ، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي : ص 197 ح 234 وص 199 ح 235 ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 2 ص 514 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 1 ص 29 ، ذخائر العقبى : ص 68 و 74 ، بحار الأنوار : ج 41 ص 83 .
(11) سورة الأنبياء : الآية 60 .
(12) الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 389 ـ 392 ، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام : ج 2 ص 78 ـ 82 ب 7 ح 9 ، تحف العقول : ص 404 ـ 405 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 10 ص241 ـ 242 ح 2 وج 48 ص 125 ح 1 وج 93 ص 240 وج 101 ص 334 ، التذكرة الحمدونية لابن حمدون : ج عليه السلام ص 180 ، بتفاوت .

(13) الفصول المختارة للمفيد : ج 1 ص 16 ، كنز الفوائد للكراجكي : ج 1 ص 356 - 357 ، الإحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 393 ، تذكرة الخواص لابن الجوزي : ص 350 ، بحار الأنوار : ج 25 ص 243 ح 25 .

المُناظرة الاربعون

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون الرشيد في أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله

قال السيّد المرتضى (1) ـ عليه الرحمة ـ وحدّثني الشيخ ـ المفيد ـ أدام الله عزّه، قال : روي أنه لما سار المأمون إلى خراسان وكان معه الإمام الرضا علي بن موسى عليهما السلام ، فبينا هما يسيران، إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن إني فكرت في شيء، فسنح لي الفكر الصواب فيه ، إني فكرت في أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام : إن لهذا الكلام جواباً، فإن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت.

فقال له المأمون: لم أقله إلا لاَ علم ما عندك فيه.

قال له الرضا عليه السلام : أُنشد كالله يا أمير المؤمنين، لو أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أكمةٍ من هذه الآكام، فخطب إليك ابنتك أكنت تزوّجه إياها ؟

فقال: يا سبحان الله، وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال له الرضا عليه السلام : أفتراه كان يحل له أن يخطب ابنتي (2) ؟

قال : فسكت المأمون هنيئة ، ثم قال: أنتم والله أمسُّ برسول الله صلى الله عليه وآله رحماً.

قال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : وإنّما المعنى لهذا الكلام أن ولد العبّاس يحلون لرسول الله صلى الله عليه وآله كما يحل له البعداء في النسب منه ، وأن ولد أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ومن أمامة بنت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله يحرمنّ عليه ، لأنهن من ولده في الحقيقة فالولد الصق بالوالد وأقرب واحرز للفضل من ولد العم بلا ارتياب بين أهل الدين ، فكيف يصحّ مع ذلك أن يتساووا في الفضل بقرابة الرسول صلى الله عليه وآله فنبهه الرضا عليه السلام على هذا المعنى وأوضحه له (3) .

---

(1) هو : علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام، ويلقب بعلم الهدى والشريف المرتضى، ولد سنة 355 هـ في بغداد ، أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً وفقهاً، متوحدٌ في علوم كثيرة مجمع على فضله، مقدّم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك ، وله من الكتب ـ كما قيل ـ ثمانون ألف مجلد، وله مصنّفات كثيرة منها كتاب الشافي في الإمامة، تنزيه الأنبياء، الفصول المختارة من كلام الشيخ المفيد، ونكتاً من كتابه المعروف بـ «العيون والمحاسن » ، والجدير بالذكر أن الشيخ المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ من شيوخ وأساتذة الشريف المرتضى، فقد لازمه وحضر عنده منذ صغره ومما يروى في هذا الصدد عن الشيخ المفيد : أنّه رأى في منامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام فسلّمتهما له وقالت : علّمهما الفقه فانتبه متعجباً من ذلك ، فلما تعالى النهار في صبيحة الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت عليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها محمد الرضيّ وعلي المرتضى ـ رحمهما الله ـ فقام إليها وسلّم عليها فقالت : أيّها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلّمهما الفقه فبكى الشيخ المفيد وقص عليها المنام ، وتولى تعليمهما وأنعم الله عليهما وفتح لهما أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باقٍ ما بقي الدهر ، وتوفي الشريف المرتضى ـ أعلى الله مقامه ـ في شهر ربيع الآوّل لخمسٍ بقين منه سنة 436 هـ في بغداد وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وقيل إنه دفن مع أخيه الشريف الرضي عند الحسين عليه السلام في كربلاء كما ذكر ذلك الشهيد الثاني، واستظهر العلامة الطباطبائي رحمه الله كون قبره وقبر أبيه واخيه إلى جنب قبر السيّد إبراهيم المجاب ابن الامام الكاظم عليه السلام وكان من أجدادهم فدفنوا عنده ـ أعلى الله درجاتهم ـ . راجع : تنقيح المقال للعلامة المامقاني : ج2 ص284 ـ 285 ترجمة رقم : 8247، سير أعلام النبلاء : ج17 ص588 ، تاريخ بغداد : ج11 ص 402 ـ 403 ترجمة رقم : 6288 .

(2) وقد مر عليك عين هذا الاستدلال في مناظرة الإمام الكاظم عليه السلام مع الرشيد ، وقد استخدمه الإمام الرضا مع المأمون لأنه أقوى في الحجة وغير قابل للأنكار .

(3) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ج 1 ص 16 ـ 17 ، كنز الفوائد للكراجكي : ج 1 ص356 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 10 ص 349 ـ 350 .

المُناظرة الحادية والاربعون

مناظرة يحيى بن يعمر مع الحجاج في أن الحسن والحسين عليهما السلام اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله
قال الشعبي: كنت بواسط (1) ، وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع الحجاج (2) ، فخطب خطبةً بليغة، فلما انصرف جائني رسوله فأتيته، فوجدته جالساً مستوفزاً، قال: يا شعبي هذا يوم أضحى، وقد أردت أن أضحي برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله، فتعلم أني قد أصبت الرأي فيما أفعل به.
فقلت: أيها الأمير، لو ترى أن تستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتضحي بما أمر أن يضحي به، وتفعل فعله، وتدع ما أردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره.
فقال: يا شعبي، إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه، لكذبه على الله وعلى رسوله، وإدخاله الشبهة في الاسلام .
قلت: أفيرى الأمير أن يعفيني من ذلك ؟
قال : لا بدّ منه .
ثم أمر بنطع فبسط، وبالسيَّاف فأُحضر، وقال: أحضروا الشيخ، فأتوه به، فإذا هو يحيى بن يعمر (3) ، فأغممت غماً شديداً، فقلت في نفسي: وأي شيء يقوله يحيى مما يوجب قتله؟
فقال له الحجاج: أنت تزعم أنك زعيم أهل العراق ؟
قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء أهل العراق.
قال: فمن أي فقهك زعمت أن الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله .
قال: ما أنا زاعم ذلك، بل قائل بحق.
قال: وبأي حق قلت؟
قال: بكتاب الله عز وجل.
فنظر إليَّ الحجاج، وقال: اسمع ما يقول، فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في كتاب الله عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فجعلت أفكر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئاً يدل على ذلك.
وفكر الحجاج ملياً ثم قال ليحيى: لعلك تريد قول الله عز وجل: (فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبناءَنا وَأَبْنَاءَكم وَنِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهل فَنَجعَل لَعنةَ اللهِ على الكاذبينَ) (4) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين (5) عليهم السلام .
قال الشعبي: فكأنما أهدى لقلبي سروراً، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى، وكان الحجاج حافظاً للقرآن .
فقال له يحيى: والله، إنها لحجة في ذلك بليغة، ولكن ليس منها أحتج لما قلت.
فاصفرَّ وجه الحجاج، وأطرق ملياً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال: إن جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك، فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حلٍ من دمك .
قال: نعم .
قال الشعبي: فغمني قوله فقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه، ويتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه، فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجته لئلا يدعي أنه قد علم ما جهله هو .
فقال يحيى للحجاج: قول الله عزّ وجلّ (وَمِن ذُرِّيتهِ دَاوُدَ وَسليمانَ) (6) من عنى بذلك ؟
قال الحجاج: إبراهيم عليه السلام .
قال: فداود وسليمان من ذريته ؟
قال: نعم .
قال يحيى: ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته ؟
فقرأ يحيى: (وَأيّوب وَيوسفَ وَموسى وَهارونَ وَكذلِكَ نَجزي المُحسنينَ) (7) .
قال يحيى: ومن ؟
قال: (وَزكريا وَيَحيى وَعِيسى) (8) .
قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم عليه السلام ، ولا أب له ؟
قال: مِن قِبَل أُمّه مريم عليها السلام .
قال يحيى : فمن أقرب : مريم من إبراهيم عليه السلام أم فاطمة عليها السلام من محمد صلى الله عليه وآله؟ وعيسى من إبراهيم، أم الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال الشعبي: فكأنّما ألقمه حجراً .
فقال: أطلقوه قبّحه الله ، وادفعوا إليه عشرة الآف درهم لا بارك الله له فيها .
ثمّ أقبل عليَّ فقال: قد كان رأيك صواباً ولكنّا أبيناه، ودعا بجزور فنحره وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلنا معه، وما تكلّم بكلمة حتى افترقنا ولم يزل ممّا احتجّ به يحيى بن يعمر واجماً (9).

---

(1) مدينة بناها الحجاج في العراق عام 83 | 84 هـ ، وسميت واسطاً لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد، فإن بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقداراً واحداً وهو خمسون فرسخاً . التنبيه والأشراف: ص 311 ، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج2 ص50.
(2) هو : الحجّاج بن يوسف الثقفي ، اشتهر بولائه للبيت الأموي ، وبعدائه ونصبه للبيت العلوي، ولد في الطائف سنة 40 هـ ونشأ فيها ، كان والياً من قبل عبد الملك بن مروان وقد أولع في قتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأخذهم بكل ظنّة وتهمة أمثال قنبر غلام أمير المؤمنين عليه السلام وكميل بن زياد وسعيد بن جبير وأمثالهم ، قال ابن خلكان عنه : وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمع بمثلها ، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يُقدم عليها غيره . وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه ، ودعا الطبيب لينظر إليها ، فأخذ لحماً وعلقه في خيط وسرحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصق به دود كثير ، وسلّط الله عليه الزمهرير ، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها ، وشكى ما يجده إلى الحسن البصري فقال له : قد كنت نهيتك ألا تتعرّض إلى الصالحين فلحجت ، فقال له : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل ان يفرّج عنّي ، ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي ، واقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوماً ، توفي في شهر رمضان سنة 95 هـ في مدينة واسط ودفن بها وعُفي قبره . راجع : وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 2 ص 29 ترجمة رقم : 149 ، سفينة البحار : ج 1 ص 221 - 222 .
(3) هو : أبو سليمان يحيى بن يعمر العامري البصري ، ولد في البصرة ، وهو أحد قرّائها وفقهائها ، كان عالماً بالقرآن الكريم والفقه والحديث والنحو ولغات العرب ، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة ، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وحدَّث عن أبي ذر الغفاري ، وعمّار بن ياسر ، وابن عبّاس وغيرهم ، كما حدث عنه جماعة أيضاً ، وكان من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ، وقيل : هو أول من نقّط القرآن قبل أن توجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة ، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلّف ، طلبه الحجّاج من والي خراسان قتيبة بن مسلم فجيء به إليه ، لأنّه يقول أن الحسن والحسين عليهما السلام ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أذهل الحجّاج بصراحته وجرأته في إقامة الحق وازهاق الباطل حتى نصره الله عليه ، كما نفاه الحجاج في سنة 84 هـ لأنّه قال له : هل ألحِنُ ؟ فقال: تلحن لحناً خفياً ، فقال : أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعدُ بأرض العراق قتلتك ؟ ! فخرج ، وأخباره ونوادره كثيرة ، توفي ـ رحمة الله عليه ـ سنة 129 هـ . راجع ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 6 ص 173 - 176 ، ترجمة رقم : 797 ، معجم الأدباء للحموي : ج 20 ص 42 - 43 ، ترجمة رقم : 23، سير أعلام النبلاء للذهبي : ج 4 ص 441 - 443 ، الأعلام للزركلي : ج 9 ص 225 ، مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي : ج 8 ص 242 ترجمة رقم : 16298 .
(4) سورة آل عمران: الآية 61 .
(5) تقدمت تخريجاته .
(6) سورة الأنعام: الآية 84 .
(7) سورة الأنعام: الآية 84 .
(8) سورة الأنعام: الآية 85 .
(9) كنز الفوائد للكراجكي: ج1 ص 357 - 360 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 10 ص 147 - 149 ح 1 ، وج 25 ص 243 - 246 ح 26 ، وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 6 ص174، العقد الفريد للأندلسي : ج 2 ص 48 - 49 ، وج 5 ص 281 ، بتفاوت.

النص على الأئمة
الاثني عشر (ع)

المُناظرة الثانية والاربعون

مناظرة السيد محمد جواد المُهري مع الأستاذ عمر الشريف في النص على الأئمة الاثنى عشر عليه السلام
يقول السيد محمد جواد المُهري في مذكراته المدرسية : بعد بضع ساعات وعندما حان وقت لقائنا، دخلت غرفة المعلمين بهلع وحذر، فلما وجدت الأستاذ في مكانه كالمعتاد شعرت بالإرتياح، وبعد ما حييته رد الجواب وحدثته بما دار بيني وبين المدير، فبدأ عليه الإستياء والضجر، وقال بدهشة وحيرة:
كنت راغباً بالحوار والحديث أكثر من هذا، وأود معرفة رأيكم بشأن عدة قضايا فقهية مختلف فيها، وأريد معرفة آراء علماء وفقهاء الشيعة في ما يخص التقية، ومصحف فاطمة، والسجود على التربة، والجمع بين الصلاتين ، والكثير من المواضيع الاخرى، ولكن من الأفضل في ظل هذا الوضع الذي استجد أن نطوي ملف المواضيع السابقة، إلى حين توفر الفرصة المناسبة في المستقبل لنواصل الحوار الممتع بإذن الله، وإلا فأنني آمل الإطلاع على آراء الشيعة بشأن القضايا المختلفة من خلال التحقيق في كتبهم.
عبّرت له عن أسفي عمّا حصل ووعدته عقد لقاء أو لقائين آخرين لمواصلة حوارنا من أجل إنهاء موضوع الخلافة وأوصياء الرسول صلى الله عليه وآله فوافق على هذا الرأي. واصلت بحثنا السابق على الرغم من استيائنا لما حصل.
فقلت: كان موضوعنا يدور حول أهل البيت عليهم السلام الذين أوصى بهم الرسول صلى الله عليه وآله في مواقف شتى ، وأمر أمتة بالرجوع إليهم واتباعهم وطاعتهم ، وأن لا يتخلفوا عنهم فيهلكوا، وتبيّن أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام، وليس المراد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله ولا غيرهن.
وهنا سأل الاستاذ: أليس سائر أئمتكم من أهل البيت عليهم السلام ؟
قلت: إنهم ليسوا سوى أهل البيت عليهم السلام ، هم آل الرسول صلى الله عليه وآله وأوصياؤه وخلفاؤه بالحق، لهم الحكومة والإمامة على أُمّة محمد إلى يوم القيامة، وهم وإن كانوا في الظاهر تحت كبت الحكومات الغاصبة الجائرة في عهودهم، إلاّ أنهم كانوا أئمة عصرهم وخلفاءه، وكان يجب على الناس ـ استناداً إلى أمر الرسول صلى الله عليه وآله ـ طاعتهم واتباعهم والإنصياع لأوامرهم كالإنصياع لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان لهم بطبيعة الحال أتباع أوفياء في كل عصر، لم يتخلفوا عنهم لحظة تحت أسوء الظروف السياسية ، ويتمسكون بأوامرهم الشرعية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية.
وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته بعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام لأن هؤلاء فقط هم الذين كانوا في زمنه، وإلا فإن أهل البيت أو آل محمد يشمل جميع الأئمة الذين يفتخر الشيعة بالإنتماء اليهم، ولم يتخلفوا لحظة عن اتباعهم امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله فيهم.
ومثلما أوصى الرسول لعلي عليه السلام ، فقد أوصى لأبناء علي أيضاً، وهذا ما لم يشر اليه أبناء العامة في هذه الروايات بالكامل إلا بعض المنصفين منهم، مثل مؤلف كتاب « ينابيع المودّة » رحمه الله، لقد حدد الرسول الأئمّة والأوصياء بعده بإثني عشر خليفة وإماماً، وهذا ما بلغ حدّ التواتر في كتب الفريقين، فإن فكرة الأئمة أو الخلفاء الاثني عشر لا تنطبق إلاّ على عقيدة الشيعة ، الذين يعتقدون بإثني عشر إماماً.
الأستاذ: هل يمكنك ذكر الروايات التي تصفها بالمتواترة؟
قلت: لقد دونت بعض هذه الروايات احتياطاً مع اختلافها في الألفاظ وجلبتها معي ؛ لأني كنت أعلم أن بحثنا سيتناول أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله ، وهي كالتالي:
1 ـ « الأئمة من بعدي إثنا عشر، من أهل بيتي » (1) .
تلاحظ في هذا الحديث أن الرسول جاء بكلمة « الأئمة » وبعبارة « أهل بيتي »، حيث يتبيّن أن الأئمة من بعده هم أهل بيته، وأهل بيته كما ثبت لدينا هم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام .
2 ـ « يملك هذه الأمّة إثنا عشر كعّدة نقباء بني إسرائيل » (2) .
وردت أكثر روايات السنة في هذا الموضوع تحت عنوان: « نقباء بني إسرائيل »، ووردت في بعضها عبارة: « عدة أصحاب موسى »، وهي إشارة إلى الآية الشريفة: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) (3) .
ويفهم من هذه الآية ـ كما تلاحظون ـ أن الله هو الذي بعث النقباء الإثني عشر إلى بني إسرائيل، ومن الطبيعي أن

أولئك النقباء كانوا أنبياءَ، ولكن بما أن نبيّنا صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء، لهذا فإن النقباء ـ الأئمة عليهم السلام ـ من بعده ليسوا أنبياء، وإن كانوا في مصاف الأنبياء ، بل ويفوقونهم من حيث الفضيلة والعصمة ووجوب الاتباع.

الأستاذ: في الحقيقة كنت أرغب خوض البحث في قضية الغلو والمبالغة عندكم أنتم الشيعة (4) بشأن علي وأبنائه، فكيف تعتبرون أئمتكم أفضل من الأنبياء؟ (5)

قلت: لو أنك قرأت الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله بحقّهم ، واعتقدت بهم لوصلت إلى النتيجة نفسها، فثمة موارد يعتبر فيها الرسول صلى الله عليه وآله علماء أُمّته أفضل من أنبياء بني إسرائيل، ولا شكّ أن الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين اصطفاهم الله لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ، أفضل من العلماء (6) .

3 ـ « لا تزال أُمتي على الحقّ ظاهرين ، حتّى يكون عليهم اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش » (7) .

4 ـ « لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش » (8)

وقد وردت نظير هذه العبارات التي سقناها في أكثر من أربعين سنداً معتبراً في كتب السنة، وهي تدلل في جميع الأحوال على امتداد خط النبوة على يد اثني عشر إماماً من قريش إلى يوم القيامة، وهذا الامتداد في خط النبوة والإمامة باق إلى يوم القيامة، ولا ينطبق مطلقاً إلا على عقيدة الشيعة.

وورد في كتاب « ينابيع المودة » صراحة ، أن هؤلاء الخلفاء الإثني عشر هم من بني هاشم، « بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم » (9) ، وجاءت في بعض المصادر كما نقل، عبارة « من أهل بيتي »، روى الحافظ ابراهيم الحموييني عن ابن عباس أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قال: « إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي لِاثنا عشر ، أولهم أخي وآخرهم ولدي.

قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟

قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن ولدك؟

قال: المهدي ، الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » (10) .

ومن جهة أخرى نقل الخطيب الخوارزمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: « من أحب أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربّي، فليتولّ علي بن أبي طالب ، وذريّته الطاهرين ، أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة » (11) .

وجاء في روايات كثيرة في كتب السنة أن الرسول صلى الله عليه وآله وصف وبيّن الأئمة بعد علي بن أبي طالب عليه السلام بصفة « خلفائي » أو « أوصيائي » أو « سادات أمّتي » أو « حجج الله على خلقه بعدي » أو « الأئمة الراشدين من ذريتي » وتدل بأجمعها على إمامة وخلافة هؤلاء الإثني عشر ، الذين أولهم علي وآخرهم المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الأستاذ: ذكرت مصادر الروايات التي تبيّن عدد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله ولم يأت ذكر لصحيح البخاري وصحيح مسلم، فهل يحتوي هذان الكتابان على مثل هذه الروايات أو لا؟

قلت: أولاً: ليس من الضروري أن تكون جميع الروايات في هذين الكتابين، ألا تكفي كل كتب الحديث والتفسير التي ذكرت؟ ثم إنه قد يكون للشك في مثل هذه الرواية ـ إذا كانت في كتاب أو كتابين ولها سند واحد أو سندان لا أكثر ـ مجال، لكنها وردت في كتب كثيرة وبأكثر من أربعين سنداً، ونُقلت بعبارات مختلفة، فهي إذن في حدّ التواتر وفي الحدّ القطعي، ولا يبقى مجال للشكّ فيها.

ثانياً: إن هذه الروايات وردت أيضاً في صحيحي البخاري ومسلم، وقد دونتها وسأشير اليها الآن، ويبدو أن سؤالك قد جاء في محلّه.

نقل البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « يكون اثنا عشر أميراً »، فقال : كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: « كلهم من قريش » (12) .

وجاءت في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، روايتان بهذا المضمون:

1 ـ « لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ».

2 ـ « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » (13) .

الأستاذ: لم يأت شيء في هذين الكتابين يشير إلى أنهم من أهل البيت ، أو من أبناء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فمن أين تستدلّ على أنّهم هم أئمّة الشيعة الإثنا عشر لا غيرهم؟

قلت: إذن مَنْ يكونون؟

الأستاذ: لا أدري ماذا قال علماء السنّة الكبار في هذه الآية؟ فهل تعاملوا معها كتعاملهم مع سائر الأحاديث الأخرى التي نقلوها بأنفسهم ومرّوا عليها مرور الكرام، أم أنهم عرضوا رأيهم فيها؟ وعلى كل حال فبعد الخلفاء الراشدين،

والحسن والحسين، عُرف بعض خلفاء بني أُمية كعمر بن عبدالعزيز ، وبعض خلفاء بني العباس بالعدالة، فلعلّهم هم المقصودون.
قلت: أولاً: إن كان الأمر كما ذكرت لانقطع تسلسل الخلفاء؛ فهل يمكن احتساب شخصين من البداية، وشخصين من الوسط، وشخصين من النهاية، وإهمال الآخرين؟ ثم إنه بإستثناء عمر بن عبدالعزيز الذي كان أفضل نسبياً من سائر خلفاء بني أمية ، ماذا يمكن أن يشاهد في هؤلاء الخلفاء سوى الظلم والجور على عباد الله، والتبذير في بيت المال، وارتكاب المحرمات، وشرب الخمر، والمجاهرة بالفساد؟
والتأريخ حافل بشتى صور الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب والفساد الذي ارتكبه خلفاء بني أُميّة وبني العباس، ويؤسفني أن الوقت لا يسمح لي بالحديث عن هذا الموضوع أكثر، وإلاّ فإنَّ أمثلة ظلمهم وجورهم بحدٍ من الكثرة، بحيث سوّدت صفحات كتب السنّة كما سوّدت صفحات التاريخ.
ثانياً: من الجدير بالذكر أن الكثير من علماء السنّة الذين أوردوا هذه الروايات سعوا إلى جعلها تتطابق بشكل أو بآخر على حكام بني أمية وبني العباس، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك حتّى جعلوها تنطبق على السلاطين العثمانيين، فأصبحت عارية عن الحقيقة، بل وتثير السخرية والإستهزاء.
ويكفي أن نشير على سبيل المثال إلى ما قاله المفكر السني الكبير جلال الدين السيوطي في هذا الصدد: « وجد من الآثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبدالعزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم اليهم المهتدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبدالعزيز في بني أُميّة، وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الآثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله » (14) .
هل يمكن العثور على تحليل يثير السخرية أكثر من هذا؟ وكيف ذكر الحسن عليه السلام ولم يذكر الحسين عليه السلام ؟ ثم كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله يجعل علياً عليه السلام خليفة له، ويجعل العدو اللدود ـ أعني معاوية ـ في قبال علي عليه السلام ، ومعاوية هو الذي أراق كل تلك الدماء ظلماً ، وارتكب كل تلك الجرائم، خليفة له؟
لا ينقضي تعجبي من السيوطي مع سعة علمه كيف يعتبر معاوية من خلفاء الرسول، ويتجاهل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله مع علو مقامه ومرتبته؟
وكيف يعد معاوية من الخلفاء وهو الذي فرض سبّ علي عليه السلام علناً ، وقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأوفياء ، ونصب ابنه شارب الخمر خليفة على المسلمين، ولا يعد الحسين بن علي عليه السلام خليفة ، وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله عنه وعن أخيه: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة » (15) ، « الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا » (16) ؟
ويكون معاوية الذي لعنه الرسول صلى الله عليه وآله عدّة مرات علانية (17) وأمر بقتله، خليفة، ولا يحسب لأبناء علي عليه السلام الذين أذعن العالم بأسره لعظمتهم ، وإيمانهم وتقواهم ومكانتهم ، وأرغموا الصديق والعدو على تقديرهم وإجلالهم، أي حساب!
الأستاذ: ومتى أمر الرسول بقتل معاوية؟
قلت: في قوله صلى الله عليه وآله : « اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » (18) .
يا أستاذ، إن مساوىء ومثالب ومفاسد معاوية بحدٍ من الكثرة بحيث لا تستلزم البيان، ويكفي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رآه مقبلاً هو وعمرو بن العاص رفع يديه إلى السماء وقال: « اللهم أركسهما ركساً ودعهما إلى النار دعاً » (19) .
هذا مضافاً إلى ما أشار الرسول صلى الله عليه وآله إليه في بعض المواقف إلى الفتن التي ستقوم بعده ، وأمر الناس صراحة في مثل هذه الموارد بالتمسّك بعلي وأبنائه عليهم السلام .
قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب (20) فإنّه أول من يراني ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وفاروق هذه الأمّة، يفرق بين الحقّ والباطل » (21) .
واستجابة لأمر الرسول صلى الله عليه وآله فقد تمسّكنا في جميع الفتن بعلي وآل علي، ونحن على ثقة أن النجاة والفلاح لأتباع وشيعة علي عليه السلام ، لكن الذين تخلفوا عنه، ولم يرجعوا إليه ـ وهو فاروق الأمّة بالنصّ الصريح الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ماذا سيكون جوابهم غداً أمام الله؟
إن من يعتبر معاوية خليفة لابدّ وأن يطيعه، ومن يطيعه يسبّ علياً بالنتيجة، وهو من قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله : « من سبَّ علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله » (22) .
فكيف يوالي إخواننا السنّة معاوية، ويدعون في الوقت نفسه موالاة علي عليه السلام ؟ أليس من المحال الجمع بين النقيضين؟

وإذا ما تجاوزنا هذا، فما هو قولكم في سائر الخلفاء الإثني عشر؟ كيف يمكن تحديد الخلفاء الحقيقيين الإثني عشر للرسول صلى الله عليه وآله من بين كل هؤلاء الذين هم في الظاهر خلفاء للرسول عليه السلام ؟ وهنا يجب الرجوع إلى صديق الأمة الأكبر وفاروق الحق من الباطل ألا وهو علي عليه السلام .
وعلى كل حال فإذا كانت الكتب الروائيه السنية قد ذكرت عدد الأئمة فقط، أو نقلت في بعض الموارد أسماءهم بالتفصيل أو بالايجاز، فإن كتبنا نحن الشيعة قد ذكرت الاسماء المباركة للأئمة الإثني عشر نقلاً عن لسان الرسول صلى الله عليه وآله وعن لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو ممّا لا شك فيه.
أنا آسف لأن الوقت قد انتهى وإلاّ لقرأت لك آية من القرآن تبيّن الأئمة الإثني عشر، ولكن نتركها إلى اللقاء القادم الذي سيكون آخر لقاء بيننا.
الأستاذ: تقول آية من القرآن؟!
قلت: نعم، وهل هذا أمر عجيب؟
الأستاذ: لابد انك تقصد قرآن الشيعة، لا القرآن المتداول؟
قلت: يا أستاذ، نحن لا نقبل بغير القرآن الموجود الذي: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (23) ، ومثل هذه القضايا لم تأت في القرآن بوضوح وصراحة، وتستلزم مزيداً من الدراسة الجادة والدقيقة، وكن على ثقة حتى لو أن أسماء الأئمة الإثني عشر وردت في القرآن صراحة لتجاهلوها ، ولأنكروها كما فعلوا مع سنّة الرسول عليه السلام .
الأستاذ: إذن فأنتم تأولونه؟
قلت: بل هو تصريح أوضح من التأويل، إنتظر هنيهةً ليتّضح لك ذلك في اللقاء القادم باذن الله.
الأستاذ: إلى اللقاء.
قلت: في أمان الله حتّى اللقاء القادم (24) .

---

(1) ينابيع المودة للقندوزي: ص258 (ب 56).
(2) كنز العمال : ج 12 ص33 ح 33857 ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج 2 ص 34.
(3) سورة المائدة: الآية 12.
(4) وخير من تصدى لرد هذه الفرية الحجة الأميني عليه الرحمة في كتاب الغدير كما ذكر نماذج من الغلو عند بعض الفرق من مصادرهم ، راجع : ج 3 ص 291 وج 7 ص 34 وص69 - 200 وج 11 ص 76 الخ .
(5) من تمعن بعين البصيرة والإنصاف في الآيات الشريفة والأحاديث والأخبار الخاصة بأهل البيت عليهم السلام لا يعدو هذا الرأي ، وإليك على سبيل المثال بعض الأدلّة التي يستفاد منها تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فمنها :
1 ـ قوله تعالى (وأنفسنا وأنفسكم) من آية المباهلة ، إذ المقصود باتفاق المفسرين هو أمير المؤمنين عليه السلام إذ حكمت الآية بأنه نفس النبي صلى الله عليه وآله ، إذ لم يرد نفس ذاته ، كما لا يصحّ دعاء الإنسان نفسه إلى نفسه ولا إلى غيره ، فلم يبق إلاّ أنّه أراد علياً عليه السلام فإذا كان علي عليه السلام بمثابة نفس الرسول صلى الله عليه وآله والرسول أفضل الخلق فكذا هو عليه السلام أفضل الخلق بعده .
2 ـ قوله صلى الله عليه وآله : اللهمّ إئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء أمير المؤمنين وأكل معه ، ولا يكون أحب الخلق إليه إلاّ لكونه أعظمهم ثواباً عنده تعالى ، وأكرمهم عليه ، وذلك لا يكون إلاّ بكونه أفضلهم عملاً ، وأرضاهم فعلاً ، وأجلهم في مراتب العابدين ، راجع : مجمع الزوائد : ج 9 ص 125 - 126 ، تاريخ بغداد : ج 3 ص 171 وج 8 ص 382 وج 9 ص 369 ، العلل المتناهية لابن الجوزي : ج 1 ص 228 - 235 .
3 ـ قوله صلى الله عليه وآله : هم شر الخلق والخليقة ـ يعني الخوارج ـ يقتلهم خير الخلق والخليقة . راجع: المناقب لابن المغازلي : ص 56 ح 79 ، تذكرة الخواص : ص 105 ، مجمع الزوائد : ج 6 ص 239 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 2 ص 267 .
4 ـ قوله صلى الله عليه وآله : علي خير البشر ومن أبى فقد كفر . راجع : ينابيع المودة : ص 180 ب56،الرياض النضرة : ج 3 ص 198 ، تاريخ بغداد : ج 7 ص 421 ، فضائل الصحابة : ج2ص 564 ح 949 ، مجمع الزوائد : ج صلى الله عليه وآله ص 131 .
5 ـ ما روي عنه صلى الله عليه وآله : لولا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام لم يخلق الله سماءً ولاأرضاً ولا جنةً ولا ناراً . (فرائد السمطين : ج 1 ص 36 ، ينابيع المودة للقندوزي : ص485).
6 ـ ما روي عنه صلى الله عليه وآله : أنه لا يجوز أحدٌ الصراط يوم القيامة إلا مَن معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام من النار ، (المناقب لابن المغازلي : ص 131 ح 172 ، وص 242 ح 289 ، الرياض النضرة : ج 3 ص 137 ، ذخائر العقبى : ص 71 ، فرائد السمطين : ج 1 ص292 ح230) .
7 ـ ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أسري بي في ليلة المعراج فاجتمع علي الأنبياء في السماء فأوحى الله تعالى إليَّ سلهم يا محمد بماذا بُعثتم ؟ فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وحده وعلى الإقرار بنبوّتك والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، رواه الحافظ أبو نعيم . (ينابيع المودة : ص238 ح 49 في المناقب السبعين) .

8 ـ ما روي عن عمر بن الخطاب انه قال : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام أشهد انّي سمعت رسول الله يقول : لو أن إيمان أهل السماوات والأرض وضع في كفة ووضع إيمان علي في كفّة لرجح إيمان علي بن أبي طالب عليه السلام (ينابيع المودة : ص 254) .
9 ـ قول جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله لو اجتمعت امتك على حب علي بن أبي طالب عليه السلام ما خلق الله النار (ينابيع المودة : ص251).
10 ـ ما روي عن محمد بن أبي عمير الكوفي عن عبدالله بن الوليد بن السمان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما يقول الناس في ألي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال : قلت : ما يقدمون على ألي العزم أحداً.
قال : فقال أبو عبدالله : إن الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة) ولم يقل كل شيء موعظة ، وقال لعيسى عليه السلام : (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) ولم يقل كل شيء ، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام : (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقال الله عزوجل (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال : (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) ، وعلم هذا الكتاب عنده . (بصائر الدرجات للصفار : ص229 ج5 ب5 ح6 ، الاحتجاج للطبرسي : ج2 ص375).
11 ـ ما روي عن الصادق عليه السلام أما والله لو لم يخلق الله علي بن ابي طالب صلوات الله عليه لما كان لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كفوٌ عن الخلق آدم فمن دونه (الكافي :ج1 ص461 ح10 ، المناقب لابن شهر أشوب : ج2 ص 181 ، مقتل الحسين للخوارزمي ج1 : ص66 ، الفردوس : ج3 ص 418 ح5170 .
الى غير ذلك من الأدلة التي سيقت في المقام ولا يحصرها عدّ ، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع : رسالة تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام للمفيد ، ج7 من مصنفات الشيخ المفيد عليه الرحمة .
(6) لا يخفى أن الكثير من العلماء يعتقدون بأن مراد الرسول من العلماء في مثل هذه الروايات ـ وهي روايات كثيرة ـ هم الأئمة لا أحد سواهم.
(7) المعجم الكبير للطبراني : ج 2 ص 253 ح 1061 .
(8) المعجم الكبير للطبراني ج2: ص199 ح 1808 و 1809، المستدرك للحاكم : ج4 ص501، مسند أحمد بن حنبل : ج5: ص86 و89 و 90 و 93، الصواعق المحرقة لابن حجر:ص20، مسند أبي يعلي : ج8 ص444 ح 5031، كنز العمال : ج6 ص89 ح 14971،فتح الباري : ج13 ص181، البداية والنهاية لابن كثير، (باب ذكر الأئمة الاثني عشر) : ج6 ص248، مجمع الزوائد للهيثمي : ج5 ص190، (ب الخلفاء الاثني عشر) ، تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير : ج2 ص34.
(9) ينابيع المودّة للقندوزي: ص258 ب (56).
(10) فرائد السمطين للجويني : ج2 ص312 ح 562، ينابيع المودّة للقندوزي: ص487 (ب94).
(11) المناقب للخوارزمي: ص75 ح 55، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 11 ص 589 ، المعجم الكبير للطبراني : ج 5 ص 194 ح 5067 ، ينابيع المودّة للقندوزي : ص 127 (ب43).
(12) صحيح البخاري : ج9 ص101، (ك الأحكام ب الإستخلاف).
(13) صحيح مسلم : ج3 ص1452 ح 6 (ك الإمارة ب 1).
(14) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص.10
(15) تقدمت تخريجاته .
(16) بحار الأنوار : ج 43 ص 291 ح 5 وج 44 ص 1 ح 2 .
(17) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج10: ص58 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج4 ص79 و ج 6 ص 289، وقعة صفين: ص216 ـ 221 ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج7 ص78(في ترجمة عاصم بن عاصم الليثي) .
(18) جاء في روايات أخرى: « اذا رأيتموه يخطب على منبري فاقتلوه »، وورد في أخرى: « اذا رأيتموه جالساً على منبري يخطب فاضربوا عنقه »، راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج10 ص58 ، تاريخ بغداد للخطيب : ج12 ص181، اللآلىء المصنوعة : ج1 ص424، تهذيب التهذيب : ج2 ص428، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج4 ص32.
(19) مسند احمد بن حنبل : ج4 ص421، وقعة صفين: ص219.
(20) وفي ذلك يقول خزيمة بن ثابت ـ كما جاء في المستدرك للحاكم : ج 3 ص 114 ـ 115:

إذا نحــن بايعنا علياً فحسبنا * أبو حسن مما نخـاف من الفتــن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه * أطب قريــشبالكتــاب وبالسنن
وإن قــريشاً ما تشق غباره * إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله * وما فيهم كل الذي فيــه من حسن

(21) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق، لابن عساكر : ج3 ص157، كنز العمال : ج11 ص612 ح 32964، الاستيعاب، لابن عبدالبر : ج3 ص1091، المناقب للخوارزمي: ص105 ح108، الاصابة، لابن حجر العسقلاني: ج4 ص170 ترجمة رقم: 994.
(22) راجع : مسند أحمد بن حنبل : ج 6 ص 323 ، مجمع الزوائد : ج 9 ص 130 ، المستدرك للحاكم : ج 3 ص 121 ، كنز العمال : ج 11 ص 602 ح 32903 ، مشكاة المصابيح : ج 3 ص 1722 ح 6092 ، بحار الأنوار : ج 27 ص 227 ح 26 وج 39 ص 311 ح 1 .

(23) سورة فصلت: الآية 42.
(24) مذكرات المدرسة للسيد محمد جواد المُهري : 147 - 157 .

المُناظرة الثالثة والاربعون

مناظرة الطالب مع الأستاذ في النص على الأئمة الإثنى عشر عليه السلام
الطالب: جاء أحد أساتذة الشريعة في الأردن واسمه الدكتور خالد نوفل إلى الكلية للتدريس، وإني كنت من طلاب هذه الكلية، ومعتقداً بمذهب الشيعة، وأحضر درسه، فأراه يستغل الفرص المناسبة للطعن في الشيعة وينسب إليهم أموراً لا أساس لها، فوقع يوماً حوار بيني وبينه حول خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الذين جاء عدد من الروايات إنهم اثنى عشر خليفة ، فاسمعوا حوارنا ثم اقضوا بيننا، ثم انظروا أينا أقوى حجّة، إليكم الحوار:
الأستاذ: لا يوجد في كتب الحديث مثل هذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وآله إن عدد الخلفاء اثنى عشر خليفة، بل إن هذاالحديث اختلقته أنت من نفسك.
الطالب: بل جاء هذا الحديث في الكتب المعتمدة لأهل السنة وصحاحهم وفي مواضيع عديدة، وبتعابير مختلفة وعلى سبيل المثال.
ورد في كتب الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الخلفاء بعدي اثنا عشر بعدد نُقباء بني إسرائيل كلّهم من قريش» (1).
فعليه جاء هذا الحديث في مستنداتكم وكتبكم ، التي هي موضع اعتمادكم وثقتكم.
الأستاذ: لو سلّمنا بصحة هذا الحديث فمن هم هؤلاء الإثنى عشرة نفر في رأيكم:
الطالب: هناك عشرات بل مئات الروايات التي تذكر أسماءهم ، وهم عبارة عن: أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، الحسن بن علي عليه السلام ، الحسين بن علي عليه السلام ، علي بن الحسين «زين العابدين» عليه السلام ، محمد بن علي «الباقر» عليه السلام ، جعفر بن محمد «الصادق» عليه السلام ، موسى بن جعفر «الكاظم» عليه السلام ، علي بن موسى «الرضا» عليه السلام ، محمد بن علي «الجواد» عليه السلام ، علي بن محمد «الهادي» عليه السلام ، الحسن بن علي «العسكري» عليه السلام ، الحجّة بن الحسن، إمام الزمان المهدي عليه السلام .
الأُستاذ: هل إن المهدي لا زال حياً؟
الطالب: نعم، إنّه حي، ولأجل أمور لا نعلمها فهو غائب عن أنظارنا، وعندما تتوفر الأرضية الصالحة في العالم يخرج من وراء ستار الغيب، ويمسك بزمام قيادة العالم.
الأستاذ: متى ولد المهدي عليه السلام ؟
الطالب: ولد الإمام المهدي عليه السلام في سنة 255 هجري قمري، وقد مضى من عمره الشريف حتى الآن 1158 هـ ق .
الأستاذ: كيف يمكن للإنسان أن يعمّر أكثر من ألف سنة، والحد الطبيعي لعمر الإنسان هو مأة سنة.
الطالب: نحن مسلمون ونعتقد بالقدرة الإلهية، وليس هناك مانع مع اقتضاء مشيئة الله، أن يعمّر الف سنة.
الأستاذ: آمنا بقدرة الله، ولكن هذا شيء خارج عن سنة الله في الخلق.
الطالب: أنتم تصدقون بالقرآن كما نحن نصدق، قول الله في الآية 14 من سورة العنكبوت: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً)، ويستفاد من الآية الكريمة أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه 950 سنة قبل الطوفان، فعليه، إنّه سبحانه وتعالى قادر أن يمنّ على الإنسان بهذا العمر وأكثر منه.
وأخبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في موارد عديدة عن مجيء الإمام المهدي (عج) بعنوان إمام وحجّة لله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وبهذا المعنى جاءت مئات بل أكثر من ألف رواية عن طريق الشيعة والسنة لا يعتريها الشك والشبهة ولا يمكن لأحد أن ينكرها، إليك نموذجاً منها: قال النبي صلى الله عليه وآله : «المهديُّ من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (2).
وعندما وصل الحديث هاهنا بين الأستاذ والأدلة المنطقية للطالب، وكونها من مستندات وصحاح أهل السنة، أختار الأستاذ السكوت، فاستغل الطالب الفرصة فقال: نرجع إلى صلب الموضوع ، هل صدقتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الخلفاء بعدي اثنا عشر...»؟ وسألتني عنهم فذكرتهم لكم، والآن إنّي أسالك من هم في رأيكم؟
الأستاذ: إن هؤلاء الخلفاء الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله أربعة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام ، ثم الحسن عليه السلام ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز، ويحتمل المهدي العباسي ثالث خلفاء بني العباس، وكذا يحتمل الطاهر العباسي، الخلاصة في رأينا إن هؤلاء اثنى عشرة خليفة غير معنونين ، وأقوال علمائنا في هذه المسألة مختلفة ومتضاربة.
الطالب: قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين الذي يرويه الفريقان وجميع المسلمين: «إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي...» (3)

ومن الواضح، أن أبا بكر وعمر وعثمان وأمثال ابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز والمهدي العباسي ليسوا من عترة وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعليه لماذا نغدو في تشخيص الخلفاء الإثنى عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيارى، وحديث الثقلين يصرح أنهم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويصدق في عقيدة الشيعة من الإمام علي عليه السلام إلى الامام المهدي عليه السلام .

الأَستاذ: أمهلني لكي أطالع أكثر في هذه المسألة، والآن لا أجد جواباً قانعاً وشافياً لك.

الطالب: حسناً، أرجو لك أن تتوفق بمطالعاتك وتحقيقاتك ، وأن تتعرف على الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن بعد فترة التقى الطالب بالأَستاذ، فأعلن الأَستاذ أنّه لم يستطع أن يعثر على شيءٍ دقيقٍ حول هؤلاء الخلفاء في عقيدة أهل السنة.

وفي مناظرة أخرى:

سأل أحد الطلبة أستاذ المعارف الإسلامية لأهل السنّة قائلاً: هل تؤمن بأن خلفاء رسول الله عليهم السلام اثنا عشرة نفراً وكلّهم من قريش.

الأَستاذ: نعم، لقد وردت روايات معتبرة في كتبنا تدل على ذلك.

الطالب: مَنْ هم هؤلاء الخلفاء؟

الأَستاذ: عبارة عن: 1 - أبو بكر 2 - عمر 3 - عثمان 4 - علي عليه السلام 5- معاوية 6- يزيد بن معاوية.

الطالب: كيف يمكن اعتبار يزيد خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، مع كونه شارباً للخمر، والسبب في إيجاد واقعة كربلاء الدموية، وقتل الحسين عليه السلام مع أصحابه وأهل بيته؟!

ثم قال الطالب للأَستاذ: اذكر بقية الخلفاء.

فبقي الأَستاذ حائراً لا يستطيع الجواب، وقد بدَّل موضوع الكلام وقال: أنتم الشيعة تسبّون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وتذكرونهم بسوء.

الطالب: نحن لا نذكر جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالسوء، فأنتم تقولون بعدالة الأَصحاب قاطبة، ونحن نقول ليس كذلك، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن المنافقين في عصر النبي صلى الله عليه وآله فإذا قلنا بعدالة جميع الصحابة، فعلينا أن نطرح شطراً مهمّاً من القرآن الكريم الذي نزل في المنافقين.

الأَستاذ: هل أنت تشهد بإنك راضي عن أبي بكر وعمر وعثمان.

الطالب: إني أشهد بأني راض عن كل من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام عنه، وكل من سخط عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام إني ساخطٌ عليه (4) .

---

(1) مسند أحمد: ج1 ص398 ، المستدرك للحاكم: ج4ص501، مجمع الزوائد للهيثمي: ج5 ص190 (ب الخلفاء الاثني عشر).

(2) مسند أحمد بن حنبل: ج3 ص27، الصواعق المحرقة : ص 163.

(3) مسند أحمد: ج4 ص367 ، صحيح مسلم: ج4 ص1874 ح 37، (ك فضائل الصحابة ب4 من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام)، الجامع الصحيح للترمذي: ج5 ص621 ح3786، كنز العمال: ج1 ص172 - 173 ح 870 - 873.

(4) أجود المناظرات للاشتهاردي : 269 - 276 .

المُناظرة الرابعة والاربعون

مناظرة السيد علي البطحائي مع بعض الأساتذة في النص على الأئمة عليهم السلام
المناظرة التي وقعت بيننا مع عدة من العلماء والمدرّسين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، قلت: ورد في صحيح مسلم في أول المجلد السادس باب (إن الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) يذكر عدة من الروايات إن الخلافة تكون في قريش ما بقي من الناس اثنان (1) ، ومضمون هذه الروايات لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية الجعفرية لأنهم يقولون: إن الإمامة والوصاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة تكون في قريش، وهم أوصياء الرسول المعينون على لسانه كما في الروايات الواردة في صحيح مسلم.
وقلت للشيخ عبدالله وعدة من المدرسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ما تقولون في معنى الروايات الواردة في الجزء السادس من صحيح مسلم في أول الجزء: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (2) ؟
حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، حدثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه قال: قال عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يزال هذا الأمر في قريش ، ما بقي من الناس اثنان (3) ، وكذا رواه في البخاري (4) .
وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال : ثمّ تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش (5) .
وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليّهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله بكلمة خفيت عليَّ ، فسألت أبي : ماذا قال الرسول صلى الله عليه وآله ؟ فقال: كلهم من قريش. (6) حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش (7) ، وبمضمونها روايات أُخرى. (8) حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا حاتم عن المهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال: فكتب اليَّ:سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة ، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم من قريش. (9)
قلت للعلماء بعد ذكر الروايات: ما معنى هذه الروايات ؟ وما معنى الرواية الأولى: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان؟
إن هذا الباب والروايات لا ينطبق إلا على مذهب الشيعة الجعفرية ، فإنهم يقولون بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وهو من قريش، ثم بعده ابنه الحسن عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده ابنه الثاني الحسين عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده علي بن الحسين عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن علي الباقر عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده موسى بن جعفر عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده علي بن موسى عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن علي الجواد عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده علي بن محمد النقي عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده الحسن العسكري عليه السلام ، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن الحسن صاحب الزمان عليه السلام ، وهو من قريش ، وهو الآن حي مرزوق... وهم الإثنا عشر المعنيون بقول الرسول صلى الله عليه وآله ، وإن كان المراد غير هذا فبيّنوا معنى الروايات الواردة في هذا الباب.
فقال واحد من المدرّسين: الأول منهم أبو بكر ، الثاني عمر ، الثالث عثمان، الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام ، الخامس معاوية ، السادس يزيد بن معاوية.
قلت: يزيد بن معاوية شارب الخمر جهراً، ثم قلت: فمن الباقي الوارد في الرواية ، فما استطاعوا عدّ البقية. (10)

(1 و 2) صحيح مسلم : ج 3 ص 1451 ح 1 - 3 .
(3) نفس المصدر : ص 1452 ح 4 .
(4) صحيح البخاري : ج 9 ص 78 (ك الأحكام ب الأمراء من قريش) .
(5) صحيح مسلم : ج 3 ص 1452 ح 5 ، بحار الأنوار : ج 36 ص 266 ح 87 وص 362 ح233.
(6) صحيح مسلم : ج 3 ص 1452 ح 6 .

(7) نفس المصدر : ص 1453 ح 7 .
(8) نفس المصدر : ح 8 و 9 .
(9) نفس المصدر : ح 10 .
(10) مناظرات في الحرمين للبطحائي : ص 27 - 30 .

في عصمة الانبياء
وأهل البيت (ع)

المُناظرة الخامسة والاربعون

مناظرة الامام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي في عصمة الانبياء عليهم السلام
عن علي بن محمد بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون : يا بن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون ؟
قال : بلى .
قال : فما معنى قول الله عزّ وجلّ : (وعصى آدم ربه فغوى) (1) .
فقال عليه السلام : إنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم : (اسكُن أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّة وكُلا مِنهَا رَغَداً حيثُ شِئتُما وَلا تَقرَبا هذهِ الشَجَرَة ـ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ـ فَتَكونَا مِن الظالمين) (2) ولم يقل لهما : لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنّما أكلا من غيرها ، لمّا أن وسوس لهما الشيطان وقال : (مَا نَهاكُما رَبّكُما عن هذهِ الشَجَرة) (3) وإنّما ينهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها (إلا أن تكُونا مَلكَين أو تكُونا من الخالدين ، وقاسمهُما إنّي لكُما لَمِنَ الناصحين) (4) ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً (فَدَلاّهُما بغرُور) (5) فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله عزّ وجلّ : (وَعَصى آدم رَبَّه فَغوى ، ثُمَّ اجتباه رَبُّه فتابَ عليه وَهَدى) (6) وقال عز وجل : (إن اللهَ اصطفى آدمَ ونُوحاً وآلَ إبراهيمَ وآل عمرانَ على العالَمين) (7) .
فقال له المأمون : فما معنى قول الله عز وجل : (فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعلا له شُركاء فيما آتاهُما) (8) ؟
فقال له الرضا عليه السلام : إن حواء ولدت لآدم خمسمائة بطن ذكراً وأنثى وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا : (لئن آتَيتَنا صالِحاً لنكونَنَّ من الشاكرين ، فلمَّا آتاهما صالحاً) (9) من النسل خلقاً سوياً بريأً من الزمانة والتامة وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً إناثاً ، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل ، قال الله تبارك وتعالى: (فَتَعالى اللهُ عمّا يُشرِكون) (10) .
فقال المأمون : أشهد أنك ابن رسول الله حقّاً فأخبرني عن قول الله عز وجل في حقِّ إبراهيم عليه السلام : (فَلَمَّا جَنَّ عليهِ الليلُ رأى كَوكباً قال هذا رَبّي) (11)
فقال الرضا عليه السلام : إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه (فَلَمَّا جَنَّ عليهِ الليلُ) فرأى الزهرة، قال : (هذا رَبّي) على الإنكار والاستخبار (فلمَّا أَفَلَ) الكوكب (قال لا أُحِبُّ الآفِلين) (12) لأنّ الأُفول من صفات المحدَث لا من صفات القدم (فَلمّا رأى القمرَ بازِغاً قالَ هذا رَبّي) (13) على الإنكار والاستخبار (فلمّا أَفَلَ قال لئن لم يهدِني رَبّي لأكونَنَّ مِنَ القومِ الضَّالّين) (14) يقول : لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين فلما أصبح و (رأى الشمسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أكبر) من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار (فَلَمَّا أَفَلَت) قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس : (يا قَومِ إنّي بَريءٌ مما تُشركون ، إنّي وَجَّهتُ وجهي لِلذي فَطَرَ السماواتِ والأرض حنيفاً وما أنا من المُشرِكين) (15) وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحقّ لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنّما تحقّ العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض ، وكان ما احتجَّ به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل : (وتِلكَ حُجّتُنا آتيناها إبراهيم على قومِه) (16) .
فقال المأمون : لله درّك يا بن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ أَرني كيفَ تُحيي المَوتى قال أوَ لَم تُؤمِن قال بلى ولكن ليَطمئِن قلبي) (17) .
قال الرضا عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام إنّي مُتخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته ، فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال : (رَبِّ أَرني كيفَ تُحيي المَوتى قال أوَ لَم تُؤمِن قال بلى ولكن ليَطمئِن قلبي) على الخلّة (قال فَخُذ أَربَعةً من الطَّيرِ فصُرهُنَّ إلَيكَ ثُمَّ اجعَل على كُلِّ جبلٍ منهُن جزءً ثُمَّ ادعُهُن يأتينَك سعياً واعلم أَنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم) (18) فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وبطّاً وديكاً ، فقطعهن وخلطهن ثمّ جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة منهن جزء وجعل مناقيرهن بين

أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبّاً وماءً فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان ، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ، وقلن : يا نبي الله أحييتنا أحياك الله ، فقال إبراهيم : بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير.

قال المأمون : بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل : (فَوَكَزَهُ موسى فَقَضى عليهِ قالَ هذا مِن عمل الشَّيطان) (19) .

قال الرضا عليه السلام : إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء (فَوَجدَ فيها رجُلين يَقتتِلان هذا من شيعتِه وهذا مِن عَدوِه فاستَغاثَهُ الذي من شيعَتِه على الذي من عَدوِه) (20) فقضى موسى على العدو ، وبحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات (قالَ هذا مِن عَمَلِ الشَّيطان) يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعل موسى عليه السلام من قتله ، إنه ـ يعني الشيطان ـ عدو مضل مبين .

فقال المأمون : فما معنى قول موسى : (ربّ إنّي ظَلَمتُ نَفسي فاغفر لي) (21) .

قال : يقول : إنّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة فاغفر لي أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني (فَغَفَرَ لهُ إنَّه هُوَ الغَفُورُ الرَّحيم) (22) قال موسى عليه السلام : (رَبّ بِما أنعمتَ عَليَّ) من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة (فَلَن أكونَ ظهيراً للمُجرمين) (23) بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى رضى فأصبح موسى عليه السلام في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر قال له موسى إنّك لغويٌ مبين قتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأودبنّك وأراد أن يبطش به (فَلَمّا أن أراد أن يبطشَ بالذي هوَ عَدوٌّ لهما) وهو من شيعته (قال يا موسى أتُريدُ أن تَقتُلَني كَما قَتَلتَ نَفساً بالأمسِ إن تُريدُ إلاّ أن تكون جبّاراً في الأرض وما تُريد أن تكونَ مِنَ المُصلحين) (24) .

قال المأمون : جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون : (فَعَلتُها إذاً وأنا من الضّالّين) (25) .

قال الرضا عليه السلام : إن فرعون قال لموسى لما أتاه : (وفَعَلتَ فعلتَكَ التي فَعَلت وأنتَ مِنَ الكافرين) (26) ، قال موسى : (فَعَلتُها إذاً وأنا من الضالين) عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك (فَفَرَرتُ مِنكُم لَما خِفتُكم فَوَهَبَ لي رَبّي حُكماً وجَعَلَني مِنَ المُرسَلين) (27) وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله : (ألَم يَجِدكَ يتيماً فآوى) (28) يقول : ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس (وَوَجَدكَ ضالاً) (29) يعني عند قومك فهدى ، أي هداهم إلى معرفتك (وَوَجدكَ عائِلاً فأغنى) (30) يقول : أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون : بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل : (ولَمّا جاء موسى لميقاتِنا وكَلَّمَه رَبُّه قالَ رَبِّ أرني أنظرُ إليكَ قال لَن تَراني) (31) كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنَّ الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال ؟

فقال الرضا عليه السلام : إنَّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أنّ الله تعالى أعز أن يرى بالأبصار ، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه ، فقالوا (لَن نُؤمنَ لَكَ) حتى نستمع كلامه كما سمعت ، وكان القوم سبعمأة ألف رجل ، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه ، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأنّ الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه ، فقالوا : (لَن نُؤمنَ لَكَ) بأن هذا الذي سمعناه كلام الله (حتّى نرى الله جهرة) فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة ، فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى : يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا : إنك ذهبت به فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إيّاك، فأحياهم الله وبعثهم معه ، فقالوا : إنّك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته ، فقال موسى : يا قوم إن الله تعالى لا يُرى بالأبصار ولا كيفية له ، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تسأله ، فقال موسى : يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحهم، فأوصى الله تعالى إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام : (رَبِّ أَرني أَنظرُ إليكَ قال لَن تَراني ولكِن أُنظُر إلى الجبلِ فإنِ استَقَرَّ مَكانَه) وهو يهوي (فَسوفَ تراني فَلمّا تَجَلّى رَبُّه للجبلِ) بآية من آياته (جَعَلَه دَكّاً وخرَّ مُوسى صَعِقاً فَلمّا أفاقَ قال سُبحانَكَ تُبتُ إلَيكَ) (32) يقول : رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أوّل المؤمنين منهم بأنك لا تُرى .

فقال المأمون : لله درُّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل : (وَلَقَد هَمَّت بهِ وهَمَّ بها لَولا أن رأى بُرهان رَبّهِ) (33) .

فقال الرضا عليه السلام : لقد همَّت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ لها كما همَّت به، لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه ، وقد حدّثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنّه قال : همَّت بأن تفعل وهمَّ بأن لا يفعل .
فقال المأمون : لله درُّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل : (وَذَا النُّون إذ ذهبَ مُغاضباً فَظَنَّ أن لن نقدِرَ عليه) (34) .
فقال الرضا عليه السلام : ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ، فظن بمعنى استيقن أن لن نقدر عليه ، أي لن نضيق عليه رزقه ، ومنه قوله عزّ وجلّ : (وأمَّا إذا مَا ابتلاهُ فَقَدَرَ عليهِ رِزقهُ) (35) أي ضيق وقتر (فَنَادَى في الظُّلماتِ) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت : (أن لا إله إلاَّ أنت سُبحَانَكَ إنّي كُنتُ مِنَ الظالمين) (36) بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرّغتني لها في بطن الحوت ، فاستجاب الله له وقال عزّ وجلّ : (فَلَولا أنَّه كانَ مِن المُسبِّحين، للبِثَ في بَطنِهِ إلى يوم يُبعَثُونَ) (37) .
فقال المأمون : لله درُّك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل : (حتى إذا استيأس الرُّسُل وَظَنُّوا أنَّهُم قَد كُذِبوا جَاءهُم نَصرُنا) (38) .
فقال الرضا عليه السلام : يقول الله عز وجل : حتى إذا استيأس الرُّسُل من قومهم، وَظَنَّ قومهم ، أنَّ الرسل قَد كُذِبوا جَاء الرسل نَصرُنا .
فقال المأمون : لله درُّك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل : (لِيغفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأخَّر) (39) .
قال الرضا عليه السلام : لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً ، فلمّا جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كَبُر ذلك عليهم وعظم وقالوا : (أجعلَ الآلِهةَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب ، وانطَلَقَ المَلأ مِنهم أن امشُوا واصبِرُوا على آلِهتِكُم إنَّ هَذا لَشيءٌ يُرادُ ، ما سَمِعنا بِهذا في المِلَّةِ الآخِرةِ إن هذا إلاّ اختلاق) (40) فلمّا فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له : يا محمد (إنَّا فَتَحنَا لَكَ) ـ مكة ـ (فَتحَاً مُبيناً ، ليغفر لَكَ اللهُ ما تَقَدَّم مِن ذَنبِكَ وما تَأخَّر) (41) عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم ، وخرج بعضهم عن مكة ، ومن بقى منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.
فقال المأمون : لله درُّك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل : (عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أذِنتَ لَهُم) (42) ؟
فقال الرضا عليه السلام : هذا ما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أُمّته ، وكذلك قوله تعالى : (لئِن أشركتَ ليَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِن الخاسرين) (43) وقوله عز وجل : (وَلولا أن ثَبَّتناكَ لَقَد كِدتَ تركَنُ إليهم شَيئاً قَليلاً) (44) .
قال : صدقت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرني عن قول الله عز وجل : (وإذ تَقولُ لِلَّذي أنعَم اللهُ عَليهِ وأنعَمت عَليهِ أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللهَ وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ وَتَخشى النّاس واللهُ أحقُّ أن تخشاه) (45) .
قال الرضا عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل فقال لها : سبحان الذي خلقك، وإنّما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله فقال الله عز وجل : (أفَأصفاكُم رَبُّكُم بالبَنينَ واتَّخَذَ مِنَ المَلائكَةِ إناثاً إنَّكُم لَتَقُولون قَولاً عَظِيماً) (46) فقال النبي صلى الله عليه وآله لما رآها تغتسل : سبحان الذي خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال ، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله لها : سبحان الذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له : يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ امرأتي في خلقها سوء وإنّي أُريد طلاقها ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : (أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ الله) (47) وقد كان الله عز وجل عرَّفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد ، وخشى الناس أن يقولوا : إن محمداً يقول لمولاه : إن امرأتك ستكون لي زوجة يعيبونه بذلك ، فأنزل الله عز وجل : (وإذ تَقُولُ لِلَّذي أنعَمَ اللهُ عَليهِ)يعني بالإسلام وأنعمت عليه يعني بالعتق (أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللهَ وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ وَتَخشى النّاس واللهُ أحقُّ أن تخشاه) (48) ثمّ إن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه ، فزوّجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل : (فَلَمّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطراً زَوَّجناكَها لكي لا يَكُونَ عَلى المؤمِنينَ حَرجٌ في أزواج أدعيائِهم إذا قضوا مِنهُنَّ وَطراً وكانَ أمرُ اللهِ مفعُولاً) (49) ثمّ علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزوجها فأنزل الله تعالى: (ما كانَ عَلى النَّبي مِن حرجٍ فيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ) (50) .

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يا بن رسول الله ، وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليَّ ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإِسلام خيراً (51) .

---

(1) سورة طه : الآية 121 .
(2) سورة البقرة : الآية 35 .
(3) سورة الأعراف : الآية 20 .
(4) سورة الأعراف : الآية 20 و21 .
(5) سورة الأعراف : الآية 22 .
(6) سورة طه : الآية 121 و122 .
(7) سورة آل عمران : الآية 33 .
(8) سورة الأعراف : الآية 190 .
(9) سورة الأعراف : الآية 189 و 190 .
(10) سورة الأعراف : الآية 190 .
(11) سورة الأنعام : الآية 76 .
(12) سورة الأنعام : الآية 76 .
(13) سورة الأنعام : الآية 77 .
(14) سورة الأنعام : الآية 77 .
(15) سورة الأنعام : الآية 78 و79 .
(15) سورة الأنعام : الآية 83 .
(16) سورة البقرة : الآية 260 .
(17) سورة البقرة : الآية 260 .
(18) سورة القصص : الآية 15 .
(19) سورة القصص : الآية 15 .
(20) سورة القصص : الآية 16 .
(21) سورة القصص : الآية 15 .
(22) سورة القصص : الآية 17 .
(23) سورة القصص : الآية 19 .
(23) سورة الشعراء : الآية 20 .
(24) سورة الشعراء : الآية 19 .
(25) سورة الشعراء : الآية 21 .
(27) سورة الضحى: الآية 6 .
(28) سورة الضحى : الآية 7 .
(29) سورة الضحى : الآية 8 .
(30) سورة الأعراف : الآية 143 .
(32) سورة الأعراف : الآية 143 .
(33) سورة يوسف : الآية 24 .
(34) سورة الأنبياء : الآية 87 .
(35) سورة الفجر : الآية 16 .
(36) سورة الأنبياء : الآية 87 .
(37) سورة الصافات : الآية 143 و 144 .
(38) سورة يوسف : الآية 110 .
(39) سورة الفتح : الآية 2 .
(40) سورة ص : الآية 5 - 7 .
(41) سورة الفتح : الآية 1 و2 .
(42) سورة التوبة : الآية 43 .
(43) سورة الزمر : الآية 65 .
(44) سورة الإسراء : الآية 74 .
(45) سورة الأحزاب : الآية 37 .
(46) سورة الإسراء : الآية 40 .
(47) سورة الأحزاب : الآية 37 .
(48) سورة الأحزاب : الآية 37 .
(49) سورة الأحزاب : الآية 37 .

(50) سورة الأَحزاب : الآية 38 .
(51) عيون أَخبار الرضا عليه السلام ج2 ص 174 - 182 ب 15.

المُناظرة السادسة والاربعون

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع أهل الملل في العصمة

قال أبو الصلت الهروي : لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات ، فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له : يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء ؟

قال : نعم

قال : فما تعمل في قول الله عز وجل : (وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (1) وفي قوله عز وجل : (وَذَا النُّونِ إذ ذَّهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نقدِرَ عَلَيه) (2) وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام : (وَلَقَد هَمَّت بِه وَهَمَّ بِها) (3) وفي قوله عزوجل في داود عليه السلام : (وَظَنَّ دَاود أَنَّما فَتَنَّاه) (4) وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله : (وَتُخفي في نَفْسِكَ ما اللهُ مُبديهِ) (5)

فقال الرضا عليه السلام : ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك فإنّ الله عزّ وجلّ قد قال : (وَمَا يَعلمُ تَأوِيلَهُ إلاّ اللهُ والراسِخُونَ) (6) .

وأما قوله عز وجل في آدم : (وعصى آدم ربه فغوى) فإن الله عزوجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض ، وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر الله ، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عُصم بقوله عزّ وجلّ : (إنَّ اللهَ اصطَفى آدَمَ ونُوحاً وآل إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالَمين) (7) .

وأما قوله عز وجل : (وَذَا النُّونِ إذ ذَّهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نقدِرَ عَلَيه) إنّما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه ، ألا تسمع قول الله عز وجل : (وأَمَّا إذا مَا ابتلاَه رَبه فَقَدَرَ عليهِ رِزقَه) (8) أي ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر .

وأما قوله عز وجل في يوسف : (وَلَقَد هَمَّت بِه وَهَمَّ بِها) فإنّها همَّت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة ، وهو قوله عز وجل : (كَذَلِكَ لِنصرِفَ عَنهُ السُّوءَ والفَحشَاءَ) (9) يعني القتل والزنا .

وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه ؟

فقال علي بن محمد بن الجهم يقولون : إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من طيور فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود ، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا فتزوج داود بامرأته.

قال : فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل .

فقال : يا بن رسول الله فما كان خطيئته ؟

فقال : ويحك إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا في المحراب فقالا : (خَصمَانِ بَغَى بَعضُنَا عَلَى بعضٍ فاحكُم بَينَنَا بالحقِّ ولا تُشطِط واهدِنَا إلى سَوَاءِ الصِّراط، إنَّ هَذَا أَخي لَهُ تِسع وتِسعُونَ نَعجَةً ولِي نَعجَةٌ واحِدَةٌ فَقَالَ أَكفِلْنيها وَعزَّنِي في الخِطَابِ) (10) فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال : (لَقَدَ ظَلَمَكَ بِسؤالِ نَعجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ) (11) فلم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له : ما تقول ؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه ، ألا تسمع الله عز وجل يقول : (يا دَاوُدُ إنَّا جَعَلنَاكَ خَليفَةً في الأَرضِ فاحكُم بينَ النَّاسِ بالحقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى) (12) إلى آخر الآية .

فقال : يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا ؟

فقال الرضا ـ عليه السلام ـ : إنَّ المرأة في أيّام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً وأوّل من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل : (وَتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبديهِ وَتخشَى النَّاس واللهُ أحقُّ أن تَخشاه) (13) فإنَّ الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أُمّهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش ، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى أسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين : إنَّه قال في امرأة في بيت رجل إنَّها إحدى أزواجه من

أُمَّهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين، فقال الله عزّ وجل : (وَتخشَى النَّاس والله أحقُّ أن تَخشاه) يعني في نفسك وإن الله عزّ وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلاّ تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : (فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِنهَا وطراً زوَّجنَاكهَا) الآية، وفاطمة من علي عليهما السلام .
قال : فبكى علي بن محمد بن الجهم فقال : يابن رسول الله ، أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله : بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته (14)

---

(1) سورة طه: الآية 121 .
(2) سورة الأنبياء: الآية 87 .
(3) سورة يوسف: الآية 24 .
(4) سورة ص : الآية 24 .
(5) سورة الأحزاب : الآية 37 .
(6) سورة آل عمران : الآية 7.
(7) سورة آل عمران : الآية 33 .
(8) سورة الفجر : الآية 16 .
(9) سورة يوسف: الآية 24 .
(10) سورة ص : الآية 22 و23 .
(11) سورة ص : الآية 24 .
(12) سورة ص : الآية 26 .
(13) سورة الأحزاب : الآية 37 .
(14) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج2 ص 170 - 173 ب 14 .

المُناظرة السابعة والاربعون

مناظرة ابن أبي عمير (1)مع هشكام بن الحكم في العصمة
قال الشيخ الصدوق ـ عليه الرحمة ـ : حدّثنا محمد بن علي بن ماجيلويه قال : حدّثني علي بن إبراهيم ،عن أبيه ، عن ابن أبي عمير قال : ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام عليه السلام ، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم ؟
فقال : نعم .
قلت له : فما صفة العصمة فيه وبأي شيء تُعرف ؟
فقال : إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها : الحرص والحسد والغضب والشهوة ، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا، وهي تحت خاتمه لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص، ولا يجوز أن يكون حسوداً لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من دونه، ولا يجوز أن يغضب لشيءٍ من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجلّ ، فإن الله فرض عليه إقامة الحدود ، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله ، ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأنّ الله عزّ وجلّ قد حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا ، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا .
فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مرّ، وثوباً ليناً لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية (2) ؟

---

(1) هو: محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي، الذي أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصحّ عنه ، وعد مراسيله مسانيد، ومن الذين اقرّوا له بالفقه والعلم ، عاصر الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام بغدادي الأصل، جليل القدر عظيم المنزلة، وقد حبس في أيّام الرشيد ليدل على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليهما السلام وقيل إنه ضُرب أسواطاً بلغت منه فكاد أن يقر لعظيم الألم فسمع محمد بن يونس بن عبدالرحمن وهو يقول: اتق الله يا محمد بن أبي عمير ، فصبر ففرج الله عنه، وقيل إن اخته دفنت كتبه في حال استتاره وكونه في الحبس أربع سنين فهلكت الكتب ، وقيل تركها في غرفة فسال عليها المطر فحدَّث من حفظه، وممّا كان سلف له في أيدي الناس ، وبهذا سكن إليه بعض الأصحاب في مراسيله، وقيل إنّه صنف أربعة وتسعين كتاباً ، توفي سنة 217 هـ . راجع : تنقيح المقال للمامقاني: ج2 ص61 - 64 ترجمة رقم: 10272 ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره : ج 14 ص 279 ، ترجمة رقم : 10018.
(2) علل الشرائع للصدوق : ج1 ص204 - 205 .

المُناظرة الثامنة والاربعون

مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث في آية التطهير ونزولها في أهل البيت عليهم السلام

قال الشيخ الصدوق رحمه الله : ومن كلام الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : قال له رجل من أصحاب الحديث ممن يذهب إلى مذهب الكرابيسي : ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدعونه من المحال ، وذلك أنّهم زعموا أن قول الله سبحانه : (إنّما يُريد اللهُ ليذهِب عَنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً) (1) نزلت في علي وفاطمةوالحسن والحسين عليهم السلام مع ما في ظاهر الآية من أنها نزلت في أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنك إذا تأمّلت الآية من أوّلها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصة ، ولم نجد لمن ادعوها له ذكراً.

فقال الشيخ ـ أيده الله ـ له : أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدهم إنكاراً للحقّ وأجهلهم من قام مقامك في هذا الاحتجاج ودفع ما عليه الإجماع والاتفاق ، وذلك أنه لا خلاف بين الأُمّة أن الآية من القرآن قد يأتي أوّلها في شيء وآخرها في غيره ، ووسطها في معنى وأولها في سواه ، وليس طريق الاتفاق في معنى إحاطة وصف الكلام بالآي وقد نقل المخالف (2) والموافق أنّ هذه الآية نزلت في بيت أُمّ سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ ورسول الله صلى الله عليه وآله في البيت ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد جللهم بعباءة خيبرية وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأنزل الله عزّ وجلّ : (إنّما يُريد اللهُ ليذهِب عَنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً) (3) فتلاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ : يا رسول الله ، ألست من أهل بيتك ؟ فقال لها : إنّك إلى خير ، ولم يقل إنك من أهل بيتي.

حتى روى أصحاب الحديث أن عمر سئل عن هذه الآية فقال : سلوا عنها عائشة، فقالت عائشة : إنها نزلت في بيت أختي أُمّ سلمة فاسألوها عنها فإنها أعلم بها مني، فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة ولا أصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها فيمن عددناه، وحمل القرآن في التأويل على ما جاء به الأثر أولى من حمله على الظن والترجيم، مع أن الله سبحانه قد دلّ على صحة ذلك بمتضمن الآية حيث يقول جلّ وعلا : (إنّما يُريد اللهُ ليذهِب عَنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً) وإذهاب الرجس لا يكون إلاّ بالعصمة من الذنوب لأن الذنوب من أرجس الرجس ، والخبر عن الإرادة هنا إنّما هو خبر عن وقوع الفعل خاصة دون الإرادة التي يكون بها لفظ الأمر لا سيما على ما أذهب إليه في وصف القديم بالإرادة، وأفرق بين الخبر عن الإرادة هاهنا والخبر عن الإرادة في قوله : (يُريد اللهُ ليُبَيِّنَ لَكُم) (4) وقوله : (يُريد اللهُ بكم اليُسر وَلا يُريد بِكُم العُسر) (5) إذ لو جرت مجرى واحداً لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى ، إذ الإرادة التي يقتضي الخبر والبيان يعم الخلق كلهم على وجهها في التفسير ومعناها فلما خصّ الله أهل البيت عليهم السلام بإرادة إذهاب الرجس عنهم دلّ على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم وذلك موجب للعصمة على ما ذكرناه .

وفي الاتفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج دليل على بطلان مقال من زعم أنها فيهن، مع أن من عرف شيئاً من اللسان وأصله لا يرتكب هذا القول ولا توهم صحته وذلك أنه لا خلاف بين أهل العربية أن جمع المذكر بالميم وجمع المؤنث بالنون وأن الفصل بينهما بهاتين العلامتين، ولا يجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنث على المذكر ولا وضع علامة المذكر على المؤنث ولا استعملوا ذلك في حقيقة ولا مجاز، ولما وجدنا الله سبحانه قد بدأ في هذه الآية بخطاب النساء فأورد علامة جمعهن من النون في خطابهن فقال : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول) إلى قوله : (وَأطعنَ اللهَ وَرَسولَهُ) (6) ثم عدل بالكلام عنهن بعد هذا الفصل إلى جمع المذكر فقال : (إنّما يُريد اللهُ ليذهِب عَنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً) فلما جاء بالميم وأسقط النون علمنا أنه لم يتوجه هذا القول إلى المذكور الأول بما بيناه من أصل العربية وحقيقتها ثمّ رجع بعد ذلك إلى الأزواج، فقال : (وَاذكُرنَ مَا يُتلى في بيُوتِكُنَّ مِن آياتِ اللهِ وَالحِكمَة إنَّ اللهَ كانَ لطيفاً خَبيرا) (7) فدل ذلك على إفراد من ذكرناه من آل محمد عليهم السلام بما علقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة وجليل الفضيلة، وليس يمكنكم معشر المخالفين أن تدعوا أنه كان في الأزواج مذكوراً رجل غير النساء وذكر ليس برجل فيصح التعلق منكم بتغليب المذكر على المؤنث إذا كان في الجمع ذكر ، وإذا لم يمكن ادعاء ذلك وبطل أن يتوجه إلى الأزواج فلا غير لهن توجهت إليه إلا من ذكرناه فمن جاء فيه الأثر على ما بيناه (8) .

---

(1) سورة الأحزاب : الآية 33 .
(2) وقد تقدّمت تخريجات نزول الآية فيهم عليهم السلام من كتب الجمهور.
(3) سورة الأحزاب : الآية 33 .

(4) سورة النساء : الآية 26 .
(5) سورة البقرة : الآية 185 .
(6) سورة الأحزاب : الآية 33 .
(7) سورة الأحزاب : الآية 34 .
(8) الفصول المختارة للمفيد : ص29 - 31 .

المُناظرة التاسعة والاربعون

مناظرة السيد محمد تقي الحكيم (1)مع أكابر علماء مؤثر البحوث الإسلامية في عصمة أهل البيت عليهم السلام
الحديث الذي أداره مندوب الإيمان مع سماحة العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم عميد كلية الفقه بالوكالة، على أثر عودته من القاهرة بعد حضوره مؤتمر البحوث الإسلامية.
س ـ في الندوات التي حضرتموها في مصر وأثيرت معكم ، فيها أحاديث حول التشيع ، ذكرتم عدة مواضيع أحب الكثير من قراء (الإيمان) الوقوف على طبيعة ما أثير حولها من حديث ، ومنها ما يتصل بعصمة أهل البيت فهل تتذكرون أين دار الحديث عنها وكيف؟
ج ـ إن الذي أتذكره أن أهم الأحاديث التي دارت حولها كانت في الإسكندرية (2) ، وفي ندوة الأمناء في القاهرة (3) ، في الأمسية التي اعتادت إحياءها في ليلة الأحد من كل أسبوع ، حيث يحضرها شيخ الأمناء الأستاذ أمين الخولي وتلامذته لمناقشة بعض القضايا، وقد دعينا من قبل بعض الإخوان المصريين لحضورها ، واقتصر الحديث عند حضورنا أو كاد على قضايا التشيّع ، وأخذ منها حديث العصمة وقتاً كبيراً ، وقد صحبنا إليها من الإخوان المصريين واللبنانيين العلامة الكبير الشيخ محمود أبو رية ، والدكتور حامد حفني داود ، والأستاذ الشيخ عبدالفتاح بركة ، والأستاذ الشيخ عبدالحميد الحر.
وطبيعة الحديث الذي دار في الإسكندرية وفي ندوة الأمناء وغيرها كان متشابه الخطوط بحكم وحدة الموضوع وتشابه الأسئلة ، لذلك أوثر أن أعطي خلاصة لكل ما دار فيها ، مع ضم بعضه إلى بعض ، دون حاجة إلى تكرار الحديث بعد ذلك عنها.
وكان ممن حضر ندوة الإسكندرية من أعضاء المؤتمر بعض العلماء الجزائريين والسودانيين والليبيين والمصريين والأردنيين والصوماليين.
وكان مبعث الحديث عنها ، السؤال الذي وجهه فضيلة الشيخ الجيلالي الفارسي مندوب الجزائر ، وهو من أكابر العلماء الذين التقيتهم في المؤتمر ، ومن أوسعهم معرفة في الشؤون العقائدية ، وقد وهب ملكة بيانية قل نظيرها فيمن رأيت.
قال الشيخ الجزائري ـ وهو يُمهد للسؤال ـ : يسرني أن أحظى بشرف التعرف على إخوان من علماء الشيعة ، طالما تشوقت إلى لقاء امثالهم للاتصال بهم، ومعرفة واقع ما يبلغنا عن عقائدهم ، فإذا سمحتم بتوجيه بعض الأسئلة عن جملة مما يبلغنا عن الشيعة لأقرارها ، أو تصحيح أفكارنا عنها أكون شاكراً.
قلت: يسرني ذلك ، وأرجو أن أكون صريحاً في الجواب عليها ، ولك عليّ أن لا أتطفل على الدخول فيما لا أملك القول فيه ، وأرجع معك ـ إذا شئت ـ فيما أجهله إلى من هم أكثر مني تخصصاً في مبادىء التشيع ، من أساتذة معاهد النجف ومراجع الأمة فيها.
فأومأ برأسه ـ شاكراً ـ ثم بدأ الحديث بهذا السؤال: هل من الصحيح ما يبلغنا عن إخواننا الشيعة من أنهم ينسبون العصمة إلى أهل البيت عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه وآله على حد سواء.
قلت ـ وقد تركزت عليَّ عيون الملتفين حول مائدة الطعام ، وكنا على المائدة ، وقد أهمهم فيما يبدو هذا السؤال ، وربما كان فيهم من يحاول توجيهه ويتحاشى الإحراج ـ : نعم نؤمن بذلك.
قال: وقد بدا على صوته شيء من التهدج والاستنكار: وكيف وما هي أدلتكم على ذلك؟!
قلت ـ مبتسماً ، وقد أوشكنا على الانتهاء من الطعام ـ : لا أظنك يا سيدي تكتفي مني بالجواب الإجمالي على مثل هذه المسألة الدقيقة ، ومثلك من لايكتفي بهذا الجواب ، أفلا ترى أن نؤجل الحديث عنها إلى جلسة أطول ، ليتسع فيها مجال الحديث.
قال: معك حق.
ونهضنا عن المائدة ، وقبل أن نتفرق قال : ألا نذهب إلى (كافتريا) الفندق لنأخذ كوباً من الشاي ، ونتمتع بمنظر البحر الجميل؟ وكانت المقهى مطلة عليه وجميلة جداً، وقبل أن يسمع الجواب أخذ بيدي وتبعنا بقية الإخوان ، وتحلقنا حول مائدة مستديرة فيها ، وطلبوا لنا الشاي ، ثم التفت إليَّ وقال: إن في هذا المكان الهادىء الجميل متسعاً للحديث ، وبخاصة وأنّ أمامنا من الوقت عدة ساعات لم يسبق أن شغلت بموعد من قبل إخواننا المضيفين ، وإنما تركوا لنا فيها حرية قضائها كيف نشاء.
قلت ـ وقد رفعت كوب الشاي إلى فمي ـ : إن الاستدلال على عصمة أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن يُستوفى بجلسة واحدة ، مهما طال أمدها ، لكثرة ما ساقوه عليها من الأدلة التي استغرق بحثها لدى بعض المؤلفين مئات الصفحات ، وكتب فيها عشرات المؤلفات، ولكن نأخذ منها ما يتسع له الوقت أخذاً بقاعدة الميسور، ولكم جميعاً حرية المناقشة فيما نعرضه من أدلة ، واظن أن صدورنا جميعاً مما تتسع لها للموضوعية التي أعهدها في إخواني

العلماء.
وإذا سمحت ـ يا سيدي السائل ـ وجهت إليك ببعض الأسئلة تمهيداً للجواب ـ عسى أن نتفق على الأوليات ـ ماذا تريد من كلمة العصمة التي أثبتّها للنبي صلى الله عليه وآله واستكثرتها على أهل البيت : كما تنطوي عليه صيغة سؤالك؟
قال: أريد بالعصمة استحالة صدور الخطأ أو السهو أو النسيان أو الكذب أو أي ذنب عليه ما دام في مقام التبليغ.
قلت: طبعاً تريد بالاستحالة هنا الاستحالة العادية لا العقلية.
قال: طبعاً.
قلت: ولكن الشيعة يا سيدي ـ أو جل علمائهم على الأقل ـ يوسعون في مفهومها إلى غير مقام التشريع ، وربما أوضحنا وجهة نظرهم في ثنايا الحديث ، ولا يهم الفصل فعلاً في هذه التوسعة ، إذ يكفينا لسد حاجتنا الفعلية أن نؤمن بها في خصوص مقام التبليغ.
ولكن ، هل تسمح لي بسؤال آخر: ما هي الضرورة التي تدعو إلى الإيمان بعصمة النبي صلى الله عليه وآله حتى بهذا المقدار؟
قال: الإيمان بالعصمة هو الذي يولد اليقين بكون ما يأتي به إنما هو من عند الله عزوجل ، ومع تجويز الكذب والسهو والنسيان والغفلة عليه لا يبقى موضع ليقين في حكاية ما يبلغه عن الواقع ، ومع دخول التشكيك يسقط اعتبار النبوة من الأساس.
قلت ـ واسمحو الي أن استطرد قليلاً بهذا السؤال ـ : وهل كان يفرق الرأي العام في صدر الإسلام بين نوعين من السهو والكذب ، مثلاً أحدهما يقع في غير مجالات التشريع فيسوغونه ، والآخر في مجالاته فيحضرونه عليه، وهل كان حكم العقل لديهم واضحاً في التفرقة إلى هذه الدرجة؟!
قال أحدهم : وماذا تريد بهذا الكلام؟!
قلت: أريد أن أكتشف ـ من اطمئنانهم ـ وهو ما كان واقعاً فعلاً ـ إلى جميع ما يبلغه النبي صلى الله عليه وآله انسجام واقعه السلوكي في مختلف مجالاته ـ تشريعية وغير تشريعية ـ فهو لا يكذب ولا يسهو ولا يغفل ولا ينسى في جميع المجالات، وإلا لما أمكن اطمئنانهم إليه في مقام التشريع، وهم يرونه عرضة لجميع هذه المفارقات في غير مقامه، فالاطمئنان ـ وهو حالة نفسية ـ لا يمكن أن يفرق بين نوعين من الأحداث المتشابهة ، فينبعث عن أحدهما ولا ينبعث عن الاخر ، وكذلك العلم واليقين، فإيمان الشيعة بتعميم مفهوم العصمة إلى مختلف المجالات هو الذي ينسجم مع الواقع النفسي لنوع الناس، وعلى هذا الواقع يبتني حكم العقل بلزوم العصمة ، لأن الغرض منها تحصيل اليقين بكل ما يأتي به ، ولا يحصل اليقين من شخص يراه مجتمعه عرضة للوقوع في أمثال تلكم المفارقات، على أن إثبات ذلك كما قلنا ليس له تلك الأهمية بالنسبة إلينا فعلاً، وحسبنا أن نتفق على هذا الجزء من العصمة ـ أعني امتناع صدور الكذب والسهو والغفلة وغيرها من منافيات العصمة عليه في مقام التشريع ـ فهو يكفينا في مجال التمهيد للجواب عن عصمة أهل البيت.
وسؤال آخر : ما هي مصادر التشريع التي تؤمنون بها؟
قال: كثيرة وأهمها الكتاب والسنة.
قلت: أما الكتاب فهو ليس موضعاً لحديث ، لأنه جمع ودوّن وحفظ على عهد النبي صلى الله عليه وآله وعقيدة المسلمين جميعاً أن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل قرآناً لم يزد ولم ينقص فيه ، فجعله مصدراً تشريعياً يرجع إليه في كل زمان ومكان أمر طبيعي جداً ، ولكن ماذا يراد بالسنة؟
قال: السنة هي قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره.
قلت: وهذا ما تعتقده الشيعة أيضاً ، ولكن هل استطيع أن أسألك عن اسلوبه صلى الله عليه وآله في التبليغ كيف كان ، وهل كان يعتمد القرائن المنفصلة ، كاستعمال المخصصات والمقيدات لعموماته ومطلقاته ، والناسخ لبعض ما انتهى أمد مصلحته من أحكامه.
قال: طبعاً : وما أكثر ما يأتي العام في الشريعة ، ثم يأتي بعد ذلك مخصصه ويأتي المطلق ثم يقيد بعد ذلك ، وهكذا.
قلت: وهذا ما نعتقده أيضاً ، وهي الطريقة التي يعتمدها الناس في أساليب تفاهمهم ، ولو كانت له طريقة خاصة تخالف ما ألفوه لوصلت إلينا عادته وطريقته في التبليغ كيف كانت؟ أكان يجمع الناس جميعاً عندما يريد أن يقول أو يفعل أو يقر أمراً يتصل بشؤون التشريع؟ وهل من الممكن له ذلك؟ وإذا أمكن أن نتصوره عندما يريد أن يبلغ من طريق القول ، فهل يمكننا تصوره عند الفعل أو الإقرار؟ أي إذا أراد أن يفعل شيئاً ، أو يقر جمع الناس كلهم ، ففعل ما يريد فعله أو أقر ما يريد إقراره أمام الجميع ، ستقول بالطبع: لا ، وإنما كان يبلغ على الطرق المتعارفة، كأن يصدر الحكم أمام فرد أو فردين ، وهؤلاء يكونون الواسطة في التبليغ ، وعلى من لم يحضر أن يفحص عما يجد من الأحكام.

وهنا ذكرت مضمون كلام لابن حزم ، أوثر الآن أن أنقله هنا بنصه لقيمته يقول ابن حزم وهو يتناول هذه الناحية من التشريع : ولا خلاف بين كل ذي علم بشيء من أخبار الدنيا ، مؤمنهم وكافرهم ، أن النبي صلى الله عليه وآله كان بالمدينة وأصحابه رضي الله عنهم مشاغيل في المعاش ، وتعذر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وأنه صلى الله عليه وآله كان يفتي بالفتيا ويحكم بالحكم بحضرة من حضره من أصحابه فقط ، وأن الحجة إنما قامت على سائر من لم يحضره صلى الله عليه وآله بنقل من حضره ، وهم واحد أو اثنان ويقول أيضاً: « وبالضرورة نعلم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن إذا أفتى بالفتيا أو إذا حكم حكم بالحكم يجمع لذلك جميع من بالمدينة هذا ما لا شك فيه ، لكنه صلى الله عليه وآله كان يقتصر على من بحضرته ويرى أن الحجة بمن يحضره قائمة على من غاب، هذا ما لا يقدر على دفعه ذو حس سليم » (4) .

ثم قلت: وإذا كان حساب السنة هو هذا ، سواء من حيث الاعتماد على القرائن المنفصلة ، أو من حيث أسلوب تبليغها ، وهي لم تدوّن على عهده أو عهود الخلفاء من بعده ، فهل يمكن اعتبارها مصدراً تشريعياً يجب الرجوع إليه؟

قال أحدهم : ولِمَ ، ألمْ يجعلها القرآن من مصادر التشريع؟ (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (5) (وما ينطق عن الهوى) (6) الآية.

قلت: لا أشك في ذلك، ومن ينكر حجيتها فهو ليس بمسلم ، لِإنكاره أهم الضروريات الإِسلامية ، ولكن اسألك ماذا يصنع من يحتاج إلى معرفة حكم لم يجده في كتاب الله.

قال: يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله لاستفساره عنه.

قلت: وبعد وفاته.

قال: يرجع إلى صحابته.

قلت: هب أنه وجد عاماً عند أحد الصحابة ، واحتمل أن يكون له مخصص عند غيره ، أو وجد حكماً واحتمل نسخه ، أو مطلقاً واحتمل تقييده ، فماذا يصنع إذ ذاك؟

قال: عليه الفحص من قبل بقية الصحابة.

قلت: كيف؟ والصحابة مشتتون أيظل هذا السائل ـ وافترضه ممن دخل الإِسلام جديداً ـ يبحث عنهم حتى يستوعبهم فحصاً ، وفيهم من هو في الحدود يحمي الثغور، وفيهم الحكام والولاة في البلاد المفتوحة بعيداً عن الحجاز، وفيهم المشتتون في قرى الحجاز وأريافها، وربما أنهى عمره قبل أن يصل إلى ما يريد؟!

وبعد عصر الصحابة ماذا يصنع الناس.

قال: يرجعون إلى مَنْ أخذ عن الصحابة من التابعين!

قلت: إذا امتنع استيعاب الفحص عن الصحابة مع قلتهم نسبياً ، فهل يمكن ذلك بالنسبة إلى من أخذ عنهم ، وهم أضعاف مضاعفة ، وكثير منهم مجهول، وإذا جاز ذلك في عصر التابعين ، فهل يجوز في العصور المتأخرة عنهم وكيف؟

ألا ترى معي ـ يا سيدي ـ أنه ليس من الطبيعي أن يفرض على الأُمة ـ أية أمة ـ مصدر تشريعي يلزمون بالأَخذ به ، وهو غير مجموع ومدوّن ومحدد المفاهيم ليمكن أن تقوم الحجة به عليهم.

ثم هل يمكن لأَية دولة متحضرة أن تعتبر تصرفات أحد حكامها قولاً وفعلاً وتقريراً في مدى حياته قانوناً يجب الرجوع إليه إلى جنب أحد قوانينها المدوّنة ، مع أن هذه الأَقوال والأفعال والتقريرات لا تقع إلا أمام أفراد محدودين وغير معروفين تفصيلاً ، ولا الأَحاديث التي جرت أمامهم معروفة ، وهم لم يجمعوها بدورهم ولم ينسقوها ، كأن يضعوا إلى جنب العمومات قرائن التخصيص مثلاً وهكذا.

قال: وكيف نلائم إذن ، بين اعتقادنا بلزوم الرجوع إليها ، وبين الواقع الذي تذكره؟

قلت: الصور المتصورة في المسألة اربعة ، نعرضها ونختار أكثرها ملاءمة للواقع العقلي والتأريخي.

الأُولى: أن نسقط السنة عن الحجية ونكتفي بالكتاب ، وفي هذا محق للإِسلام من أساسه ، وأظن أن إخواني العلماء يؤمنون معي أن الكتاب وحده لا ينهض ببيان حكم واحد بجميع ما له من خصوصيات ، فضلاً على استيعاب جميع الأَحكام ، بكل ما لها من أجزاء وشرائط.

الثانية: أن نحمل النبي صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه ـ مسؤولية التفريط برسالته بتعريضها للضياع عندما لم يدونها ، أو يأمر الصحابة بالتدوين والتنسيق.

الثالثة: أن نحاشي النبي صلى الله عليه وآله عن تعمد التفريط ونرميه بعدم العلم ، وحاشاه بما ينتج عن إهماله التدوين من مفارقات ، أيسرها ضياع كثير من الأَحكام الشرعية ، نتيجة موت قسم من الصحابة حملة السنة ، أو نسيانهم أو غفلتهم ـ وهم غير معصومين بالاتفاق ـ وهكذا، هذا بالإِضافة إلى ما يسببه الفحص عن الأَحكام من قبل المحتاجين إليها من المكلفين ، من عسر وحرج بسبب تشتت الصحابة وتشتت رواتهم بعد ذلك ، إن لم يكن متعذراً

أحياناً.
الرابعة: أن نفترض له جمعها وتنسيقها وإيداعها عند شخص مسؤول عنها، عالم بجميع خصائصها ليسلمها إلى من يحتاج اليها من المسلمين ، ثم يورثها من بعده لمن يقوى على القيام بها من بعده ، كما ورثها هو ، حتى تستوعب من قبل المسلمين تدويناً ، ويسهل الإعتماد عليها من قبلهم ، ولو بالطرق الاجتهادية.
فإذا اعتبرنا السنة ـ بحكم الضرورة ـ من مصادر التشريع ، ونزهنا النبي صلى الله عليه وآله عن الجهل والتفريط برسالته ، تعين الأخذ بالفرض الرابع.
ومن هنا نعلم أن النبي صلى الله عليه وآله ما كان مسوقاً بدوافع عاطفية ، وهو يؤكد ويحث ويلزم بالرجوع إلى أهل بيته ، بأمثال هذه النصوص، « إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » (7) . « إن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له » (8) « إني تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفونني فيهما » (9) .
وقوله في تحذيرهم ، وهو يمهد لإعلان النص على الإمام يوم الغدير : « كأني دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قال: إن الله عزوجل مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، الله م وال من والاه وعاد من عاداه » (10) .
وقوله ـ صلى الله عليه وآله في خصوص الإمام علي عليه السلام ـ : « علي باب علمي ، ومبين لأمتي ما أُرسلت به من بعدي » (11) .
وقال له : « أنت أخي ووارثي ، قال : وما أرث منك ؟ قال صلى الله عليه وآله : ما ورّث الأنبياء من قبلي » (12) .
وفي رواية كنز العمال « ما ورث الأنبياء من قبلي ، كتاب ربهم وسنة نبيهم » (13) .
قال أحدهم ـ وقد قطع عليّ سلسلة الكلام والتوسع برواية الأحاديث ـ : نحن لا ننكر علم أهل البيت أو الإمام علي ، ولا لزوم محبتهم والتمسك بهم ، بل نحن أكثر تمسكاً بهم منكم ، وإنما حديثنا في ثبوت العصمة لهم!!
قلت: صحيح أن حديثنا كان عن العصمة وليس عن العلم ، وما أظن أننا بعدنا عن الحديث لو تركتموني أتم الكلام وأربط بين حلقاته وما أدري ما دخل المفاضلة هنا ، والتماس أكثرنا تمسكاً بأهل البيت ، والحديث ليس مسوقاً لهذه الناحية العاطفية!
وهنا التفت أكثرهم إلى القائل بنظرة عتب ، ثم التفتوا اليّ وقالوا : تفضل فاستمر بالحديث.
قلت: فاذا كنتم قد اكتفيتم بهذاالمقدار من الأحاديث ـ وفيها فعلاً بعض الكفاية لِما نريد ـ فإني أحب أن أعود إلى السؤال الأول الذي وجهناه في بداية الحديث ما هو السر في التزامنا بعصمة النبي صلى الله عليه وآله
قال: أحدهم: سدُ فجوات الشك في أن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير فإنما هو من الله عزوجل ، لا مجال فيه لرأي أو شبهة أو سهو أو غفلة أو تعمد كذب.
قلت: فإذا افترضنا أن أهل البيت عليه السلام كانوا هم الامناء على السنة وهم ورثتها بمقتضى هذه الأحاديث ، ونحن مأمورون بالرجوع إليهم باعتبارهم الورثة لها، أفلا ترون أن الباعث الذي دعانا إلى الألتزام بعصمة النبي صلى الله عليه وآله ما يزال قائما بالنسبة اليهم ، وهو سدُ فجوات الشك في أن ما يؤدون إنما هو السنة الموروثة، لا آراؤهم الخاصة، ولا ما ينتجه الخطأ والنسيان والسهو وتعمد الكذب.
وإن شئتم أن تقولوا : إن فكرة الإمامة امتداداً لفكرة النبوة وبقاءً لها باستثناء ما يتصل بعوالم الاتصال بالسماء من طريق الوحي ، فإذا احتاجت النبوة لأداء أغراضها ـ بحكم العقل ـ إلى تحصينها بالعصمة ، احتاجتها الإمامة لنفس السبب ما دامت الإمامة امتداداً لها من حيث أداء الوظائف العامة كاملة ، وأهمها تبليغ السنة وإيصالها إلى الناس.
على أنا في غنى عن هذا النوع من الاستدلال بالعودة بكم إلى مضمون نفس هذه الأحاديث ، ليكون استدلالنا بالسنة نفسها على عصمة أهل البيت عليهم السلام بدلاً من دليل العقل ، ولنختر من هذه الأحاديث ما فيه تعميم لجميع أهل البيت عليهم السلام كحديث السفينة أو الثقلين، والأفضل أن نتحدث عن:
حديث الثقلين
للتسالم على صحته عند جل المسلمين ، ولوفرة رواته بل ثبوت تواتره، وحسبه أن تصل طرقه لدى الشيعة إلى اثنين وثمانين طريقاً ، ولدى السنة إلى تسعة وثلاثين (14). وما أظن أن حديثاً من الأحاديث التي ادعي تواترها بلغ من وفرة الرواة ما بلغه هذا الحديث.
ثم ما أظن أن كتب الحديث والتأريخ والتفسير على اختلافها قد عنيت بمثل ما عنيت بهذا الحديث ، حتى بلغت الكتب التي روته في مختلف العصور المئات وألّفت فيه رسائل مستقلة (15) .
والظاهر أن سر هذه العناية البالغة بهذا الحديث هو عناية النبي صلى الله عليه وآله واهتمامه البالغ به ، فقد صدع

به في حجة الوداع بعرفة ، وفي غدير خم ، وبعد انصرافه من الطائف ، وفي الحجرة قبيل وفاته ، وهكذا.
قال أحدهم: وما نصنع بحديث (وسنتي) لو أخذنا بحديث الثقلين ، ولماذا تقدم حديث الثقلين عليه ، وهو معارض له.
قلت: إنما نقدم حديث الثقلين لأنه حديث متواتر ، ولا أقل من شهرته وصحة طرقه ، وعناية الصحاح والمسانيد به ، بينما لم يرو حديث وسنتي إلا أفراد محدودون ، ورواياتهم لم تخضع لشرائط الاعتبار ، لوقوع الإرسال فيها.
وعلى فرض صحتها ، فأين موقع المعارضة بين الحديثين ، وليس لها منشأ إلا توهم التدافع بين مفهوميهما، وهما لا يخرجان على كونهما من مفهومي العدد واللقب، وكلاهما ليسا بحجة في دفع الزائد، فأي محذور في أن يخلف الكتاب والسنة والعترة، وهو ما يقتضيه الجمع العرفي بينهما.
على أن أحدهما يرجع إلى الآخر، لما سبق أن قلنا من أن أهل البيت لا يأتون بغير السنة، لأنهم ورثتها والمسؤولون عن تبليغها، وكلام أئمة أهل البيت عليهم السلام صريح في ذلك، وما أكثر ما تردد مضمون هذا الكلام على السنة قائلهم: حديثي هو حديث أبي ، وحديث أبي هو حديث جدي رسول الله ، فحديثنا واحد (16) .
ورواية السنة لا يمكن الأخذ بها على ظاهرها ، لامتناع جعل مصدر تشريعي تسأل الأمة على اختلاف عصورها عن العمل به، وهو لم يدوّن ولم ينسق على عهده ، ولا العهود القريبة منه، لما في ذلك من التفريط بالرسالة وتعجيز المكلفين دون أداء وظائفها كما سبق شرحه.
فالظاهر أن الحديثين يعضد بعضهما بعضاً ، ويؤديان ـ بعد الجمع بينهما ـ وظيفةً واحدةً ، مرجعها إلزام المسلمين بالرجع إلى السنة المودعة لدى أهل البيت عليهم السلام ، وعدم جواز إغفالهم لها.
قال أحدهم: ومعنى ذلك أنكم لا تأخذون بغير روايات أهل البيت عليهم السلام ، وتلقون بأحاديث أهل السنة ، ولا تعتمدونها؟!
قلت: يا أخي ومن قال ذلك ؟! إن السنة حجة على كل حال ، ثبتت من طريق أهل البيت عليهم السلام أو من طرق غيرهم، شريطة أن تشتمل على ما يوجب الاطمئنان بالصدور ، ولكن أهل البيت عليهم السلام معصومون عن الخطأ في أدائها، ومستوعبون لكل ما يتصل بها، بحكم هذه الأحاديث التي مرت عليك.
قال: المعروف عنكم أنكم لا تأخذون بأحاديث غير الإمامية ، ولا تعتمدونها!!
قلت: لا أعرف مصدراً لهذا القول ، كيف وفي كتب الدراية ما يسمى بالحديث الموثّق (17) وهو ما كان في طريقه غير إمامي، واعتماد الموثقات عندنا أشهر من أن يتحدث عنه، وحسبك أن تفتح أي كتاب فقهي شيعي لترى مدى الاعتماد عليه، وما أكثر ما اعتمد فقهاء الشيعة على الأحاديث النبوية التي لم يقع في طريقها إمامي واحد إذا ثبتت لديهم وثاقتها، والمقياس في الاعتماد على الحديث عندهم حصول الاطمئنان لديهم بصدوره عن المعصوم نبياً كان أو إماماً، من أي طريق حصل، ومزية أهل البيت عليهم السلام ـ كما قلنا ـ استيعابهم لكل ما يتصل بالسنة وعصمتهم في أدائها.
وبتعبير أدل إن الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام قاطع للعذر وموقر للحجة ، فإذا حصلت الحجة من غير طريقهم لزم الأخذ بها، نعم إذا تعارض كلام أهل البيت عليهم السلام مع غيرهم قدم كلام أهل البيت عليهم السلام ، نقدم كلام المعصوم على غيره للقطع بحجيته بحكم أدلة العصمة، والشك ـ على الأقل ـ في حجية معارضه، والشك في الحجية من أسباب القطع بعدمها، لما ذكر وقرب في الأصول من أن القطع مقوم للحجيّة، فمع الشك فيها يقطع بعدمها ، لعدم توفر عنصر العلم فيها.
قال: وحديث الثقلين أين موقع دلالته من العصمة ، وفي أي موقع من فقراته وجدتم ذلك؟
قلت: إن جل فقرات الحديث تدل عليها .
منها : اعتبارهم في الحديث قرناء للكتاب « إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي » (18) وحيث أن الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكذلك قرناؤه.
ومنها : جعل العصمة للأمة بالتمسك بهم عن الضلالة « ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي » وفاقد الشيء لا يعطيه، بداهةً، وهنا أحب أن أقف قليلاً عند هذه الفقرة ، لأنبه على ما سبق أن أشرنا إليه من أن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ـ أعني الكتاب والعترة ـ لا يكفي في توفير الحجة القاطعة غالباً ، حيث اعتبرت العاصمية على الإطلاق للتمسك بهما معاً لا بأحدهما، بل وجدت في الضمير العائد على الموصول فيما إن تمسكتم كناية عن تكوينهما وحدة ، لا تتحقق المعذرية أو المنجزية في الجميع إلا بها.
والفقرة الثالثة وهي قوله : « ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » فإنها من أدل ما يمكن أن يساق في هذا المجال عن العصمة.
قال: أحدهم وكيف؟
قلت: أسألك إذا صدر الذنب من العبد ، أو سها عن أحد الأحكام ، مثلاً ، فهل هو متفق في حالة سهوه أو عصيانه

مع الكتاب ، أو مفترق عنه.
قال: بل هو مفترق ، لأن الالتقاء لا يكون إلا مع التوافق والانسجام بين الحكم المتبني في الكتاب ، والسلوك الذي صدر عنه ، ومع المخالفة ـ مهما كان شأنها ـ لانسجام بينها ولا وفاق.
قلت: وأضيف إلى ما تفضلتم به أن السهو والغفلة وإن أوجبا لأصحابهما المعذرية شرعا، إلا أنهما لا يمنعاه من صدق الافتراق، لأن الافتراق المعنوي كالافتراق الحسي، مداره ابتعاد أحدهما عن الآخر، فالشخص الذي يُقسر على ترك صديقه والابتعاد عنه يصدق عليه الافتراق عنه، وإن كان معذوراً في مفارقته، وهكذا من يخالف الكتاب.
وإذا صح هذا ، عدنا إلى تذكر ما سبق أن اتفقنا عليه ، من مفهوم العصمة التي أوجبناها للنبي صلى الله عليه وآله بحكم العقل ، وهي استحالة صدور الكذب أو الخطأ أو السهو عليه، في مقام التبليغ، لنسأل على ضوئه هل يجوز وقوع افتراق العترة عن الكتاب لأي سبب كان، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن عدم وقوعه بمفاد لن التأبيدية « لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ».
قال: أحدهم وما في ذلك من محذور؟
قلت: أليس في تجويز وقوع الافتراق عليهما تجويز للكذب أو السهو على الرسول صلى الله عليه وآله الذي أخبر عن عدم الافتراق ـ وهو في معرض التبليغ لإلزامه صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما ، وهو ما سبق أن اتفقنا على منافاته لعصمة النبي صلى الله عليه وآله ، فأهل البيت عليهم السلام إذن بمقتضى هذا الحديث معصومون ، وبخاصة فقرته الأخيرة.
وما يقال عن هذا الحديث يقال عن حديث السفينة (19) وباب حطة (20) والكثير من نظائرهما.
والواقع يا سيدي أن هذه الأحاديث وأمثالها مما ورد في أهل البيت عليهم السلام كانت مبعث حيرة ومعاناة لي في التماس بواعثها ، عندما حاولت أكثر من مرة أن أتحلل من رواسب العقيدة ، التي درجت عليها في أهل البيت عليهم السلام ، وأخضعها للمقاييس المنطقية التي أفهمها.
وكان أكثر ما يقف أمامي ويلح عليَّ في طلب التفسير هو اختصاص النبي صلى الله عليه وآله هذه اللمة من بين أمته، بل من بين أهل بيته بالذات ، وفيهم أعمامه وأولاد عمه ، ليؤكد كل هذا التأكيد على لزوم اتباعهم والتمسك بهم بالخصوص، ويعتبرهم أعدال الكتاب تارة، وسفن النجاة أخرى، والعروة الوثقى (21) ثالثة، والأمان لأهل الأرض من الاختلاف (22) رابعة، ويختصهم بالتطهير من الرجس، ولا يكتفي دون أن يؤكد ذلك بمختلف صور التأكيد ، ويتخذ شتى المحاولات لإبعاد كل من يحتمل في حقه شبهة المشاركة ، حتى يبلغ به الحال أن يبعد زوجته أم سلمة ـ وهي مَنْ هي في مقامها من الإيمان والتقوى ـ عن المشاركة في الدخول تحت الكساء الذي طرحه عليهم ، وهو يتلو : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (23) ثم لا يكتفي أيضاً دون أن يقف في كل يوم على باب علي وفاطمة عليهما السلام في أوقات الصلوات ، ليرفع صوته بتلاوته لهذه الآية ، وقد أحصيت عليه تسعة أشهر (24) وهو يكررها دون انقطاع.
إلى عشرات ، بل مئات ، من أمثال هذه الأحاديث التي ينهى بعضها عن مخالفتهم، ويحذر من عدائهم وبغضهم، ويلزم باتباعهم وأخذ العلم عنهم، « فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (25)
والصور العقلية التي تصورتها في مجالات التفسير ثلاثة ، نعرضها لنختار أمثلها وأكثرها اتساقاً ، مع ما اتفقنا عليه من إثبات العصمة للنبي صلى الله عليه وآله بالمفهوم الذي حررناه في بداية الحديث.
أولاها: الإجمال في كلامه وعدم إعطائه اية دلالة تشريعية، وهذا ما تأباه صراحة النصوص بلزوم اتباعهم والتمسك بهم، والتعلم منهم وإثبات العصمة لهم، وقد مرت نماذج منها قبل قليل، وهي ليست موضعاً لنقاش.
الثانية: أن نسلم الدلالة التشريعية ، إلا أننا لا نسلم صدورها عن الله عزوجل، بل نعتبرها صادرة عن النبي صلى الله عليه وآله ، لأسباب عاطفية محضة اقتضتها علقته القريبة بهذا النفر من أهل بيته عليهم السلام .
وهذا النوع من الحمل مما تأباه أدلة العصمة، لأن دخول العاطفة وتحكمها في مجالات التشريع مما يهير فكرة العصمة من أساسها، وأي ذنب أعظم من أن يفتري على الله عزوجل ما لم يقله ، مجاراة لعواطفه وميوله وحاشاه.
على أن هذا النوع من الإغراق في العاطفة تجاه نفر معين ، مع وجود غيرهم من أهل بيته عليهم السلام لو كان له ما يبرره في الواقع النفسي ، فليس هناك ما يبرر التعبير عنه ـ بهذه الأساليب ـ لمجافاته، لما عرف به النبي صلى الله عليه وآله من الخلق العظيم، وهل من الخلق أن يجحف في إبراز عاطفته تجاه نفر معين ، ليس فيهم ما يميزهم عن سائر أقربائه ، وفيهم مَنْ هو أكبر منهم، كالعباس مثلاً، أليس في هذا النوع من إبراز العاطفة تحدّ لهم لا مبرر له، وهو لا يصدر من أقل الناس عادة.
الثالثة: أن نسلم دلالتها التشريعية ونعود بها إلى أسبابها المنطقية، وأهمها ما توقروا عليه من العلم والعصمة، وهذه المحاولات التأكيدية كان مبعثها تركيز هذا المعنى في النفوس وترويضها لتقبله...

فإذا امتنع الفرض الأول لصراحة النصوص، وامتنع الثاني لأدلة العصمة في النبي صلى الله عليه وآله تعين الأخذ بالفرض الثالث والتعبد به.
قال أحدهم: وهل كانت هذه الصفات ـ أعني العلم والعصمة ـ واضحة لدى معاصريهم ، أي أن واقعهم التأريخي هل ينسجم مع ما يفهم من هذه النصوص.
قلت: هذا أهم سؤال يمكن أن يوجه ـ يا أخي ـ لأنه يفتح أمامنا مجال التطوير في الاجابة على أمثال هذا النوع من الاستدلال.
فقد كان نوع الباحثين في الشؤون العقائدية ، عندما يريدون أن يتحدثوا أو يستدلوا على أية مسألة من مسائل الفكر التي ترتبط بشؤون العقيدة فإنما يتحدثون عما يجب أن يكون ولا يفكرون فيما هو كائن، وإذا فكروا فيه فإنما يفكرون في إخضاع ما هو كائن لما يجب أن يكون.
ولست أعرف فيهم من حاول تقييم أدلته على أساس من عرضها على الواقع المحسوس ـ فيما يكون له واقع محسوس منها ، ويلتمسون مدى انسجامها معه ، ثم ينطلقون من وراء ما ينتهون إليه إلى الحكم على صحة الدليل وعدمه.
وقد كانت لي محاولة ـ عندما كنت مدرساً لمادة التأريخ الإسلامي ـ في كلية الفقه ـ أن أجعل من وسائل النقد المضموني لبعض الأحاديث عرضها على طبيعة زمنها ، ثم بيئتها ، ثم الشخص الذي قيلت فيه ، فإن انسجمت معها جميعاً أمنت بصحتها ، إذا لم يكن في أسانيدها ما يوجب التوقف.
وكأنك ـ يا أخي ـ تريد أن تشير إلى نفس هذا المقياس في إيمانك بهذه الأحاديث.
ومثل أدلة عصمة أهل البيت عليهم السلام آيات وأحاديث إذا كان فيها مجال لتردد ما من قبل بعض من عاصروا ولادتها، حيث أنها افترضت في الأئمة واقعاً لم يخضع إذ ذاك لتجربة كاملة ، فهي أشبه بالتحدث عن عوالم الغيب ، فلا يقتضي أن يظل التردد قائماً بعد أن أخذ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام واقعاً تاريخياً عرضهم في مختلف مجالات السلوك والمعرفة، وبوسع الباحث أن يقطع تردده بدراسة سيرهم، والحكم لهم أو عليهم ، على ضوء ما ينتهي إليه.
والشيء الذي وددت التنبيه عليه أن التأريخ لم يكن في يوم ما ملكاً لهم ولشيعتهم وأتباعهم يسيرونه كيفما يريدون ، وإنما كان ـ كشأنه في أي عصر ـ ملكاً للفئة الحاكمة تسيره كيف ما تريد.
ونحن نعلم أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يشكلون في جميع أدوار حياتهم جبهة المعارضة للسلطة الزمنية ، المعارضة الشريفة التي لا يمكن أن تهادن على منكر تراه، كما لا تبخل في إرسال كلمة معروف في مشورة أو سلوك.
وكانت السلطة تعلم منهم ذلك وتحسب له حسابه وربما حسبت له أكثر من حسابه، فاتخذت له الحيطة الكاملة، وكثيراً ما تستبد بها الأوهام والظنون فتوسع في تخيلاتها إلى أن هذا البيت ما يزال يعد عدته للعمل على الاستيلاء على السلطة والنهوض بالحكم ، وهم يعلمون أن الحكم حق من حقوقه المفروضة.
وكان من وسائل الحيطة التي اتخذتها السلطات على اختلافها محاربة شيعتهم وأتباعهم ، وضرب نطاق الحصار الاقتصادي عليهم ، ومنع وصول الحقوق والأموال إليهم جهد ما يستطيعون ، وجعل العيون والرقباء لإحصاء حتى عدد أنفاسهم، وربما توسعوا فحملوا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى عواصمهم ليكونوا تحت الرقابة المباشرة، وقد يدخلونهم السجن ، ليحولوا بينهم وبين ما يتخيلونه من نشاط وقد أنهت حياة أكثرهم بالاغتيال والقتل.
وبالبداهة إن فكرة العصمة والأعلمية كانتا من أهم الركائز لفكرة التشيع منذ وجد التشيع لأهل البيت عليهم السلام وكان أهل البيت أنفسهم يصرحون بذلك، ومن الطبيعي أن يبعث هذا النوع من التصريح الحزم واليقظة في مدوني التأريخ لتسليط الأضواء على كل ما يتصل بحياتهم الخاصة أو العامة ، العثور على شيء من التناقضات بين واقعهم ، وما يدعون ، لتكون أهم وثيقة بيد السلطة للإجهاز بها على جبهة المعارضة والقضاء عليها بسهولة، وما أيسر الاختلاق لو كان هناك مجال لتزيدٍ واختلاق، ولكن التأريخ ـ وهو ملك أيديكم فعلاً وبوسعكم تتبع أحداثه لم يحتفل ـ فيما قرأت منه ـ بتسجيل حادثة واحدة على أحد من أئمة أهل البيت « الاثني عشر عليهم السلام » تتنافى مع دعوى العصمة أو الأعلمية.
وهناك شيء ـ وددت التنبيه عليه ـ وقد سبق أن نبهت عليه في مبحث سُنة أهل البيت عليهم السلام من كتاب « الأُصول العامة للفقه المقارن » (26) التمست تفسيره الطبيعي فلم أعثر عليه ، وعسى أن يعثر سادتي على تفسير طبيعي له ـ وهو تولي بعض الأئمة منصب الإمامة وهم صغار السن، بل كان بعضهم لا يزيد على العشر سنوات حين توليه لمنصبها الخطير.
ونحن نعلم أن ابن ثمان أو عشر مثلاً مهما بالغنا في إعطائه صفة النبوغ والعبقرية ، وأحطناه بالبيئة الصالحة والتربية السليمة، فإننا لا نستطيع أن نوفر له صفة الاستيعاب لمختلف مجالات المعرفة، وهي المدعاة لأئمة أهل

البيت عليهم السلام ، أو صفة العصمة عن ارتكاب كل ما يتنافى مع أحكام الشريعة مهما كانت المغريات، لاستحالة أن يتسع الوقت لذلك ، ولقصورنا نحن عن مجالات الاستيعاب.
وقد تولى الإمامان الجواد والهادي عليهما السلام الإمامة وهما ابنا ثمان، وكانت المعارضة في عهدهما للحكم على أشدها ، حتى اضطرت المأمون أن يظهر التنازل عن الحكم للإمام الرضا عليه السلام والد الجواد، حتى إذا أبى عليه ألزمه بقبول ولاية العهد كسباً لعواطف الملايين من شيعته، ثم عمد إليه بعد ذلك فقتله بالسم لئلا ينتهي الحكم إليه.
وكانت أقصر الطرق وأيسرها للقضاء على المعارضة لوكان هناك مجال أن يعمد الحكام إلى هذين الإمامين الصغيرين فيعرضونهما إلى شيء من الامتحان العسيرفي بعض وسائل المعرفة أو السلوك ، ثم يعلنون أمام الرأي العام عن سخف الشيعة التي ما تزال تؤمن بفكرة الإمام المعصوم، وقدولت عليها أئمة صغاراً ، هم بهذا المستوى من المعرفة (27) أو الانحراف والعياذ بالله.
وأظن أن القضاء على فكرة التشيع بإعلان فضيحتهم من هذه الطريق أجدى على الحكام من تعريض أنفسهم لحرب قد يكونون هم من ضحاياها.
وهؤلاء الأئمة لو كانوا في زوايا تحجبهم عن أعين النظار، وكان لا يمكن الوصول إليهم إلا من طريق أتباعهم لأمكن أن يبالغوا في إضفاء المناقبية عليهم، كما هو الشأن في بعض أئمة الإسماعيلية والباطنية، فكيف وهم مصرحون بعقائدهم ومبادئهم وسلوكهم أمام الرأي العام ، وبمرأى من السلطة ومسمعها، وما لنا نطيل ونحن نعلم أن دعوى استيعاب المعرفة لا يمكن أن يثبت عليها إنسان متعارف مهما كان له من العلم والسن ، لأن مجالاتها أوسع من أن يحيط بها عمرنا الطبيعي ، والامتحان كفيل بإحباط كل دعوى من هذا القبيل، ومثلها دعوى العصمة بل أشد منها لتحكم كثير من العوامل اللاشعورية ـ وهي غير منطقية في سلوك الإنسان.
وهاتان الدعويان كانتا شعاراً لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم نسمع بتسجيل حادثة واحدة تتعارض مع طبيعة ما ادعياه فيهما.
وما أكثر ما حفل التأريخ بتعريض هؤلاء الأئمة كباراً وصغاراً لأشق أنواع الامتحان من قبل السلطة وأقطاب مخالفيهم من العلماء، وبخاصة مع الإمام الجواد مستغلين صغر سنه.
وما رأيك بأمثال يحيى بن أكثم ـ ومَنْ هو من أكابر علماء عصره ـ عندما يأمره الخليفة بإعداد أعقد المسائل وأخفاها ، ثم يتعرض بها لطفل لا يتجاوز عمره العشر، فهل ينتظر أن يخرج الطفل معافى مِنْ هذا الامتحان؟ إقرأ بعض هذه المحاورات في الصواعق المحرقة (28) لابن حجر وغيرها (29) ، وانظر تصاغر السائل فيها أمام هذا الطفل الصغير والتماس تفسيرها الطبيعي.
قال أحدهم: أتظن أن هذا غير طبيعي، وعيسى بن مريم عليه السلام كان أصغر منه عندما بعث نبياً، والقرآن صريح في ذلك؟!
قلت: يا سيدي وهذا ما تقول به الشيعة ، ولكن بعثة عيسى عليه السلام وهو بهذه السن هل تملك تفسيرها الطبيعي.
الحقيقةيا سيدي ـ أن قضايا الدين لا تخضع دائماً للمتعارف من المقاييس، فمن آمن بالدين آمن بكل ما يأتي به من شؤون الغيب ، وإن خرج على ما لديه من تجارب ومقاييس.
وأخبار العصمة والأعلمية ـ بعد ثبوتها بالضرورة عن النبي صلى الله عليه وآله فإنها تصلح أن تكون من أعظم دلائل النبوة لصدقها في الأخبار عن عوالم الغيب ، وبخاصة لأمثالنا من الناس الذين أدركوا صدقها وتحققت لديهم مضامينها ، بعد أن أخذ أهل البيت عليهم السلام واقعاً تاريخياً محساً لدى الجميع، رسمت أمثال هذه الأحاديث أهم خطوطه عندما قالت : « إني تركت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » (30) .
ثم قلت ـ وقد أوشكت الشمس أن تغرب ـ : لقد أخذتُ مِنْ أوقاتكم كثيراً، وأفسدت عليكم نزهتكم في الإسكندرية لكثرة كلامي، فاسمحوا لي أن نؤجل الحديث في بقية الأدلةعلى العصمة إلى جلسة أخرى إن أمرتم.
قال أحدهم: بالعكس، لقد كانت هذه الجلسة من أثرى ما مر علينا من جلسات، لما دار فيها من حوار علمي مفيد.
قلت: ولكن لي سؤال أحببت أن أوجهه إلى الأخوين الجزائري والصومالي، هل فيما سمعتم من عقائد إخوانكم ما لا يسر سماعه ، أو قل ما يتنافى من مبادىء الإسلام؟
قالوا: كلا ، إنما هو من الإسلام وضمن إطاره العام، والخلاف فيه لا يتجاوز الخلاف في كل مسألة اجتهادية تقع ضمن نطاق تعاليمه المقدسة.
قلت: هذا يكفينا فعلاً ، ولا يضرنا بعد ذلك أن نختلف، ولكم بعد هذا أن تتأملوا في نتائج ما انتهى إليه الحديث وتواجهونا بملاحظاتكم عليه في جلسة أخرى إن رأيتم فيه ما يوجب ذلك.

قال أحدهم : دعنا نتأمل.
وافترقنا ونحن أكثر إلفة واحتراماً لبعضنا من ذي قبل (31) .

---

(1) هو : العلامة الكبير الحجة المحقق السيد محمد تقي بن السيد محمد سعيد الحكيم رعاه الله وسدده ، ولد في النجف الأَشرف سنة 1341 هـ - 1922 م درس الفقه والأصول عند كبار الفقهاء والأساتذة في النجف أمثال : السيد الحكيم ، والسيد الخوئي ، والشيخ حسين الحلي قدّس الله أسرارهم ، ومن خدماته ، سعيه الدؤوب في تطوير جامعة النجف الدينية ، وإنجاح مشروع منتدى النشر الإسلامي آنذاك ، ومراكز الدراسات العليا آنذاك ، كما عنى بالدراسات الحديثة والعلوم المختلفة ، وساهم في المؤتمرات العلمية الإسلامية بشكل ملحوظ مما أعطى فيها دوراً هاماً في التعريف بالفكر الشيعي ، كما تولى أيضاً مهمة التدريس في كلية الفقه وعمادتها ، ومن مؤلفاته القيمة : 1 - الأَصول العامة للفقه المقارن 2 - دراسة عن الزواج المؤقت 3 - كتاب سنة أهل البيت عليهم السلام ومواضيع أخرى 4 - كتاب شاعر العقيدة 5 - مالك الأشتر 6 - الترادف والأشتراك . استفدنا هذه الترجمة من كتاب (ثمرات النجف ، القسم الأول السيد محمد تقي الحكيم في حياته وعطائه ج 3) .
(2) الأسكندرية : مدينة في مصر ، وميناء على المتوسط ، مركز تجاري وثقافي ، نقطة مواصلات بحرية وبرية ، ومركز صناعي هام ، قيل أسسها الأسكندر الكبير (332 ق . م) فهي إحدى ثلاث عشرة مدينة بناها الإسكندر وسماها باسمه وهي أشهرها ، اشتهرت بمكتبتها ومنارتها (132م) كما اشتهرت بمدرستها الفلسفية بين أوائل القرن الثالث ، فتحها العرب (642) واستولى عليها الأتراك (1516) راجع : مراصد الإطلاع : ج 1 ص 76 ، المنجد (قسم الأعلام).
(3) القاهرة : عاصمة جمهورية مصر العربية ، أكبر مدينة في افريقيا والعالم العربي ، مركز ثقافي وحضاري هام فيها: الجامع الأزهر ، وجامعة القاهرة ، وجامعة عين شمس ، والمتحف المصري (آثار الحضارة الفرعونية) المتحف القبطي والمتحف الإسلامي ، وقلعة محمد علي ، كما تعد مركزاً صناعياً وتجارياً هاماً ، وقيل انّ الذي أسسها هو جوهر الصقلي القائد الفاطمي ، كما زينها الفاطميون بالمباني الفخمة من قلاع وجوامع ومدارس ومقامات ، والتي منها مقام السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والذي يقصده إلى الآن محبوا آل البيت عليهم السلام من شتى الأقطار ، راجع : المنجد (قسم الأعلام) .
(4) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج 1 ص111 .
(5) سورة الحشر : الآية 7 .
(6) سورة النجم : الآية 3 .
(7) مجمع الزوائد : ج 9 ص 168 ، الصواعق المحرقة : ص 152 .
(8) مجمع الزوائد : ج 9 ص 168 ، الصواعق المحرقة : ص 152 .
(9) تقدمت تخريجاته .
(10) تقدمت تخريجاته .
(11) كنز العمال : ج 11 ص 614 ح 32981 ، كشف الخفاء للعجلوني : ج 1 ص 236 .
(12) كنز العمال : ج 9 ص 167 ح 25554 ، العلل المتناهية لابن الجوزي : ج 1 ص 219 ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر : ج 6 ص 203.
(13) كنز العمال : ج 9 ص 617 ح 25554 وص 170 ح 25555 .
(14) راجع : إحقاق الحق وإزهاق الباطل للتستري : ج 9 ص 309 - 375 .
(15) من الرسائل التي ألفت فيه رسالة اصدرتها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمصر ، وفيها عرض لطرقه وأسانيده على اختلافها ، ومنها رسالة للمرحوم الحجة (الشيخ محمد حسين المظفر) باسم (الثقلان).
(16) روي عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا : سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّ وجلّ . راجع : بحار الأنوار: ج2 ص 178 ح 28 .
(17) وقد عرفه علماء الدراية بما إذا كان راويه قد نُص على توثيقه ، وإن كان مخالفاً في عقيدته للإمامية ، وإن كان من الشيعة الواقفة ، وقد عرّفه بعضهم هو : ما رواه العدل غير الإمامي ، الموثوق بنقله ، المعلوم من حاله التحرز عن الكذب ، والمواظبة على الحديث على ما هو عليه ، وقال الشهيد الثاني : سمي بذلك - أي الموثق - لأنّ راويه ثقة ، وإن كان مخالفاً ، وبهذا فارق الصحيح ، مع اشتراكهما في الثقة ، ويقال له : القوي أيضاً لقوة الظن بجانبه بسبب توثيقه. راجع : الرعاية في علم الدراية للشهيد الثاني : ص 84 ، نهاية الدراية في شرح الوجيزة للسيد حسن الصدر : 264 .
(18) تقدمت تخريجاته .
(19) و (20) تقدمت تخريجاتهما .
(21) بحار الأنوار : ج 10 ص 353 ح 1 وص 361 ح 2 ، وج 16 ص 130 ح 64 .
(22) فقد روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون ، بحار الأنوار : ج 23 ص 19 ح 14 .
(23) سورة الأحزاب : الآية 33 .
(24) بحار الأنوار : ج 25 ص 233 ح 20 ، وج 35 ص 207 ح 2 .
(25) مجمع الزوائد : ج 9 ص 164 ، بحار الأنوار ج 66 ص 17 ح 3 وج 22 ص 465 ح16.
(26) راجع : الأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم : ص 181 - 189 .

(27) وقد شهد لهم حتى أعدائهم بأنهم من أهل بيت زقوا العلم زقا ولم يخف عليهم علم من العلوم كما شهد لهم بجدارتهم وأهليتهم لإمامة الناس كل من ناظرهم وحاورهم مستفهماً كان أو متعنتاً حتى الخلفاء والحكام شهدوا لهم بذلك ، فهذا المأمون العباسي بعدما قرب الإمام الجواد عليه السلام إليه واختاره على كافة أهل الفضل مع صغر سنه جاء إليه جماعةٌ من العباسيين وقد غاضهم أمر الجواد عليه السلام فأنكروا على المأمون فعله وأشاروا عليه بتبعيده وصرف النظر عنه ، واحتجوا بأنه صبي لا معرفة له ولا فقه ، حتى آل أمرهم إلى امتحانه واختباره ، وعمدوا إلى عالمهم يحيى بن أكثم كي يلقي إليه مسألة من فقه الشريعة لا يهتدي إلىجوابها !! ووعدوه بأموال نفيسة في ذلك إن انتصر عليه ، فاجتمعوا في مجلس المأمون، وكانوا لا يشكون في انتصار يحيى بن أكثم على الإمام الجواد عليه السلام لجهلهم به ، فما كان من أمريحيى في ذلك المجلس أن ألقى إلى الإمام عليه السلام سؤالاً زاعماً أنه ملجمه به قائلاً : ما تقول في محرم قتل صيداً ؟ فما كان من جواب الإمام له أن ابتداءه قائلاً عليه السلام : قتله في حل أوحرم ؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأً ؟ حراً كان المحرم أو عبداً ؟ صغيراًكان أم كبيراً ؟ فراح يعدد عليه الإمام فروض المسألة ، فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والإنقطاع ، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس عجزه وانكساره أمام هذا الصبي الذي يزعمون أنه لا معرفة له بالفقه ، حتى أخذ يبين لهم ما جهلوه من فروض هذه المسألة ولما انتهى من الجواب طلب منه المأمون العباسي أن يسأل يحيى عن مسألة كما سأله،فأخذ يسأله ويحيى يقول : ذلك إليك جعلت فداك! فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك ؟ فألقى إليه مسألة لم يهتدِ ولن يهتدِ إلى جوابها ! فطلب من الإمام أن يبين له ويشرح ما خفي عليهم من مسألته ، ولما انتهى الإمام عليه السلام من كلامه وكلهم إذنٌ صاغية لمتكلم هو أصغر منهم سناً ، التفت إليهم المأمون قائلاً لهم : ويحكم ! إنّ أهل هذا البيت خُصّوامن الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السّن فيهم لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به ، ولم يدعُ أحداً في سنه غيرَه ، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما دون الست سنين ، ولم يبايع صبيّاً غيرهما ؟ أو لا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم ؟ وأنّهم ذريّة بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! فقالوا : صدقت . (راجع : الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 469 - 476 ، نور الأبصار للشبلنجي:ص 177 - 178، تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي : ص 359 ، الإرشاد للمفيد : 319 - 323 .

(28) الصواعق المحرقة لابن حجر : ص 206 .

(29) الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 443 - 444 ، بحار الأنوار : ج 5 ص 73 .

(30) تقدمت تخريجاته .

(31) ثمرات النجف للسيد محمد تقي الحكيم : ج 3 ص 169 - 190 ، عن مجلة الأيمان السنة الأولى ، عدد 9 و 10 ، محرم وصفر لعام 1384 هـ 1964 م .

المُناظرة الخمسون

مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع أكابر علماء المؤتمر الإسلامي في مصر حول عصمة أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم

مندوب الإيمان.

س ـ في المواضيع التي ذكرتم أنها أُثيرت معكم من قبل العلماء الذين التقيتموهم هناك ما يتعلق بالشيعة والخلافة، وبما أن لهذا الموضوع ارتباطاً قوياً بما نشر في العدد السابق عن الشيعة والعصمة، فهل ترون أن نثير التحدث فيه لنربط بين حلقات هذه الأَحاديث الحساسة.

ج ـ لا مانع لديَّ شريطة أن لا نثقل على القراء ، كما أثقلنا عليهم في الحديث الماضي.

مندوب الإيمان.

س ـ بالعكس إن القراء رحبوا بهذه الأَحاديث ترحيباً منقطع النظير، ولدينا كتب تشكر المجلة على اهتمامها باستقصاء كل ما دار في الندوات من أحاديث، وهم في أشد الشوق لمواصلة نشرها، وما أكثر ما تلقيت كلمات الحث والمطالبة والتشجيع من قبلهم، والآن هل تتذكرون أين جرى الحديث حول الشيعة والخلافة ومع مَنْ من أعلام الفكر هناك؟

ج ـ جرى هذا الحديث في أكثر من ندوة ـ وكان له في ندوتي الإسكندرية والقاهرة ـ وهما اللتان سبق التحدث عنهما في موضوعنا السابق ـ مجال واسع.

وهناك جملة من الأَعلام شاركوا في الحديث عنهما ، وبخاصة بعض من شهدوا الندوتين ، ونحن نجمع ـ كما صنعنا في الحديث الماضي ـ جملة ما دار من أحاديث عنها سواء ما وقع منها في الندوتين المذكورتين ، أم غيرهما ملتزمين نفس الخطة التي سلكناها في الحديث الماضي.

س ـ هل تتذكرون كيف بدأ الحديث عن هذا الموضوع؟!

ج ـ بدأ الحديث فيما أتذكر في بعض الندوات عندما وجه إليَّ أحد الأَعلام هذا السؤال الهام: إذا كان في الأَدلة التي ذكرتموها ما ينهض بإثبات العصمة لأَهل البيت عليهم السلام ، فليس فيها ما يثبت الإمامة بمفهومها العام الذي يتسع لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وتخطئة مَنْ لم يعطهم هذا الحق، وأيُّ محذور في أن نؤمن بالفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، فنعطي حق التشريع للأَئمة المعصومين : مثلاً، وحق التنفيذ لغيرهم ، ممن تختارهم الأُمة لإدارة شؤونها العامة.

س ـ وماذا كان جوابكم على هذا السؤال؟

ج ـ قلت للسائل : إن سؤالك هذا مما يثير أمامنا عدة تساؤلات ، أظن أننا إذا قُدّر لنا أن نوفق للإجابة عليها فستتضح وجهة نظر الشيعة في هذه المسألة، وربما تجمعت هذه الأَسئلة حول سؤالين رئيسين:

يتعلق أولهما في طبيعة الحكم في الإسلام، وهل فيها ما يسيغ الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية؟ وعلى تقدير الفصل في هذه المسألة فهل هناك ما يلزم بإضفاء صفة العصمة على رأس الحكم، وما هي الأَسباب الداعية إلى ذلك؟ وهذه الأَسئلة كما ترون إنما تتعلق فيما يجب أن تكون عليه طبيعة الحكم من وجهة عقلية في التشريعات الإسلامية.

وثانيهما: يتعلق في طبيعة ما هو كائن وهو التساؤل عن واقع ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وهل كان منسجماً مع ما ننتهي إليه في الإجابة على الأَسئلة السابقة؟ ولماذا لم يتقبله كثير من المسلمين إذ ذاك؟

أما الجواب على السؤال الأَول: فإن الذي أعتقده أن طبيعة الحكم في الإسلام تختلف جذرياً عما عليه طبيعة الحكم في الأَنظمة الأُخرى غير السماوية.

فإذا أمكن فصل السلطتين عن بعضهما في الأَنظمة الحديثة وبخاصة الديمقراطية منها، فإن ذلك غير ممكن بالنسبة إلى الإسلام ، بل إذا أمكن تصوره في الإسلام نفسه ـ بعد استكمال تشريعاته وتدوينها ـ فإن ذلك لا يمكن تصوره بالنسبة إليه في الفترة التي نؤرخ لها ، وهي أشبه بما يسمى في عرف الثورات الحديثة بفترات الانتقال.

قال أحدهم: وكيف؟

قلت: هذا واضح ، لأَن الإسلام لا يعترف بوجود شخصية فرديةأو جماعية لها حق التشريع في مقابل ما تأتي به السماء من أنظمة وقوانين لاستئثار السماء في ذلك كله ، وحضرها ذلك على البشر جمعاء (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) (1).

وإذا عرفنا أن الله جعل لكل حادثة حكماً ولم يغفل في تشريعاته شيئاً مما يحتاج إلى حكم من أفعال العباد إلا وشرع له حكمه الخاص، كما هو فحوى ما ورد في ذلك من حديث، اتضح لنا انعدام السلطة التشريعية في الدستور

الإسلامي وحصرها في الله عزوجل ، والاقتصار على السلطة التنفيذية لتلكم الأنظمة والقوانين السماوية فيمن يدرك هذه الأنظمة ويعرفها معرفة تامة من رسول وغيره.
وهذا بخلاف الدساتير الوضعية ،لإمكان فصلهما فيها ، وذلك بإعطاء حق التشريع ، مثلاً للبرلمانات أو مجالس الثورة، وحق التنفيذ لمجلس الوزراء، وعلى أن راس الحكم فيها لابد وأن يستقطب السلطتين معاً ، برجوعهما إليه لتوقف تحقيقهما على مصادقته وإقراره.
وهنا أود أن اسأل: ألا تعتقدون معي أن وظيفة رأس الدولة هي حماية الدستور وما يتفرع عليه ، من أنظمة دولته وقوانينها الخاصة ، والعمل على سلامة تطبيقها على جميع المواطنين؟
قال أحدهم: طبعاً.
قلت: ألا ترون أن طبيعة الحماية تستدعي إحاطة الحامي بواقع ما يحميه، والتوفر على معرفة كل ما يتصل به ، وإلا لما أمكن تصور معنى للحماية بدون ذلك، إذ لا معنى لحماية المجهول من التجاوز عليه ، وهو غير محدد له ، فحامي الدستور مثلاً كيف يمكن له حمايته ككل إذا كان يجهله كلاً أو بعضاً، وما يدريه تجاوز بعضهم على بعض ، ما يجهل منه ما دام مجهولاً لديه.
قال: بالطبع.
قلت: فحامي الإسلام إذن يجب أن يكون محيطاً بكل ما يتصل بأنظمته وقوانينه.
قال: وما يمنع أن يكون ذلك متوفراً في غير أئمة أهل البيت عليهم السلام ؟
قلت: إن الذي يمنع عنه هو ما سبق التحدث فيه مفصلاً في المحاورة السابقة ، حيث تساءلنا ـ ونحن نتحدث عن عصمة أهل البيت عليهم السلام ـ عن مصادر المعرفة لحقائق الإسلام في عصر الصحابة ، وانتهينا إلى أنهما الكتاب والسنة ، وقلنا: إن الكتاب ـ وإن دوّن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وحُفظ ـ إلا أنه لم يحط بجميع خصائص التشريع، ومن هنا احتجنا إلى السنة لبيان ما أجمل فيه ، والتعرض لمختلف القيود والشرائط والموانع المعتبرة في أحكامه ، مما لم يتعرض لها بشيء من التفصيل ثم التعرف على الأحكام التي لم يذكرها الكتاب العزيز.
وقلنا: إن السنة لم تدوّن على عهده ولم يلزم هو بتدوينها وتنسيقها بضم القيود إلى مطلقاتها والمخصصات إلى عموماتها،فالإحاطة بها وبكل ما يتصل في شؤونها تكاد تكون ممتنعة لدى غير أهل البيت عليهم السلام حيث أودعها صلى الله عليه وآله لديهم وألزم بالرجوع إليهم بأمثال أحاديث الباب والثقلين كما سبقت الإشارة إليه.
على أني لا أعرف أحداً من الصحابة قد ادعى لنفسه المعرفة المستوعبة سواء منهم الخلفاء أم غيرهم، بل رأيت فيهم من يحتاج إلى أن يدل على معنى آية في كتاب الله، ومَنْ يجمع الصحابة لاستشارتهم في حكم من الأحكام يجهل واقعه، وما أكثر ما أرسل الخليفة عمر قولته المشهورة لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن. (2)
قال أحدهم: ألا ترى أن هذا منتهى الحرص والمحافظة على أحكام الشريعة من قبل هؤلاء الخلفاء، وإلا لما كانت أية ضرورة للاستفسار من قبل الإمام والصحابة عما يجهلون من أحكام.
قلت: إن الذي يبدو لي أننا نسينا مواقع النقض من كلامنا، فالفحص والحرص على تطبيق ما يعلم من الأحكام بعد العثور عليها لا ينافيان الجهل أحياناً، وقد قلنا إن حماية المجهول لا يمكن تصورها مطلقاً.
والسؤال في بعض الأحيان عما يجهل من الأحكام لا يعني السؤال في جميع الأحيان، ولا استيعاب كل ما يتصل بأحكام الشريعة، وكيف ندفع احتمال السهو والغفلة ، وحمل الصحة لتصرفات الآخرين ، مما يوجب عدم الفحص عنها.
ومن أراد من السادة الأعلام أن يتتبع ما صدر عن الخلفاء من الأحكام التي لا تلتقي مع النصوص ـ كتاباً وسنة ـ فليرجع إلى أمثال كتاب الحجة شرف الدين (النص والاجتهاد) و(الغدير) للحجة الأميني ليعرف مدى ما استدرك عليهم المعاصرون لهم من الصحابة وغيرهم في ذلك كله.
قال أحدهم: إن ما ذكرتموه لا يفرض أكثر من ضرورة توفر صفة العلم في الحماة ، لا العصمة كما افترضتموها لهم.
قلت: هذا صحيح ، لو كان عنصر الحماية لا يحتاج إلى أكثر من العلم ، أما إذا ضممنا إليه ـ لضمان وجودها واستمرارها ـ ضرورة تمثل المسؤول لواقعها تمثلاً نفسياً يأبى عليه التنكر لها مهما كانت البواعث له ، احتجنا إلى العصمة.
قال أحدهم: وماذا يعني هذا الكلام؟
قلت: إن الذي أعنيه أن لا يختلف الشخص ـ الذي يقوم بدور الحماية ـ في واقعه النفسي عنه في واقعه العقلي ، أي أن لا يحمل في أعماقه من الرواسب ما يتنافى مع طبيعة الرسالة التي آمن بها عقلياً ، لئلاً تستأثر بعض الرواسب في توجيهه الوجهة المعاكسة في حالات غفلة الرقيب ، أو تخديره بغضب أو غيره.
وأنتم ولا شك تعلمون أن الإسلام جاء بثورة مستوعبة لمختلف أبعاد الإنسان ، وقد شنها حرباً لا هوادة فيها على

جملة ما كان سائداً في عصره من مفارقات، وإن الكثير ممن عاشوا تلكم المفارقات هم الذين اعتنقوا الإسلام وناضلوا ودافعوا عنه ، وأكثرهم كانوا قد اعتنقوه ببواعث عقلية لا تمت إلى الواقع النفسي بصلة.
ولكن الرسالة ـ أية رسالة ـ لا يمكن أن تأتي من بداية ثورتها على جذور ما قامت عليه من مفارقات ، وبخاصة ما ترسب منها في أعماق الإنسان ، بل هي تحتاج إلى أن تمر بأجيال يتخفف كل جيل لاحق من رواسب جيله السابق ، بعد تعويضه بما جد من قيم ومفاهيم نتيجة لقيام الثورة الرسالية الجديدة، ووظيفة الرسالة في بداية أمرها كبت تلكم الرواسب المعاكسة بإعطاء طاقة جديدة للضمير، أو الأنا ليمنع من تسربها إلى الشعور ، والاستئثار بكل مجالات السلوك، وإلا فإن استئصالها لا يمكن أن يتم بعد أن أخذت مكانها بين عوالم اللاشعور.
ومن هنا كنا نرى بروز الكثير من الرواسب إذا تخدر الضمير ، أو وقف تأثيره بفعلٍ من بعض العوامل النفسية كالغضب مثلاً ، وهنا ذكرت مضمون كلام لأحمد أمين يحسن أن نرجع إلى نصه في فجر الإسلام.
مندوب الإيمان ـ ثم تناول السيد كتاب فجر الإسلام من أحد رفوف المكتبة واستخرج منه ص97 وقرأ فيها ما يلي « وبعد فإلى أي حد تأثر العرب بالإسلام، وهل أمحت تعاليم الجاهليةونزعات الجاهلية بمجرد دخولهم في الإسلام، ألحق أن ليس كذلك ، وتاريخ الأديان والآراء يأبى ذلك كل الإباء ».
« فالنزاع بين القديم والجديد والدين الموروث والحديث يستمر طويلاً، ويحل الجديد محل القديم تدريجاً ، وقل أن يتلاشى بتاتاً ».
« وهذا ما كان بين الجاهلية والإسلام فقد كانت النزعات الجاهلية تظهر من حين إلى حين ، وتحارب نزعات الإسلام ، وظل الشأن كذلك أمداً بعيدا ولنقصُ طرفاً من مظاهر هذا النزاع ».
« جاء الإسلام يدعو إلى محو التعصب للقبيلة والتعصب للجنس ، ويدعو إلى أن الناس جميعاً سواء (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (3) وفي الحديث « المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم » (4) ، وخطب النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع « يا أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى (5)، وروى مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ، أو يدعو إلى عصبية ، أو ينصر عصبية ، فقتل قتلة جاهلية » (6) وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار بعدما كان بين المكيين والمدنيين من عداء ».
« ومع كل هذه التعاليم لم تمت نزعة العصبية ، وكانت تظهر بقوة إذا بدا ما يهيجها، أنظر إلى ما روي في غزوة بني المصطلق أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جماعة من المهاجرين والأنصار فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فكان بينهما قتال إلى أن صرخ يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما لكم ولدعوة الجاهلية، فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوها فإنها منتنة، فقال عبدالله بن أبي أبن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (7) .
« أفلست ترى أن نزاعاً تافهاً ، لسبب تافه هيج النفوس ودعاهم إلى النزعة الجاهلية وتذكر العصبية المكية والمدنية ».
ومن يتصفح التأريخ يجد المئات من الشواهد أمثال ما ذكره الدكتور أحمد أمين ، ولعل أهم نقاط الضعف التي أجهز بها الخليفة أبو بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة هو إثارة هذه النزعة في أعماقهم ، عندما ذكرهم بالقتلى والجراح التي لا تداوى ما بينهم في الجاهلية ، وكان قد خدرها الإسلام عندما ألف بين قلوبهم، ولقد ذكرت هنا مضمون حديث رواه الجاحظ يحسن أن نعود إلى نصه ففيه أعظم الدلالة على صدق ماذكره الدكتور أحمد أمين.
وهنا تناول السيد كتاب البيان والتبيين واستخرج ص181 من جزئه الثالث وقرأ فيها عيسى بن نذير قال : قال أبو بكر : نحن أهل الله ، وأقرب الناس بيتاً من بيت الله ، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وآله إن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عند الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى، وجراح لا تداوى، فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد يضغمه المهاجري ويجرحه الأنصاري ».
قال ابن دأب فرماهم والله بالمسكتة. (8)
وكان من نتائج تأثير هذه الخطبة التي دللت على مدى ما يملكه الخليفة من خبرة بالواقع النفسي أن حولت ذلك الواقع الذي أبعده الإسلام إلى أعماق اللاشعور ، بفضل تأليفه بينهم إلى واقع شعوري متجسد يعمل عمله في الفرقة بينهم، وهكذا أجهز عليهم من أقرب نقطة ضعف ، وحملهم على التسابق إلى بيعته خشية أن يستأثر بالخلافة أحد الفريقين ، وكان أسرع الفريقين إليها أبناء الأوس لأن المرشح الوحيد للأنصار إذ ذاك كان سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج كما تعلمون.

فإذا صح هذا من وجهة نفسية عدناإلى ما سبق أن قلناه من أن عنصر الحماية الذي يجب توفره في رأس الدولة يستدعي أن لا يحمل رأس الدولة في أعماقه أية رأسية على خلاف المفاهيم الثورية الحديثة ، وإلا لكانت الرسالة هي أو بعض مفاهيمها عرضة للتصدع متى استأثر الباعث اللاشعوري في توجيه صاحبه الوجهة المعاكسة.
وضمان هذه الناحية موقوف على أن يتولى دور الحماية شخص لا يملك اية راسبةفي أعماقه على خلاف هذه المفاهيم الثورية ، بالإضافة إلى إيمانه العقلي بكل ما صدعت به من أفكار وأحكام.
قال أحدهم: وكيف يتهيأ مثل ذلك الشخص ليقوم بهذا الدور ، وهل في المسلمين إذ ذاك شخص لم يعش فترة من حياته في الجاهلية ليتولى دور الحماية كما تريدون.
قلت: يا سيدي ـ إذا كانت الفكرة سليمة فإن على الإسلام أن يهيء مثل ذلك الشخص إذا كان يريد لنفسه ضمان التطبيق السليم ، وأنتم تعلمون أن قيمة الرسالة لا تبرز بمجرد التشريع ، وما قيمة تشريع لا يضمن له تطبيق سليم يتمشى مع الأهداف الأساسية التي تبرر وجوده ، وتقديم آلاف الضحايا في سبيل تركيز ذلك الوجود.
قال أحدهم: إن هذا صحيح جداً ولكن على الصعيد النظري فحسب ، لما فيه من طوبائية تتجافى مع الواقع العملي لنوع الناس.
قلت: قد يكون ذلك كما تقولون لو كانت الرسالة غير سماوية ، وكانت المخططات لها من صنع بشر عادي يكون معرضاً للخضوع للعوامل الذاتية في تصرفاته ولا أقل من خطئه واشتباهه.
أما وأن الرسالة سماوية ومخططها هو الله عزوجل فليس هناك ما يمنع من وضع مخطط لتهيئة مثل أولئك الأشخاص وإيداع ذلك إلى النبي لتنشئتهم وفق ذلك المخطط.
على أن دعوى الطوبائية لا أفهم لها دلالة في أمثال هذه المواضع مع إدراكنا لدور التربية السليمة في بناء الأشخاص وفق المفاهيم التي يراد لها التطبيق ، ونحن نعرف أن الشخص الذي يُربى على أسس معينة لمفاهيم وقيم خاصة ، إذا أبعد عن كل ما يتجافى مع تلكم المفاهيم منذ صغره يكاد يستحيل عليه أن يصدر في تصرفاته عما يخالفها ، وأمامنا في واقعنا المعاش كثير من القيم الحضارية السائدة في بعض البلدان المتحضرة كالدول الأسكندنافية مثلاً لا يمكن لأهلها أن يخرجوا عليها ، وبعض هذه القيم انتزعت من واقع مفاهيمنا الإسلامية كالصدق والأمانة وغيرهما.
على أن الذي يكفينا الآن ـ ونحن نتحدث عما يجب أن يكون ـ هو اعترافنا بصحة هذه الفكرة على الصعيد النظري لننتقل بعد ذلك إلى دراسة ما هو كائن ثم نرى مدى انسجامه مع هذا الواقع الذي انتهينا إليه.
وأول ما يلفت نظرنا ونحن نستعرض هذا الجانب أن نرى في بعض تصرفات النبي صلى الله عليه وآله ما يبحث عن تفسير ما دامت تصرفاته ـ بحكم رسالته ـ تصرفات كلها هادفة.
وأول ما يبحث عن التفسير احتضانه للإمام علي عليه السلام من بداية حياته والإشراف على تربيته بنفسه وهو صبي ، ثم وضع مخطط لإبعاده عن جميع الأجواء المعاشة إذ ذاك لأمثاله من صبيان قريش ، يقول الإمام علي عليه السلام وهو يتحدث في نهجه الخالد عن لون تربيته في هذه الفترة: « وضعني في حجره ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة حراء (9) ، فأراه ولا يراه غيري » (10).
وهذه الخطوط التي رسمها الإمام لأسلوب تربيته على يد النبي صلى الله عليه وآله ليست طبيعية لو لم يكن الهدف منها أسمى من وجهها البارز ، فهي تريد له الإبعاد عن جميع الأجواء التي كانت سائدة إذ ذاك ، مع بنائه على لون من السلوك يختلف عنها في جملة ما له من خطوط ، فهو صلى الله عليه وآله يرفع في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاقتداء به ، ولا يكتفي بذلك دون أن يصحبه حتى لمواقع تحنثه وعبادته في غار حراء ، فليس غريباً بعد ذلك أن لا يكون لهذا الصبي من الرواسب الجاهلية ما يتجافى مع الأسس الجديدة التي رسمها النبي صلى الله عليه وآله للسلوك ، وأكد منها الإسلام بعد ذلك في جملة ما جاء به من تشريعات.
ومن هنا كان من الطبيعي جداً أن يكون هذاالصبي أسرع الناس إلى الإيمان بالرسالة التي أرسل بها صاحبه لملاءمتها لواقعه النفسي، ولقد تظافرت جملة من الروايات على تسجيل هذا الواقع ومنها ماأثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « لقد صلت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين وذلك أنه لم يصل معي غيره » (11) ومن مأثور ما نقل عن الإمام نفسه قوله في إحدى خطبه: « الله م لا أعرف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات ، لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً » (12) ثم شده النبي صلى الله عليه وآله إلى هذه الرسالة شداً ، ومكنها من نفسه عقيدة ، يفنى من أجلها ويعيش.
وفناؤه في الدفاع عنها وعن صاحبها وهو في مكة أشهر من أن يتحدث عنه.
والعقيدة متى تمكنت من أعماق صاحبها ولم يكن لها في نفسه ما يزاحمها من الرواسب المعاكسة استحال عليه

عادة الخروج على تعاليمها ، أو التخلف عما تدعو إليه وتتطلبه من تضحيات ، وهو معنى العصمة الذي نريده ونذهب اليه.
ونجاح هذا الجانب من الإعداد على يد النبي صلى الله عليه وآله هو الذي أوجب أن يؤهله (وما ينطق عن الهوى) (13) للخلافة من عبده ويعد النفوس لتقبل ذلك مبكراً ، وأول نص وصل إلينا في هذا الشأن ما روي على لسان غير واحد من المؤرخين قوله صلى الله عليه وآله لعشيرته الأقربين وقد أمر بإنذارهم، وقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فايكم يؤازرني على أمري هذا قال علي7: فقلت : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي فقال : إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » يقول الراوي « فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي » (14)
ثم توالت بعد ذلك التصريحات منه صلى الله عليه وآله : « لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب » (15) وقوله لعلي « ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » (16) إلى عشرات أمثالها بالإضافة إلى نوع من التصريحات يتخذ طابع الملاشاة لجميع الفوارق بينه وبين الإمام ، إلا ما يتصل بالنبوة فهو نفسه في آية المباهلة ، وهو الذي يؤدي عنه ، لأنه منه كما في حديث براءة ، وحديث « إن علياً مني وأنا من علي ، وهو ولي كل مؤمن بعدي ، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي » (17)
والنص الذي اتخذ طابع البلاغ العام هو نص الغدير ، وكان بعد عودته من حجة الوداع وقد صوره ابن عباس ورسم أجواءه بقوله « لما أمر الله رسوله أن يقوم بعلي فيقول له ما قال « فقال : يا ربي إن قومي حديثو عهد بجاهلية ، ثم مضى بحجه فلما أقبل راجعاً ونزل بغدير خم أنزل عليه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...) (18) الآية فأخذ بعضد علي فقال: أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله قال: الله م من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأعن من أعانه ، واخذل من خذله ، وانصر من نصره ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه » (19) .
ومن هنا يتضح أن اختيار النبي صلى الله عليه وآله لعلي ما كان وليد الصدفة ، وإنما كان وليد إعداد وتهيئة ذات جذور عميقة ، تقتضيها طبيعة الحماية للمبادىء الثورية التي أنزلت من السماء لهدم أمة وبنائها من جديد، وعلي هو الوحيد الذي كان إذ ذاك لا يحمل في رواسبه مخلفات الجاهلية بفضل احتضان النبي صلى الله عليه وآله له من صغره، وإبعاده عن جميع أجوائها المعاكسة ، بما هيأ له من وسائل التربية السليمة.
فالفكرة إذن سليمة وليس فيها شيء من الطوبائية كما نتخيل ، ويصدقها واقع الإمام علي عليه السلام وسلوكه المنسجم معها داخل الحكم وخارجه ، كما يصدقها واقع خلفائه من أهل البيت الذين أعد لهم الإمام نفس الاسلوب الذي اتخذه النبي صلى الله عليه وآله في تربيته الخاصة ، وقد سبق في أحاديثنا عن العصمة والتماسها في واقعهم التأريخي ما يلقي الأضواء على ذلك.
قال أحدهم: إن الذي يقف دون تقبل هذه الفكرة وما اعتضدت به من نصوص هو موقف الصحابة منها ومن نظائرها، أتراهم لم يدركوا هذا الواقع الذي تقوله الشيعة أم أدركوه ولم يتقيدوابالأخذ بمدلوله مع شدة علاقتهم به صلى الله عليه وآله وحرصهم على الأخذ بتعاليمه أليس في هذا الكلام شيء من الطعن في الصحابة.
قلت: إذا سمحت لي يا سيدي أن أتحدث بشيء من الصراحة سألتك عن رأيك في الصحابة ، وهل إنكم تنسبونهم إلى العصمة كما يعتقد الشيعة في أئمتهم.
قال: لا، إنهم ليسوا بمعصومين ولكنهم لا يتعمدون المعصية لأنهم عدول، والمسألة هنا لا تحتمل الخطأ مع هذه النصوص.
قلت: ورأيك هذا هل ينطبق على الجميع أم أنهم يختلفون من حيث المستوى الإيماني باختلاف مدة الصحبة ، وشدة الارتباط بالمفاهيم الجديدة وعدمه.
قال: ماذا تقصد بهذا الكلام؟
قلت: أقصد التساؤل عما إذا كان اعتقادكم قائماً على التساوي بين من دخل الإسلام من بداية البعثة واعتنق مبادئه ودافع عنها ، وبين من أسلم عام الفتح مثلاً.
قال: أما من حيث عدم تعمد المعصية فنعم ، وأما من حيث التفاوت في المنازل القريبة فلا.
قلت: إذن تعتقدون أن الصحبة ولو كانت لفترة يسيرة كافية لإحداث ملكة العدالة في نفوس أصحابها.
قال: نعم.
قلت: ولكن النصوص صريحة في خلاف ذلك ، فإن كثيراً من آيات الكتاب العزيز نسبت النفاق إلى بعضهم أمثال قوله تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) (20) وقوله عزاسمه: (وإذ زاغت الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحنَاجِرَ وتَظُنونَ بِاللهِ الظُنُونا ، هُنالِكَ ابتُلِيَ المؤمنونَ وزُلزِلُوا زلزالاً شديداً ، وإذ يقُولُ المنافقُونَ والّذينَ في قُلوبِهم مرضٌ ما وَعَدَنا اللهُ ورسُولُه إلا غروراً) (21) إلى أمثالها من الآيات.

فهل كان هؤلاء من الصحابة أو من غيرهم ، وأين ذهبوا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وهل عينهم التاريخ بأسمائهم لنخرجهم من قائمة الحساب!
على أن التاريخ حافل بتجاوز بعض الصحابة على البعض ، ونيل بعضهم من البعض ، فهل كان هؤلاء كلهم على حق.
قال أحدهم: ما بال الشيعة لا يتركون الطعن في الصحابة ، والتجاوز عليهم أحياناً.
قلت: يا أخي لا تقل هكذا، فنحن لسنا في موضع استفزاز أو إثارة عواطف، وليست المسألة مسألة شيعة وسنة، وإنما هي مسألة واقع تترتب عليه ممرات في مجالات العمل والسلوك.
إن عيب الشيعة يا سيدي أنهم لا يستطيعون أن يجمعوا الصيف والشتاء على سطح واحد، فالصحابة لديهم مختلفون في المستوى ، وفي أعمال بعضهم ما لا يعرفون له وجهاً ، وهم وإن وجدوا في الصحبة فضلاً لأصحابها لا يعادله فضل ، إلا أنه الفضل الذي لا يعفي صاحبه من المسؤولية.
ولكن ما رأيك لو قال لك أحد الشيعة ـ ولوعلى طريق الاستفزاز أو الدعابة ـ : إن أول من فتح باب الطعن في الصحابة هم السنة لا الشيعة ، فماذا يكون جوابك على هذا الأمر ؟
قال: وكيف.
قلت: أسالك : هل هناك أعظم من رمي المسلم بالارتداد؟
قال: لا.
قلت: إن البخاري ـ وهو من أقدم من ألّفوا في الحديث ـ عقد باباً في صحيحه لأخبار الحوض ، حشده بالكثير من الروايات التي تنسب إليهم أو إلى بعضهم الارتداد اقرأها مفصلة في هذا الباب. (22)
قال: إنا لا نمنع وجود مرتدين أمثال مَنْ حاربهم أبو بكر لردتهم.
قلت: ولكن بعض هذه الروايات لا تستثني منهم إلا مثل همل النعم ، كناية عن القلة وتنسب الارتداد إلى الأكثر ، ثم ذكرت مضمون رواية لأبي هريرة ويحسن أن نعود إلى نصها.
مندوب الإيمان: وهنا أخرج الجزء الثامن من البخاري وقرأ فيه « حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال: حدثني هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذاعرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال: هلم فقلت: أين قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم قلت: أين قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدكعلى أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » (23)
إن الذي يبدو لي يا سيدي أن أسلافنا كانوا أوسع أفقاً منا وأقرب إلى الموضوعية عند ما حشدوا كل ما عثروا عليه من الأحاديث التي اطمأنوا إلى صدورها وتركوا للباحثين أمر تمحيصها ، ولم يجعلوا رواسبهم مقياساً لما يروون وما يتركون ، وكان محدثوا الشيعة والسنة سواء من هذه الناحية ، فليس من الانصاف أن نحمل الجميع مسؤولية رأي لم يصرحوا جميعاً بتبنيه ، وحجتنا في ذلك مجرد العثور على رواية في كتاب للسنة أو الشيعة تتعلق في الصحابة أو غيرهم ويستشم منها الطعن مثلاً.
قال أحدهم: وقد وجه بنظرة عتاب إلى المعترض ـ لقد أبعدتنا عن صميم الموضوع، فالسؤال الذي سبق أن أثرناه حول موقف الصحابة من هذه النصوص ما يزال قائماً ، أترى أن الصحابةوفيهم مثل أبي بكر وعمر لم يدركوا هذا الواقع الذي أدركه الشيعة ، وفهموه من هذه النصوص أم ادركوه وانحرفواعنه جميعاً.
قلت: إن الذي أدعيه ـ يا سيدي ـ إن الصحابة جميعاً فهموه ـ كنص ـ بالمستوى الذي فهمه الشيعة ، إلا أن موقفهم منه كان مختلفاً جداً ، وهم ينقسمون في هذاالأمر إلى أقسام ثلاثة ، وليس في أحد هذه المواقف تشكيك بالنص.
القسم الأول: وهو الذي يشكل الأكثرية وقوامه مسلمة الفتح من قريش وبعض المنافقين الذين أشارت إليهم الآيات السالفة ، كان للرواسب التي عرضها الدكتور أحمد أمين في حديثه السابق موقع كبير من نفوسهم ، ومثل هؤلاء لا يسهل عليهم تقبل خلافة الإمام علي عليه السلام بالذات ، لأمور عدة أهمها اعتقادهم أن الخلافة إذا دخلت هذا البيت فلن تخرج منه بعد ذلك ، وفي هذا ما فيه من قتل لطموح من يرى لنفسه أهلية الحكم ، وبخاصة من زعماء القبائل الذين كانوا ينفسون على هذا البيت مكانته الجديدة التي ارتفع رصيدهابالإسلام، والنزعة القبيلية ما تزال متحكمة في أعماق الأكثر، وقد رأيتم فيما سبق أن حادثة بسيطة كادت أن تثير حرباً بين المهاجرين والأنصار بباعث من هذه النزعة ، ومن هنا انطلق شعار « وسعوها في قريش تتسع » (24) وقد عكست هذاالواقع محاورة للخليفة عمر مع عبدالله بن عباس يذكرها ابن الأثير في جزئه الثاني ، ويحسن أن نقف على ما يتصل منها بطبيعة موضوعنا.
يقول ابن عباس ـ من حديث فقال يعني عمر: « يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه

وآله :
فكرهت أن أُجيبه ، فقلت: إن لم أدر فأمير المؤمنين يدريني .
فقال: عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.
فقلت له : يا أميرالمؤمنين ، إن تأذن لي بالكلام ، وتمط عني الغضب تكلمت؟
قال: تكلم.
قلت: أما قولك يا أميرالمؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.
وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عزوجل وصف قوماً بالكراهة فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) (25) . (26)
فهذه المحاورة ـ ولها نظائر ـ تعكس موقف قريش من النص وتخوفها من تطبيقه ، ووقوفها دون ذلك رغم علمهم بأنه مما أنزله الله كما يبدو من حديث ابن عباس.
وهذا الإصرار من قبل قريش على الوقوف دونه هو الذي فتح منفذ الاجتهاد أمام الخليفتين أبي بكر وعمر وسعد بن عبادة وأضرابهم ، وهم الذين يشكلون (القسم الثاني) في أن يتداركوا الأمر كل من زاويته ، فسعد جمع الأنصار لترشيح نفسه ، أو التماس مرشح للخلافة منهم ـ بعد أن أحس بخطر ما تريده قريش ـ وقد خشي من تغلبهم على الأمر ، وعداؤهم لواتريهم من الأنصار معروف.
وعمر أصر على اختيار أبي بكر ، لاعتقاده بأنه أفضل العناصر التي لا يمكن أن تجمع الكلمة إلا عليه ما دامت قريش لا تجتمع على علي عليه السلام .
أما القسم الثالث ويتمثل بأمثال سلمان وعمار وأبي ذر والزبير والمقداد وبني هاشم ، فقد ظلوا مصرين على ضرورة تطبيق النص واختيار علي عليه السلام للخلافة إلى اللحظة الأخيرة ، فالمسلمون إذن ما كانوا ليشكوا في النص على علي عليه السلام أو لا يرونه، إلا أن قريشاً لا تريد أن تجمع النبوة والخلافة في بيت، والأنصار يخشون من تمرد قريش وغلبتهم، والخليفتين وجملة من الصحابة كانوا يخشون من تفرق الكلمة عن الإمام وهكذا.
قال أستاذ كبير في الندوة: إن الذي أراه أن الحق في الخلافة إنما هو للإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده، وأن الخلافة لو وصلت إلى الإمام بعد النبيّ بلا فصل لما انتهت بعد ذلك إلى أمثال يزيد بن معاوية والوليد من الأمويين.
ولانتهى الإسلام إلى غير ما انتهى إليه اليوم، ولكن ما رأيكم وقد انتهى عصر الأئمة ، ولم يعد فعلاً مجال لعودتهم للحكم أن نسدل الستار على الماضي ونتناساه ، ونعود إخواناً يجمعنا كتاب الله وسنةنبيه صلى الله عليه وآله دون أن نسمع كلمة تفرقة أوخصام من أجل عقيدة.
قلت: إن هذه الدعوة هادفة وسليمة جداً ، ولكن لمن لم يكن للماضي علاقة بحاضره، أما والشيعة تعتقد بضرورة الرجوع إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ورثة السنة النبوية فإن حاضرها لم ينقطع عن ماضيها، بل هي مضطرة للتشبث به وعلى الأخص فيما يتعلق بإمامة أهل البيت عليهم السلام ولكن ما رأيكم أن نضيف إلى ما ذكرتم ضرورة الرجوع إلى السنة الموروثة لدى أهل البيت عليهم السلام والتي ألزم بها النبي صلى الله عليه وآله بحديث الثقلين بالإضافة إلى ما صح من غير طريقهم ، ويكون ذلك موضعاً لاتفاق الكلمة ووحدتها ، مع ما في ذلك من الحيطة للدين كما تعلمون.
قال أحدهم: وكيف يمكن الاتفاق مع الشيعة ، وهم يؤمنون بأن لهم قرآناً يختلف عن قرآن أهل السنة .
مندوب الإيمان: وبماذا أجبتم على هذا الاستفزاز؟
ج ـ إن جوابي عليه مما لا يتسع له الحديث في جلستنا هذه ولعلنا نتحدث عنه في جلسة قادمة إن شاء الله. (27)

---

(1) سورة الأحزاب : الآية 36 .
(2) ذخائر العقبى للطبري : ص 82 ، كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج 2 ص 647 ح1100 ، بحار الأنوار : ج 40 ص 149 ح 54 وص 226 ح 6 .
(3) سورة الحجرات : الآية 13 .
(4) بحار الأنوار : ج 2 ص 148 ح 22 وج 21 ص 138 ح 33 .
(5) بحار الأنوار : ج 21 ص 137 ح 31 وح 67 ص 278 ، وج 73 ص 348 ح 13 .
(6) صحيح مسلم : ج 3 ص 1478 ح 1850 ، مسند أحمد بن حنبل : ج 2 ص 296 ، فتح الباري لابن حجر : ج 13 ص 34 ، سلسلة

الأحاديث الصحيحة : ج 2 ص 715 ح 983 .
(7) بحار الأنوار : ج 17 ص 184 .
(8) البيان والتبيين للجاحظ : ج 3 ص 528 ط سنة 1968 م نشر الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت .
(9) حراء : جبل من جبال مكة ، على ثلاثة أميال ، كان يأنس به رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتزل للعبادة فيه ، وكان يغدو إليه كل يوم يصعده وينظر من قُلله إلى آثار رحمة الله وبدايع حكمته، إن أن نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال : (إقرأ باسم ربك الذي خلق) ، وجاء في كتاب (الأنوار) للشيخ البكري في ذكر مقدمات تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله بخديجة عليهما السلام : سار إليه العباس في جبل حراء فإذا هو فيه نائماً في مرقد إبراهيم الخليل عليه السلام ملتفاً ببردة وعند رأسه ثعبان عظيم في فمه طاقة ريحان يروحه بها . راجع : سفينة البحار للقمي : ج 1 ص246 - 247 ، مراصد الاطلاع : ج 1 ص 388 ، بحار الأنوار : ج 16 ص 26 .
(10) نهج البلاغة ، تحقيق صبحي الصالح : ص 299 - 300 رقم الخطبة : 192 ، بحار الأنوار : ج14 ص 475 ح 37 وج 38 ص 320 .
(11) بحار الأنوار : ج 22 ص 302 وج 38 ص 226 ح 31 .
(12) بحار الأنوار : ج 38 ص 241 ح 40 .
(13) سورة النجم : الآية 3 .
(14) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 2 ص 321 ، بحار الأنوار : ج 18 ص 178 ح 7 وج 38 ص 224 ح 24 .
(15) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي : ص 201 ح 238 ، بحار الأنوار : ج38 ص147 ح 115 ، وص 154 ح 127 .
(16) تقدمت تخريجاته .
(17) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي : ص 221 - 230 ح 267 - 276 ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 11 ص 570 ، بحار الأنوار : ج38 ص149 ح 118 ، وص 325 ح 37 .
(18) سورة المائدة : الآية 67 .
(19) بحار الأنوار : ج 23 ص 103 ح 11 ، وج 37 ص 115 ح 6 ، وقد تقدم المزيد من تخريجات حديث الغدير المتواتر .
(20) سورة التوبة : الآية 101 .
(21) سورة الأحزاب : الآية 10 - 12 .
(22) صحيح البخاري : ج 8 ص 148 - 152 (ب الحوض) .
(23) صحيح البخاري : ج 8 ص 150 - 151 (ب الحوض) .
(24)راجع : السقيفة وفدك ، لأبي بكر البغدادي : ص 68 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج6 ص 43 .
(25) سورة محمد : الآية 9 .
(26) راجع : الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج 3 ص 63 - 64 ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 4 ص 223 ، مناظرات في الإمامة للمؤلف : ص 71 - 74 المناظرة السادسة .
(27) ثمرات النجف للسيد محمد تقي الحكيم : ج 3 ص 193 - 211 ، عن مجلة الأيمان السنة الثانية ، عدد 3 و 4 ، لعام 1385 هـ 1965 م .

أبو طالب (ع) مؤمن قريش

المُناظرة الحادية والخمسون

مناظرة عبد الله بن عباس مع بعضهم في إيمان أبي طالب عليه السلام
روي عن ثابت بن دينار الثمالي ، عن سعيد بن جبير ، عن عبدالله بن عباس، أنّه سأله رجل فقال له : يا بن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، أخبرني عن أبي طالب ، هل كان مسلماً ؟
فقال : وكيف لم يكن مسلماً ، وهو القائل :

وقد علموا أنّ ابننا لا مُكذّب * لدينا ولا يعبأ بقيل الأَباطل (1)

إنّ أبا طالب كان مثله كَمَثل أصحاب الكهف (2) حين أسرّوا الإِيمان ، وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين (3) .

---

(1) راجع : السيرة النبويّة لابن هشام : ج 1 ص 299 ، البداية والنهاية لابن كثير : ج 3 ص 57 ، السيرة النبوية لابن كثير : ج 1 ص 491 .
(2) روى عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال : إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإِيمان وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين. راجع: أصول الكافي : ج 1 ص 373 ح 28 ، أمالي الصدوق : ص 492 ح 12 ، بحار الأنوار : ج 72 ص 72 ح 7 .
(3) الأمالي للصدوق: 491 - 492 ح11 (المجلس : 89)، بحار الأنوار: ج35 ص72 ح6.

المُناظرة الثاني والخمسون

مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في مسألة إيمان أبي طالب عليه السلام

يقول السيد محمد جواد المهري في معرض حديثه عن أيّام دراسته في مدرسة الدعية بالكويت في عام 1968 م :
في الصف الأول الثانوي كانت لي نقاشات مع معلم مادّة الدين، ولكن بما أنني كنت قد دخلت ذلك الجو توّاً إضافة إلى كون المعلم شيخاً حاد الطباع لم تتمخّض عن نقاشاتنا المتفرقة أية نتيجة إيجابية ناهيك عن امتناعه عن الخوض في المواضيع المثيرة للاختلاف بعد التفاته إلى وجودي، ومع هذا كانت لي معه أحياناً نقاشات غلبته فيها.
مثلاً سأله أحد التلاميذ يوماً: لماذا تأخذ الماء في كفك عند الوضوء وتسكبه من الرسغ إلى المرفق بينما يسكبه أتباع أحد المذاهب الإسلامية من المرفق إلى الأسفل؟
نفخ الأستاذ لغديه متظاهراً أنه صاحب الحق وقال: الأيدي عادة مليئة بالشعر ، وإذا سكب الماء من الأعلى إلى الأسفل قد لا يصل إلى ما تحت الشعر، ولكن إذا سكب من الرسغ إلى الأعلى فالماء يصل إلى ما تحت الشعر قطعاً، وهذا أقرب إلى الاحتياط.
نهضت على الفور وقلت: اسمح لي يا سيدي! إذن إذا أردت الغسل وجب وضع الرأس على الأرض ورفع الأرجل في الهواء لأن جسم الإنسان مليء بالشعر، واستناداً إلى الرأي الذي عرضته يجب أن يصل الماء إلى تحت الشعر!!
إرتفع فجأة صوت ضحكات الطلاب، فقال الأستاذ الذي وجد نفسه في وضع محرج للغاية بلهجة عنيفة: لا تناقش عبثاً!! فأنت لا زلت أصغر من أن تعطي رأيك في القضايا الفقهية!! وأجلسني بكلامه هذا! إلاّ أن الطلاب لم يقنعوا أبداً.
وعلى كل حال انقضت السنة الأولى من الثانوية ودخلت في السنة الثانية، كان سني قد ازداد ومطالعتي قد كثرت في هذا المجال خلال العطلة الصيفية، فأصبحت أكثر استعداداً للمواجهة.
ومن حسن الصدف أن مدرّس مادّة الدين كان شاباً إلى حد ما وحسن الأخلاق، كنّا في أول درس من مادّة الدين حين دخل الأستاذ وكان شاباً يدعى « عمر الشريف ».
وبدأ الحديث عن موضوع الهداية في الاسلام، وضمن حديثه تفسير الآية الشريفة: (إنك لا تهدي من أحببت) (1) ، قال : إن هذه الآية نزلت في أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وآله حيث حضر عند رأسه وهو في اللحظات الأخيرة من حياته وكلّما طلب منه التلفّظ بالشهادتين، أبى حتّى مات كافراً!! فتأثر النبي صلى الله عليه وآله لأن عمّه الذي يحبّه يموت كافراً، لكن الله تعالى أوحى إليه هذه الآية.
الهداية هبة إلهية يمنحها الله لمن يشاء ويسلبها ممّن يشاء، فلا تحاول هداية عمّك!
اضطرم الغضب في نفسي وما عادت لي طاقة على الصبر، فنهضت بغضب وبدون استئذان وصحت: أستاذ! لابد وأنكم تعتبرون أبا طالب، هذا الرجل المؤمن، كافراً وتأولون بشأنه هذه الآية لأنّه والد علي عليه السلام ، ليس من الإنصاف اتهام شخص قضى عمره في خدمة الإسلام وقدّم كل هذا العون للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين بمثل هذه التهمة ، واعتباره كافراً مع كونه موحّداً حقيقياً وانساناً كاملاً، فمن ذا الذي دافع عن النبي صلى الله عليه وآله يوم هب جميع كفار قريش لمحاربته ومحاصرته اقتصادياً، غير أبي طالب عليه السلام ؟
ابتسم الأستاذ قائلاً:
أولاً: ليس من الصحيح اتهامنا بمثل هذه التهمة، فنحن نرى علياً من أفضل الناس وأخلصهم ، ونعتبره على كل حال أحد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله ، فنحن إذن لاعداوة لنا معه حتّى نعتبر أباه كافراً، ثم إنه كان شخصاً عطوفاً وكثير المحبّة لمحمد صلى الله عليه وآله ، ولهذا السبب كان يدافع عنه حتّى وإن لم يؤمن بدينه، وهذا الطرح لا ينطوي على أية مشكلة.
قلت: بل ينطوي على مشكلة كبرى، فالرسول صلى الله عليه وآله أساساً لا يمكنه التعويل على كافر، أو أن يحظى بحمايته على ذلك النطاق الواسع، ألم تقرأوا قوله تعالى في القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنَّه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (2) .
قال: هذه الآية تعني اليهود والنصارى.
قلت: الواقع أن اليهود والنصارى أهل كتاب، فإن لم يكن تعالى قد أباح له موالاة أهل الكتاب والاستعانة بهم، فهو لايجيز قطعاً اتخاذ مشركي قريش حماة لنا، فضلاً عن هذا فقد جاءت في القرآن آية اخرى تنهى عن هذه العلاقات العائلية، وتحذر من موالاة الآباء والإخوة ـ فما بالك بالأعمام ـ إذا كانوا كفاراً، أو إيجاد صلات وثيقة معهم: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون) (3) .
بل إن الله عزّ وجلّ قد نهى المسلمين في ما يربو على الثلاثين موضع عن إيجاد علاقات مع الكفار، فما بالك

باتخاذهم حماة وأنصاراً، هل يجوز أن يعصي الرسول ـ وهو مبلغ آيات الله ـ أوضح أحكام الله ويعصي ربه جهاراً؟
إيمان أبي طالب
واذا ما تجاوزنا هذا فثمّة أدلّة جمّة على إيمان إبي طالب، ولعلّي لا أستطيع الآن إحصاءها بإجمعها ، ولكن حسبنا ما جاء في الكثير من أشعاره ، التي يقرّ فيها برسول الله ونبوته، ويصّرح بإيمانه بالله على الرغم من أنه كان يعيش في وضع لا يسمح له بالتجاهر برأيه إلى هذا الحد.
دهش الأستاذ من هذه الآيات القرآنية التي بدا وكأنها لم تطرق سمعه من قبل وتقلّب لون وجهه من حال إلى حال وقال:
إذا كنت تبغي النقاش فالصف ليس موضعاً للنقاش، والصف لا يختص بك حتّى تكون أنت المتحدّث الوحيد فيه وتستحوذ على وقت نيّف وثلاثين من الطلاب! تعال إلى غرفتنا (غرفة المعلمين) للمناظرة في وقت الفرصة.
قلت: لا ينبغي هذا! فإمّا أنّك لا تتحدّث في القضايا التي تثير الإختلاف، وإمّا أنك إذا تحدّثت بها ينبغي أن تتوقّع ردّاً عليها، فأنا اليوم إن لم أدافع عن أبي طالب، هذا الإنسان الموحّد الطاهر فسيعتقد هؤلاء الطلاب فيه كعقيدتك فيه، وسأخزى يوم القيامة أمام الله ورسوله.
إنني مستعد لمناظرتك حيثما شئت وفي أي موضوع من المواضيع العقائدية ، ولكن إذا سمح لي الطلاب اليوم بقراءة بيتين من الشعر لأبي طالب عليه السلام لكي لا تهتز عقيدتهم فيه.
وفي الحال أيدني الطلاب ، وقالوا: يا أستاذ! الحق معه، دعه يدافع عما يعتقد به.
اضطر الأستاذ للصمت وبقي ينتظر.
كنت متجهاً بكل مشاعري إلى أبي طالب ، فاستعنت به وبربّه لأكون قادراً على أداء حق سيّد مكّة ومولاها في أول اجتماع عام وبحضور الكثير من المستمعين، وليتسنّى لي الدفاع عن هذه الشخصية المفترى عليها في تاريخ الرسالة.
فقلت: يا أستاذي! ويا أصدقائي! لم يكن أبو طالب بالذي يعتريه أدنى شك بنبوّة الرسول صلى الله عليه وآله ؛ إذ أن له قصائد كثيرة يمدح فيها الرسول ويشهد برسالته فهو بعد أن أخبر قريش بأنَّ صحيفتكم قد أكلتها الديدان ولم يبق منها سوى اسم الله، وهذا ما أخبرني به ابن أخي محمد، وإذا لم تصدقوا فاذهبوا واستخرجوها من داخل الكعبة ، فإن كان قول محمد هذا صحيحاً عودوا إلى رشدكم وآمنوا له، وإن يك كاذباً أسلمته لكم فان شئتم عاقبتموه أو قتلتموه.
قالوا: رضينا بهذا! فذهبوا وجاءوا بالصحيفة ووجدوا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله صدقاً.
لكن من ختم الله على قلبه وألقى على بصره وعلى سمعه غشاوة لايعي الحق، ومن الطبيعي أن يتجاهل هذه المعجزة الكبرى، ومن هنا قالوا لإبي طالب: هذا أيضاً سحر آخر مما يأتيه ابن أخيك، وهكذا انغمسوا في ضلالهم.
دنا أبو طالب من بيت الله وتعلّق باستار الكعبة وقال: « الله م انصرنا على القوم الظالمين فقد قطعوا رحمنا وانتهكوا حرمتنا ».
ثم أنشد قصيدة طويلة غراء لا أستظهر منها حالياً ـ وللأسف ـ سوى بيتين، وأنصح الأخوة بالذهاب إلى مكتبة المدرسة بعد انتهاء هذا الدرس واستخراجها من كتب التاريخ ومطالعتها.
نهض أحدهم قائلاً: في أي كتاب وردت مثل هذه القصّة؟
قلت: قصّة الصحيفة معروفة وذكرتها كل كتب التاريخ ويمكنك مراجعة تاريخ اليعقوبي، وسيرة ابن هشام، وتاريخ ابن كثير، وطبقات ابن سعد، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وهي بأجمعها من الكتب المعتبرة عند أبناء السنة، وعلى كل حال فقد قال أبو طالب في تلك القصيدة الغرّاء:

ألا أنّ خير الناس نفساً ووالداً * إذا عُدَّ سادات البرية أحمد

نبيّ الإله والكريم بأصله * أخلاقه وهو الرشيد المؤيّد

ألا يكفي أن أبا طالب يعتبر الرسول « نبي الإله »؟ أليست هذه شهادة برسالة ونبوّة محمد صلى الله عليه وآله ؟ هذا فضلاً عن بيتين من الشعر يصرّح فيهما بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وقد أوردهما البخاري في « التاريخ

الصغير »، وابن عساكر في تاريخه، وابن حجر في « الإصابة » وفيهما يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله بالقول:

لقد أكرم الله النبي محمداً * فأكرم خـلـق الله في الناس أحمد

وشقّ لـه من اسمه ليجلّه * فذو العرش محمود وهذا أحمد (1(

ظاهر هذين البيتين وباطنهما واضح وصريح، وفيهما دلالة على عظمة شأن أبي طالب ووفرة علمه وعلو منزلته.
قال الأستاذ: هذا البيت يُنسب لحسان بن ثابت.
قلت: إنه أخذ هذا البيت عن أبي طالب وضمّنه في قصيدته في مدح الرسول، وإذا ما تجاوزنا كل هذا، هناك أيضاً قصة استسقاء أبي طالب وعبدالمطلب واستعانتهما بالرسول وهو لا زال طفلاً، وهي قصة مشهورة، وهذا دليل واضح على إيمانهما له بالنبوّة والرسالة الخاتمة من قبل أن تُعرض قضية رسالته، فهما كانا يعلمان منذ اليوم الأول ما لهذا الطفل من منزلة وقرب عندالله. كانت قد مرّت على الناس سنتان لا ينزل عليهم الغيث، وأتت عليهم مجاعة، فأخذ أبو طالب هذا الطفل وتوجّه به إلى الكعبة وقسم على الله به وقال: « الله م بحق هذا الطفل أنزل علينا غيث رحمتك ».
لم تمض ساعة إلاّ وغمامة سوداء قد غطّت سماء مكّة وأمطرت عليهم مطراً غزيراً حتّى خافوا أن يجرف السيل بيت الله.
لما تذكّر أبو طالب هذه القصّة، قال في مدح الرسول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثـمـال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ بـه الهلاّك من آل هاشم * فـهـم عنده فـي نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة * ووزان صدق وزنه غير هائل (5 (

لم أكن قد اتممت كلامي حتّى وجدت الصف كله مصغياً لأشعار أبي طالب ذات المغزى العميق، وهناك رن الجرس فجأة معلناً انتهاء الدرس، وتنفّس المدرس الصعداء، ومع هذا فحينما خرجت من الصف التفت إليَّ باحترام وقال: إنني لأشعر بالأرتياح لوجود طالب مثلك بين طلابي له مثل هذه المعرفة بمواضيع العقيدة والتاريخ ويستدلّ بهذه الطريقة الحسنة، وإني لا فتخر بطالب مثلك، ولكن اعلم إن لجميع هذا الكلام ردود.
قلت: إني على استعداد لمواجهة أي رد أو انتقاد، ولدي جواب على جميع الاعتراضات، وإذا لم تقنع فإني مستعد للكلام معك ثانية.
قال: طبعاً كلامك عن أبي طالب شيّق جداً وينطوي على أمور جديدة بالنسبة لي ، ولكن نفس أولئك الذين نقلت عنهم تلك الأبيات لأبي طالب يعتبرونه كافراً!
قلت: إن كان هناك من يرى الحق ويدوس عليه ، فلا يعني هذا إنك تتبعه على باطله.
قال: تريد أن تقول إن هؤلاء جميعاً حاربوا الحق، وأنتم وحدكم دافعتم عنه؟ ما هذا الكلام يا عزيزي!
قلت: يا أستاذ! إنّ قول الحقّ مرّ، وليس بإمكان كل واحد تحمّل هذه المرارة، ثم إنني لا شأن لي بما في كلامهم من تناقضات، بل كنت أبغي فقط الإستشهاد من كتبكم على إيمان أبي طالب ليتضّح إنه كان مؤمناً تمام الإيمان، وإذا بقي هناك من ينكر إيمانه يتبيّن أيضاً أنه مخدوع!!
قال: تقول إن فيها تناقضات، هل يمكنك البرهنة على ذلك؟
قلت: الأدلّة على ذلك كثيرة! وهذا الدليل كافٍ بحد ذاته، فأنت تلاحظ مع كثرة الأشعار التي ينقلونها عن أبي طالب في مدح الرسول صلى الله عليه وآله ، يصورون وبكل جرأة أن هذا الرجل الإلهي كافر، أليس هذا تناقضاً؟
قال: أنت تعلم طبعاً أنّ أبا طالب كان يحب محمداً كثيراً، وكان يدافع عنه طوال مدّة حياته معه، فما هو المانع في أن

يبعث البهجة في نفس ابن اخيه بالأشعار ليقلل إلى حد ما من ألم المصائب التي كانت تترى عليه؟
قلت: يا أستاذ إن المدح والثناء شيء آخر غير الشهادة بالنبوّة ، فهو هنا لايثني عليه وكفى ! وإنما يشهد له بالنبوّة أيضاً في مواقف مختلفة، وليس ثمّة مجال للكناية والتورية، وفضلاً عن هذا ألم يعلن النبيّ صلى الله عليه وآله حرمة زواج المسلمات بالكفار؟ والكل يعلم أن فاطمة بنت أسد كانت من أوائل المسلمات، ومع هذا بقيت مع أبي طالب حتّى النهاية ولم يفرّقها الرسول عن زوجها.
قال: إن لديك اطلاعاً واسعاً، ولديَّ عدّة قضايا أودّ معرفة رأيك فيها، لكن الوقت لايسمح الآن، أرجو أن يكون لنا من بعد هذا لقاءات منفصلة نتباحث فيها بشكل مفصّل، إلى اللقاء.
ـ في أمان الله.
إنقضى ذلك اليوم وعدت إلى الدار وحدثت والدي المرحوم بما جرى، فابتهج ودعا لي ثم قال: يا بني إن إيمان ابي طالب كايمان مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه في عهد النبي موسى عليه السلام .
أبو طالب كان قد آمن بالرسول منذ البداية وإلاّ لم يكن ليدافع عنه إلى هذا الحد، بيد ان الرسول ما كان مباحاً له وفقاً لإمر الله باتخاذه نصيراً له، ولا حتّى أن يلقي اليه بالمحبّة.
أمّا أشعار أبي طالب في مدح الرسول صراحة واعترافه بنبوّته فكثيرة ، وهي منقولة في كتب السنّة، ويمكنك مراجعة كتاب « أبو طالب مؤمن قريش » من تأليف الشيخ عبدالله الخنيزي ، واكتب شيئاً من تلك الأشعار وخذها إلى أستاذك، ويكفي أبا طالب انّه كان يذبّ عن الرسول علانية في جميع المواقف والمراحل منذ بداية الدعوة حين جمع الرسول أقرباءه (وانذر عشيرتك الأقربين) (6) وحتّى آخر حياته، وكان يقف بوجه كفّار قريش ويحامي عن الرسول بكل ما أوتي من قوّة، فإن لم يكن قد آمن برسالة الرسول فما كان الدافع من وراء حمايته له بهذه الصورة؟ ألم يكن أبو لهب عم الرسول وكان يحاربه؟ ومنذ الإجتماع الأول الذي جمع فيه الرسول أقاربه ودعاهم ـ بعد تناول الطعام ـ إلى الإسلام نهض أبو لهب مستنكراً دعوته فصاح به أبو طالب غاضباً: « أسكت يا أعور ما أنت وهذا ، ثم قال : لا يقومنّ أحد، قال : فجلسوا ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله : قم يا سيدي فتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فانك الصادق المصدق » (7) .
أي كافر هذا الذي يدافع عن الإسلام بكل ما أوتي من قوّة وينبري للذود عن ابن أخيه بيده ولسانه ويحميه من قرابته الكافر ، حتّى يبلغ رسالة ربّه بسهولة، وناصره في شعبه ، هو وكل أتباعه يوم كانت كل قريش تحاربه؟! فإن كان شخص كهذا كافراً فأنا أيضاً كافر.
شكرت أبي وذهبت لمطالعة كتاب « أبو طالب مؤمن قريش » ووجدت أن المؤلف قد بذل جهداً شاقاً ودافع عن أبي طالب حق الدفاع، ولكن العلاّمة الأميني كان قد سبَقه إلى البحث في سيرة ومواقف أبي طالب على امتداد سبعين صفحة من المجلد السابع من كتابه « الغدير »، وهو بحث شيّق وثمين.
وعلى كل حال لا بأس بذكر عدّة أبيات شعرية أُخرى له لغرض إكمال هذه المقالة إلى حد ما، ولكي لا تبقى لدى القارىء أدنى شبهة وليبلغ كل ذي حقّ حقّه.
نقل الحاكم في « المستدرك » أن أبا طالب بعث أبياتاً من الشعر للنجاشي حاكم الحبشة يدعوه فيها إلى الإحسان إلى مهاجري الحبشة، وجاء فيها:

ليعلم خيار الناس أن محمدا * وزير لموسى والمسيح بن مريم

أتانا بالهدى مثل ما أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم (8)

وجاء في أبيات أخرى يخاطب بها رسول الله صلى الله عليه وآله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتّى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثَمَ أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمد * من خير أديان البريّة دينا (9)

وله أيضاً قصيدة لامية طويلة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله يقرّ في عدّة أبيات منها بنبوّته ورسالته، نقل منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتاً (10) ، وابن كثير اثنين وتسعين بيتاً (11) ، وصيغت هذه القصيدة على غرار المعلقات السبعة ، وهي في غاية البلاغة والفصاحة ونظمها في وقت هبّت فيه قريش كلّها لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله ، وكانوا يطردون عنه المسلمين بقوّة الحراب.

وقد أشاد القسطلاني بفصاحة وبلاغة هذه القصيدة وذكر أنها تضم مائة وعشرة أبيات (12) ، ولو لم يكن منهجنا الإختصار لنقلنا هذه القصيدة هنا ، ولكن تكفي الأشارة إليها ليرتدع أصحاب الآراء المنحرفة الباطلة عن انتهاك قدسية هذه الشخصية الجليلة، ولكي لا يتّهموا هذا المؤمن ـ الطاهر السريرة وأول المدافعين عن الإسلام ـ بالكفر، وأن يتوبوا إلى الله من سوء القول فيه.

كان أبو طالب سبّاقاً في ميدان الجهاد والاستقامة في عهد الجاهلية الأسود وفي ظلمات أبناء قريش.

كان أبو طالب كوكباً زاهراً يقتبس نوره الساطع من الشمس المحمدية المتألّقة، وكان صوته المدوي في البطحاء صدى لصيحة النبي في نداء « لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ».

كان أبو طالب شخصية انطلقت عقيدة الإسلام التحررية تحت ظل بريق سيفه البتار ، وصدى أشعاره المثيرة ودفاعه المتواصل، فأضاء ظلمة مكّة بنوره الباهر.

كان أبو طالب تابعاً مطيعاً لمحمد صلى الله عليه وآله ، وكان حبّه لصاحب الرسالة يسري في أعماق روحه وجسده ، وظل يسير في طريق المحبّة حتّى اللحظة التي بلغ فيها مرحلة اليقين ، ورفعته يد الغيب الالهية إلى أعلى عليين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً في رثائه:« يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيما ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً » (13) .

قال اليعقوبي في تاريخه:« ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات » (14) ثم دعا له بالخير، وعظم موت أبي طالب على ابن أخيه حتى سمى ذلك العام عام الحزن، فهل يبكي الرسول هكذا على موت كافر ـ والعياذ بالله ـ ؟

وهل يعطف رسول الله صلى الله عليه وآله على كافر ، ويبدي له المحبّة أكثر من سائر المؤمنين ، ويجزع على فقده مع ما أمر به من الغلظة مع الكفّار والرأفة بالمؤمنين؟

أعيدوا كتابة التأريخ وامحوا هذه البقع المخزية من صفحاته، كفى انسياقاً وراء الأسلاف الأراذل الذين دفعهم بغض وصي رسول الله إلى اتهام أبيه الجليل بتهمة الإلحاد ، فيما تاريخ الإسلام حافل بنداءاته الإسلامية، وكان ناصراً مخلصاً للرسول سلام الله وصلواته عليه وعلى محبّيه، واللعن الدائم على أعدائه إلاّ من انساقوا في هذا الطريق جهلاً ، وإذا أدركوا الحق اتّبعوه ، وعوّضوا عما سلف منهم بالتوبة والإنابة إلى سبيل الهداية وإلى الصراط المستقيم. (15)

---

(1) سورة القصص: الآية 56.
(2) سورة المائدة: الآية 51.
(3) سورة التوبة: الآية 23.
(4) التاريخ الصغير للبخاري: ج 1 ص 38، البداية والنهاية لابن كثير : ج2 ص266، الأصابة لابن حجر العسقلاني : ج4 ص115، دلائل النبوّة لأبي نعيم : ج1 ص41.
(5) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني : ج2 ص 237 ـ 238، الخصائص الكبرى : ج1 ص86، السيرة الحلبية : ج1 ص190.
(6) سورة الشعراء: الآية 214.
(7) الغدير للأميني : ج7 ص355.
(8) المستدرك للحكام النيسابوري : ج2 ص623، .
(9) خزانة الادب للبغدادي : ج 2 ص 76 وج 9 ص 397 ، البداية والنهاية لابن كثير : ج3 ص42، الاصابة لابن حجر العسقلاني : ج4 ص116، تذكرة الخواص لابن الجوزي : ص7، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 14 ص 55.

(10) السيرة النبوية لابن هشام : ج 1 ص 291 - 299 .
(11) البداية والنهاية لابن كثير : ج 3 ص 53 - 57.
(12) إرشاد الساري للقسطلاني : ج2 ص238.
(13) تاريخ اليعقوبي : ج2 ص35، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص9، الغدير للأميني : ج7 ص373.
(14) تاريخ اليعقوبي : ج2 ص 35.
(15) مذكرات المدرسة ، للمهري : ص 18 - 30 .

المُناظرة الثالثة والخمسون

مناظرة الشيخ محمد الإشتهاري مع بعضهم في إيمان أبي طالب

قال أحد أبناء أهل السنة في شأن إيمان أبي طالب عليه السلام الأَب الكريم لأَميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : اختلفت الروايات في كتبنا الرئيسية حول إيمان أبي طالب عليه السلام ، فطائفة من الروايات وردت في تعظيمه ومدحه، وطائفة أُخرى وردت في ذمه والطعن به.

فقلت : اتفق علماء الشيعة، تبعاً لائمّتهم المعصومين عليهم السلام ، والذين هم عترة النبي صلى الله عليه وآله على أن أبا طالب عليه السلام كان شخصاً لائقاً مؤمناً ومجاهداً في سبيل الله.

ـ فقال ـ : إذا كان كذلك، فلماذا وردت روايات كثيرة في عدم إيمانه؟

ـ فقلت ـ : ذنب أبي طالب هو انّه والد علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقد بذل الأَعداء الحاقدون على ابنه الوصي عليه السلام ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان مبالغ طائلة من بيت مال المسلمين، لعناصر باعوا دينهم بدنياهم وضمائرهم لِاهوائهم، لافتعال الأَحاديث والروايات المجعولة الكاذبة لتشويه شخصية الإِمام علي عليه السلام (1) ، حتى وصل بهم الحد إلى أنّهم نقلوا عن أبي هريرة أنه قال: « إنّه يشهد بالله أنّ علياً أحدث بعد الرسول فاستوجب لعن الملائكة والناس أجمعين » (2) .

فمع وجود هؤلاء الأَراذل في عصر معاوية والخلفاء الأَخرين من بني أُمية، فمن الطبيعي أن تظهر روايات مفتعلة كثيرة في شرك أبي طالب عليه السلام حتى بذلوا الكثير من الجهود والطاقات في ذمه، ولم يبذلوا واحداً من ألف منها في أبي سفيان الذي كان يمثل رأس الشرك، ويمتلك طينة خبيثة، وصفحات سوداء في التأريخ.

فعليه، نشأت جذور تهمة الشرك لأَبي طالب عليه السلام من دافع سياسي استغلها معاوية لمصالحه الشخصية.

ـ فقال ـ : نقرأ في الآية 26 من سورة الأَنعام قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينئون عنه) قال بعض المفسرين : إن المراد من الآية المباركة: « إن طائفة من الناس كانوا يدافعون عن النبي صلى الله عليه وآله ، وفي نفس الوقت يرفضون الإِيمان به ويبتعدون عنه »، فهذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عليه السلام لأَنّه دافع عن النبي صلى الله عليه وآله في مقابل المشركين، مع تحاشيه عن الإِيمان به.

ـ فقلت ـ : أولاً، أن معنى الآية مخالف لما قلتم تماماً.

ثانياً: لو سلّمنا لقولكم، فما هو الدليل على ان المراد منها أو شمولها لأَبي طالب؟!

ـ فقال ـ : حجتنا هي رواية سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس، أنه قال: « هذه الآية، نزلت في شأن أبي طالب عليه السلام إذ منع الناس عن التعرض للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مع عدم اتباعه له صلى الله عليه وآله » (3)

ـ فقلت ـ : أضطر في جوابكم أن أشير إلى أمور:

1 ـ أن معنى الآية ليس كما فسرتم، بل مع الأَخذ بنظر الإِعتبار ما قبل الآية وما بعدها، فقد نزلت في شأن الكفار المعاندين، ظاهر معنى الآية هكذا، « أن الكفار كانوا ينهون الناس عن اتباع الرسول صلى الله عليه وآله في حين أنّهم كانوا يعرضون عنه » (4) ولم تتطرق الآية إلى مسألة الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله .

2 ـ جملة « ينئون » بمعنى الابتعاد، والحال كان أبو طالب من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله ولم يبتعد عنه طرفة عين.

3 ـ أما رواية سفيان الثوري التي نقلها ابن عباس وأنه قال أن الآية نازلة في شأن أبي طالب عليه السلام مخدوشة من عدة جهات:

الف ـ إن سفيان الثوري من الكذابين وغير الموثقين بإقرار الكبار من علماء أهل السنة (5) .

نقل عن « ابن المبارك » أن سفيان كان يدلس، أي كان يظهر الحق باطلاً، والباطل حقّاً (6) زوراً وبهتاناً، والراوي الآخر لهذه الرواية هو « حبيب بن أبي ثابت » الذي كان يدلس أيضاً، طبقاً لقول إبن حيان (7) إضافة إلى أن هذه الرواية مرسلة، بمعنى أن سلسلة الرواة بين حبيب وابن عباس محذوفة غير متصلة.

ب ـ كان ابن عباس من الشخصيات الإِسلامية المرموقة والمعروفة التي تعتقد بإيمان أبي طالب فكيف يمكن أن ينقل مثل هذه الرواية؟! عندئذ يمكن أن نفسر الآية بهذا النحو: « إن الكفار كان يمنعون الناس من اتباع النبي صلى الله عليه وآله ، وهم أيضاً كانوا يبتعدون عنه ».

ج ـ الرواية المذكورة تقول: أنّ هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عليه السلام فحسب، مع أن كلمة « ينهون » و « ينئون » جاءت بصيغة الجمع.

فطبقاً لتفسير البعض، إن الآية المذكورة تشمل أعمام النبي صلى الله عليه وآله حيث كانوا عشرة منهم مؤمنين ، وهم الحمزة والعباس وأبو طالب، فلا يشملهم مراد الآية المذكورة.

وبعبارة أوضح: كان النبي صلى الله عليه وآله يبتعد عن المشركين أمثال: أبي لهب الذي كان أحد أعمامه صلى الله عليه وآله ، وأمّا أبو طالب فكان يرتبط بالنبي صلى الله عليه وآله بصلة وثيقة إلى آخر لحظةمن حياته الشريفة، وسمى صلى الله عليه وآله سنة وفاته « عام الحزن » وقال في تشييع جثمانه الطاهر: « وا أبتاه، واحزناه عليك كنتُ عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروَّح من الجسد » (8) فهل من الإنصاف أن يقال في حق النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يمدح ويعظم المشرك، ويظهر الحزن لوفاته، مع أن كثيراً من الآيات القرآنية تذم المشركين وتأمر بالإعراض عنهم؟! (9)

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : ج 4 ص 63 : وذكر شيخنا أبو جعفر الاسكافي رحمه الله تعالى ... أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .
(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج4 ص67.
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج2 ص132 .
(4) وقد فسر ابن عباس الآية بهذا التفسير ، ولمزيد البحث والتحقيق في تفسير هذه الآية راجع: الغدير للأميني: ج8 ص 3 - 8.
(5) ميزان الاعتدال للذهبي: ج 2 ص165.
(6) تهذيب التهذيب: ج4 ص115.
(7) تهذيب التهذيب: ج2 ص179.
(8) منية الراغب في إيمان أبي طالب للطبسي : ص 205 عن البكري في كتاب مولد علي.
(9) أجود المناظرات للأشتهاردي : ص 326 - 331 .

المُناظرة الرابعة والخمسون

مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد الله بن جحش في مسألة إيمان أبي طالب عليه السلام

المناظرة التي وقعت بيني وبين الشيخ عبدالله بن جحش رئيس هيئة الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة فقال: لأي جهة تروحون لزيارة عبدالمطلب (1)، من، مع أنه مات في زمن الفترة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ، ولأي علة تذهبون لزيارة أبي طالب مع أنه كان مشركاً ، ولا تجوز زيارة المشرك؟

قلت له: هل ترضى لنفسك أن تنسب عبدالمطلب الذي دعا على قوم أبرهة حينما جاؤوا مع الفيل لهدم الكعبة فدعا عبدالمطلب عليهم حتى أرسل الله بسبب دعائه طيراً أبابيل فأهلكهم في وادي محسر (2) قريباً من منى، فإذا كان عبدالمطلب على رأيكم مشركاً كيف يدعو على قوم أبرهة وكيف يستجيب دعائه في هلاكهم، مع أن سورة الفيل في القرآن الكريم وشأن نزولها في قوم أبرهة ودعاء عبدالمطلب يعرفه كل واحد ، وكذلك فهناك أحاديث كثيرة وردت في إسلام عبدالمطلب وأبي طالب عليهما السلام .

فمنها: عن مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنه قال: والله ما عبد أبي وجدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين ابراهيم متمسكين به (3) . (4)

وأما إسلام أبي طالب عليه السلام مجمع عليه بين الإمامية ، وقد قال الشيخ المفيد رحمه الله في أوائل المقالات : اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله صلى الله عليه وآله من لدن آدم إلى عبدالله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّوجلّ وأجمعوا على أن أبا طالب مات مؤمناً ، وأن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد. (5).

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام إن أبا طالب كان مسلماً ، وعليه إجماع الإمامية (6) ، وادعى الإجماع على إسلامه جمع كثير من علماء الشيعة.

وروى المفيد قدس سره بإسناد يرفعه لما مات أبو طالب أتى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فآذنه بموته فتوجع توجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً، ثم قال لأميرالمؤمنين : إمض يا علي ، فتولَّ غسله وتحنيطه وتكفينه ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني ، ففعل ذلك أميرالمؤمنين ، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي صلى الله عليه وآله فرقّ وحزن فقال : وصلت رحماً وجزيت خيراً يا عم ، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً ، ثم أقبل على الناس وقال: أما والله لاشفعن لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين. (7)

وعن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام أنه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال : نعم ، فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كان كافراً ؟ فقال عليه السلام : واعجباً كل العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نهاه الله تعالى أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات ، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبوطالب رضي الله عنه. (8)

وقال عبدالرحمن بن كثير: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إن الناس يزعمون أن أباطالب في ضحضاح من نار ! فقال : كذبوا ، ما بهذا نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله ، قلت : وبما نزل ؟ قال : أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إن اصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة ، ثم قال: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب ، فقال : يا محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب (9).

والأشعار الدالة على إسلام أبي طالب ـ التي قالها في مدح الرسول صلى الله عليه وآله ـ كثيرة منها:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً * نبياً كموسى خط في أول الكتب

ومنها :

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا (10)

وأخرج ابن سعد في طبقاته (11) عن عبدالله بن أبي رافع عن علي عليه السلام قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب فبكى ، ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وقال اليعقوبي في تاريخه (12) قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله إن أبا طالب قد مات! عظم ذلك في قلبه واشتد

له جزعه ، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن اربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ، ثم قال : يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلت رحماً وجزيت خيراً .

فبعد ما ورد من الأَخبار والآثار الكثيرة التي يعجز الإِنسان عن إحصائها، هل يرضى المسلم نسبة الكفر والشرك إلى أبي طالب الذي حامى عن الرسول في جميع الأَحوال ، ولولاه لقتله المشركون ، وكان هو الحامي للرسول صلى الله عليه وآله ، وحين مات أبو طالب بكى عليه الرسول صلى الله عليه وآله (13) وصلى عليه ودفنه عند قبر جده عبدالمطلب ، وجاء إلى زيارة قبره مكرراً حينما كان في مكة ، وهل يجوز على رأيكم أن يفعل النبي صلى الله عليه وآله كل هذا لإِنسان مشرك؟ حاشاه وظني أن نسبة الشرك إلى أبي طالب عليه السلام جاءت من جهة المعاندة لابنه علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أنهم ماوجدوا منقصة لعلي عليه السلام إلا نسبة الشرك إلى أبيه أبي طالب عليه السلام . (14)

---

(1) هو : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، جد النبي صلى الله عليه وآله ويسمى بشيبة الحمد لشيبة كانت في رأسه حين ولد كان عبد المطلب ذا جلالة ظاهرة ومناقب وافرة وآيات باهرة ويظهر ذلك من انحناء سرير أبرهة له ، ومن انفجار الماء تحت خف راحلته في مفازةٍ لا ماء فيها ، وتظهر جلالته وكثرة إيقانه من قصة أصحاب الفيل واحترام الفيلة له وقوله لبعض ولده : أعلَ أبا قبيس فانظر ماذا يأتي من قبل البحر ، فيظهر انّه كان عالماً بأنه يأتي الطير لاستئصال أصحاب أبرهة ، وتظهر أيضاً جلالته من حفرة زمزم ومن دخوله على سيف بن ذي يزن ، وعن ابن عباس قال : كان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلاّ هو ، إجلالاً له ، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج وهو غلام صبي فيجيء حتى يجلس على الفراش فيعظم ذلك أعمامه ويأخذون ليؤخروه ، فيقول لهم عبد المطلب : دعوا ابني فو الله إنّ له لشأناً عظيماً ، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم ، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويوصيه إلى أبي طالب . وجاء في الروايات أنه كان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، وعن أبي طالب عليه السلام: ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ، ولقد قال : إن من صلبي لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به ، وجاء عن الصادق عليه السلام أنه قال : يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمّةواحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك ، وقال : إن عبدالمطلب حجة وأبو طالب وصيّه ، وقيل ان عبد المطلب عاش مائة وأربعين سنة ، وتوفي عبد المطلب وللنبي صلى الله عليه وآله ثمان سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي حتى دفن بالحجون، ويعرف أيضاً بالمعلاة . راجع ترجمته في : سفينة البحار للقمي : ج 2 ص 139 - 140 .

(2) مُحَسِّر : هو وادٍ بين منى ومزدلفة ، ليس من منى ولا من مزدلفة ، هذا هو المشهور، وقيل : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل بين منى وعرفة ، راجع : مراصد الاطلاع : ج 2 ص1224.

(3) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 175 ح 32 ، الغدير للأميني : ج 7 ص 387 ، بحار الأنوار : ج 15 ص 144 ح 76 وج 35 ص 81 ح 22 .

(4) والجدير بالذكر هنا هو ما روي في هذا المقام عن أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد جاء عن الكراجكي بسنده عن جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام عن أبيه ، عن علي بن الحسين عليه السلام ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّك بالمكان الذي انظر لك الله وأبوك معذب في النار ، فقال : مه ، فض الله فاك ؟ والذي بعث محمداً بالحق لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار ؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب ليطفىء أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار : نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الائمّة إلاّ إن نوره من نورنا ، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام. كنز الفوائد للكراجكي : ج 1 ص 183 ، وعنه بحار الأنوار : ج 35 ص 110 ح 39 وص69 ح 3 عن الاحتجاج للطبرسي : ج 1 ص 229 - 230 .

(5) أوائل المقالات ، للشيخ المفيد : ص45 - 46 (مقالة رقم 9) (المجلّد الرابع من مصنفات الشيخ المفيد) .

(6) التبيان في تفسير القرآن للطوسي : ج 8 ص 164 ، ذكر ذلك (قدّس سرّه الشريف) عند تفسيره الآية 56 من سورة القصص . (إنّك لا تهدي من أحببت...) .

(7) إيمان أبي طالب للمفيد : ص 25 - 26 (المجلد العاشر من مصنفات الشيخ المفيد)، السيرة الحلبية : ج 2 ص 47 .

(8) بحار الأنوار : ج 35 ص 115 ح 35 ، الغدير للأميني : ج 7 ص 389 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 14 ص 69 .

(9) بحار الأنوار : ج 35 ص 111 - 112 ، الغدير للأميني : ج 7 ص 390 .

(10) تقدمت تخريجاته .

(11) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج 1 ص 123 ، السيرة الحلبية : ج 2 ص 47 .

(12) تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 35 .

(13) كما رثاه ابنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

أبا طالب عصمة المستجير * وغيث المحول ونور الظَلَمَ

لقـد هدّ فقدُك أهل الحفاظ * فصلى عليك ولـي النعـم

ولقـاك ربُّك رضـوانَـه * فقد كنت للطهر من خير عمْ

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب عليه السلام وأن يُدون وقال : تعلموه وعلموه أولادكم فانّه كان على دين الله وفيه علم كثير ، وروي عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً ، وشعره في ديوانه يدل على إيمانه ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداة أعداء رسول الله وموالاة أوليائه وتصديقه إياه بما جاء من ربه وأمره لولديه عليّ وجعفر بأن يُسلما ويؤمنا بما يدعو إليه الخ (راجع بحار الأنوار : ج35 ص 114 - 117 ، سفينة البحار : ج 2 ص 88 ، وقد روى الأبيات ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ص 9 .
(14) مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي : 41 - 45 .

حديث الثقلين

المُناظرة الخامسة والخمسون

مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوطي في حديث الثقلين
حدث لي أثناء إقامتي في الشام لقاء مع الشيخ عبدالقادر الأَرنؤوطي، وهو من علماء الشام ، وله إجازة في علم الحديث.
وقد تم هذا اللقاء من غير إعداد مني، وإنما كان من طريق الصدفة..
كان لي أحد الأَصدقاء السودانيين أسمه عادل، تعرفت عليه في منطقة السيدة زينب عليها السلام وقد أنار الله قلبه بنور أهل البيت عليهم السلام وتشيع لهم، وامتاز هذا الأَخ بصفات حميدة قل ما تجدها في غيره، فكان خلوقاً متديناً ورعاً، وقد أجبرته الظروف على العمل في إحدى المزارع في منطقة تُسمى العادلية -9كم تقريباً جنوب السيدة زينب عليها السلام ، وكان بجوار المزرعةالتي يعمل بها مزرعةأُخرى لرجل كبير السن متديّن يكنى بأبي سليمان.
فعندما عرف هذا الجار أن السوداني الذي يعمل بجواره شيعي، جاء إليه وتحدّث معه، قال: يا أخي، السودانيون سنّة طيبون ... من أين لك بالتشيع؟! هل في أُسرتك أحد شيعي؟
قال عادل: لا، ولكن الدين والقناعة لا تبتني على تقليد المجتمع والأُسرة.
قال: إن الشيعة يكذبون ويخدعون العامة.
قال عادل: أنا لم أر منهم ذلك.
قال: بلى نحن نعرفهم جيداً.
قال عادل: يا حاج، هل تؤمن بالبخاري ومسلم وصحاح السنة؟
قال: نعم.
قال عادل: إن الشيعة يستدلون على أي عقيدة يؤمنون بها من هذه المصادر، فضلاً عن مصادرهم.
قال: إنهم يكذبون ، ولهم بخاري ومسلم محرَّف.
قال عادل: إنهم لم يلزموني بكتاب مخصص، بل طلبوا مني أن أبحث في أي مكتبة في العالم العربي.
قال: هذا كذبٌ، وأنا من واجبي أن أردك مرة أُخرى إلى السنّة، « وإن يهدي بك الله رجل واحد خير لك مما طلعت عليه الشمس »(1).
قال عادل: نحن طالبي حق وهدى ، نميل مع الدليل حيثما مال.
قال: إني سأحضر لك أكبر عالم في دمشق ، وهو العلامة عبدالقادر الأرنؤوطي ، عالم جليل ، ومحدّث حافظ ، وقد حاول الشيعة إغراءه بالملايين حتى يصبح معهم ، لكنه رفض...
وافق ـ الأَخ ـ عادل على هذا الطرح ، وقال له أبو سليمان: موعدنا يوم الاَثنين أنت وكل السودانيين الذين تاثر وابالفكر الشيعي.
جاء إليَّ عادل، وأخبرني بما حدث، وطلب مني أن أذهب معه... وبفرحة شديدة قبلت هذا العرض، وتواعدت معه يوم الإثنين بتاريخ 8 صفر 1417 من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، في تمام الساعة 12 ظهراً.
وكان يوماً شديد الحر، تقابلنا في الموعد، وانطلقنا إلى المزرعة مع ثلاثة من السودانيين، وبعد وصولنا كان الأَخ عادل في استقبالنا في مزرعة خضراء تحفّها الأَشجار المثمرة من الخوخ والتفاح والتوت وغيرها من الفواكه التي لا توجد عندنا في السودان.
وبعدها أخذنا نحث الخطى إلى مزرعة جاره السني، فاستقبلنا بحفاوة بالغة، وبعد قليل من الاستجمام في ذلك المكان الذي تحيط به الخضرة من كل حدب، قمت إلى صلاة الظهر، وفي أثناء الصلاة، جاءت قافلة في مقدمتها سيارة تحمل الشيخ الأَرنؤوطي، وقد امتلأ المكان بالناس وخارج المبنى بالسيارات، وعلت الدهشة وجوه أصحابي السودانيين من هيبة هذا المقام، لأَنهم لم يتصوروا أن الأَمر بهذا الحجم، وبعدما استقر كل واحد في مكانه، اخترتُ مكاناً بجوار الشيخ.
وبعد إجراء التعريف بين الجميع، تحدّث صاحب المزرعة مع الشيخ قائلاً: إن هؤلاء إخواننا من السودان ، وقد تأثروا بالتشيع في السيدة زينب عليهما السلام ، وبينهم واحد شيعي يعمل في المزرعة التي بجوارنا.
قال الشيخ: أين هذا الشيعي؟
قالوا له: ذهب إلى مزرعته وسيرجع بعد قليل.
قال: إذن نؤخر الحديث إلى رجوعه..
... ذهب إليه أحد السودانيين وأحضره إلى المجلس، وقد استغل الشيخ هذه الفرصة،بقراءة أحاديث كثيرة يحفظها

عن ظهر قلب، وكان موضوعها أفضلية بعض البلدان على بعض ، وخاصة الشام ودمشق، وقد أخذ هذا الموضوع حوالي نصف ساعة ـ وهو موضوع لا جدوى فيه ـ ، وقد تعجبت منه كثيراً كيف لا يستغل هذا الظرف، وقد أعاره الجميع عقولهم بحديث يستفيدون منه في دينهم ودنياهم، ثم قال: إن دين الله لا يؤخذ بالحسب والنسب، وقد جعل الله شرعه لكل الناس، فبأي حق نأخذ ديننا من أهل البيت:؟! وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بكتاب الله وسنته ، وهو حديث صحيح لا يستطيع أحد تضعيفه، ولا يوجد عندنا طريق آخر غير هذا الطريق وضرب بيده على ظهر عادل وقال له: يا إبني، لا يغرنَّك كلام الشيعة.

استوقفته قائلاً: سماحة الشيخ، نحن باحثون عن الحق، وقد اختلط علينا الأمر ، وجئنا كي نستفيد منك عندما عرفنا أنك عالم جليل ومحدّث وحافظ.

قال: نعم.

قلت: من البديهيات، التي لا يتغافل عنها إلا أعمى أن المسلمين قد تقسموا إلى طوائف ومذاهب متعددة، وكل فرقة تدعي أنها الحق وغيرها باطل، فكيف يتسنى لي، وأنا مكلف بشرع الله أن أعرف الحق من بين هذه الخطوط المتناقضة؟! هل أراد الله لنا أن نكون متفرقين، أم اراد أن نكون على ملة واحدة، نُدين الله بتشريع واحد؟! وإذا كان نعم، ما هي الضمانة التي تركها الله ورسوله صلى الله عليه وآله لنا لكي تحصن الأمة من الضلالة؟

مع العلم أن أول ما وقع الخلاف بين المسلمين كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، فليس جائز في حق الرسول أن يترك أمته من غير هدى يسترشدون به.

قال الشيخ: إن الضمانة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله لتمنع الأمة من الاختلاف قوله صلى الله عليه وآله : إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنتي(2).

قلت: لقد ذكرت قبل قليل، في معرض كلامك قد يكون هناك حديث لا أصل له ، أي غير مذكور في كتب الحديث.

قال: نعم.

قلت له: هذا الحديث لا أصل له في الصحاح الستة، فكيف تقول به، وأنت رجل محدّث؟

.... هنا، شبت ناره، وأخذ يصرخ قائلاً: ماذا تقصد، هل تريد أن تضعّف هذا الحديث.

تعجبت من هذه الطريقة، وعن سبب هيجانه مع أنني لم أقل شيئاً.

فقلت: مهلاً، إنَّ سؤالي واحد ومحدد، هل يوجد هذا الحديث في الصحاح الستة؟

قال: الصحاح ليست ستة، وكتب الحديث كثيرة، وإن هذا الحديث يوجد في كتاب الموطأ للإمام مالك(3).

قلت ـ متوجها إلى الحضور ـ : حسناً،قد اعترف الشيخ أن هذا الحديث، لا وجود له في الصحاح الستة، ويوجد في موطأ مالك..

فقاطعني ـ بلهجة شديدة ـ قائلاً: شو، الموطأ مو كتاب حديث؟

قلت: الموطأ كتاب حديث ، ولكن حديث: كتاب الله وسنتي مرفوع في الموطأ من غير سند ، مع العلم أن كل أحاديث الموطأ مسندة.

هنا صرخ الشيخ بعدما سقطت حجته، وأخذ يضربني بيده ويهزني شمالاً ويميناً: أنت تريد أن تضعّف الحديث، وأنت مَنْ حتى تضعّفه... حتى خرج عن حدود المعقول، وأخذ الجميع يندهش من حركاته وتصرفه هذا.

قلت: يا شيخ! هنا مقام مناقشة ودليل ، وهذا الأسلوب الغريب الذي تتبعه لا يجدي، وقد جلست أنا مع الكثير من علماء الشيعة، ولم أر مثل هذا الأسلوب أبداً، قال تعالى: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(4).. وبعد هذا، هدأ قليلاً من ثورته.

قلت: أسألك يا شيخ: هل رواية مالك لحديث كتاب الله وسنتي ، في الموطأ، ضعيفة أم صحيحة؟!

قال ـ بتحسر شديد ـ : ضعيفة.

قلت: فلماذا إذن، قلت: أن الحديث في الموطأ ، وأنت تعلم أنه ضعيف؟ قال ـ رافعاً صوته ـ : إنَّ للحديث طرق أخرى.

قلت للحضور: قد تنازل الشيخ عن روايةالموطأ، وقال: إن للحديث طرق أخرى، فلنسمع منه هذه الطرق.

... هنا أحس الشيخ بالهزيمة والخجل، لأن ليس للحديث طرق صحيحة ، وفي هذه الأثناء، تحدث أحد الجلوس، فوكزني الشيخ بيده، وقال لي وهو مشيراً إلى المتحدث: إسمع له والتفت ، يريد بذلك الهروب من السؤال المحرج الذي وجهته له.

أحسست منه هذا، ولكني أصررت وقلت: أسمعنا يا شيخ الطرق الأخرى للحديث؟؟

قال ـ بلهجة منكسرة ـ : لا أحفظها، وسوف أكتبها لك.

قلت: سبحان الله! ، أنت تحفظ كل هذه الأحاديث، في فضل البلدان والمناطق، ولا تحفظ طريق أهم الأحاديث ، وهو مرتكز أهل السنة والجماعة، والذي يعصم الأمة عن الضلالة كما قلت... فظل ساكتاً.

وعندما أحس الحضور بخجله، قال لي أحدهم: ماذا تريد من الشيخ وقد وعدك أن يكتبها لك، قلت: أنا أقرّب لك الطريق، إن هذا الحديث يوجد أيضاً في سيرة ابن هشام(5)من غير سند.
قال الشيخ الأرنؤوطي: إن سيرة ابن هشام، كتاب سيرة وليس حديث.
قلت: إذن تضعّف هذه الرواية.
قال: نعم.
قلت: كفيتني مؤونة النقاش فيها.
وواصلت كلامي قائلاً: ويوجد أيضاً في كتاب الإلماع للقاضي عياض(6) وفي كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي(7).. هل تأخذ بهذه الروايات؟
قال: لا.
قلت: إذن، حديث كتاب الله وسنتي ، ضعيف بشهادة الشيخ، ولم يبق أمامنا إلا ضمانة واحدة تمنع الأُمة من الاختلاف، وهي حديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد روته كتب الحديث السنية، والصحاح الستة ما عدا البخاري وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأَرض، وعترتي أهل بيتي، فإن العليم الخبير، انبئني انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. كما في رواية أحمد بن حنبل(8) ، ولا مناص لمؤمن يريد الإسلام الذي أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله غير هذا الطريق، وهو طريق أهل البيت المطهرين في القرآن الكريم من الرجس والمعاصي، وذكرت مجموعة من فضائل أهل البيت عليهم السلام ، والشيخ ساكت لم يتفوه بكلمة طوال هذه المدة ـ على غير عادته ـ فقد كان يقاطع حديثي بين كلمة وأُخرى.
وعندما رأى مريدوه الإنكسار في شيخهم، أصبحوا يهرّجون ويمرّجون.
قلت: كفى دجلاً ونفاقاً، ومراوغة عن الحق، إلى متى هذا التنكر؟!! والحق واضحة آياته، ظاهرة بيناته، وقد أقمتُ عليكم الحجة، بأن لا دين من غير الكتاب والعترة الطاهرة من آل محمد صلى الله عليه وآله .
وظل الشيخ ساكتاً ولم يرد عليَّ كلمة واحدة. فقام منتفضاً قائلاً:أنا أريد أن أذهب، وأنني مرتبطٌ بدرس، مع العلم أنه كان مدعواً لطعام الغذاء!!.
أصر عليه صاحب المنزل بالبقاء، وبعد إحضار طعام الغذاء، هدأ المجلس، ولم يتفوه الشيخ بكلمة واحدة في أي موضوع كان، طيلة جلسة الغذاء، وقد كان فيما سبق هو صاحب المجلس والحديث أولاً!...
هكذا مصير كل من يراوغ ويخفي الحقائق، فلا بد أن ينكشف أمام الملأ..(9)

---

(1) بحار الأنوار : ج 1 ص 215 ح 26 ، وج 2 ص 146 ح 15 .
(2) كنز العمال : ج 1 ص 186 ح 948 .
(3) الموطأ لمالك بن أنس : ج 2 ص 899 ح 3 (كتاب القدر) وإليك نص الحديث كما جاء في الموطأ ، قال : وحدثني عن مالك ، أنّهُ بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تَمسَكتُمْ بهما : كتاب الله وسنّة نبيه .
(4) سورة آل عمران : الآية 159 .
(5) السيرة النبويّة لابن هشام : ج 4 ص 251 .
(6) الألماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع للقاضي : ص9.
(7) كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: ج 1 ص 94 .
(8) مسند أحمد بن حنبل : ج 3 ص 17 ، كنز العمال : ج 1 ص 173 ح 873 و 943 - 945.
(9) الحقيقة الضائعة ، للشيخ معتصم السوداني : ص 49 - 56 .

المُناظرة السادسة والخمسون

مناظرة السيد محمد جواد المُهري مع الأستاذ عمر الشريف في حديث الثقلين

بعد تبادل التحية والسلام مع الأَستاذ، بدأت الحديث بالشكل التالي:

يا حضرة الأَستاذ، كنّا قد اتفقنا على مطالعة ودراسة الآيات النازلة في ولاية علي وأهل بيته عليهم السلام، وقد بحثنا في ما سبق آية منها ، وهي آية الولاية، وأريد الآن أن أنقل لك حديثاً مشهوراً ومتواتراً جداً، يكفي لوحده لإثبات خلافة علي عليه السلام بلا منازع.

هذا الحديث الشريف هو الذي أشرنا إليه في ما سبق مرة أو مرتين أثناء حوارنا ، ويعرف بحديث الثقلين، وهو موضع إجماع العلماء والأكابر من السنة والشيعة، ونقله أكابر السنة في صحاحهم ومسانيدهم، قال ابن حجر في الصواعق المحرقة: « ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابيا »(1).

ونقل أحمد بن حنبل في مسنده ما يلي: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أوشك أن أُدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأَرض ، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما »(2). وأورده مسلم أيضاً في صحيحه.(3)

دهش الأَستاذ وقطع حديثي بغتة وقال: تمّهل! هذه الرواية التي تقول أنها مشهورة ومتواترة جداً لم نسمع بها بهذه الصورة، بل سمعنا أنه قال: « كتاب الله وسنّتي ». نعم! هذه الرواية مشهورة بكلمة « سنّتي » لا « عترتي »!

قلت: يا أستاذ، وهل لديك ما يثبت صحّة هذا الكلام أو لا؟ فأنا كنت أترقب مثل هذا الاعتراض، لأَن هذه الرواية:

أولاً: جاءت في المسانيد والصحاح المختلفة ـ كما ذكرت آنفاً ـ بعبارة « عترتي أهل بيتي »، إلاّ أن الأَيدي الخفية برزت هنا مرّة أخرى وحرفت هذه الرواية، ووضعت كلمة السنّة بدل أهل البيت عليهم السلام ، ولا أدري هل هذا عداء لأَهل البيت أو هو شيء آخر لا أفقه إسمه ، ولا أدري ما أُسمّيه!؟ هَب أن شخصاً أو شخصين أو عشرة اشخاص نقلوا هذه الرواية بكلمة « سنتي » ولكن ماذا عساها أن تكون في قبالة سيل الروايات التي جاءت بصيغة « عترتي أهل بيتي »؟

ولو أنك صبرت حتّى أنقل لك نصّ الرواية مع عدد من الأَسانيد الصحيحة والقطعية لكان أفضل، وأنا أُعطيك الحقّ في هذا لأَنك لم تنقل هذه الرواية من المسانيد الأَصلية بل من الكتب المطبوعة حديثاً ، والتي تدرس حتّى في المدارس، فإن رأيت هذا الاعتراض في موضعه فمن الأَفضل ـ مع فائق الاعتذار ـ بحث الروايات المختلفة لكتبكم من مصادرها الأَصلية حتى تقف على هذه التحريفات.

وقد سمعت أن الجامع الأَزهر استحدث مؤخراً قسماً خصصه لدراسة التحريف والتلاعب في المصادر الأَصلية للحديث والسنة، ولعلهم يوقعون التحريف حتى في صحيحي البخاري ومسلم مع مالهما من شهرة.

الأَستاذ: لا علم لي بالقسم المذكور في الجامع الأَزهر، ولعل هذا نوع من الافتراء والتهمة لا أكثر، هذا مع أنّا لا نجهل كتبنا إلى هذا الحد الذي تقوله فإن هذه الرواية منقولة في مستدرك الحاكم ، وقد نصّت صراحة على « كتاب الله وسنّتي »، وأنت تعلم أن كتاب المستدرك للحاكم من الكتب الصحيحة والمعتبرة عند السنة، وإن نقل الآخرون فإنما نقلوا عنه، لا بمعنى أنهم حرفوا.

قلت: أعتذر إن كنت قد أغضبتك، فقضية جامع الأَزهر مثلما ذكرتها لك سماعية، وليس لدي معلومات دقيقة عنها، طبعاً أحد علماء الأَزهر واسمه « محمود أبو ريّه » هو من كبار علماء السنة في مصر، وله كتب تحقيقية كثيرة، وهو الذي ذكر هذا الموضوع لأَحد أقاربي، وأرجو أن لا يكون صحيحاً، وإنه لمن دواعي السرور أن تعرف سند هذه الرواية.

طبعاً أنا أدرك سعة معلوماتك وعمق معرفتك ، ومن الطبيعي إننا ننقّب في الكتب السنية أكثر منكم بحثاً عن الروايات ، لأَننا مضطرون لأَجل مناظرة أهل السنّة للبحث في كتبهم، ولكننا مع هذا نعتقد بوجوب بذلكم المزيد من الدراسة والدقّة في كتبكم، فالرواية التي نتحدث عنها قد رأيت (متنها) في المستدرك بلفظة « سنتي »(4).

ووردت في صحيح مسلم(5)الذي يُعد أكثر اعتباراً وأهمية من مستدرك الحاكم بعبارة « أهل بيتي »، وهذه العبارة وردت في مصادر أخرى أيضاً، ولم ترد كلمة « سنتي » إلاّ في مستدرك الحاكم، إذن فالإجماع على « أهل بيتي » وهذه الرواية يجب أن تذكر وتطبع في الكتب بدلاً من الرواية التي وردت فيها كلمة سنّتي.

أؤكد هنا ثانية ، أن بعض الأَيدي تستهدف حذف الروايات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام ولكنها لم تحقّق هدفها طبعاً، لأَن العصر عصر التقدم والدراسة ولا يمكن إرغام الناس على اتباع هذا الدين أو ذلك المذهب:(لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي)(6).

نعود إلى ذكر الرواية وسندها القطعي في الكتب المعتبرة جهد الإمكان جاء في صحيح مسلم ـ كما ذكرنا ـ عن زيد

بن أرقم أنه قال: « قام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال: أما بعد، ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتى ، أذكركم الله في أهل بيتي(7)، أذكركم الله في أهل بيتي »(8).

وجاء في سنن الترمذي بسنده الصحيح عن جابر بن عبدالله أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفة ، وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول: « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي »(9).

ونقل الترمذي بعد هذه الرواية عن زيد بن أرقم رواية بالنصّ التالي: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني كيف تخلفوني فيهما »(10).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر أضيفت الجملة التالية ـ عن الطبراني ـ : « فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »(11).

ونقل الحاكم في الجزء الثالث من المستدرك هذه الرواية نفسها بمزيد من التفصيل ، وقال في ختامها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ثلاث مرّات: « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ » قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: « فمن كنت مولاه فعلي مولاه »(12)، وجاءت أيضاً في كنز العمال نقلاً عن ابن جرير وبسنده عن أبي الطفيل(13)، ونقل النسائي في خصائصه هذا الحديث نفسه ضمن حديث غدير خم عن زيد بن أرقم(14).

كانت هذه بعض الأسانيد المعروفة لهذا الحديث الذي ورد أيضاً في مواضع متعددة من كتب الحديث الأخرى التي ليس الآن وقت بحثها، وعلى العموم بلغت هذه الرواية حد التواتر عند السنّة والشيعة، وأعتقد أن هذا الحديث كافٍ وحده لإثبات أحقّية اتباع أهل البيت:، ويضيء كالشمس الساطعة في ظلمة العالم المعاصر ، ويفتح سبيل الهداية أمام الباحثين عن الحقيقة، ويجلي الحق ويظهره.

تعالوا وانظروا إلى هذه الرواية بقلب نقي، على أن تحرروا أنفسكم مسبقاً من كل ألوان التعصب المذهبي وغير المذهبي، وتغاضوا عن معتقدات الآباء والأجداد ، ولا تأخذوها بنظر الاعتبار في إزاء الحق، وتأملوا هذا الحديث المقدّس بنظرة عميقة وفكروا فيه حتّى تصلوا إلى النتيجة التي تخرجكم من التيه والضياع، وترشدكم إلى الطريق الذي اختاره لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمركم به.

لم يشأ رسول الله الذي شملت رأفته ورحمته الأمة أن يرحل عنها إلاّ وقد هداها إلى سبيل الحق، وكيف له أن يتركهم بلا وصية، وبدون تعيين الخليفة والوصي؟

أراد الرسول في هذه الوصية أن يبّين لأصحابه أنهم إذا شاءوا مواصلة السير على طريق الهداية فعليهم بالتمسّك بميراثيه ، وهما القرآن والعترة لكي لايضلّوا بعده أبداً، وأراد أن يوضّح للأجيال القادمة أن الحق لا يمكن بلوغه إلاّ عبر هذين الثقلين.

فاذا شئتم النجاة في منعطفات هذه الحياة الحافلة بالفتن فاعتصموا بهذه التركة ، التي خلّفها لكم الرسول وهي القرآن والعترة، واذا أردتم إرتقاء البناء الشامخ للحق والحقيقة، وصعود قمة الإيمان فلابد لكم ومن غير شك بسلَّمٍ متين يمكن التعويل عليه، وإلاّ فسوف تزل أقدامكم في الخطوة الأولى وتسقطون في وادي الهلكة وهاوية الضلالة.

نعم، إذا أردتم معرفة الأحكام الإلهية بكل اطمئنان، وإدراك معاني القرآن فاستعينوا بمفسرّيه الحقيقيين، وبأهل الذكر، وبالخلفاء الحقيقيين للرسول وتمسّكوا بهم، ولا تسلكوا وديان الضلالة من غير دليل.

وإذا أردتم أن تبقوا إلى الأبد في مأمن من الإنحراف والزيغ، فعليكم بمعرفة كنه كتاب الله، وتوجهوا إلى من لديهم علم الكتاب وهم سفينة النجاة، وإياكم والإعراض عنهم أو التقدم عليهم أو الانفصال عنهم، فهم عدل القرآن والمعصومون عن الخطأ والنسيان.

ألم يذكرهم الرسول إلى جانب القرآن؟ ألم يطهّرهم الرحمن من كل رجس ونجس؟ أليسوا هم أجر الرسول صلى الله عليه وآله قبال مشقة إبلاغ الرسالة؟ ألم يعلن الرسول إلى الناس ما جاء من الوحي بحقّهم، وهو قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى)؟(15)

وهل تصدق المودة بمجرد الإدعاء؟ وهل المودّة إلا الإتباع الصادق؟ ولم لا؟ وهل هناك ثقل ثالث؟ إذن ليس من خليفة للرسول إلاّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام ، ولو تمسّكنا بهما فهو الفلاح، وإلاّ فإنّ أي طريق آخر لا يقود سوى إلى الهاوية، الكتاب والعترة محك التمييز بين الأنصار الأوفياء والمنافقين.

ولم يكن اعتباطاً قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « لا يحبك إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافق »(16).

الكتاب والعترة مع بعضهما مفتاح الفلاح؛ لأن العترة هم اللسان الناطق للقرآن، وأنّى لنا لولاها من إدراك معاني

القرآن العميقة وتشخيص محكمه من متشابهه، ومعرفة الناسخ والمنسوخ؟
إن الكتاب والعترة يستطيعان سوية إنقاذنا من الضلالة في هذا العالم المتلاطم الذي يعرض كل شخص فيه رأياً واجتهاداً، ويعتبر نفسه مبيّناً للقرآن، وهم في ما بينهم مختلفون، وكل هؤلاء الأئمة الذين ناصروا خلفاء الجور من بني أميّة وبني العباس لأجل أهوائهم ونزواتهم، ودسوا كل هذه الروايات الكاذبة والإسرائيليات في السنة النبوية المطهرة إرضاءً للحكام، كيف يمكن التعويل عليهم؟ فحينما يكون علياً عليه السلام كيف يمكن الإنقياد لمعاوية؟ وعندما يكون هناك حق، كيف يجوز التمسّك بالباطل؟
كفى غفلة! وكفى غياباً عن الذات! وكفى تجاهلاً لوصية الرسول عليه السلام ! كيف ندّعي اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وآله ونحن نأتي ما تأمر به أهواؤنا النفسية؟ فنقبل بعض الأحكام وننكر بعضها، عسى الله أن لا يشملنا بمفاد الآية الشريفة التي تقول: (إنّ الّذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً* أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)(17).
فالكفار كانوا يفرقون بين الرسل، ونحن نفرق بين أقوال رسولنا، ومع أن الله ورسوله إذا أرادا أمراً، فلا مجال للتأخير والتأويل، بل تجب الطاعة التامة ولا ينبغي أن نأتي برأي من عندنا، ولكن مع كل الأسف نلاحظ أن كلام الرسول يعارض أحياناً إلى حد اتهامه بأنه يهجر.
دقّقوا النظر في هذه الرواية التي نتحدّث عنها، فقد وردت في أكثر المصادر عبارة « وعترتي أهل بيتي »، ومع هذا لا نجد اليوم في كتب السنة سوى « وسنّتي ». وهذا ليس تناقضاً بل تحريفاً، وهذه معارضة واضحة وصريحة من أهل السنّة لإجماع علماء الحديث.
غطّ الأستاذ في تفكير عميق، ثم رفع رأسه وقال: مع كل هذه المصادر التي ذكرتها لا يبقى ثمة مجال للتأويل، فإنه من الواضح أن هناك غرضاً وراء استبدال كلمة « عترتي » بكلمة « سنتي ». وربّما يكون هناك شخص اقترف مثل هذا العمل عمداً أو جهلاً، ثم تابعه آلاف الناس على ذلك.
وعلى كل حال فالحقّ معك، ولكن يتبادر هنا سؤال إلى الذهن وهو: من هم أهل بيت الرسول؟ هل هم الأئمة الذين تعتقدون بهم، أم يشمل هذا المفهوم آخرين غيرهم؟ ولا يفوتني التذكير هنا بأن آلاية الشريفة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)(18)قد وردت بين الآيات التي تتحدث عن نساء النبي، فهل نساء النبي من أهل البيت أم لا؟
أوكلت الاجابة عن هذه الأسئلة إلى اللقاء التالي بسبب تأخّر الوقت(19).

---

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر: ص .150
(2) مسند أحمد بن حنبل : ج3 ص.17
(3) صحيح مسلم : ج 4 ص 1873 ح 36 ، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 149 - 150.
(4) المستدرك للحاكم : ج 1 ص 93 .
(5) صحيح مسلم : ج 4 ص 1873 ح 36 .
(6) سورة البقرة: الآية 256.
(7) وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة : ص 150 عن مسلم - كما في مسنده : ج 4 ص1874 ح 37 - عن زيد بن أرقم الحديث ... وزاد أذكركم الله في أهل بيتي قلنا لزيد من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال : لا أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .
(8) صحيح مسلم : ج4 ص1873 ح 36 (ك الصحابة ب 4 من فضائل علي بن أبي طالب)، السنن الكبرى للبيهقي : ج2 ص148 كتاب فضائل الصحابة (44) (ب من فضائل علي) ح 36 | 2408 ، مصابيح السنّة للبغوي : ج4 ص185 ح 4800.
(9) الجامع الصحيح للترمذي : ج5 ص621 ح 3786.
(10) الجامع الصحيح للترمذي : ج5 ص622 ح 3788.
(11) الصواعق المحرقة لابن حجر: ص150.
(12) المستدرك للحاكم : ج3 ص109.
(13) كنز العمال : ج13 ص104 ح 36340.
(14) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ص100 ح 84.
(15) سورة الشورى : الآية 23 .
(16) الجامع الصحيح للترمذي : ج 5 ص601 ح 3736، وكنز العمال : ج11 ص598 ح 32878.
(17) سورة النساء: الآية 150 و151.
(18) سورة الأحزاب: الآية 33.

(19) مذكرات المدرسة للسيد محمد جواد المُهري : 119 - 127 .

الرجعة

المُناظرة السابعة والخمسون

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الفقهاء وأهل الكلام في الإمامة والمغالاة الرجعة والتناسخ
عن الحسن بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة.
فسأله بعضهم فقال له : يا بن رسول الله بأيّ شيء تصح الإمامة لمدّعيها ؟
قال : بالنص والدليل .
قال له : فدلالة الإمام فيم هي ؟
قال : في العلم واستجابة الدعوة .
قال : فما وجه إخباركم بما يكون ؟
قال : ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله .
قال : فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس .
قال عليه السلام له : أما بلغك قول الرسول صلى الله عليه وآله « اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله »(1) .
قال : بلى .
قال : وما من مؤمن إلاّ وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله في الأئمّة منا ما فرّقه في جميع المؤمنين .
وقال عزّ وجلّ في محكم كتابه : (إِنَّ في ذلك لآياتٍ للمُتَوسمين)(2) فأوّل المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ثمّ الحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة .
قال : فنظر إليه المأمون فقال له : يا أبا الحسن زدنا ما جعل الله لكم أهل البيت .
فقال الرضا عليه السلام : إنَّ الله عزّ وجلّ قد أيَّدنا بروح منه مقدسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن كان مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمّة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ .
قال له المأمون : يا أبا الحسن ، بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ ؟
فقال الرضا عليه السلام : حدّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفعوني فوق حقّي فإن الله تبارك وتعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبياً(3).
قال الله تبارك وتعالى : (ما كان لبشرٍ أنْ يُؤتِيهُ اللهُ الكِتَابَ والحُكمَ والنبوَّةَ ثُمَّ يقولَ للناسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكن كُونُوا رَبَّانيّين بما كُنتم تُعَلِّمونَ الكتابَ وبما كُنتُم تدرسون ، ولا يأمركم أن تَتَّخِذوا الملائكةَ والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذْ أنتم مُسلمون)(4).
قال علي عليه السلام : يهلك فيَّ اثنان ولا ذنب لي، محبٌّ مفرطٌ ومبغضٌ مفرط ، وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى(5).
قال الله تعالى : (وإذْ قَالَ الله يا عيسى بن مريم ءأنتَ قُلتَ للناسِ اتَّخذوني وأُمّي إلهين من دون الله قالَ سبحانك ما يكونُ لي أنْ أقول ما ليسَ لي بحقٍّ إن كنت قُلته فقد عَلِمته تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسك إنّك أنتَ علاّمُ الغيوبِ ، ما قُلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا اللهَ ربي وربَّكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلمَّا توفَّيتني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنتَ على كلّ شيء شهيد)(6). وقال عزّ وجلّ : (لَن يَستنكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عَبداً للهِ ولا الملائكةُ المُقرَّبونَ)(7). وقال عزّ وجلّ : (ما المسيح بن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ وأُمُّهُ صدّيقةٌ كانا يأكلانِ الطعامَ)(8) ومعناه أنهما كانا يتغوَّطان ، فمن ادَّعى للأنبياء ربوبية وادَّعى للأئمّة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمّة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة.
فقال المأمون : يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة ؟
فقال الرضا عليه السلام : إنّها لحق كانت في الأُمم السالفة ونطق بها القرآن ، (9) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يكون في هذه الأُمّة كل ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة(10).
قال عليه السلام : إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه، وقال صلى الله عليه وآله : إنّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً(11)، فطوبى للغرباء(12)قيل : يا رسول الله ثمّ يكون ماذا ؟ قال : ثمّ

يرجع الحق إلى أهله .
فقال المأمون : يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ(13)؟
فقال الرضا عليه السلام : من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار(14).
قال المأمون : ما تقول في المسوخ ؟
قال الرضا عليه السلام : إن أُولئك قومٌ غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيّام ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا ، فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخية فهو مثل ما لا يحل أكلها والانتفاع بها.
قال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلاّ عند أهل البيت وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً.
قال الحسن بن الجهم : فلمّا قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له : يا بن رسول الله الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك .
فقال عليه السلام : يا بن الجهم لا يغرّنّك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني، فإنّه سيقتلني بالسم ، وهو ظالم لي ، إنّي أعرف ذلك بعهد معهود إليَّ من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاكتم هذا ما دمت حيّاً .
قال الحسن بن الجهم : فما حدّثت أحداً بهذا الحديث إلى أن مضى عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه(15).

---

(1) سنن الترمذي : ج5 ص278 ح3127 ، حلية الأولياء : ج4 ص94 ، المعجم الكبير للطبراني : ج8 ص121 ح7497 ، مجمع الزوائد : ج10 ص268 .
(2) سورة الحجر: الآية 75 .
(3) المعجم الكبير للطبراني : ج3 ص138 - 139 ح2889 ، مجمع الزوائد ج9 ص21 .
(4) سورة آل عمران : الآية 79 و80 .
(5) ورد هذا الحديث بتفاوت أنظر : مسند أحمد : ج 1 ص 160، المستدرك للحاكم: ج3 ص123، ذخائر العقبى: ص92، نظم درر السمطين: ص104، مجمع الزوائد: ج9ص133.
(6) سورة المائدة : الآية 116 و117 .
(7) سورة النساء : الآية 172 .
(8) سورة المائدة : الآية 75 .
(9) كما في قوله تعالى : (ألم ترَ إلى الَّذين خَرجُوا مِن ديارهم وَهُم أُلوفٌ حَذَرَ الموت فقال لهم الله موتوا ثُمَّ أحياهُم) البقرة | 243 . كما يدلّ على وقوع الرجعة مستقبلاً قوله تعالى : (وَيومَ نَحشرُ مِن كُلّ أُمةٍ فُوجاً ممَن يُكذبُ بآياتِنا فَهم يُوزعُون) النمل | 83.
(10) مسند أحمد بن حنبل : ج 5 ص 340 ، كنز العمال : ج 11 ص 134 ح 30924 ، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج2 ص576 ، عنه بحار الأنوار : ج28 ص10 ح15 ، مجمع البيان للطبرسي : ج 7 ص 367 .
(11) قال الجزري : أي أنّه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلّة المسلمين يومئذٍ ، وسيعود غريباً كما كان أي يقلّ المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء فطوبى للغرباء أي الجنّة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أوّل الاسلام ويكونون في آخره ، وإنّما خصّهم بها لصبرهم على أذى الكفّار أوّلاً وآخراً ولزومهم دين الإسلام . (بحار الأنوار : ج 8 ص 12) .
(12) صحيح مسلم : ج1 ص130 ح232 - (145) ، مسند أحمد : ج4 ص73 ، تاريخ بغداد للخطيب : ج3 ص272 ، مجمع الزوائد : ج7 ص278 ، مشكل الآثار للطحاوي : ج 1 ص297.
(13) وهناك من التبس عليه الحقّ فخلط بين الرجعة والتناسخ ولم يفهم الفرق بينهما وادَّعى أنّ الرجعة نوعٌ من التناسخ ، وكما لا يخفى أنّ التناسخ كما يعتقد أصحابه هو : انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر غير الأوّل، والذين يعتقدون ذلك يُسمون (التناسخية)، وهؤلاء من جملة اعتقاداتهم كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام (البحار ج4 ص320 ح 3) : ...والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، إن كان محسناً في القالب الأوّل أُعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوّهة الخلقة الخ .
وأمّا الرجعة فهو رجوع النفس إلى البدن الأوّل بمشخصاته النفسية لا أنّها تحلّ في بدن آخر غير الأوّل .
(14) بحار الأنوار للمجلسي : ج 4 ص 320 ح 1 .
(15) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج1 ص216 - 218 ب 46 .

المُناظرة الثامنة والخمسون

مناظرة السيد الحميري (1)مع سوار القاضي (2)في الرجعة
قال الحرث بن عبيد الله الربعي : كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر ، وسوار ـ بن عبد الله القاضي ـ عنده ، والسيد ينشده:

إنّ الإلــه الذي لا شيء يشبهه * آتاكم المُلــك للدنيــا وللــدين
آتاكــم الله ملــكاً لا زوال له * حتى يقاد إليكم صــاحب الصيــن
وصاحب الهنــد مأخوذ برمّته * وصاحب الترك محبوس على هون(3)

حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور، فقال سوار : هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، وإنّه لينطوي في عداوتكم.
فقال السيد : والله إنّه لكاذب ، وإنني في مديحك لصادق ، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي ومودّتي لكم أهل البيت لمعرق لي فيها عن أبوي ، وإن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه ـ عليه وآله السلام ـ في أهل بيت هذا : (إنَّ الذينَ يُنادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُراتِ أكثَرُهُم لا يَعقِلونَ)(4).(5)
فقال المنصور: صدقت .
فقال سوار : يا أمير المؤمنين إنّه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما.
فقال السيّد : أما قوله بأنّي أقول بالرجعة فإنَّ قولي في ذلك على ما قال الله تعالى : (وَيَومَ نَحشُرُ مِن كلّ أُمّةٍ فَوجاً ممّن يُكَذّبُ بِآياتِنا فَهم يُوزعُون)(6) ، وقد قال في موضع آخر : (وَحَشَرناهُم فَلم نُغادِر مِنهُم أحَداً)(7)، فعلمت أن هاهنا حشرين(8) أحدهما عام والآخر خاص، وقال سبحانه : (رَبَّنا أَمَتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فَاعترفنا بذُنوبِنا فَهل إلى خروج من سَبيلٍ)(9)(10) وقال الله تعالى : (فَأَماتَهُ اللهُ مائةَ عام ثمَّ بعثهُ)(11)وقال الله تعالى : (ألم تَرَ إلى الذينَ خَرجوا مِن دِيارِهِم وَهُم أُلوفٌ حَذَرَ الموتِ فَقَالَ لَهُم اللهُ مُوتوا ثُمَّ أحياهُم)(12).
فهذا كتاب الله عزّ وجلّ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « يُحشر المتكبرون في صور الذر يوم القيامة »(13)، وقال صلى الله عليه وآله : « لم يجر في بني إسرائيل شيء إلاّ ويكون في أُمّتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف »(14)، وقال حذيفة : « و الله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الأُمّة قردة وخنازير »(15).
فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنّة، وإنّني لأعتقد أن الله تعالى يرد هذا ـ يعني سواراً ـ إلى الدنيا كلباً ، أو قرداً أو خنزيراً، أو ذرة ، فإنّه والله متجبّر متكبّر كافر.
قال : فضحك المنصور وأنشد السيّد يقول :

جاثيت سوّاراً أبــا شملــة * عند الإمام الحاكم العــادل
فقال قــولاً خطــلاً كلّــه * عند الورى الحافي والنــاعل
ما ذبَّ عمّا قلــت من وصمة * في أهله بل لـجّ في الباطل
وبان للمنصــور صـدقي كما * قد بان كذب الأنوك الجاهل
يبغض ذا العرش ومن يصطفي * من رسله بـالنيّر الفـاضل
ويشنأ الحبر الجــواد الــذي * فُضِّل بالفضل على الفاضل

ويعتدي بالحكم فـي معشـر * أدّوا حقوق الرسل للراسل

فـبيّـن الله تـزاويقـه * فصار مثل الهائم الهائل(16)

قال : فقال المنصور : كفّ عنه .
فقال السيد : يا أمير المؤمنين ، البادي أظلم ، يكفّ عنّي حتى أكفّ عنه.
فقال المنصور لسوار : تكلّم بكلام فيه نصفة، كفّ عنه حتى لا يهجوك(17).

---

(1) هو : إسماعيل بن محمد الحميري، الشاعر الطائر الصيت المولود سنة 105 والمتوفى سنة 173 أو سنة 179 في بغداد، صاحب القصيدة المشهورة :

لاَ ُمّ عمرو باللوى مربع * طامسة أعلامها بلقع

ولقبه السيّد ولم يكن علويّاً ولا هاشميّاً وإنّما السيّد لقب له ، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين، حاله في الجلالة ظاهر، ومجده باهر، قال العلاّمة في حقّه : ثقةٌ جليل القدر عظيم الشأن والمنزلة، وكان في بدء الأمر كيسانيّاً ثمّ إمامياً، وقيل له : كيف تشيّعت وأنت شامي حميري؟ فقال : صبّت عليَّ الرحمة صبّاً فكنت كمؤمن آل فرعون، وروي أن الإمام الصادق عليه السلام لقاه، فقال : سمّتك أُمّك سيّداً ووفقتْ في ذلك ، أنت سيّد الشعراء، وقيل : إن له في أهل البيت عليهم السلام نحو ألفين وثلاثمائة قصيدة .
انظر ترجمته في : تنقيح المقال للمامقاني : ج1 ص142 - 144 ترجمة رقم : 878، سفينة البحار : ج1 ص335 - 337 ، ديوان السيّد الحميري : ص 5 - 39 ، الأعلام للزركلي: ج 1 ص 320 - 321 ، فوات الوفيات : ج 1 ص 188 ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ج 7 ص 229 .
(2) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، من بني العنبر ، من تميم ، أبو عبد الله العنبري ، من أهل البصرة ، نزل بغداد وولي بها قضاء الرصافة ، له علم بالفقه والحديث، وكفّ بصره في أواخر أعوامه ، توفي ببغداد سنة 245 .
انظر ترجمته في : تاريخ بغداد : ج9ص 210 ، الأعلام للزركلي : ج 3 ص .213
(3) ديوان السيّد الحميري : ص 444 ، قصيدة رقم : 187 ، الغدير للأميني: ج2 ص.233
(4) سورة الحجرات : الآية 4 .
(5) جاء في أسباب النزول للواحدي : 219 - 220 إنَّ هذه الآية الشريفة نزلت في جُفاة بني تميم ، قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وآله فدخلوا المسجد ، فنادوا النبي صلى الله عليه وآله من وراء حجرته أن أخرج إلينا يا محمد... فأنزل الله تعالى : (أن الّذين ينادونكَ من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) .
(6)سورة النمل : الآية 83.
(7) سورة الكهف : الآية 47 .
(8) ويدلّ على ذلك ما روي عن ابن أبي عمير عن حمّاد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : ما يقول الناس في هذه الآية : (وَيومَ نحشرُ من كلّ أمّةٍ فوجاً) ؟ قلت : يقولون : إنها في القيامة ، قال : ليس كما يقولون ، إنّ ذلك في الرجعة أيحشر الله في القيامة من كلّ أُمّةٍ فوجاً ، ويدع الباقين ؟ ! إنما أية يوم القيامة قوله : (وَحشرناهُمْ فلم نغادر منهم أحداً) . وما روي عن ابن أبي عمير ـ أيضاً ـ عن المفضّل ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : (وَيومَ نحشرُ من كلّ أُمّةٍ فوجاً) ، قال : ليس أحد من المؤمنين قُتل إلاّ ويرجع حتى يموت ، ولا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضاً ، ومن محض الكفر محضاً . راجع : تفسير القمّي : ج 1 ص 24 ، وج 2 ص 131 ، البرهان في تفسير القرآن للبحراني : ج 4 ص 228 .
(9) سورة غافر : الآية 11 .
(10) روي عن محمد بن سلاّم ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : (قَالوا رَبَّنا أَمَتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فَاعترفنا بذُنوبنا فَهل إلى خروج من سَبيلٍ) ، قال : هو خاص لأقوامٍ في الرجعة بعد الموت ، فتجري في القيامة ، فبُعداً للقوم الظالمين . راجع : البرهان في تفسير القرآن للبحراني : ج 4 ص 749 .
(11) سورة البقرة : الآية 259 .
(12) سورة البقرة : الآية 243 .
(13) مسند أحمد : ج2 ص 179 ، سنن الترمذي : ج4 ص565 ح2492 ، الترغيب والترهيب للمنذري : ج4 ص388 ح23 ، إتحاف السادة المتقين للزبيدي : ج8 ص343 ، بحار الأنوار: ج7 ص 50 ح 31 وج 73 ص 219 ح 11.
(14) كنز العمّال : ج 5 ص 447 ح 13168 ، وج 14 ص 281 ح 38732 - 38734 ، بحار الأنوار: ج22 ص 452 ح 10 وج 79 ص 244 ح 18.

(15) كنز العمّال : ج 5 ص 447 ح 13169 ، وج 14 ص 281 ح 38735 .
(16) ديوان السيّد الحميري : ص 342 - 343 ، قصيدة رقم : 141 .
(17) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ص61 - 63 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج10 ص232- 234 ح 3 وج 53 ص 131 ح 161، ديوان الحميري : ص443 ، الأَغاني لأَبي فرج الأَصفهاني : ج 7 ص 260 - 261.

المُناظرة التاسعة والخمسون

مناظرة شيخ من الإمامية مع بعض المعتزلة في الرجعة وكلام الشيخ المفيد في ذلك
ومن كلام الشيخ أدام الله عزه في الرجعة وجواب سؤال فيها سأله المخالفون .
قال الشيخ : سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإمامية وأنا حاضر في مجلس قد ضم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة فقال له : إذا كان من قولك أنّ الله جلّ اسمه يرد الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم(1)عليه السلام ليشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين وينتقم لهم منهم ، كما فعل ببني إسرائيل فيما ذكرتم ، حتى تتعلقون بقوله تعالى : (ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً)(2)فخبّرني ما الذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرحمان بن ملجم ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ، ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام عليه السلام ، فيجب عليك ولايتهم ، والقطع بالثواب لهم ؟ وهذا نقض مذاهب الشيعة .
فقال الشيخ المسؤول : القول في الرجعة إنّما قبلته من طريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال ، وأنا لا أجيب عن هذا السؤال ، لأنّه لا نصّ عندي فيه، وليس يجوز أن أتكلف من غير جهة النص الجواب، فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع .
وقال الشيخ أدام الله عزه : فأقول أنا أُبيّن في هذا السؤال جوابين :
أحدهما : أنّ العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل ، لأنّه يكون إذ ذاك قادراً عليه ومتمكناً منه ، لكن السمع الوارد عن أئمة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتديّن بلعنهم، والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم ، فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون ، ومجرى من قطع الله عزّ اسمه على خلوده في النار، ودلّ بالقطع على أنّهم لا يختارون أبداً الإيمان ممن قال الله تعالى في جملتهم : (ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله)(3)يريد إلاّ أن يلجئهم الله ، والذين قال الله تعالى فيهم : (إنّ شرَّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون)(4)ثم قال جلّ من قائل في تفصيلهم وهو يوجه القول إلى إبليس : (لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين)(5).
وقوله : (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين)(6)وقوله : (تبّت يدا أبي لهب وتبّ ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب)(7)فقطع عليه بالنار ، وأمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب ، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما توهموه على هذا الجواب .
والجواب الآخر : أن الله سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة ، وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق (قال آمنت أنّه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)(8)، قال الله سبحانه: (الآن وَقد عَصيت مِن قبلُ وكنتَ مِنَ المُفسدين)(9)فردّ الله عليه إيمانه ، ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه(10)، وكأهل الآخرة الذين لا تقبل لهم توبة ولا ينفعهم ندم ، لأنّهم كالملجئين إذ ذاك إلى الفعل، ولأنّ الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً، وتوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض .
وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب أهل الإمامة، وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمد عليهم السلام حتى روي عنهم في قوله سبحانه : (يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا منتظرون)(11)فقالوا : إنّ هذه الآية هو القائم(12)، فإذا ظهر لن تقبل توبة المخالف، وهذا يسقط ما اعتمده السائل.
سؤال ـ فإن قالوا في هذا الجواب : ما أنكرتم أن يكون الله سبحانه على ما أصلتموه قد أغرى عباده بالعصيان ، وأباحهم الهرج والمرج والطغيان ، لأنّهم إذا كانوا يقدرون على الكفر وأنواع الضلال وقد يئسوا من قبول التوبة، لم يدعهم داع إلى الكف عما في طباعهم ، ولا انزجروا عن فعل قبيح يصلون به إلى النفع العاجل، ومن وصف الله سبحانه بإغراء خلقه بالمعاصي وإباحتهم الذنوب فقد أعظم الفرية عليه؟
جواب ـ قيل لهم : ليس الأمر على ما ظننتموه ، وذلك أنّ الدواعي لهم إلى المعاصي ترتفع إذ ذاك ولا يحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب ، لأنّهم يكونون قد علموا بما سلف لهم من العذاب إلى وقت الرجعة على خلاف أئمتهم عليهم السلام ، ويعلمون في الحال أنّهم معذبون على ما سبق لهم من العصيان ، وانهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب ، ولا يكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى ما يتزايد عليهم به العذاب ، بل تتوفر لهم دواعي الطباع والخواطر كلها إلى إظهار الطاعة والانتقال عن العصيان، وإن لزمنا هذا السؤال لزم جميع أهل الإسلام مثله في أهل الآخرة ، وحالهم في إبطال توبتهم وكون توبتهم غير مقبولة منهم، فمهما أجاب به الموحدون لمن ألزمهم ذلك، فهو جوابنا بعينه .
سؤال آخر ـ وإن سألوا على المذهب الأول والجواب المتقدّم فقالوا : كيف يتوهم من القوم الإقامة على العناد ،

والإصرار على الخلاف ، وقد عاينوا فيما يزعمون عقاب القبور ، وحلّ بهم عند الرجعة العذاب على ما يعلمون مما زعمتم أنّهم مقيمون عليه، وكيف يصح أن تدعوهم الدواعي إلى ذلك، ويخطر لهم في فعله الخواطر، وما أنكرتم أن تكونوا في هذه الدعوى مكابرين ؟

الجواب ـ قيل لهم : يصح ذلك على مذهب من أجاب بما حكيناه من أصحابنا بأن نقول : إنّ جميع ما عددتموه لا يمنع من دخول الشبهة عليهم في استحسان الخلاف ، لأنّ القوم يظنون أنّهم إنّما بعثوا بعد الموت تكرمة لهم ، وليلوا الدنيا كما كانوا يظنون أن ما اعتقدوه في العذاب السالف لهم كان غلطاً منهم، وإذا حلّ بهم العقاب ثانية توهموا قبل مفارقة أرواحهم أجسادهم أنّ ذلك ليس من طريق الاستحقاق ، وأنّه من الله تعالى ، لكنه كما تكون الدول وكما حلّ بالأنبياء.

ولأصحاب هذا الجواب أن يقولوا : ليس ما ذكرناه في هذا الباب بأعجب من كفر قوم موسى وعبادتهم العجل ، وقد شاهدوا منه الآيات ، وعاينوا ما حلّ بفرعون وملئه على الخلاف، ولا هو بأعجب من إقامة أهل الشرك على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يعلمون عجزهم عن مثل ما أتى به القرآن ، ويشهدون معجزاته وآياته ـ عليه وآله السلام ـ ، ويجدون مخبرات أخباره على حقائقها من قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولّون الدبر)(13)وقوله : (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)(14) وقوله ، (الَم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)(15)وما حلّ بهم من العقاب بسيفه ـ عليه وآله السلام ـ وهلاك كل من توعده بالهلاك ، هذا وفيمن أظهر الإيمان به المنافقون ينضافون في خلافه إلى أهل الشرك والضلال .

على أنّ هذا السؤال لا يسوغ لأصحاب المعارف من المعتزلة ، لأنّهم يزعمون أنّ أكثر المخالفين على الأنبياء كانوا من أهل العناد، وأنّ جمهور المظهرين للجهل بالله يعرفونه على الحقيقة ويعرفون أنبياءه وصدقهم ، ولكنّهم في الخلاف على اللجاجة والعناد، فلا يمنع أن يكون الحكم في الرجعة وأهلها على هذا الوصف الذي حكيناه ، وقد قال الله تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون)(16). فأخبر سبحانه أن أهل العقاب لو ردّهم الله تعالى إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والعناد، مع ما شاهدوا في القبور وفي المحشر من الأهوال ، وما ذاقوا من أليم العذاب(17).

---

(1) كما أفصحت بذلك الأخبار المتواترة ، وأن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة ، لا يرجع إلاّ مَن محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً ، وإليك كلمات بعض الأعلام في هذه المسألة :

قال السيّد المرتضى رحمه الله : انّ الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه انّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ ، وعلو كلمة أهله ، والدلالة على صحّة هذا المذهب أنّ الذي ذهبوا إليه مما لا شبهة على عاقل في أنّه مقدورٌ لله تعالى غير مستحيل في نفسه ، فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلةً غير مقدورة ، وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها ، فانّهم لا يختلفون في ذلك ، وإجماعهم قد بيّنا في مواضع من كتبنا أنّه حجة لدخول قول الإمام عليه السلام فيه .

وقال العلامة المجلسي رحمه الله : إعلم يا أخي إنّي لا أظنّك ترتاب بعدما شهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس في رائعة النهار حتى نظموها في أشعارهم واحتجّوا بها على المخالفين في جميع أعصارهم ، وشنّع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم ، منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما ، ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلامهم في ذلك ، وكيف يشكّ مؤمن بحقيقة الأئمّة الأطهار : فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيّف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ، ثمّ عدّ منهم المشايخ الثلاثة ، والمفيد والمرتضى والنجاشي والكشي والعيّاشي والقمّي وابن قولويه والكراجكي والصفّار والفضل بن شاذان والنعماني وابن شهرآشوب والراوندي والطبرسي والعلامة والشيخ الشهيد وغير ذلك ـ رضوان الله عليهم أجميعن ـ ثم قال : وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أيّ شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف ؟ ! وظنّي أنّ من يشكّ في أمثالها فهو شاك في أئمّة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين فيحتال في تخريب الملّة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين وتشكيكات الملحدين : (يُريدون ليطفئوا نُورَ الله بأفواههم و اللهُ مُتمُّ نورِه ولَو كَرِهَ الكافرون) الصف | 8 . راجع : سفينة البحار للقمّي : ج 1 ص 511 - 512 .

وقال الشيخ الطبرسي رحمه الله : وقد تظافرت الأخبار عن أئمّة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله في أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ، ويبتهجوا بظهور دولته ، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ، ولا يشك عاقل أن هذا مقدورٌ لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية ، ونطق القرآن بذلك في عدّة مواضع مثل : قصة عزير وغيره على ما فسّرناه في موضعه ، وصحّ عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : سيكون في أُمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذوا النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه . على أن جماعة من الإمامية تأوّلوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولّة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات ، وأوّلوا الأخبار الواردة في ذلك لما ظنّوا أنّ الرجعة تنافي التكليف ،

وليس كذلك لأنّه ليس فيها ما يلجيء إلى فعل الواجب ، والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر ، وقلب العصا ثعباناً ، وما أشبه ذلك ، ولأن الرجعة لم تثبيت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها ، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية ، وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده . راجع : مجمع البيان للطبرسي : ج 7 ص 367 .
وقال الشيخ المظفر رحمه الله في كتابه عقائد الإمامية : ص 338 : أن الذي تذهب أليه الامامية ـ أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام ان الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها ، فيعز فريقاً آخر ، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا يرجع إلا من علت درجتة في الإيمان ، أو مَن بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النشور وما بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب ، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين ـ الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله ـ أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحيينا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيلٍ) المؤمن /11.
(2) سورة الإسراء : الآية 11 .
(3) سورة الأنعام : الآية 111 .
(4) سورة الأنفال : الآية 22 - 23 .
(5) سورة ص : الآية 85 .
(6) سورة ص : الآية 78 .
(7) سورة المسد : الآية 1 - 3 .
(8) سورة يونس : الآية 90 .
(9) سورة يونس : الآية 91 .
(10) روي عن إبراهيم بن محمد الهمدانيّ ، قال : قلت للرضا عليه السلام : لأي علّة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده ؟ قال : لأنّه آمن عند رؤية البأس ، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول ، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف ، قال الله عزَّ وجلّ : (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا) وقال عزّ وجلّ : (يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال : (آمنت أنّه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فقيل له : (الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين) . بحار الأنوار : ج 6 ص 23 ح 25 .
وممّا يدلّ أيضاً على عدم قبول التوبة ممن رأى البأس ـ كفرعون الذي آمن حينما عاين العذاب ـ هو ما روي عن الامام الرضا عليه السلام وذلك أنّه أتي المأمون بنصراني قد فجر بهاشمية فلمّا رآه أسلم فغاظه ذلك، وسأل الفقهاء فقالوا : هدر الإسلام ما قبله فسأل الرضا عليه السلام فقال: اقتله لأنّه أسلم حين رأى البأس ، قال الله عزّ وجلّ : (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده....) (بحار الأنوار: ج 49 ص 172 ح 9) ، ومثل هذه الواقعة حصلت أيضاً في زمن الإمام الهادي عليه السلام فأجاب بنفس الجواب السابق . راجع : بحار الأنوار : ج 50 ص 172 ح51.
(11) سورة الأنعام : الآية 158 .
(12) كما جاء في رواية ابن رئاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : في قول الله عزّ وجلّ: (يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) فقال : الآيات هم الأئمّة عليهم السلام والآية المنتظر هو القائم عليه السلام فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام (بحار الأنوار : ج 51 ص 51 ح 25).
ومثله أيضاً جاء عن أبي بصير قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : (يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) قال عليه السلام : يعني يوم خروج القائم المنتظر منّا (بحار الأنوار : ج 52 ص 149 ح 76) .
وجاء أيضاً عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : (يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) قال : نزل (أو كسبت في إيمانها خيراً) (قل انتظروا إنّا منتظرون) قال : إذا طلعت الشمس من مغربها فكلّ من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه . (بحار الأنوار : ج 6 ص 313 ح18).
وجاء أيضاً في كنز العمال : ج 6 ص 153 - 154 ح 15203 : من حديث روي عنه صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال ـ : فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربكِ فتُصبح طالعةً من مغربها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتدرون متى ذاكمُ ؟ ذاك حين (لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) .
(13) سورة القمر : الآية 45 .
(14) سورة الفتح : الآية 27 .
(15) سورة الروم : الآية 1 - 3 .
(16) سورة الأنعام : الآية 27 - 28 .
(17) الفصول المختارة للمفيد : ص 153 - 157 .

الامام الحجة (ع) والحكمة من الغيبة

المُناظرة الستّون

مناظرة امام الصادق عليه السلام مع عبدالله بن الفضل الهاشمي في الحكمة من غيبة الإمام المهدي عليه السلام

روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها ، يرتاب فيها كلّ مبطل .

قلت له : ولِمَ جعلت فداك ؟

قال : لأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال : وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله (1) تعالى ذكره ، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره(2) كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام ، من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما .

يا بن الفضل ! إنَّ هذا الأمر أمر من الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم صدقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة ، وإن كان وجهها غير منكشف (3).

---

(1) راجع : كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 127 - 153 (في الحكمة من غيبات بعض الأنبياء عليهم السلام) .

(2) إنّ مفاد هذه الرواية الشريفة هو عدم معرفة وجه الحكمة من غيبته الشريفة حتى يظهر عجل الله فرجه الشريف ، فحينئذٍ يتبيّن للناس وجه الحكمة من غيبته ، إلاّ أن هناك مجموعة من الروايات الشريفة والتي ذكرها الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين : ج 1 ص 479- 482 (ب علة الغيبة) قد أفصحت عن بعض أوجه الحكمة من غيبته : وهي على طوائف خمس على حسب ما تتبعته عاجلاً وهي :

الطائفة الأولى : كرواية علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن أبي الحسن بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال : كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث (الرابع ن ل) من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه ، قلت له : ولِمَ ذاك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : لأنّ إمامهم يغيب عنهم ، فقلت: ولِمَ ؟ قال : لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف .

الطائفة الثانية (وهي رواية واحدة) : ما روي عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها ، فقلت له : يا بن رسول الله ولِمَ ذلك ؟ قال : لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم ، وإنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم ، قال الله تعالى : (لتركبنَّ طبقاً عن طبق) - الانشقاق :9- أي سنن من كان قبلكم .

الطائفة الثالثة : كرواية زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : للقائم غيبة قبل قيامه ، قلت : ولِمَ؟ قال : يخاف على نفسه الذّبح .

الطائفة الرابعة : (وهي التي ذكرها أيضاً الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين : ج 2 ص 641 ب 54) عن إبراهيم الكرخي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أصلحك الله ألم يكن عليّ عليه السلام قوياً في دين الله عزّ وجلّ ؟ قال : بلى . قال : فكيف ظهر عليه القوم ، وكيف لم يدفعهم وما يمنعه من ذلك ؟ قال : أيةٌ في كتاب الله عز وجل منعته قال : قلت وأيّة آية هي؟ قال: قوله عزّ وجلّ : (لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) إنّه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين ، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله ، وكذلك قائمنا أهل البيت عليهم السلام لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ فإذا ظهرت ظهر على من يظهر فقتله .

الطائفة الخامسة : وهي ما روي عن أبي جعفر عليهم السلام محمد بن علي أنه قال : إذا اجتمع للإمام عدة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر وجب عليه القيام والتغيير . (بحار الأنوار : ج 100 ص49 ح 18) .

فمفاد هذه الطوائف الخمس هي أن أوجه الحكمة خمسة أمور في عدم ظهوره حتى يأذن الله له بالخروج صلوات الله عليه وهي :

1 - لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف .

2 - لكي تجري فيه سنن الأنبياء السابقين في غيباتهم واستيفائها .

3 - انّه عليه السلام يخاف على نفسه الذبح لو خرج قبل أوان خروجه المناسب .

4 - انّه لن يظهر عليه السلام حتى تظهر ودائع الله (كما في رواية أخرى : ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين) .

5 - إنه عليه السلام لا يظر حتى تتكامل عدة أصحابه عدة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، وهم إصحاب الألولية ، وهم حكام الله في أرضه على خلقه ... الخ كما في رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام (بحار الأنوار : ج 52 ص 326 ح 42) .

فما هو وجه الجمع بين رواية الهاشمي التي مفادها عدم معرفة الحكمة من غيبة حتى يظهر ، وبين تلك الطوائف الخمس في بيان الحكمة من الغيبة ؟ نقول : لعل الرواية الأولى ناظرة إلى عدم انكشاف تمام العلة من غيبة لا بعضها ، ولا مانع من بيان بعض وجوه الحكمة كما في الطوائف الخمس ، وتبقى الحكمة الأصل خافية علينا في غيبة حتى يظهر عجل الله فرجه ، فلا تنافي بين الروايات والله العالم .

(4)الإحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 376 ، كمال الدين وتمام النعمة : ج 2 ص 482 ح 11 ، حلية الأبرار : ج 2 ص 589 - 590 .

المُناظرة الحادية والستّون

مناظرة الشيخ المفيد رحمه الله مع رجل من المعتزلة في علة غيبة الإمام المهدي عليه السلام

قال الشريف المرتضى عليه الرحمة : ومن حكايات الشيخ أدام الله عزه وكلامه في الغَيبَة ـ قال الشيخ أيده الله : قال لي شيخ من حذاق المعتزلة وأهل التدين بمذهبه منهم : أريد أن أسألك عن مسألة كانت خطرت ببالي ، وسألت عنها جماعة ممن لقيت من متكلمي الإمامية بخراسان وفارس والعراق فلم يجيبوا فيها بجواب مقنع !
فقلت : سل على اسم الله إن شئت .
فقال : خبرني عن الإمام الغائب عندكم أهو في تقية منك ؟ كما هو في تقية من أعدائه ؟ أم هو في تقية من أعدائه خاصة ؟
فقلت له : الإمام عندي في تقية من أعدائه لا محالة ، وهو أيضاً في تقية من كثير من الجاهلين به ، ممن لا يعرفه ولا سمع به فيعاديه أو يواليه ، هذا على غالب الظن والعرف ، ولست أنكر أن يكون في تقية من جماعة ممن يعتقد إمامته الآن ، فأما أنا فإنه لا تقية عليه مني بعد معرفته بي على حقيقة المعرفة والحمدلله.
فقال : هذا و الله جواب طريف لم أسمعه من أحد قبلك ، فأحب أن تفصل لي وجوهه وكيف صار في تقية ممن لا يعرفه ، وفي تقية من جماعة تعتقد إمامته الآن، وليس هو في تقية منك إذ عرفك ؟
فقلت له : أما تقيته من أعدائه فلا حاجة لي إلى الكلام فيها لظهور ذلك ، وأما تقيته ممن لا يعرفه فإنما قلت ذلك على غالب الظن وظاهر الحال ، وذلك أنه ليس يبعد أن لو ظهر لهم لكانوا بين أمور :
إما أن يسفكوا دمه بأنفسهم لينالوا بذلك المنزلة عند المتغلب على الزمان ويحوزوا به المال والرئاسة ، أو يسعوا به إلى من يحل هذا الفعل به ، أو يقبضوا عليه ويسلموه إليه ، فيكون في ذلك عطبه وفي عطبه وهلاكه عظيم الفساد ، وإنما غلب في الظن ذلك لأن الجاهل لحقه ليس يكون معه المعرفة التي تمنعه من السعي على دمه ، ولا يعتقد في الكف عنه ما يعتقده المتدين بولايته ، وهو يرى الدنيا مقبلة إلى من أوقع الضرر به ، فلم يبعد منه ما وصفناه بل قرب وبعد منه خلافه .
وأما وجه تقيته من بعض من يعتقد إمامته الآن ، فإن المعتقدين بذلك ليسوا بمعصومين من الغلط ولا مأموناً عليهم الخطأ ، بل ليس مأموناً عليهم العناد والارتداد ، فلا ينكر أن يكون المعلوم منهم أنه لو ظهر لهم الإمام عليه السلام أو عرفوا مكانه أن تدعوهم دواعي الشيطان إلى الإغراء به والسعي عليه والإخبار بمكانه، طمعاً في العاجلة ورغبة فيها وإيثاراً لها على الآجلة ، كما دعت دواعي الشيطان أمم الأنبياء إلى الارتداد عن شرائعهم حتى غيَّرها جماعة منهم وبدَّلها أكثرهم، كما عاند قوم موسى نبيهم وإمامهم هارون وارتدرا عن شرعه الذي جاء به هو وأخوه موسى عليهما السلام واتبعوا السامري ، فلم يلتفتوا إلى أمر هارون ونهيه ، ولا فكَّروا في وعظه وزجره ، وإذا كان ذلك على ما وصفت لم ينكر أن تكون هذه حال جماعة من منتحلي الحق في هذا الزمان لارتفاع العصمة عنهم .
وأما حكمي لنفسي فإنه ليس يخصني ، لأنه يعم كل من شاركني في المعنى الذي من أجله حكمت ، وإنما خصصت نفسي بالذكر لأنني لا أعرف غيري عيناً على اليقين مشاركاً لي في الباطن فادخله معي في الذكر ، والمعنى الذي من أجله نفيت أن يكون صاحب الأمر عليه السلام متقياً مني عند المعرفة بحالي لأنني أعلم أنني عارف بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وآله وبالأئمة أجمعين عليهم السلام ، وهذه المعرفة تمنعني من ايقاع كفر غير مغفور والسعي على دم الإمام عليه السلام ، بل إخافته عندي كفر غير مغفور ، وإذا كنت على ثقة تعصمني من ذلك إلى ما أذهب إليه في الموافاة فقد أمنت أن يكون الإمام في تقية مني أو ممن شاركني فيما وصفت من إخواني ، وإذا تحقق أمورنا على ما ذكرت فلا يكون في تقية مني بعد معرفته أني على حقيقة المعرفة ، إذ التقية إنما هي الخوف على نفس والاخافة للإمام لا تقع من عارف بالله عز وجل على ما قدمت
فقال : فكأنك إنما جوزت تقية الإمام من أهل النفاق من الشيعة ، فأما المعتقدون للتشيع ظاهراً وباطناً فحالهم كحالك ، وهذا يؤدي إلى المناقضة لأن المنافق ليس بمعتقد للتشيع في الحقيقة ، وأنت قد أجزت ذلك على بعض الشيعة في الحقيقة فكيف يكون هذا ؟
فقلت له : ليس الأمر كما ظننت ، وذلك أن جماعة من معتقدي التشيع عندي غير عارفين في الحقيقة ، وإنما يعتقدون الديانة على ظاهر القول بالتقليد والاسترسال دون النظر في الأدلة والعمل على الحجة ، ومن كان بهذه المنزلة لم يحصل له الثواب الدائم المستحق للمعرفة المانع بدلالة الخبر به عن إيقاع كفر من صاحبه فيستحق به الخلود في الجحيم فتأمل ذلك .

قال : فقد اعترض الآن ها هنا سؤال في غير الغيبة احتاج إلى معرفة جوابك عنه ثم أرجع إلى المسألة في الغيبة ، خبرني عن هؤلاء المقلدين من الشيعة الإمامية أنهم كفار يستحقون الخلود بالنار ؟ فإن قلت ذلك فليس في الجنة من الشيعة الإمامية إذاً غيرك لأنا لا نعرف أحداً منهم على تحقيق النظر سواك ، بل إن كان فيهم فلعلهم لا يكونون عشرين نفساً في الدنيا كلها ، وهذا ما أظنك تذهب إليه، وإن قلت : إنهم ليسوا بكفار وهم يعتقدون التشيع ظاهراً وباطناً فهم مثلك ، وهذا مبطل لما قدمت ؟!

فقلت له : لست أقول إن جميع المقلدة كفار ، لأن فيهم جماعة لم يُكلَّفوا المعرفة ولا النظر في الأدلة ، لنقصان عقولهم عن الحد الذي به يجب تكليف ذلك، وإن كانوا مكلفين عندي للقول والعمل ،وهذا مذهبي في جماعة من أهل السواد والنواحي الغامضة والبوادي والأعراب والعجم والعامة ، فهؤلاء إذا قالوا وعملوا كان ثوابهم على ذلك كعوض الأطفال والبهائم والمجانين ، وكان ما يقع منهم من عصيان يستحقون عليه العقاب في الدنيا وفي يوم المآب طول زمان الحساب ، أو في النار أحقاباً ، ثم يخرجون إلى محل الثواب ، وجماعة من المقلدة عندي كفار لأن فيهم من القوة على الاستدلال ما يصلون به إلى المعارف فإذا انصرفوا عن النظر في طرقها فقد استحقوا الخلود في النار .

فأما قولك : إنه ليس في الدنيا أحد من الشيعة ينظر حق النظر إلا عشرون نفساً أو نحوهم ، فإنه لو كنت صادقاً في هذا المقال ما منع أن يكون جمهور الشيعة عارفين ، لأن طرق المعرفة قريبة يصل إليها كلُّ من استعمل عقله وإن لم يكن يتمكن من العبارة عن ذلك ويسهل عليه الجدل ويكون من أهل التحقيق في النظر، وليس عدم الحذق في الجدل وإحاطة العلم بحدوده ، والمعرفة بغوامض الكلام ودقيقه ، ولطيف القول في المسألة دليلاً على الجهل بالله عز وجل .

فقال : ليس أرى أن أصل معك الكلام في هذا الباب الآن ، لأن الغرض هو القول في الغيبة ، ولكن لما تعلق بمذهب غريب أحببت أن أقف عليه وأنا أعود إلى مسألتي الأولى وأكلمك في هذاالمذهب بعد هذا يوماً آخر ، أخبرني الآن إذا لم يكن الإمام في تقية منك فما باله لا يظهر لك فيعرفك نفسه بالمشاهدة ، ويريك معجزة ، ويبين لك كثيراً من المشكلات ، ويؤنسك بقربه ويعظم قدرك بقصده ويشرفك بمكانه ، إذا كان قد أمن منك الإغراء به وتيقن ولايتك له ظاهرة وباطنة؟

فقلت له : أول ما في هذا الباب أنني لا أقول لك إن الإمام عليه السلام يعلم السرائر وإنّه مما لا يخفى عليه الضمائر ، فتكون قد أخذت رهني، أنّه يعلم من ما اعرفه من نفسي، وإذا لم يكن ذلك مذهبي، وكنت أقول إنّه يعلم الظواهر كما يعلم البشر، وإن علم باطناً فبإعلام الله عزّ وجلّ له خاصة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بما أودعه آباؤه عليهم السلام من النصوص على ذلك أو بالمنام الذي يصدق ولا يخلف أبداً، أو لسبب أذكره غير هذا، فقد سقط سؤالك من أصله لأن الإمام إذا فقد علم ذلك من جهة الله عزّ وجلّ أجاز عليَّ ما يجيزه على غيري ممن ذكرت ، فأوجبت الحكمة تقيته مني ـ وإنّما تقيته مني ـ على الشرط الذي ذكرت آنفاً ، ولم أقطع على حصوله لا محالة، ولم أقل إن الله عزّ وجلّ قد اطلع الإمام على باطني وعرّفه حقيقة حالي قطعاً فتفرع الكلام عليه ، على أنني لو قطعت على ذلك لكان لترك ظهوره لي وتعرفه إليَّ وجه واضح غيرالتقية .

وهو أنه عليه السلام قد علم أنني وجميع من شاركني في المعرفة لا يزول عن معرفته ، ولا يرجع عن اعتقاد إمامته ، ولا يرتاب في أمره ما دام غائباً وعلم أن اعتقادنا ذلك من جهة الاستدلال، ومع عدم ظهوره لحواسنا أصلح لنا في تعاظم الثواب وعلو المنزلة باكتساب الأعمال، إذ كان ما يقع من العمل بالمشاق الشديدة أعظم ثواباً مما يقع بالسهولة مع الراحة ، فلما علم عليه السلام ذلك من حالنا وجب عليه الاستتار عنا ، لنصل إلى معرفته وطاعته على حد يكسبنا من المثوبة أكثر مما يكسبنا العلم به والطاعة له مع المشاهدة وارتفاع الشبهة التي تكون في حالة الغيبة والخواطر، وهذا ضد ما ظننت ، مع أن أصلك في اللطف يؤيد ما ذكرناه ويوجب ذلك ، وإن علم أن الكفر يكون مع الغيبة والإيمان مع الظهور ، لأنك تقول: إنّه لا يجب على الله تعالى فعل اللطف الذي يعلم أن العبد إن فعل الطاعة مع عدمه كانت أشرف منها إذا فعلها معه، فكذلك يمنع الإمام من الظهور إذا علم أن الطاعة للإمام تكون غيبته أشرف منها عند ظهوره ، وليس يكفر القوم به في كلا الحالين، وهذا بيّن لا إشكال فيه، فلما ورد عليه الجواب سكت هنيئة.

ثم قال : هذا لعمري جواب يستمر على الأُصول التي ذكرتها والحق أولى ما استعمل.

فقلت له : أنا أجيبك بعد هذا الجواب بجواب آخر أظنه مما قد سمعته لأنظر كلامك عليه .

فقال : هات ذلك ، فإنّي أحب أن أستوفِ ما في هذه المسألة .

فقلت له : إن قلت إن الامام في تقيّة مني وفي تقية ممن خالفني ما يكون كلامك عليه ؟

قال : أفتطلق أنه في تقية منك كما هو في تقية ممن خالفك .

قلت : لا.

قال : فما الفرق بين القولين ؟
قلت : الفرق بينهما أنني إذا قلت إنه في تقية مني كما هو في تقية ممن خالفني ، أو همت أن خوفه مني على حد خوفه من عدوه ، وأن الذي يحذره مني هو الذي يحذره منه أو مثله في القبح ، فإذا قلت : إنّه يتقي مني وممن خالفني ارتفع هذا الإيهام .
قال : فمن أي وجه أتقى منك ؟ ومن أي وجه أتقى من عدوّه فصّل ليّ الأَمرين حتى أعرفهما .
فقلت له : تقيته من عدوّه هي لأجل خوفه من ظلمه له وقصده الإضرار به وحذره من سعيه على دمه ، وتقيته مني لأَجل خوفه من إذاعتي على سبيل السهو أو للتجمل والتشرف بمعرفته بالمشاهدة، أو على التقية مني بمن أوعزه إليه من إخواني في الظاهر فيعقبه ذلك ضرراً عليه ، فبان الفرق بين الأمرين.
فقال : ما أنكرت أن يكون هذا يوجب المساواة بينك وبين عدوه، لأنّه ليس يثق بك كما لا يثق بعدوه.
فقلت له : قد بيّنت الفرق وأوضحته ، وهذا سؤال بيِّن قد سلف جوابه وتكراره لا فائدة فيه على أنني أقلبه عليك .
فأقول لك : أليس قد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من أعدائه واستتر عنهم في الغار خوفاً على نفسه منهم .
قال : بلى .
قلت له : فهل عرف عمر بن الخطاب حال هربه ومستقره ومكانه كما عرف ذلك أبو بكر لكونه معه .
قال : لا أدري .
قلت : فهب عرف عمر ذلك ، أعرف ذلك جميع أصحابه والمؤمنين به ؟
قال : لا .
قلت : فأي فرق كان بين أصحابه الذين لم يعلموا بهربه ولا عرفوا بمكانه وبين أعدائه الذين هرب منهم ، وهلا أبانهم من المشركين بإيقافهم على أمره؟ ولم ستر ذلك عنهم كما ستره عن أعدائه ؟ وما أنكرت أن يكون لا فرق بين أوليائه وأعدائه وأن يكون قد سوى بينهم في الخوف منهم والتقية ، وإلا فما الفضل بين الأمرين ، فلم يأت بشيء أكثر من أنه جعل يومي إلى معتمدي في الفرق بينما الزم ولم يأت به على وجهه ، وعلم من نفسه العجز عن ذلك .
قال الشريف أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي واستزدت الشيخ ـ أدام الله عزه ـ على هذا الفصل من هذا المجلس حيث اعتل بأن غيبة الإمام عليه السلام عن أوليائه إنّما هي لطف لهم في وقوع الطاعة منه على وجه يكون به أشرف منها عند مشاهدته .
فقلت له : فكيف يكون حال هؤلاء الأولياء عند ظهوره عليه السلام أليس يجب أن يكون القديم تعالى قد منعهم اللطف في شرف طاعاتهم وزيادة ثوابهم ؟
فقال الشيخ ـ أدام الله عزه ـ : ليس في ذلك منع لهم من اللطف على ما ذكرت ، من قبل أنه لا ينكر أن يعلم الله سبحانه وتعالى منهم أنه لو أدام ستره عنهم وإباحة الغيبة في ذلك الزمان بدلاً من الظهور لفسق هؤلاء الأولياء فسقاً يستحقون به من العقاب ما لا يفي أضعاف ما يفوتهم من الثواب فأظهره سبحانه لهذه العلة، وكان ما يقتطعهم به عنه من العذاب أرد عليهم وأنفع لهم مما كانوا يكتسبونه من فضل الثواب على ما تقدم به الكلام .
قال الشيخ أيده الله : ووجه آخر وهو : أنه لا يستحيل أن يكون الله تعالى قد علم من حال كثير من أعداء الإمام عليه السلام أنهم يؤمنون عند ظهوره ويعترفون بالحق عند مشاهدته ويسلمون له الأمر، وأنه إن لم يظهر في ذلك الزمان أقاموا على كفرهم ، وازدادوا طغياناً بزيادة الشبهة عليهم فوجب في حكمته تعالى إظهاره لعموم الصلاح ، ولو أباحه الغيبة لكان قد خصّ بالصلاح ومنع من اللطف في ترك الكفر، وليس يجوز على مذهبنا في الأصلح أن يخص الله تعالى بالصلاح، ولا يجوز أيضاً أن يفعل لطفاً في اكتساب بعض خلقه منافع تزيد على منافعه إذ كان في فعل ذلك اللطف رفع لطفه لجماعة في ترك القبح والانصراف عن الكفر به سبحانه ، والاستخفاف بحقوق أوليائه عليهم السلام ، لأنّ الأصل والمدار على إنقاذ العباد من المهالك وزجرهم من القبائح، وليس الغرض زيادتهم في المنافع خاصة إذ كان الاقتطاع بالألطاف عما يوجب دوام العقاب أولى من فعل اللطف فيما يستزاد به من الثواب ، لأنّه ليس يجب على الله تعالى أن يفعل بعبده ما يصل معه إلى نفع يمنعه من أضعافه من النفع ، وكذلك لا يجب عليه أن يفعل اللطف له في النفع بما يمنع غيره من أضعاف ذلك النفع ، وهو إذا سلبه هذا اللطف لم يستدرجه به إلى فعل القبيح، ومتى فعله حال بين غيره وبين منافعه ومنعه من لطف ما ينصرف به عن القبيح، وإذا كان الأمر على ما بيّناه كان هذان الفصلان يسقطان هذه الزيادة (1).

---

(1) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ص76 - 83 .

المُناظرة الثانية والستّون

مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في علة استتار الإمام الهدي عليه السلام

قال الشريف المرتضى عليه الرحمة : سئل الشيخ ـ أيده الله ـ فقيل له : أليس رسول الله صلى الله عليه وآله قد ظهر قبل استتاره ودعا إلى نفسه قبل هجرته ، وكانت ولادته معروفة ونسبه مشهوراً وداره معلومة، هذا مع الخبر عنه في الكتب الأُولى والبشارة به في صحف إبراهيم وموسى عليه السلام وإدراك قريش وأهل الكتاب علاماته ومشاهداتهم لدلائل نبوته وأعلام عواقبه، فكيف لم يخف مع ذلك على نفسه ولا أمر الله أباه بستر ولادته ، وفرض عليه إخفاء أمره كما زعمتم أنّه فرض ذلك على أبي الإمام لما كان المنتظر عندكم من بين الأئمة والمشار إليه بالقيام بالسيف دون آبائه، فأوجب ذلك على ما ادّعيتموه واعتللتم به في الفرق بين آبائه وبينه في الظهور على خبره وكتم ولادته والستر عن الأنام شخصه، وهل قولكم في الغيبة مع ما وصفناه من حال النبي صلى الله عليه وآله إلاّ فاسد متناقض ؟

جواب : ـ يقال إنّ المصلحة لا تكون من جهة القياس ، ولا تعرف أيضاً بالتوهّم ، ولا يتوصل إليها بالنظائر والأمثال ، وإنّما تعلم من جهة علاّم الغيوب المطّلع على الضمائر العالم بالعواقب الذي لا تخفى عليه السرائر، فليس ننكر أن يكون الله سبحانه قد علم من حال رسول الله صلى الله عليه وآله ، مع جميع ما شرحتم أنّه لا يقدم عليه أحد ولا يؤثر ذلك منه ، إمّا لخوف من الإقدام على ذلك ، أو لشك فيما قد سمعوه من وصفه ، أو لشبهة عرضت لهم في الرأي فيه، فتدبير الله سبحانه له في الظهور على خلاف تدبير الإمام المنتظر لاختلاف الحالين.

ويدل على ما بيناه ويوضح عما ذكرناه أنّه لم يتعرض أحد من عبدة الأوثان ، ولا أهل الكتاب ولا أحد من ملوك العرب والفرس مع ما قد اتّصل بهم من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله لأحد من آباء الرسول صلى الله عليه وآله بالإخافة، ولا لاستبراء واحدة من أُمهاته لمعرفة الحمل به ، ولا قصدوا الإضرار به في حال الولادة ولا طول زمانه إلى أن صدع بالرسالة .

ولا خلاف أنّ الملوك من ولد العبّاس لم يزالوا على الإخافة لآباء الإمام وخاصة ما جرى من أبي جعفر المنصور مع الصادق عليه السلام ، وما صنعه هارون بأبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حتى هلك في حبسه ببغداد، وما قصد المتوكّل بأبي الحسن العسكري عليه السلام جد الإمام حتى أشخصه من الحجاز فحبسه عنده بسر من رأى ، وكذلك جرى أمر أبي محمد الحسن عليه السلام بعد أبيه إلى أن قبضه الله تعالى .

ثم كان من أمر المعتمد بعد وفاة أبي محمد عليه السلام ما لم يخف على أحد من حبسه لجواريه والمسائلة عن حالهنّ في الحمل، واستبراء أمرهنّ عندما اتفقت كلمة الإمامية على أنّ القائم هو ابن الحسن عليه السلام فظنّ المعتمد أنّه يظفر به فيقتله ويزيل طمعهم في ذلك ، فلم يتمكن من مراده وبقي بعض جواري أبي محمد عليه السلام في الحبس أشهراً كثيرة، فدلّ بذلك على الفرق بين حال النبي صلى الله عليه وآله في مولده وبين الإمام عليه السلام على ما قدمناه بما ذكرناه وشرحناه .

وشيء آخر وهو أنّ الخوف قد كان مأموناً على رسول الله صلى الله عليه وآله من بني هاشم وبني عبد المطلب وجميع أهل بيته وأقاربه، لأنّ الشرف المتوقع له بالنبوّة كان شرفهم والمنزلة التي تحصل له بذلك فهي تختص بهم، وعلمهم بهذه الحال يبعثهم على صيانته وحفظه وكلائته ليبلغ الرتبة التي يرجونها له فينالون بها أعلى المنازل ويملكون بها جميع العالم .

وأمّا البعداء منهم في النسب فيعجزون عن إيقاع الضرر به لموضع أهل بيته ومنعهم منه وعلمهم بحالهم وأنّهم أمنع العرب جانباً وأشدهم بأساً وأعزهم عشيرة، فيصدهم ذلك عن التعرض له ويمنع من خطوره ببالهم، وهذا فصل بين حال النبي صلى الله عليه وآله فيما يوجب ظهوره مع انتشار ذكره والبشارة به، وبين الإمام فيما يجوز استتاره وكتم أمر ولادته، وهذا بيّن لمن تدبره.

وشيءٌ آخر وهو أنّ ملوك العجم في زمان مولد النبي صلى الله عليه وآله لم يكونوا يكرهون مجيء نبي يدعو إلى شرع مستأنف ، ولا يخافون بمجيئه على أنفسهم ولا على ملكهم ، لأنّهم كانوا ينوون الإيمان به والاتباع له، وقد كانت اليهود تستفتح به على العرب وترجو ظهوره كما قال الله عزّ وجلّ : (فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به)(1) وإنّما حصل للقوم الخلاف عليه والإباء له بنية تجددت لهم عند مبعثه .

ولم يجر أمر الإمام المنتظر عليه السلام هذا المجرى بل المعلوم من حال جميع ملوك زمان مولده ومولد آبائه، خلاف ذلك من اعتقادهم فيمن ظهر منهم يدعو إلى إمامة نفسه أو يدعو إليه داع سفك دمه واستئصال أهله وعشيرته ، وهذا أيضاً فرق بين الأمرين .

وشيء آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله مكث ثلاث عشرة سنة يدعو بمكّة إلى دينه والاعتراف بالوحدانية وبنبوته ، ويسفّه من خالفه ويضلّلهم ويسب آلهتهم، فلم يقدم أحد منهم على قتله ولا رام ذلك ولا استقام

لهم نفيه عن بلادهم ولا حبسه ولا منعه من دعوته، ونحن نعلم علماً يقيناً لا يتخالجنا فيه الشك بأنّه لو ظن أحد من ملوك هذه الاَزمان ببعض آل أبي طالب أنّه يحدث نفسه بادّعاء الإمامة بعد مدة طويلة، لسفك دمه دون أن يعلم ذلك ويتحققه فضلاً عن أن يراه ويجده.

وقد علم أهل العلم كافة أنّ أكثر من حبس في السجون من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل بالغيلة إنّما فعل به ذلك على الظنة والتهمة دون اليقين والحقيقة، ولو لم يكن أحد منهم حلَّ به ذلك إلاّ موسى بن جعفر عليهما السلام لكان كافياً ، ومن تأمّل هذه الاَُمور وعرفها وفكر فيما ذكرناه وتبيّنه انكشف له الفرق بين النبي وبين الإمام فيما سأل عنه هؤلاء القوم ولم يتخالجه فيه ارتياب والله الموفق للصواب .

وبهذا النحو يجب أن يجاب من سأل فقال : أليس الرسول صلى الله عليه وآله قد ظهر في أوّل أمره وعرفت العامة والخاصة وجوده ثم استتر بعد ذلك عند الخوف على نفسه ، فقد كان يجب أن يكون تدبير الإمام في ظهوره واستتاره كذلك، مع أنّ الاتفاقات ليس عليها قياس ، والاَلطاف والمصالح تختلف في أنفسها ولا تُدرك حقائقها إلاّ بسمع يرد عن عالم الخفيات ، جلّت عظمته فلا يجب أن نسلك في معرفتها طريق الاعتبار .

وليس يستتر هذا الباب إلاّ على من قلّ علمه بالنظر وبَعُد عنه الصواب والله نستهدي إلى سبيل الرشاد(2).

---

(1) سورة البقرة : الآية 89 .

(2) الفصول المختارة للمفيد : ص 266 - 269 .

المُناظرة الثالثة والستّون

مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في الدليل على وجود الإمام المهدي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً .
سأل سائل الشيخ المفيد رحمه الله فقال : ما الدليل على وجود الإمام صاحب الغيبة عليه السلام ، فقد اختلف الناس في وجوده اختلافاً ظاهراً ؟
فقال له الشيخ : الدليل على ذلك إنّا وجدنا الشيعة الإمامية فرقة قد طبقت الأرض شرقاً وغرباً ، مختلفي الآراء والهمم ، متباعدي الديار لا يتعارفون ، متدينين بتحريم الكذب ، عالمين بقبحه ، ينقلون نقلاً متواتراً عن أئمتهم عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إنّ الثاني عشر يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون(1) ويحكون أنّ الغيبة تقع على ما هي عليه ، فليس تخلوا هذه الأخبار أن تكون صدقاً أو كذباً ، فإن كانت صدقاً فقد صحّ ما نقول ، وإن كانت كذباً استحال ذلك ، لأنّه لو جاز على الإمامية وهم على ما هم عليه ، لجاز على سائر المسلمين في نقلهم معجزات النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، ولجاز على سائر الأمم والفرق مثله ، حتى لا يصحّ خبر في الدنيا ، وكان ذلك إبطال الشرائع كلها .
قال السائل : فلعل قوماً تواطئوا في الأصل فوضعوا هذه الأخبار ونقلتها الشيعة وتدينت بها ، وهي غير عالمة بالأصل كيف كان .
قال له الشيخ رضي الله عنه : أوّل ما في هذا إنّه طعن في جميع الأخبار ، لأنّ قائلاً لو قال للمسلمين في نقلهم لمعجزات النبي صلى الله عليه وآله : لعلها في الأصل موضوعة ، ولعل قوماً تواطئوا عليها فنقلها من لا يعلم حالها في الأصل ، وهذا طريق إلى إبطال الشرائع ، وأيضاً فلو كان الأمر على ما ذكره السائل لظهر وانتشر على ألسن المخالفين ـ مع طلبهم لعيوبهم وطلب الحيلة في كسر مذاهبهم ـ وكان ذلك أظهر وأشهر مما يخفى ، وفي عدم العلم بذلك ما يدل على بطلان هذه المعارضة .
قال : فأرنا طرق هذه الأخبار ، وما وجهها ووجه دلالتها ؟
قال : الأول ما في هذا الخبر الذي روته العامّة والخاصة ، وهو خبر كميل ابن زياد قال : دخلت على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو ينكث في الأرض فقلت له : يا مولاي مالك تنكث الأرض أرغبة فيها ؟
فقال : والله ما رغبت فيها ساعة قط ، ولكني أفكر في التاسع من ولد الحسين عليه السلام ، هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملأت ظلماً وجوراً ، تكون له غيبة يرتاب فيها المبطلون ، يا كميل بن زياد ، لا بدّ لله في أرضه من حجة، إما ظاهر مشهور شخصه ، وإما باطن مغمور لكيلا تبطل حجج الله (2) . والخبر طويل وإنما اقتصرنا على موضع الدلالة .
وما روى عن الباقر عليه السلام : إن الشيعة قالت له يوماً : أنت صاحبنا الذي يقوم بالسيف؟
قال : لست بصاحبكم ، انظروا من خفيت ولادته فيقول قوم : ولد ، ويقول قوم : ما ولد ، فهو صاحبكم(3).
وما روي عن الصادق عليه السلام إنه قال : كيف بكم إذا التفتم يميناً فلم تروا أحداً ، والتفتم شمالاً فلم تروا أحداً ، واستولت أقوام بني عبد المطلب ، ورجع عن هذا الأمر كثير ممّن يعتقده ، يمسي أحدكم مؤمناً ويصبح كافراً ، فلله الله في أديانكم هناك فانتظروا الفرج .
وما روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام ، إنه قال : أذا توالت ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن فالرابع هو القائم صلوات الله عليه وعليهم(4).
ولو ذهبنا إلى ما روي في هذا المعنى لطال به الشرح ، وهذا السيد ابن محمد الحميري يقول في قصيدة له قبل الغيبة بخمسين ومائة سنة :

وكذا روينا عن وصي محمد * وما كان فيما قالـه بالمتكذب
بأن ولـي‌الأمر يُفقد لا يُرى * ستيراً كفعل الخائف‌المترقـب

فيقسم أمـوال الفقيـد كأنما * تغيبه تحت الصفيح المنصـب

فيمكث حيناً ثمّ ينبــعنبعة * كنبعة درى من الأرض يوهب

له غيبة لا بد من أن يغيبها * فصلّى عليه الله من متغيّب(5)

فانظروا رحمكم الله قول السيد هذا القول وهو (الغَيبة) كيف وقع له أن يقوله لولا أن سمعه من أئمته ، وأئمته سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله ، وإلاّ فهل يجوز لقائل أن يقول قولاً فيقع كما قال ما يخرم منه حرف ؟ ! عصمنا الله وإياكم من الهوى ، وبه نستعين ، وعليه نتوكّل(6).
قال السائل : فقد كان يجب أن ينقل هذه الأخبار مع الشيعة غيرهم .
فقال له : هذا غير لازم ولا واجب ، ولو وجب وجب أن لا يصحّ خبر لا ينقله المؤالف والمخالف وبطلت الأخبار كلها .
فقال السائل : فإذا كان الإمام عليه السلام غائباً طول هذه المدة لا يُنتفع به ، فما الفرق بين جوده وعدمه(7).
قال له : إن الله سبحانه إذا نصب دليلاً وحجة على سائر خلقه فأخافه الظالمون كانت الحجة على من أخافه لا على الله سبحانه ، ولو أعدمه الله كانت الحجة على الله لا على الظالمين ، وهذا الفرق بين جوده وعدمه .
قال السائل : ألا رفعه الله إلى السماء فإذا آن قيامه أنزله ؟
فقال له : ليس هو حجة على أهل السماء ، إنّما هو حجة على أهل الأرض، والحجة لا تكون إلا بين المحجوجين به ، وأيضاً فقد كان هذا لا يمتنع في العقل لولا الأخبار الواردة أن الأرض لا تخلو من حجة ، فلهذا لم يجز كونه في السماء وأوجبنا كونه في الأرض وبالله التوفيق .
فقام إنسان من المعتزلة وقال للشيخ المفيد : كيف يجوز ذلك منك وأنت نظار منهم قائل بالعدل والتوحيد ، وقائل بأحكام العقول ، تعتقد إمامة رجل ما صحت ولادته دون إمامته ، ولا وجوده دون عدمه ، وقد تطاولت السنون حتى أن المعتقد منكم يقول إن له عند ولد خمساً وأربعين ومائة سنة(8)، فهل يجوز هذا في عقل أو سمع ؟
قال له الشيخ : قد قلت فافهم ، اعلم : إن الدلالة عندنا قامت على أن الأرض لا تخلو من حجة.(9)
قال السائل : مسلّم لك ذلك ثمّ آيش ؟
قال له الشيخ : ثمّ إن الحجة على صفات ، ومن لا يكون عليها لم تكن فيه .
قال له السائل : هذا عندي ، ولم أر في ولد العباس ، ولا في ولد عليّ ، ولا في قريش قاطبة من هو بتلك الصفات ، فعلمت بدليل العقل أن الحجة غيرهم ، ولو غاب ألف سنة ، وهذا كلام جيد في معناه إذا تفكرت فيه ، لأنّه إذا قامت الدلالة بإن الأرض لا تخلو من حجة ، وإن الحجة لا يكون إلاّ معصوماً من الخطأ والزلل، لا يجوز عليه ما يجوز على الأُمّة ، وكانت المنازعة فيه لا في الغيبة ، فإذا سلّم ذلك كانت الحجة لازمة في الغيبة(10).

---

(1) راجع : اصول الكافي : ج 1 ص 338 ح 7 ، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص288 ح 1 وص 302 ح9وص 303 ح 14 - 16 ، عيون أخبار الرضا للصدوق : ج 2 ص 69 ح 36 ، بحار الأنوار : ج 51 ص 146 ح 14 وص 160 ح 6 (بما مضمون الخبر).
(2) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 289 ح 1 ، الأصول من الكافي : ج 1 ص 338 ح7 (ب في الغيبة) ، كتاب الغيبة للطوسي : ص 104 و 204 ، وفي الأخيرين : عن الأصبغ بن نباتة بدلاً من كميل بن زياد .
(3) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 325 ح 2 ، كتاب الغيبة للنعماني : ص 179 ح126 (وفيهما عن أبي عبد الله عليه السلام) .
(4) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 334 ح 3 .
(5) راجع : الغدير للأميني : ج 2 ص 246 - 247 ، ديوان السيد الحميري لشاكر هادي: ص116 - 117 رقم القصيدة : 20 .
(6) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 1 ص 34 - 35 ، الغدير للأميني : ج 2 ص 246 - 247 .
(7) روي عن الأعمش عن الصادق عليه السلام قال : لم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولو لم يعبد الله ، قال سليمان : فقلت للصادق عليه السلام : فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال : كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب . (بحار الأنوار : ج 52 ص 92 ح 6 وراجع: ح 7 و 8) .
(8) الذى يبدو أن هذه المناظرة وقعت في سنة 400 هـ .
(9) راجع : بحار الأنوار : ج 23 ص 37 ح 65 وح 67 .

(10) مصنفات الشيخ المفيد عليه الرحمة المجلد السابع (ص 11 - 16) (الرسالة الثانية).

المُناظرة الرابعة والستّون

مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في حديث لو اجتمع للإمام عليه السلام عدة أهل بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه : حضرت مجلس رئيس من الرؤساء ، فجرى كلام في الإمامة ، فانتهى إلى القول في الغيبة .
فقال صاحب المجلس : أليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد عليه السلام : انّه لو اجتمع للإمام عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف(1)؟
فقلت : قد روي هذا الحديث .
قال : أولسنا نعلم يقيناً أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدّة أهل بدر ، فكيف يجوز للإمام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها ؟
فقلت له : إن الشيعة وإن كانت في وقتنا كثيراً عددها ، حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعافاً مضاعفة ، فإن الجماعة التي عدتهم عدة أهل بدر إذا اجتمعت ، فلم يسع الإمام التقية ووجب عليه الظهور ، لم تجتمع في هذا الوقت ، ولا حصلت في هذا الزمان بصفتها وشروطها ، وذلك إنّه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة ، والصبر على اللقاء ، والإخلاص في الجهاد ، إيثار الآخرة على الدنيا ، ونقاء السرائر من العيوب ، وصحّة العقول ، وإنهم لا يهنون ولا ينتظرون عند اللقاء ، ويكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف ، وليس كلّ الشيعة بهذه الصفة ، ولو علم الله تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الإمام عليه السلام لا محالة ، ولم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين ، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه ، فلذلك ساغ للإمام الغيبة على ما ذكرناه .
قال : ومن أين لنا أن شروط القوم على ما ذكرت ، وإن كانت شروطهم هذه، فمن أين لنا أن الأمر كما وصفت ؟
فقلت : إذا ثبت وجوب الإمامة وصحت الغيبة لم يكن لنا طريق إلى تصحيح الخبر إلاّ بما شرحناه ، فمن حيث قامت دلائل الإمامة والعصمة وصدق الخبر حكمنا بما ذكرناه .
ثمّ قلت : ونظير هذا الأمر ومثاله ما علمناه من جهاد النبي صلى الله عليه وآله أهل بدر بالعدد اليسير الذين كانوا معه ، وأكثرهم أعزل راجل ، ثمّ قعد عليه وآله السلام في عام الحديبية ومعه من أصحابه أضعاف أهل بدر في العدد ، وقد علمنا أنّه صلى الله عليه وآله مصيباً في الأمرين جميعاً ، وأنّه لو كان المعلوم من أصحابه في عام الحديبية ما كان المعلوم منهم في حال بدر لما وسعه القعود والمهادنة ، ولوجب عليه الجهاد كما وجب عليه قبل ذلك ، ولو وجب عليه ما تركه لما ذكرناه من العلم بصوابه وعصمته على ما بيّناه .
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوحى إليه فيعلم بالوحي العواقب ، ويعرف الفرق من صواب التدبير وخطأه بمعرفة ما يكون ، فمن قال في علم الإمام بما ذكرت ؟ وما طريق معرفته بذلك ؟
فقلت له : الإمام عندنا معهود إليه ، مُوقَف على ما يأتي وما يذكر ، منصوب له أمارات تدله على العواقب في التدبيرات والصالح في الأفعال ، وإنما حصل له العهد بذلك عن النبي صلى الله عليه وآله الذي يوحى إليه ويطلع على علم السماء ، ولو لم نذكر هذا الباب واقتصرنا على أنّه متعبّد في ذلك بغلبة الظن وما يظهر له من الصلاح لكفى وأغنى ، وقام مقام الإظهار على التحقيق كائناً ما كان بلا ارتياب ، لا سيما على مذهب المخالفين في الإجتهاد وقولهم في رأي النبي صلى الله عليه وآله وإن كان المذهب ما قدّمناه .
فقال : لِم لا يظهر الإمام وإن أدى ظهوره إلى قتله فيكون البرهان له والحجة في إمامته أوضح ، ويزول الشكّ في وجوده بلا ارتياب ؟
فقلت : إنه لا يجب ذلك عليه عليه السلام ، كما لا يجب على الله تعالى معاجلة العصاة بالنقمات وإظهار الآيات في كلّ وقت متتابعات ، وإن كنّا نعلم أنه لو عاجل العصاة لكان البرهان على قدرته أوضح ، والأمر في نهيه أوكد ، والحجة في قبح خلافه أبين ، ولكان بذلك الخلق عن معاصيه أزجر ، وإن لم يجب ذلك عليه ولا في حكمته وتدبيره لعلمه بالمصلحة فيه على التفضيل ، فالقول في الباب الأول مثله على أنه لا معنى لظهور الإمام في وقت يحيط العلم فيه بأن ظهوره منه فساد ، وإنّه لا يؤول إلى إصلاح ، وإنّما يكون ذلك حكمة وصواباً إذا كانت عاقبته الصلاح، ولو علم عليه السلام إن في ظهوره صلاحاً في الدين مع مقامه في العالم أو هلاكه وهلاك جميع شيعته وأنصاره لما أبقاه طرفة عين ، ولا فتر عن المسارعة إلى مرضاة الله جلّ اسمه ، لكن الدليل على عصمته كاشف عن معرفته لردّ هذه الحال عند ظهوره في هذا الزمان بما قدّمناه من ذكر العهد إليه ، ونصب الدلائل والحد والرسم المذكورين له

في الأفعال .
فقال : لعمري ، إن هذه الأجوبة على الأصول المقررة لأهل الإمامة مستمرة، والمنازع فيها ـ بعد تسليم الأصول ـ لا ينال شيئاً ولا يظفر بطائل .
فقلت : من العجب إنّا والمعتزلة نوجب الإمامة ، ونحكم بالحاجة إليها في كلّ زمان ، ونقطع بخطأ من أوجب الإستغناء عنها في حال بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وهم دائماً يشنّعون علينا بالقول في الغيبة ، ومرور الزمان بغير ظهور إمام ، وهم أنفسهم يعترفون بأنّهم لا إمام لهم بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الزمان ، ولا يرجون إقامة إمام في قرب هذا من الأوان ، فعلى كلّ حال نحن أعذر في القول بالغيبة ، وأولى بالصواب عند الموازنة للأصل الثابت من وجوب الإمام ، ولدفع الحاجة إليها في كلّ أوان .
فقال : هؤلاء القوم وإن قالوا بالحاجة إلى الإمام فعذرهم واضح في بطلان الأحكام لعدم غيبة الإمام الذي يقوم بالأحكام ، وأنتم تقولون أن أئمتكم : قد كانوا ظاهرين إلى وقت زمان الغيبة عندكم ، فما عذركم في ترك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام .
فقلت له : إن هؤلاء القوم وإن اعتصموا في تضييع الحدود والأحكام بعد الأئمة الذين يقومون بها في الزمان ، فإنّهم يعترفون بأن في كلّ زمان طائفة منهم من أهل الحل والعقد قد جعل إليهم إقامة الإمام الذي يقوم بالحدود وتنفيذ الأحكام ، فما عذرهم عن كفهم عن إقامة الإمام وهم موجودون معروفو الأعيان، فإن وجب عليهم لوجودهم ظاهرين في كلّ زمان إقامة الإمام المنفذ للأحكام، وعانوا ترك ذلك في طول هذه المدة عاصين ضالين عن طريق الرشاد كان لنا بذلك عليهم ولن يقولوا بهذا أبداً ، وإن كان لهم عذر في ترك إقامة الإمام ، وإن كانوا في كلّ وقت موجودين ، فذلك العذر لأئمتنا عليهم السلام في ترك إقامة الحدود وإن كانوا موجودين في كلّ زمان ، على أن عذر أئمتنا عليهم السلام في ترك إقامة الأحكام أوضح وأظهر من عذر المعتزلة في ترك نصب الإمام ، لأنّا نعلم يقيناً بلا ارتياب أن كثيراً من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد شرّدوا عن أوطانهم ، وسفكت دماؤهم ، والزم الباقون منهم الخوف على التوهم عليهم أنهم يرون الخروج بالسيف ، وأنّهم ممّن (تُرجع) إليهم الأحكام ، ولم ير أحد من المعتزلة ولا الحشوية سفك دمه ، ولا شرّد عن وطنه ، ولا خيف على التوهم عليه ، والتحقيق منه أنه يرى في قعود الأئمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل هؤلاء القوم يصرّحون في المجالس بأنهم أصحاب الاختيار ، وإن إليهم الحل والعقد والإنكار على الطاعة ، وإن من مذهبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً لازماً على اعتقادهم ، وهم مع ذلك آمنون من السلطان ، غير خائفين من نكيره عليهم من هذا المقال .
فبان بذلك أنّه لا عذر لهم في ترك إقامة الإمام ، وإن العذر الواضح الذي لا شبهة فيه ، حاصل لأئمتنا عليهم السلام من ترك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام ، لما بيّناه من حالهم ووصفناه ، وهذا واضح ، فلم يأت بشيء ، ولله الحمد ولرسوله وآله الصلاة والسلام والله الموفق للصواب.(2)

---

(1) فقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال : إذا اجتمع للإمام عدّة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر وجب عليه القيام والتغيير (بحار الأنوار : ج 100 ص 49 ح 18) وبمضمون هذا الحديث بتفاوت ، راجع : عيون أخبار الرضا للصدوق : ج 2 ص 64 - 65 ح 29 ، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 2 ص 654 ح 20 و21 ب 57 وص 672 ح 25 ب 58 ، تفسير علي بن ابراهيم : ج 1 ص 323 ، كتاب الغيبة للنعماني : ص315ح9.
(2) مصنفات الشيخ المفيد رحمه الله المجلد السابع (ص 11 - 12) (الرسالة الثالثة).

المُناظرة الخامسة والستّون

مناظرة الشيخ الصدوق (1)مع ملحد عند ركن الدولة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام
ولقد كلمني بعض الملحدين في مجلس الأمير السعيد ركن الدولة رضي الله عنه فقال لي : وجب على إمامكم أن يخرج فقد كاد أهل الرُّوم يغلبون المسلمين.
فقلت له : إنّ أهل الكفر كانوا في أيّام نبيّنا صلى الله عليه وآله أكثر عدداً منهم اليوم ، وقد أسرَّ صلى الله عليه وآله أمره وكتمه أربعين سنة بأمر الله جلّ ذكره ، وبعد ذلك أظهره لمن وثق به وكتمه ثلاث سنين عمّن لم يثق به، ثُمَّ آل الأمر إلى أن تعاقدوا على هجرانه وهجران جميع بني هاشم والمحامين عليه لأجله، فخرجوا إلى الشعب وبقوا فيه ثلاث سنين فلو أنَّ قائلاً قال في تلك السنين : لم لا يخرج محمد صلى الله عليه وآله فإنَّه واجب عليه الخروج لغلبة المشركين على المسلمين ؟ ما كان يكون جوابنا له إلاّ أنّه صلى الله عنه وآله بأمر الله تعالى ذكره خرج إلى الشعب حين خرج وبإذنه غاب ومتى أمره بالظهور والخروج خرج وظهر .
لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله بقي في الشعب هذه المدَّة حتى أوحى عزَّ وجلَّ إليه أنّه قد بعث أرضةً على الصحيفة المكتوبة بين قريش في هجران النبي صلى الله عليه وآله وجميع بني هاشم، المختومة بأربعين خاتماً ، المعدلة عند زمعة بن الأسود فأكلت ما كان فيها من قطيعة رحم وتركت ما كان فيها اسم الله عزّ وجلّ ، فقام أبو طالب فدخل مكّة، فلمّا رأته قريش قدروا أنّه قد جاء ليسلم إليهم النبي صلى الله عليه وآله حتى يقتلوه أو يرجعوه عن نبوَّته، فاستقبلوه وعظّموه فلمّا جلس قال لهم : يا معشر قريش إنَّ ابن أخي محمد لم أجرب عليه كذباً قطُّ ، وإنّه قد أخبرني أنَّ ربّه أوحى إليه أنّه قد بعث على الصحيفة المكتوبة بينكم الأرضة ، فأكلت ما كان فيها من قطيعة رحم وتركت ما كان فيها من أسماء الله عزّ وجلّ ، فأخرجوا الصحيفة وفكّوها فوجدوها كما قال، فآمن بعضٌ وبقي بعض على كفره، ورجع النبي صلى الله عليه وآله وبنو هاشم إلى مكّة(2)، هكذا الإمام عليه السلام إذا أذن الله له في الخروج خرج .
وشيء آخر وهو أن الله تعالى ذكره أقدر على أعدائه الكفار من الإمام ، فلو أن قائلاً قال : لِمَ يمهل الله أعداءه ولا يبيدهم وهم يكفرون به ويشركون ؟ لكان جوابنا له أنَّ الله تعالى ذكره لا يخاف الفوت فيعاجلهم بالعقوبة، و (لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون)(3) ولا يقال له : لِمَ ولا وكيف ، وهكذا إظهار الإمام إلى الله الذي غيّبه فمتى أراده أذن فيه فظهر.
فقال الملحد : لست أؤمن بإمام لا أراه ، ولا تلزمني حجّته ما لم أره .
فقلت له : يجب أن تقول : إنّه لا تلزمك حجّة الله تعالى ذكره لأنّك لا تراه، ولا تلزمك حجّة الرسول صلى الله عليه وآله لأنّك لم تره .
فقال للأمير السعيد ركن الدولة رضي الله عنه : أيّها الأمير راع ما يقول هذا الشيخ فإنّه يقول : إنَّ الإمام إنّما غاب ولا يُرى لأنّ الله عزّ وجلّ لا يُرى .
فقال له الأمير رحمه الله : لقد وضعت كلامه غير موضعه وتقوَّلت عليه ، وهذا انقطاع منك وإقرار بالعجز.
وهذا سبيل جميع المجادلين لنا في أمر صاحب زماننا عليه السلام ما يلفظون في دفع ذلك وجحوده إلاّ بالهذيان والوساوس والخرافات المموَّهة(4).

---

(1) هو : الشيخ الأجل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المشتهر بالصدوق ـ رضي الله تعالى عنه وأعلى مقامه ـ شيخ من مشائخ الشيعة، وركن من أركان الشريعة، رئيس المحدثين، ولد في قم حدود سنة 306 هـ بدعاء الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ ، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، ووصفه الإمام عليه السلام في التوقيع الخارج من ناحيته المقدسة بأنه : فقيهٌ خيّر مبارك ينفع الله به، فعمّت بركته ببركة الإمام عليه السلام وانتفع به الخاص والعام، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيّام، وعمّ الانتفاع بفقهه وحديثه الفقهاء الأعلام ، وكان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقلاً للأخبار لم يُرَ في القمّيين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو ثلاثمائة مصنّف في شتى فنون العلم وأنواعه، وأشهرها : كتاب من لا يحضره الفقيه، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، علل الشرائع ، إكمال الدين وإتمام النعمة ، أمالي الصدوق، معاني الأخبار، توفي ـ عليه الرحمة ـ في بلدة الري سنة 381 هـ ، وقبره بالقرب من قبر السيد عبد العظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه .
راجع ترجمته في : تنقيح المقال للعلامة المامقاني : ج3 ص154 ترجمة رقم : 11104، الفهرست للشيخ الطوسي : ص156 ترجمة رقم : 695، روضات الجنات : ج6 ص132 ترجمة رقم : 574 ، وفي أكثر كتبه في المقدمة وفي العديد من الكتب الرجالية.
(2) راجع قصة الصحيفة في : البداية والنهاية لابن كثير : ج 2 ص 95 - 97 ، دلائل النبوة لأبي نعيم : ج 1 ص 272 - 275 ح 205 ، الكامل في التأريخ لابن الأثير : ج 2 ص 87 - 90 ، بحار الأنوار : ج 19 ص 1 - 4 ح 1 .

(3) سورة الأنبياء : الآية 23 .
(4) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج1 ص87 - 88 .

المُناظرة السادسة والستّون

مناظرة ابن طاووس (1)مع بعض أهل الخلاف في أمر بعض الصحابة والرجهة والمتعة وغيبة الإمام المهدي عليه السلام

يقول ابن طاووس ـ عليه الرحمة ـ : ولقد جمعني وبعض أهل الخلاف مجلس منفرد فقلت لهم : ما الذي تأخذون على الإمامية ، عرّفوني به بغير تقيّة لأذكر ما عندي ، وفيه غلقنا باب الموضع الذي كنّا ساكنيه ؟
فقالوا : نأخذ عليهم تعرضهم بالصحابة، ونأخذ عليهم القول بالرجعة ، والقول بالمتعة، ونأخذ عليهم حديث المهدي عليه السلام وأنّه حي مع تطاول زمان غيبته؟
فقلت لهم : أما ما ذكرتم من تعرض من أشرتم إليه بذم بعض الصحابة، فأنتم تعلمون أن كثيراً من الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لمولانا علي عليه السلام وفي حرب معاوية له أيضاً ، واستباحوا أعراض بعضهم لبعض حتى لعن بعضهم بعضاً على منابر الإسلام ، فأولئك هم الذين طرقوا سبيل الناس للطعن عليهم ، وبهم اقتدى من ذمهم ونسب القبيح إليهم، فإن كان لهم عذر في الذي عملوه من استحلال الدماء وإباحة الأعراض، فالذين اقتدوا بهم أعذر وأبعد من أن تنسبوهم إلى سوء التعصب والإعراض ، فوافقوا على ذلك .
وقلت لهم : وأمّا حديث ما أخذتم عليه من القول بالرجعة ، فأنتم تروون أن النبي صلى الله عليه وآله قال : إنّه يجري في أُمّته ما جرى في الأُمم السابقة(2)وهذا القرآن يتضمن (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الموتِ فَقَالَ لَهم اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أحياهُمْ)(3)فشهد جلّ جلاله أنه قد أحيا الموتى في الدنيا وهي رجعة ، فينبغي أن يكون في هذه الأُمّة مثل ذلك ، فوافقوا على ذلك.
فقلت لهم : وأمّا أخذكم عليهم بالقول بالمتعة فأنتم أحوجتم الشيعة إلى صحّة الحكم بها ، لأنّكم رويتم في صحاحكم عن جابر(4)بن عبدالله الأنصاري، وعبدالله بن عباس(5)، وعبدالله بن مسعود(6)، وسلمة بن الأكوع(7)، وعمران بن الحصين(8) وأنس بن مالك، وهم من أعيان الصحابة(9)أنّ النبي صلى الله عليه وآله مات ولم يحرّمها ، فلمّا رأت الشيعة أن رجالكم وصحاح كتبكم قد صدقت رجالكم، ورواتهم أخذوا بالمجمع عليه وتركوا ما أنفردتم به ، فوافقوا على ذلك.
وقلت لهم : وأمّا ما أخذتم عليهم من طول غيبة المهدي عليه السلام فأنتم تعلمون، أنّه لو حضر رجل وقال : أنا أمشي على الماء ببغداد فإنّه يجتمع لمشاهدته، لعل من يقدر على ذلك منهم فإذا مشى على الماء وتعجب الناس منه فجاء آخر قبل أن يتفرقوا ، وقال أيضاً : أنا أمشي على الماء فإن التعجب منه يكون أقل من ذلك فمشى على الماء فإن بعض الحاضرين ربما يتفرقون ويقل تعجبهم ، فإذا جاء ثالث وقال : أنا أيضاً أمشي على الماء فربّما لا يقف للنظر إليه إلاّ قليل فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك ، فإن جاء رابع وذكر أنّه يمشي أيضاً على الماء فربّما لا يبقى أحد ينظر إليه ولا يتعجب منه وهذه حالة المهدي عليه السلام لأنّكم رويتم أنّ إدريس عليه السلام حي(10)موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن، ورويتم أن الخضر عليه السلام حي موجود منذ زمان موسى عليه السلام أو قبله إلى الآن(11)ورويتم أن عيسى حي موجود(12) في السماء وأنّه يرجع إلى الأرض(13)مع المهدي عليه السلام فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم ، وسقط التعجب بهم من طول أعمارهم ، فهلا كان لمحمد بن عبدالله ـ صلوات الله عليه وآله ـ أسوة بواحد منهم أن يكون من عترته آية لله جلّ جلاله في أُمّته بطول عمر واحد من ذريته فقد ذكرتم ورويتم في صفته: أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً(14)، ولو فكرتم لعرفتم أن تصديقكم وشهادتكم أنه يملأ الأرض بالعدل شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً أعجب من طول بقائه ، وأقرب إلى أن يكون ملحوظاً بكرامات الله(15)جلّ جلاله لأوليائه ، وقد شهدتم أيضاً له أن عيسى بن مريم النبي المعظم عليهما السلام يصلّي خلفه(16) مقتدياً به في صلواته وتبعاً له ومنصوراً به في حروبه وغزواته ، وهذا أيضاً أعظم مقاماً مما استبعدتموه من طول حياته فوافقوا على ذلك؛ وفي حكاية الكلام زيادة فاطلب من الطرائف وغيرها(17).

---

(1) هو : رضي الدين أبو القاسم علي بن السيد سعد الدين بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبدالله محمد الطاووس بن إسحاق بن الحسن بن محمد ابن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، ولد في سنة 589 هـ بالحلّة ونشأ بها وترعرع، ثمّ هاجر إلى بغداد وأقام بها نحواً من خمس عشرة سنة ، وأسكنه المستنصر العباسي داراً في الجانب الشرقي من بغداد، ثمّ رجع إلى الحلّة، ثمّ انتقل إلى النجف ثم كربلاء ثمّ عاد إلى بغداد ، ولي نقابة الطالبيين وبقي فيها إلى

أن توفّي سنة 664 هـ ، نشأ وسط أسرة علمية عريقة، وتتلمذ على أيدي علماء أعلام منهم: الشيخ ورّام والشيخ نجيب الدين محمد بن نما وغيرهم الكثير، وروى عنه الكثير منهم : الأربلي صاحب كشف الغمّة، وسديد الدين والد العلاّمة الحلّي وغيرهم، ترك ثروة ضخمة من التآليف القيمة منها : أسرار الصلاة، الإقبال، التحصين، كشف المحجّة إلى ثمرة المهجة، اليقين .
انظر ترجمته في : مقدّمة اليقين وجمال الأسبوع، أمل الآمل : ج2 ص205 ترجمة رقم : 622 ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره : ج12 ص188 ترجمة رقم : 8532، سفينة البحار : ج2 ص96 .
(2) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله المروي عنه : يكون في هذه الأُمّة كل ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة . والمروي عنه أيضاً : لم يجر في بني إسرئيل شيء إلاّ ويكون في أُمّتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف . وقد تقدّمت تخريجاته فيما سبق .
(3) سورة البقرة : الآية 243 .
(4) راجع : كنز العمّال : ج16 ص520 ح45719 وح 45720 ، وروي عن جابر من طريق قال : كنا نستمتع بالقبضة من التمر، والدقيق، على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبي بكر، حتى نهى عمر بن الخطاب، لأجل عمرو بن حريث لما استمتع . صحيح مسلم : النكاح ب نكاح المتعة: ج2 ص 1023 ح16 ، فتح الباري للعسقلاني : ج 9 ص 141 ، نهج الحقّ وكشف الصدق : ص283 .
(5) راجع : صحيح البخاري : ج 6 ص 66 ، كنز العمّال : ج16 ص521 ح45725 ، الدر المنثور للسيوطي : ج2 ص483 - 484 .
(6) راجع : كنز العمّال : ج16 ص527 ح45748 ، الدر المنثور للسيوطي: ج2 ص485.
(7) فتح الباري للعسقلاني : ج 9 ص 141 ، صحيح مسلم : ج 2 ص 1022 ح 13 و 14 ، كنز العمال : ج 16 ص 526 ح 45740 و 45741 .
(8) وروي عن عمران بن حصين، قال : نزلت متعة النساء في كتاب الله تعالى ، وعملنا مع النبي صلى الله عليه وآله ولم ينزل القرآن بحرمتها، ولم ينه عنها حتى مات .
راجع : صحيح البخاري : ج 2 ص 176 و ج 6 ص 33 ، مسند أحمد بن حنبل : ج4 ص436 ، التفسير الكبير للرازي : ج10 ص49 - 50 ، نهج الحق وكشف الصدق: ص283.
(9) وهناك الكثير من الصحابة والتابعين (وسوف يأتي ذكرهم تفصيلاً في هامش مناظرة ابن عباس مع الزبير) من يرى حلية المتعة
راجع : المحلى لابن حزم : ج9 ص519 ، الجامع لأحكام القرآن للطبري : ج 5 ص 133 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص254 ، الغدير للأميني : ج6 ص220 - 222 ، النص والاجتهاد للسيد شرف الدين : ص212 - 218، المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي : ص44 و64.
(10) راجع : قصص الأنبياء عليهم السلام ، لابن كثير : ج1 ص101 - 102 ، أخبار الدول للقرماني: ص22.
(11) راجع : قصص الأنبياء عليهم السلام ، لابن كثير : ج 2 ص 200 ، أخبار الدول للقرماني:ص44.
(12) راجع : قصص الأنبياء عليهم السلام ، لابن كثير : ج2 ص436 و 442 ، أخبار الدول للقرماني : ص76.
(13) راجع : صحيح البخاري : ج 4 ص 205 ، ب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، المصنّف لعبدالرزاق الصنعاني : ج11 ص400 ح20841 ، مسند أحمد : ج2 ص272 ، مصابيح السنة للبغوي : ج3 ص516 ح4261 ، فردوس الأخبار للديلمي : ج3 ص342 ح4916، جامع الأصول لابن الأثير : ج10 ص327 ح7831 ، معجم أحاديث الامام المهدي عليه السلام . ج1 ص518 - 537 .
(14) راجع : الكتاب المصنف لابن أبي شيبة : ج15 ص198 ح19494، جامع الأصول لابن الأثير : ج 10 ص 330 ح 7833 و 7834 و 7836 و 7837 ، ينابيع المودة : ص448 ، غاية المرام للبحراني : ص704 ح162 ، كنز العمّال : ج14 ص264 ح38665 وص 265 ح 38667 و ص 266 ح 38669 و ح 38670 و ص 267 ح 38675 و 38676، كشف الغمّة للأربلي : ج2 ص468 - 476، معجم أحاديث الامام المهدي7: ج1 ص 104 .
(15) جاء في الكتاب المصنّف : ج 15 ص 199 ح 19499 عن النبي صلى الله عليه وآله أن المهدي لا يخرج حتى تُقتل النفس الزكية ، فإذا قُتلت النفس الزكية غضب عليهم مَن في السماء ومَن في الأرض ، فأتى الناس المهدي ، فزفوه كما تُزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها ، وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وتخرج الأرض نباتها ، وتمطرُ السماء مطرها ، وتنعم أمتي في ولايته نعمةً لم تنعمها قط.
(16) راجع : الكتاب المصنف لابن أبي شيبة : ج15 ص198 ح19495 ، كنز العمّال : ج14 ص266 ح 38673 ، الجامع الصغير للسيوطي : ج 2 ص 546 ح 8262 ، كشف الغمّة للأربلي : ج2 ص479 - 480، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج1 ص 528 .
(17) كشف المحجة لابن طاووس : ص54 - 56 .

المُناظرة السابعة والستّون

مناظرة ابن طاووس مع بعضهم في غيبة الإمام المهدي عليه السلام
وقد كان سألني بعض من يذكر أنه معتقد لِإمامته فقال : قد عرضت لي شبهة في غيبته.
فقلت : ما هي ؟
فقال : أما كان يمكن أن يلقى أحداً من شيعته ويزيل الخلاف عنهم في العقائد ، ويتعلق بدين جدّه محمد صلى الله عليه وآله وشريعته ، واشترط عليَّ أن لا أجيبه بالأَجوبة المسطورة في الكتب ، وذكر أنه ما أزال الشبهة منه ما وقف عليه ، ولا ما سمعه من الأَعذار المذكورة .
فقلت له : أيهما أقدر على إزالة الخلاف بين العباد ، وأيما أعظم وأبلغ في الرحمة والعدل والإِرفاد ، أليس الله جلّ جلاله ؟
فقال : بلى .
فقلت له : فما منع الله جلّ جلاله أن يزيل الخلاف بين الأُمم أجمعين ، وهو أرحم الراحمين وأكرم الأَكرمين ، وهو أقدر على تدبير ذلك بطرق لا يحيط بها علم الآدميين ، أفليس أن ذلك لعذر يقتضيه عدله وفضله على اليقين ؟
فقال : بلى .
فقلت له : فعذر نائبه عليه السلام هو عذره على التفصيل ، لأَنّه ما يفعل فعلاً إلاّ ما يوافق رضاه على التمام .
فوافق وزالت الشبهة ، وعرف صدق ما أورده الله جل جلاله على لساني من الكلام(1).

---

(1) كشف المحجة لابن طاووس : ص150 - 151 .

المُناظرة الثامنة والستّون

مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ سيف في غيبة الإمام المهدي عليه السلام

ذهبت إلى دائرة الآمر بالمعروف عند الشيخ سيف رئيس الهيئة وقلت: مكتوب بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله المهدي محمد عليه السلام ، فقلت: من محمد المهدي؟

قال: مكتوب بالأحجار؟

قلت: نعم مكتوب بالأحجار وسط المسجد قبال باب المجيدي.

فقال: يقولون صاحب الزمان.

قلت: وأنت ما تقول في حقه؟

قال: أنا ما أعرفه.

قلت: مذكور في كتبكم نحواً من خمسين رواية أنه هو الثاني عشر من أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

قال: ليست الروايات في الكتب المعتبرة.

قلت: أنا أحضرها لك.

قال: ليس بلازم.

قلت: أنا أستدل بالآيات الشريفة من القرآن.

قال: أيّةُ آية؟

قلت: آية اربع وخمسين من سورة النور: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونه ولا يشركون به شيئاً). فالآية تدل على أن الخلافة ستكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات، والخلافة تكون في جميع الأرض لمن كان خائفاً ، ويمكّن الخلافة والدين لشخص تكون هذه صفته.

فقال الشيخ: هذه الآية بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان خائفاً بمكة ، ثم جاء المدينة فصار مستقراً.

قلت: أنا استدل بآية اخرى.

قال: أيّةُ آية؟

قلت: آية مائة وأربعة من سورة الأنبياء: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون). والمهدي الحجة بن الحسن من أحد عباد الله الصالحين الذين يرثون الأرض.

قال: الشيعة تقول أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو النبي صلى الله عليه وآله.

قلت: لعن الله كل شيعي يعتقد ذلك ، وكل من يفتري على الشيعة بالقول بأن علي بن أبي طالب عليه السلام هو النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الشيعة تقرأ في كل يوم هذه الآية من سورة الأحزاب آية تسع وثلاثين: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)ويعلم بأن الرسول صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، لكن الشيعة تقول بأن الرسول صلى الله عليه وآله بعد رجوعه من مكة في عام حجة الوداع أقام بالجمعة وصرّح بأن علي بن أبي طالب عليه السلام وصيه ووارثه ومولى كل مؤمن ومؤمنة في يوم الغدير ، ومسجد الغدير الآن معروف عندكم مذكور في كتبكم مثل: وفاء الوفاء(1)وتاريخ المدينة المنورة.

ثم قال: أنتم تقولون: المهدي هو الغائب في السرداب.

قلت : إنا لا نقول أنه غائب في السرداب ، بل نقول غائب عن الأنظار ، وهو حي مرزوق.

قال: كيف يكون طول عمره؟

قلت: أما قرأت القرآن حيث يقول بالنسبة لنوح (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً)(2) وبالنسبة إلى عيسى بن مريم يقول : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم)(3).

قال: أنتم تقولون المهدي هو المرفوع إلى السماء.

قلت: لا، لكن نقول الله الذي هو قادر على أن يبقي عيسى بن مريم مدة طويلة ، قادر على أن يبقي المهدي الحجة بن الحسن عليه السلام مدة طويلة.

قال الشيخ رئيس الهيئة : لا تتكلم معي، لا تتباحث معي، فلقد تزلزلت عقيدتي(4).

---

(1) وفاء الوفاء للسمهودي : ج 3 ص 1018 .
(2) سورة العنكبوت : الآية 14 .
(3) سورة النساء : الآية 157 .
(4) مناظرات في الحرمين للبطحائي : ص 37 - 39 .

المُناظرة التاسعة والستّون

مناظرة أحد المحققين مع أحد الباحثين في مسألة أصحاب الإمام الحجة عليه السلام
وردت روايات مختلفة وبعبارات شتى في شأن القضايا التي تتعلق بالإمام المهدي عليه السلام ، والتحاق 313 نفر من أصحابه إليه عند ظهوره من مكة المكرمة، إمام العصر عليه السلام أيضاً في انتظار تكامل عدّتهم، وهؤلاء الأصحاب هم السابقون الأولون لبيعة الامام (عج) ، وبحضورهم يعلن الإمام عليه السلام عن الخروج، ويبدأ الخروج بشكل مراحل، فهؤلاء الأصحاب هم حملة ألوية الإمام (عج)، وولاته على الكرة الأرضية بأسرها.
وهذه المناظرة حدثت بين أحد الباحثين عن الحقيقة مع أحد المحققين الإسلاميين في شأن هذه المسألة.
الباحث: تفضل علينا بذكر حديث ورد في عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، وأنهم 313 نفر.
المحقق: ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة، بل لا ينحصر بحديث واحد، هناك عدّة أحاديث واردة في هذا الشأن، تحكي عن (313) نفر من أصحاب الإمام (عج) ، بل يُدعى التواتر المعنوي لهذا الحديث، وبعبارة أخرى، إن أصل المعنى في شأن اصحاب الإمام (عج) إلى حدٍ يوجب العلم والقطع به، لإنه لايمكن تواطؤ هذا العدد الهائل من الرواة على الكذب فيه.
الباحث: فأرجوا من سماحتكم أن تذكروا لنا حديثاً أو حديثين من تلك الأحاديث الكثيرة المتواترة في أصحاب إمام العصر (عج)، وكما يقول المثل: ما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه.
المحقق: ورد في تفسير الآية 80 من سورة هود عليه السلام قال لوط لقومه المعاندين: (لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد)، عن صالح بن سعيد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) قال عليه السلام : القوة القائم (عج)، والركن الشديد ثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه »(1).
وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « لكأني أنظر إليهم مصعّدين من نجف الكوفة ثلاث مأة وبضعة عشر رجلاً كأنّ قلوبهم زبر الحديد... »(2).
الباحث: هل ، لم يتكامل هذاالعدد من أصحاب الإمام عليه السلام حتى الآن ليلتحقوا به، ويحل زمن ظهور إمام العصر (عج) وتنجو البشرية من هذه الويلات؟
المحقق: تذكر لنا الروايات إن لهؤلاء الأصحاب مميزات، فمع التأمل في هذه المميزات يتضح لنا أنّ البشرية في عصر الغيبة تفتقد لمثل هؤلاء الأفراد.
الباحث: ما هي هذه المميزات؟
المحقق: على سبيل المثال:نقرأ في رواية عن الإمام السجاد عليه السلام ، يذكر القائم في خبر طويل إلى أن يقول: « ثمّ يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها، فيقوم رجل منه فينادي : أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال: فيقومون، ثم يقوم هو بنفسه، فيقول (عج): أيها الناس أنا فلان بن فلان أنا ابن نبيّ الله، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبيّ الله صلى الله عليه وآله .
فيقومون إليه ليقتلوه، فيقوم ثلاثمائة أو ينيف ثلاثمأة فيمنعونه منه خمسون من أهل الكوفة، وسائرهم من أفناء الناس لا يعرف بعضهم بعضاً ، اجتمعوا على غير ميعاد »(3).
ووردت روايات عديدة في أوصافهم منها: « يجمعهم الله بمكة قزعاً كقزع الخريف »(4) .
بمعنى: أنهم يحضرون عند القائم (عج) في مكة كالبرق الخاطف، وقال الإمام الصادق عليه السلام : « وكأنّي أنظر إلى القائم على منبر الكوفة، وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً عدّة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه على خلقه »(5).
نفهم من هذا الحديث، يجب أن يكون أصحاب الإمام القائم (عج) على مستوى عالٍ من العلم والكمال والشجاعة وسائر القيم والفضائل والصفات الإسلامية الحميدة، مثلاً لو قسمنا الكرة الأرضية إلى 313 ولاية، فيكون كل واحد منهم لائقاً وكفوءً وقائداً لرفع راية هذه الولاية، وهل تملك اليوم الكرة الأرضيةهذا العدد من القوّاد ، وبهذه الخصوصيات والمميزات حتى يستطيع كل واحدٍ منهم أن يتولى ولاية في حكومة الإمام المهدي (عج).
الباحث: الآن فهمت الموضوع، ليس اليوم على الكرة الأرضية بأسرها 313 رجلاً بهذه المميزات، فيجب أن نسعى لإيجاد الأرضية الصالحة الصلبة، تمد جذورها القوية إلى جميع الجهات حتى تستعد الدنيا لاستقبال الإمام المهدي (عج) عند ظهوره كما احتاج النبي صلى الله عليه وآله لتحقيق أهداف رسالته المقدسة إلى تربية الكوادر المؤمنة والعالمة والشجاعة والمدبرة في الأمور السياسية، وكذلك الإمام المهدي (عج) بحاجة إلى هذه الكوادر الرسالية وبهذه المميزات، فأود أن أسمع أيضاً من مميزات هؤلاء الأصحاب.
المحقق: نقرأ في الآية 148 من سورة البقرة: (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال بعد ذكر الآية الشريفة: « يعني اصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، وهم والله الأمة

المعدودة ، يجتمعون والله في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف »(6).
ومن مميزاتهم: أنهم يأتون من البلاد النائية إلى مكة، كما جاء في الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال: « فيجمع الله تعالى عسكره في ليلة واحدة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاص الأَرض »(7).
وينتظرهم الإمام المهدي (عج) في « ذي طوى »(8)يبعد عن مكة فرسخاً واحداً، حتى يلتحقون به في جانب الكعبة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن القائم يهبط من ثنية ذي طوى في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، حتى يسند ظهره إلى الحجر ويهز الراية الغالبة »(9).
وهؤلاء الأَصحاب أول من يبايعه (عج)، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:
« فيكون أول من يبايعه جبرئيل، ثم الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً »(10).
فترعاهم الإمدادات الغيبية العظيمة، ويد الله وعنايته فوق رأس الإمام المهدي (عج) وأصحابه كما ورد حديث في هذا الشأن عن الإمام السجاد عليه السلام ، عن أبي خالد الكابلي قال: قال لي علي بن الحسين عليه السلام : « يا أبا خالد لتأتين فتن اليَّ... » إلى أن قال: « كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة وبضعه عشر رجلاً، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وإسرافيل أمامه، معه راية رسول الله صلى الله عليه وآله قد نشرها لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله »(11).
الباحث: لماذا تنطق الأَحاديث عن الرجال فقط في ركب الإمام المهدي (عج) دون النساء؟
المحقق: علة ذكر الرجال دون النساء يرجع إلى بداية ظهور الإمام المهدي (عج) وهي مرحلة عصيبة فيها الجهاد والحرب والدفاع عن الإسلام، فتقتضي حضور الرجال في هذه الميادين، وللنساء دور خلف ميادين الجهاد والدفاع عن الإمام المهدي عليه السلام .
وأشارت بعض الروايات الواردة في موضوع 313 رجلاً من خواص الإمام عليه السلام إلى دور النساء وحضورهنّ أيضاً، منها:
عن الإمام الباقر عليه السلام : « ويجيء والله ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف »(12).
وعن المفضل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشرة امرأة » قلت: وما يصنع بهن؟ قال عليه السلام : « يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله »(13).
الباحث: فهذه العدّة من الرجال والنساء، مع عظمة قيام المهدي (عج) العالمية، أليس قليلاً؟
المحقق: هؤلاء الركب الأَوّل الذين يلتحقون بالإمام (عج) عند ظهوره، ثم مع مرور الزمن يتكاثر المؤمنون حوله ويزدادون عدداً وقوة، وبعبارة أخرى: يعتبر هؤلاء خواص الإمام عليه السلام ، ويشكلون النواة المركزية لمقر حكومته العالمية كما ورد في الرواية.
جاء في فصل الخطاب عن الشيخ محي الدين بن العربي في ذكر المهدي عليه السلام قال: « يكون معه ثلاثمائة وستون رجلاً من رجال الله الكاملين يبايعونه بين الركن والمقام... وله رجال يقيمون دعوته وينصرونه ، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة »(14).
وأيضاً قال: « يفتحون مدينة الروم بالتكبير، فيكبرون التكبيرة الأولى فيسقط ثلثها، ويكبرون التكبيرة الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور، ويكبرون التكبيرة الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف »(15).
وفي رواية أُخرى: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صدّيق ، فيكونون من أصحابه وأنصاره ويردّ السواد إلى أهله، وهم أهله »(16).
ولإتمام هذه المناظرة، وبما انه خاتمة الكتاب الفت أنظاركم إلى مطالب لطيفة وأزينها بهذه الأَحاديث:
1 ـ عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : « ينادى باسم القائم ـ صلوات الله عليه ـ في ليلة ثلاث وعشرين ، ويقوم في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن عليّ عليه السلام »(17).
2 ـ عن علي بن الحسين السجّاد عليه السلام قال: « إذا قام قائمنا أذهب الله عزوجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد ، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً ، ويكونون حكام الأَرض وسنامها »(18).
3 ـ عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام : « فإذا وقع أمرنا وخرج مهدينا عليه السلام كان أحدهم أجرى من الليث، وأمضى من السنان، ويطأ عدوَّنا بقدميه ، ويقتله بكفيه »(19).
4 ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « ليغُذَنَّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً »(20).
5 ـ عن عبدالعظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام : من حديث طويل قال عليه السلام : « ويذلُّ له كلَّ صعب »(21).(22)

(1) تفسير القمّي : ج 1 ص 336 ، تفسير البرهان: ج3 ص127 ح 5154 ، اثبات الهداة: ج3 ص551 ح 564 ، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ج 2 ص 673 ح 26.
(2) بحار الأنوار: ج52 ص343 ح 91 .
(3) بحار الأنوار: ج52 ص306ح 79.
(4) بحار الأنوار : ج 52 ص 239 ح 105 وج 51 ص 55 ح 42 .
(5) بحار الأنوار: ج52 ص326 ح 42.
(6) إثبات الهداة: ج3 ص451 ح 62 ب 32 ، بحار الأنوار : ج 52 ص 368 .
(7) إثبات الهداة: ج3 ص587 ح 804 ، بحار الأنوار : ج 51 ص 157 ح4 .
(8) ذُو طُوىً : وادٍ بمكة المكرمة ، ويروى أنّ النبي (ص) لمّا انتهى إلى ذي طوىً عام الفتح ، وقف على راحلته مُعتجراً بشقة بُرد حبرة حمراء ، وإنّه ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إنّ عُثنونَه ليكاد يَمسُّ واسطة الرحل . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للاندلسي : ج 3 ص 896 .
(9) إثبات الهداة: ج3 ص 547 ح 541 ، بحار الأنوار : ج 52 ص 370 ح 158 .
(10) بحار الأنوار: ج52 ص315ح 10 .
(11) إثبات الهداة: ج3 ص556 ح 602 ، بحار الأنوار : ج 51 ص 135 ح 3 .
(12) بحار الأنوار: ج52 ص223 ح.87
(13) إثبات الهداة: ج3 ص575 ح 725 (ب 32 فصل 38).
(14) المجالس السنية للأمين: ج5 ص711 .
(15)المجالس السنية للأمين: ج5 ص724 .
(16) بحار الأنوار: ج52 ص390 ح 212.
(17) الإرشاد للمفيد ص361 ، بحار الأنوار: ج52 ص290 ح 29.
(18) بحار الأنوار: ج52 ص316 ح 12 .
(19) بحار الأنوار: ج52 ص372 ح 164 .
(20) بحار الأنوار: ج52 ص366 ح 146 .
(21) بحار الأنوار: ج51 ص157 ح 4.
(22) أجود المناظرات ، للاشتهاردي : ص 417 - 425 .

حديث الصحابة

المُناظرة السبعون

مناظرة الشيخ المفيد مع الورثاني في مسألة شورى النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه
ومن كلام الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ أيضاً في دار الشريف أبي عبدالله محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله ، وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثاني وهو من فهمائهم ، فقال له الورثاني : أليس من مذهبك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الخطأ ، مبرأ من الزلل، مأموناً عليه من السهو والغلط ، كاملاً بنفسه غنياً عن رعيته.
فقال له الشيخ ـ أيده الله ـ : بلى كذلك كان صلى الله عليه وآله .
قال له : فما تصنع في قول الله جلّ جلاله : (وَشَاوِرْهُم فِي الأَمرِفَإِذا عَزَمتَ فَتَوَكّل عَلى اللهِ)(1) أليس قد أمره الله بالاستعانة بهم في الرأي وأفقره إليهم، فكيف يصحّ لك ما ادّعيت مع ظاهر القرآن وما فعل النبي صلى الله عليه وآله .
فقال له الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجة دعته إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهّمت ، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عمّا أخبرتك به، وذلك أنّا قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الكبائر والصغائر وإن خالفت أنت في عصمته من الصغائر، وكان أكمل الخلق باتّفاق أهل الملّة وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلاً وأكملهم تدبيراً، وكانت المواد بينه وبين الله سبحانه متّصلة والملائكة تتواتر عليه بالتوفيق من الله عزّ وجلّ ، والتهذيب والإنباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعو داع إلى اقتباس الرأي من رعيته ، لأنّه ليس أحد منهم إلا وهو دونه في سائر ما عددناه ، وإنّما يستشير الحكيم غيره على طريق الإستفادة والإستعانة برأيه إذا تيقن أنّه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلاً أو ظن ذلك، فأمّا إذا أحاط علماً بأنّه دونه فيما وصفناه لم يكن للإستعانة في تدبيره برأيه معنى ، لأن الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم ، والآية بينة يدل متضمنها على ذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (وَشَاوِرْهُم فِي الأَمرِفَإِذا عَزَمتَ فَتَوَكّل عَلى اللهِ)(2)فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم، ولو كان إنّما أمره بمشورتهم للإستقفاء برأيهم لقال له : فإذا شاروا عليك فاعمل ، وإذا اجتمع رأيهم على شيء فأمضه، فكان تعلق فعله بالمشورة دون العزم الذي يختص به ، فلما جاء الذكر بما تلوناه سقط ما توهمته، فأمّا وجه دعائهم إلى المشورة عليه صلى الله عليه وآله فإن الله أمره أن يتألفهم بمشورتهم ، ويعلمهم بما يصنعونه عند عزماتهم ، ليتأدّبوا بآداب الله عزّ وجلّ، فاستشارهم لذلك لا للحاجة إلى آرائهم ، على أن ها هنا وجهاً آخر بيّناً وهو :
إن الله سبحانه أعلمه أن في أمّته من يبتغي له الغوائل ويتربص به الدوائر، ويُسرُّ خلافه ويبطن مقته ويسعى في هدم أمره ويناقضه في دينه ، ولم يعرفه بأعيانهم ولا دلّه عليهم بأسمائهم ، فقال عزّ اسمه : (وَمِن أهلِ المَدينةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ لا تَعلَمُهُم نحن نَعلَمُهُم سَنُعَذِّبهم مَرَّتين ثمَّ يُردُّونَ إلى عَذَابٍ عظيمٍ)(3) وقال جلّ اسمه : (وإذا مَا أُنزِلَتْ سُورةٌ نَظَرَ بعضهم إلى بعضٍ هَل يَراكم من أحد ثمَّ انصرفوا صَرَفَ اللهُ قلوبَهُم بِأنَّهم قومٌ لا يَفقَهُونَ)(4)وقال تبارك اسمه : (يَحلِفُونَ لَكُم لِتَرْضوا عنهم فَإنْ تَرضوا عنهم فإنَّ اللهَ لا يرضى عن القوم الفاسقين)(5)وقال : (وَيَحلِفُونَ بِاللهِ إنَّهم لمنكم وَمَا هم منكم وَلكنَّهم قومٌ يَفرقُون)(6)وقال عزّ من قائل : (وإذا رَأيتَهم تُعجبك أجسَامهُم وَإن يَقولُوا تَسمع لِقولِهم كَأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ يَحسَبونَ كُلَّ صيحةٍ عليهم هُمُ العَدوُّ فَاحذرهم قَاتَلَهم اللهُ أنّى يُؤفَكون)(7)وقال جلّ جلاله : (وإذا قَاموا إلى الصلاة قَامُوا كُسالى يُرآؤُنَ الناسَ وَلا يَذكرون اللهَ إلاَّ قَليلاً)(8)وقال تعالى : (وَلا يَأتونَ الصلاةَ إلاَّ وَهُم كُسالى وَلا يُنفِقونَ إلاَّ وهم كارِهُون)(9)ثمَّ قال سبحانه بعد أن أنبأه عنهم في الجملة : (وَلَو نَشاءُ لأَرَيناكَهُم فَلَعرفتَهم بِسِيماهُم ولتعرِفَنَّهم في لحنِ القول)(10)فدلَّه عليهم بمقالهم وجعل الطريق إلى معرفتهم ما يظهر من نفاقهم في لحن قولهم .
ثمّ أمره بمشورتهم ليصل بما يظهر منهم إلى علم باطنهم، فإن الناصح تبدو نصيحته في مشورته، والغاش المنافق يظهر ذلك في مقاله، فاستشارهم صلى الله عليه وآله لذلك، ولأنّ الله جلّ جلاله جعل مشورتهم الطريق إلى معرفتهم ، ألا ترى أنّهم لما أشاروا ببدر عليه صلى الله عليه وآله في الأسرى فصدرت مشورتهم عن نيات مشوبة في نصيحته فكشف الله تعالى ذلك له وذمهم عليه وأبان عن إدغالهم فيه، فقال جلّ وتعالى: (مَا كانَ لنبيٍّ أن يكونَ لَهُ أسرَى حتى يُثخِنَ في الأرض تُريدونَ عَرضَ الدُّنيا واللهُ يُريدُ الآخرةَ واللهُ عزيزٌ حَكيمٌ ، لولا كِتابٌ من اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكم فيما أَخَذْتُم عَذابٌ عظيمٌ)(11)فوجه التوبيخ إليهم والتعنيف على رأيهم وأبان لرسوله صلى الله عليه وآله عن حالهم ، فيعلم أن المشورة لهم لم تكن للفقر إلى آرائهم وإنّما كانت لما ذكرناه.
فقال شيخ من القوم يعرف بالجراحي وكان حاضراً : يا سبحان الله ! أترى أن أبا بكر وعمر كانا من أهل النفاق ؟

كلا ما نظن أنك أيدك الله تطلق هذا ، وما رأينا أن النبي صلى الله عليه وآله استشار ببدر غيرهما، فإن كانا هما من المنافقين فهذا ما لا نصبر عليه ولا نقوى على استماعه ، وإن لم يكونا من جملة أهل النفاق فاعتمد على الوجه الأوّل، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يتألّفهم بالمشورة ويعلمهم كيف يصنعون في أُمورهم .
فقال له الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : ليس هذا من الحجاج أيها الشيخ في شيء وإنّما هو استكبار واستعظام معدول به عن الحجة والبرهان ، ولم نذكر إنساناً بعينه وإنما أتينا بمجمل من القول ففصله الشيخ وكان غنياً عن تفصيله .
فصاح الورثاني وأعلى صوته بالصياح يقول : الصحابة أجلّ قدراً من أن يكونوا من أهل النفاق وسيما الصديق والفاروق، وأخذ في كلام نحو هذا من كلام السوقة والعامّة وأهل الشغب والفتن.
فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : دع عنك الضجيج وتخلص مما أوردته عليه من البرهان واحتل لنفسك وللقوم فقد بان الحقّ وزهق الباطل بأهون سعي والحمدلله(12).

---

(1) سورة آل عمران : الآية 159 .
(2) سورة آل عمران : الآية 159 .
(3) سورة التوبة : الآية 101 .
(4) سورة التوبة: الآية 127 .
(5) سورة التوبة : الآية 96 .
(6) سورة التوبة : الآية 56 .
(7) سورة المنافقون : الآية 4 .
(8) سورة النساء : الآية 142 .
(9) سورة التوبة : الآية 54 .
(10) سورة محمد : الآية 30 .
(11) سورة الأنفال: الآية 67 - 68 .
(12) الفصول المختارة: ج1 ص11 - 14، بحار الأنوار للمجلسي: ج10 ص414 - 417 ح6.

المُناظرة الحادية والسبعون

مناظرة(1)مع بعض فضلاء حلب في أمر الصحابة
تكميل جميل وقد بحثت نحو هذا البحث مع بعض فضلاء حلب فتشيع وكان في دغدغة من سب الشيعة بعض الصحابة.
فقلت له: إنّي لا أسب أحداً منهم ولا أجوّزه ، والذين يسبون بعضهم ليس السب عندهم من شروط الإيمان ، ولو أن مؤمناً لم يسبَّ إبليس والكفار والمنافقين لم يكن ذلك نقصاً في إيمانه، نعم لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام عندهم من مكمِّلات الإيمان ولو بسبيل الإجمال ، فَلَعَن أعداءهم وتبرَّأ منهم واستمرت دغدغته في تخصيص السب .
فقلت له: أنا أبيِّن لك عذرهم ودليلهم الذي يعتمدونه في جواز سب من يسبونه ، ما تقول في الذين قتلوا عثمان ؟ وما تقول في طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا على علي وقُتِل في حربهم نحو ستّة عشر ألفاً كلهم من الأنصار والمهاجرين وتابعيهم ؟
وكذا معاوية لما خرج على علي عليه السلام قتل في حربه نحو سبعين ألفاً من الأنصار والمهاجرين والتابعين .
فقال: مذهبنا أن ذلك كله كان بالاجتهاد ، وهم غير مؤاخذين بل يثابون.
فقلت: إذا جاز الإجتهاد في قتال أخي النبي صلى الله عليه وآله ووصيه خليفة المسلمين إجماعاً ، وجاز في قتل عثمان والأنصار والمهاجرين والتابعين جاز في سب بعضهم ، مع أنَّ السب إنّما هو دعاء والباري إن شاء الله لم يقبله، وليس مثل سفك دماء الأنصار والمهاجرين وتابعيهم، وهذا معاوية سفك دماء الأنصار والمهاجرين وسنَّ السبّ على علي عليه السلام وأهل بيته الممدوحين بنص القرآن ونص الرسول صلى الله عليه وآله ، واستمر ذلك في زمن بني أُميّة ثمانين سنةً ، ولم ينقص ذلك من شأنه عندكم، وكذا الشيعة اجتهدوا في سب من اعتقدوا ضلاله لأمور رووها من طرق مخالفيهم وطرقهم ، بحيث أفادهم علماً يقيناً في جواز سبهم فهؤلاء غير مأثومين وإن فرضنا أنهم مخطئون .
فقال: ماذا يروون من ذلك ؟
قلت: أشياء كثيرة لا يمكن إنكارها نقلها الفريقان منها تخلف أبي بكر وعمر عن جيش أُسامة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لعن الله من تخلَّف عن جيش أُسامة(2).
فقال: إنّما تخلَّف باجتهاد وشفقة على المسلمين .
فقلت: يقولون هذا خطأ محض لأن الاجتهاد إنّما يجوز فيما لا نص فيه وقد قال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحَى)(3) فاجتهادهما ردٌّ على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهل يتصوَّر عاقل أنهما كانا أعلم من الله ورسوله بصلاح المسلمين ؟ هذا عمى عن الحق وتلبيس بالشبهات !!
ومنها: منع أبي بكر فاطمة عليها السلام من إرثها بحديثٍ تفرَّد بروايته وليس صريحاً بمدعاه ، وهو مخالف للقرآن ، وقالت له: أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئتم شيئاً إدّا(4)، وإن صحّ ما رواه يكون النبي صلى الله عليه وآله قد قصَّر في تبليغ الرسالة حيث لم ينذر إلاّ أبا بكر فقط ، ولم ينذر أهل بيته وعشيرته كالعبّاس وولده عبدالله، وعلي وفاطمة عليها السلام وهما أولى بالإنذار لقوله تعالى: (وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ)(5)ومنعها فدك التي أنحلها إياها أبوها وتصرَّفت فيها في حياته ، وشهد لها علي والحسنان وأُمُّ أيمن ، فردَّ شهادتهم(6)وهم مطهَّرون بنص القرآن ، فماتت مغضبة عليه(7)وعلي عمر ، وأوصت ألا يصليا عليها ، وأن تدفن ليلاً(8)، ضخ، وقد قال أبوها صلى الله عليه وآله : فاطمةُ بضعَةٌ منّي ، من آذاها فقد آذاني(9)ومن آذى رسول الله فقد آذى الله وقد قال تعالى : (الَّذِينَ يُؤذُونَ اللهَ وَرَسولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُم عَذَاباً مُّهِيناً)(10).
ومنها : منع عمر النبي صلى الله عليه وآله من الكتاب الذي أراد أن يكتبه قبل موته وأخبر أنّنا لا نضل بعده أبداً ، ـ وقال ـ : دعوه فإنّه يهجر(11)حسبنا كتاب ربنا ، وهذا ردٌّ على رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ، ولو خاطب أحدنا مثله بذاك لعُدَّ مسيئاً للأدب فما ظنك بسيّد المرسلين ومنعه من هذا الكتاب الذي كان فيه هداية أُمّته إلى يوم القيامة.
ومن المشهور وصرَّح عمر به في بعض مجالسه أنّه ما منعه من مكاتبته وساعده بعضهم ، إلاَّ خوفاً من أن ينص على ابن عمّه(12)فيزول عنه ما كان قررَّه من الطمع في الملك، وكان عبدالله بن عبّاس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب نبيّنا(13).
ومنها أنّه كان يقول : متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما(14)وهذا ردٌّ صريح على الله ورسوله، روى البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: أُنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن بحرمتها ولم ينه عنها حتى مات ، قال رجل برأيه ما شاء قال أبو عبدالله البخاري: يعني عمر.(15)

ومنها: أنَّ عثمان وَلَّى أمر المسلمين أقاربه من بني أُميّة الفساق لمحض القرابة بعد أن نهاه الصحابة حتى أظهروا القتل وشرب الخمر(16)وأنواع المناكير وضرب عبدالله بن مسعود(17)شيخ القراء حتى كسر بعض أضلاعه، وضرب عمار(18) بن ياسر حتى حدث به فتق، ونفى أبا ذر(19)مع عظم شأنهم وتقدمهم في الإسلام ، وما ذاك إلاَّ أنهم كانوا ينكرون عليه(20)بعض منكراته ، وردَّ طريد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم(21)وابنه إلى المدينة وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أخرجهما منها ، وكان قد سأل أبا بكر وعمر في أيام خلافتهما بردِّهما فلم يقبلا، وكانت عائشة من أكبر الباعثين على قتله وتقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً(22)، ونعثل اسم يهودي كانت تشبّهه به ، وكانت تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وتقول : هذا قميص رسول الله ـ لم يبلُ وقد أبلى نعثل سنّتهُ(23) فعند ذلك ثار الصحابة وغيرهم عليه وقتلوه.

...والعجب أنّ عائشة كانت من أكبر الباعثين على قتله، ولمّا قتل وصار الأمر إلى علي عليه السلام خرجت تطالب بدمه(24)ولما قدمت البصرة خرج إليها أبو الأسود الدؤلي(25)فقال: يا أُمَ المؤمنين ، لِمَ جئت ؟ قالت: أُطالب بدم عثمان ، فقال: أنتِ لستِ وليَّة دمه ، أولياء دمه في الشام(26)، وأيضاً الذين قتلوه ليسوا في البصرة ، وإنّما هم في المدينة، وأمثال ذلك مما ورد في كل واحد بخصوصه مما نقله أهل السنة وغيرهم لو ذكرناه لطال.

وأمّا ما ورد في الصحاح الستّة وغيرها من قبائح الصحابة بقول مطلق فكثيرٌ جداً ، فمنه حديث الحوض ، وهو ما رواه في الجمع بين الصحيحين يعني مسلم والبخاري في الحديث الحادي والثلاثين بعد المائة من المتفق عليه من مسند أنس بن مالك قال: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ رؤوسهم اختلجوا فأقول أي ربّ أصحابي أصحابي فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند ابن عباس بلفظ آخر والمعنى متفق وفي آخره إنّه لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم(27).

ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند سهل بن سعد في الحديث الثامن والعشرين من المتفق عليه وفي آخره زيادة (فأقول: سحقاً لمن غيَّر بعدي).

ورواه أيضاً في الحديث السابع والستين بعد المائتين من مسند أبي هريرة وفي آخره زيادة (فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل هُمَلِ النعم)، وروي مثل ذلك في مسند عائشة بعدة طرق، ومن مسند أسماء بنت أبي بكر من عدة طرق، ومن مسند أُم سلمة من عدة طرق، ومن مسند سعيد بن المسيب من عدة طرق ، فهذا وأمثاله كثيرٌ ، ذمٌ من الرسول لهم ثابت في صحاحكم قد بلغ حدَّ التواتر ، وهو غير ما يدعونه من ميل كثير منهم إلى الحياة الدنيا وطلب الملك والرئاسة ، وبسبب ذلك أظهروا العداوة لأهل البيت عليهم السلام وآذوهم ، وقد ورد في قتل الملوك أبناءهم وقتل أبنائهم لهم ما يقرب من ذلك، وأظهر من ذلك القرآن فقد أخبر بفرارهم(28)من الزحف وهو من أكبر الكبائر قال الله تعالى: (وَيَومَ حُنَينٍ إذ أعجَبتكُم كَثرَتُكُم) إلى قوله : (ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرينَ)(29)كانوا أكثر من عشرة آلاف فلم يتخلَّف معه إلاّ عليٌ والعباس وابنه الفضل وربيعة وأبو سفيان وهما ابنا الحرث بن عبد المطلب وأُسامة بن زيد وعبيدة بن أُمّ أيمن(30)والباقون كلهم أسلموا نبيَّهم إلى القتل ، ولم يخشوا العار ولا النار ، ولم يستحيوا من الله ولا من رسوله ، وهما يشاهدانهم فكيف يستبعد منهم ميلهم إلى الدنيا بعده وطلب الملك ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك في حديث الحوض.

وقد فرَّ أبو بكر وعمر في عدَّة مواطن أُخر مثل أُحد(31)وخيبر(32)كلها متفق عليها بين أهل النقل ، ومثل ذلك في القبح بل أقبح ما أخبر عنه بقوله تعالى: (وإذا رَأَوا تجارةً أو لَهواً انفَضُّوا إلَيها وَتَرَكُوكَ قائِماً)(33)، روى البخاري(34)بسنده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: أقبلت عيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله فثار الناس إلاّ اثني عشر رجلاً ، فأنزل الله : (وإذا رَأَوا تجارةً أو لَهواً إنفَضُّوا إلَيها) ففي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله كان يخطب ، وفي أُخرى أنّه كان قائماً في الصلاة، وكانوا إذا أقبلت عير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو.

فهذا نصُّ القرآن الذي لا يمكن إنكاره ، فإذا كان هذا حالهم وسوء أدبهم وعدم اعتنائهم بنبيهم وبسماع خطبته وصلاة الجمعة معه ، وهما واجبان وهو يشاهدهم ويعلم بهم لأجل تفرج على عيرٍ وسماع الطبل ولهو ، فهل يبعد منهم أن يخالفوا أمره طلباً للملك والرئاسة بعد وفاته ، فليعتبر العاقل فإنّ في ذلك معتبراً، وأيم الله إن بعض المشايخ والوعاظ لو كان مقبلاً على أصحابه يعظهم ويخوّفهم فسمعوا بلهو أو طبل لاستحوا وهابوا أن يخرجوا لأجل أمر مباح ، وإن لم يكن في خروجهم ترك واجب ، فما ظنك بمثل سيد المرسلين وسماع خطبته وصلاة الجمعة معه والخروج وهو يشاهدهم أو في الصلاة لأجل تفرج على عيرٍ وسماع لهوٍ؟ وعند التحقيق هذا أقبح من فرارهم من الزحف لأن الفرار وإن كان كبيرة ، لكن فيه بقاء نفس وأما هذا ففيه من قلّة الحياء الجرأةُ على الله وعلى رسوله ما لا يمكن حده ويكفي من ذلك ترجيح التفرج على العير وسماع الطبل والله و على سماع خطبة النبي وصلاة الجمعة معه الواجبين فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

فهل يستبعد ممن هذا شأنه في حياة نبيّه وهو يشاهده ميله بعد ذلك إلى الملك والرئاسة وارتكاب إثم لذلك ، فهذا وأمثاله وهي كثيرة ، عذر الشيعة في سبهم بعض الصحابة الذي ثبت عندهم أنهم فعلوا مثل ذلك وهو عندهم عذر واضح ، ولهم مع ذلك كتب مدوَّنة مطوَّلة مشهورة تحتوي على أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تجوِّز لهم سبَّ من يسبّونه ، وقد نقل جميع ذلك أهل السنة ولكن يغمضون العين عنه أو يتأولونه بما لا يفيد ، ويقولون إنّه ما ذكرناه وأمثاله فإن كان كافياً في جواز سبّهم فلا لوم ، وإلاّ فغاية الأمر أن يكونوا مجتهدين مخطئين مثل بعض الصحابة والتابعين .

وهذا معاوية وبنو أُميّة لعنوا علياً(35)ثمانين سنة(36)ولم يفعل شيئاً من ذلك ، فلا لوم علينا في السب بعد أن رأينا مثل هذه الأُمور بعضها في القرآن ، وبعضها في كتب أهل السنة منقولة مصححة ، وأما حقائق الأُمور فهي موكولة إلى الله تعالى وهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

تنبيه نبيه يقضي على جملة ما تكلمنا فيه ، لا شك ولا ريب أنَّ لنا مرجعاً إلى الله وأننا هنا مسئولون كما ذكر في كتابه المجيد ، فإذا قال الباري جل وعز: لِمَ اتّبعتم أهل البيت عليهم السلام ولم تتبعوا أبا حنيفة ؟

قلنا: لأنّك طهَّرتهم في كتابك وجعلت ودَّهم أجر الرسالة ، وأمرنا رسولك المبلّغ عنك الذي لا ينطق عن الهوى باتباعهم ، وهم أقرب الناس إليه وأعلمهم بسنته وفي بيوتهم نزل الوحي ، وقد أجمع الكل على علمهم وطهارتهم ، ولم تأمرنا في كتابك ولا على لسان نبيك ولا قام الدليل على وجوب اتباع غيرهم.

وليت شعري إذا سألكم الباري بمثل ذلك هل يكون جوابكم سوى أنّه مجتهد ؟ فيقول الباري: أهل بيت نبيّي أيضاً كانوا مجتهدين ، فما وجه العدول عنهم بعدما أخبرتكم أنّهم مطهّرون ، وخبَّركم رسولي أن المتمسك بهم وبكتابي لن يضل أبداً ، ولم آمركم ولا رسولي باتباع غيرهم ، فلا يكون العدول عنهم إلاّ للتعصب من أوائلكم واتباع للهوى وميل إلى الحياة ، وركون منكم إلى التقليد المألوف، ولا شبهة أن الحق ثقيل ، واتباعه يحتاج إلى مزيد إنصاف وترك للهوى والتقليد المألوفين ، اللهم اكفنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ووفقنا للعلم والعمل بما تحبه وترضاه إنّك قريب مجيب.

تمت في سنة خمس وتسعين وتسعمائة على يد أفقر عباد الله صالح بن محمد بن عبد الإله السلامي غفر الله ذنوبهما آمين رب العالمين .

---

(1) وجدنا مخطوطة هذه المناظرة ضمن مجموعة تحت رقم: 6896 في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدس سره.

(2) راجع : كنز العمّال: ج10 ص 572 ح30266 ، الملل والنحل: ج1 ص29 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج6 ص52 ، بحار الأنوار: ج22 ص 466 ، بتفاوت.

(3) سورة النجم: الآية 3 و 4 .

(4) تقدَّمت تخريجاته .

(5) سورة الشعراء: الآية 214 .

(6) راجع : الإحتجاج للطبرسي: ج1 ص 91 - 92 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج16 ص 274 ، فتوح البلدان للبلاذري : ص 44 ، بحار الأنوار : ج 85 ص 266.

(7) صحيح البخاري: ج5 ص 177 ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج1 ص 19 - 20.

(8) راجع: صحيح البخاري: ج5 ص 177 ، أُسد الغابة: ج5 ص 524 ، الإستيعاب: ج4 ص 1898، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : ج 8 ص 268 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج16 ص 214 .

(9) راجع: صحيح البخاري: ج5 ص26 ، شرح السنّة للبغوي: ج8 ص120 ح3956 ، السنن الكبرى للبيهقي: ج10 ص201 - 202 (كتاب الشهادات)، فضائل الصحابة لابن حنبل: ج2 ص 755 ح1324 ، كشف الغمّة للأربلي: ج1 ص 466 .

(10) سورة الأحزاب : الآية 57 .

(11) راجع: صحيح مسلم: ج3 ص 1259 ح 21 و 22، الملل والنحل للشهرستاني: ج1 ص 29، مسند أحمد بن حنبل: ج1 ص 222 و293 و355 ، صحيح البخاري: ج1 ص39 وج4 ص 85 و121، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج2 ص 320 ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص 242 - 245، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج2 ص 55 وج6 ص51 ، بحار الأنوار للمجلسي: ج22 ص 468 .

(12) راجع : كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للحلّي : ص 462 - 463 ح 562 ، كشف الغمّة : ج 2 ص 46 ، بحار الأنوار : ج 38 ص 156 - 157 .

وممن روى ذلك أيضاً ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج : ج 12 ص 21 و ص 78 - 79 : في قول الخليفة لابن عبّاس عن أمير المؤمنين عليه السلام : أظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة ، فقال له ابن عبّاس : هو ذاك ، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له ! فقال : يا بن عباس وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر له فكان ماذا ؟ إذا لم يرد الله تعالى ذلك ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أمراً وأراد الله غيره ، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله ، أو كلّما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟!!

أقول : كيف ينسب إلى رسول الله مخالفته لإرادة الله تعالى ، والحال أن النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه يدعو الناس إلى عدم مخالفة أمر الله وإرادته ، فكيف يعمل على خلاف إرادة الله، فعلى هذا يكون الخليفة أحرص من النبي صلى الله عليه وآله على تحقيق مراد الله تعالى

في الأُمة ، وهل يلتزم بذلك أحد ، هذا والقرآن ينص صريحاً في رسول الله صلى الله عليه وآله (وَمَا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) النجم | 3 ، وقال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين) الحاقة | 46.
قال ابن أبي الحديد : وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وهو قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يذكره للآمر في مرضه ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ فصددتُه عنه خوفاً من الفتنة ، وانتشار أمر الإسلام ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما في نفسي وأمسك ، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم!! وهذا أيضاً مثل سابقه إن لم يكن أعظم فهل كان رسول الله لا يعلم بما يصلح المسلمين ، بحيث كان يعين لهم خليفة يكون في تنصيبه لهم فتنة تضر بالإسلام والمسلمين، مع أنّ أمر الخلافة والإمامة بيد الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله ليس هو إلاّ مبلغ كما في قوله تعالى: (يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ، وثانياً من أين علم أنّ الله تعالى أمضى ما حتم ؟ فإن كان يقصد بالإمضاء الإمضاء التكويني فلله تعالى لا يجبر العباد على أفعالهم ، وإن كان ذلك في علمه تعالى وعلى خلاف أمره وإن كان مراده بالإمضاء الإمضاء التشريعي فهذا يحتاج إلى علم الغيب والإطلاع على ما في اللوح المحفوظ ، وثانياً كيف يمضي الله تعالى أمراً هو على خلاف أمره ويُعد عصياناً في حقّه ، تعالى الله عن ذلك ، فيكون الإمام مأموماً والمأموم إماماً بين عشية وضحاها.
(13) راجع: صحيح مسلم (في آخر كتاب الوصية): ج3 ص 1259 ح22، الطبقات الكبرى لابن سعد : ج 2 ص 244 ، صحيح البخاري: ج 1 ص 39، وج7 ص 155 - 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني)، الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 29 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج2 ص 55 وج6 ص 51 ، بحار الأنوار للمجلسي : ج 22 ص 473 - 474.
(14) راجع: التفسير الكبير للرازي: ج10 ص 50، كنز العمّال: ج16 ص 519 ح45715 وص 521 ح 45722، المحلى لابن حزم: ج7 ص 107 ، أحكام القرآن للجصاص: ج2 ص 152 ، الدر المنثور للسيوطي: ج2 ص 487 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج1 ص 182 وج12 ص 251 ، نهج الحق وكشف الصدق: ص 281 ، الغدير للاميني: ج6 ص 211 .
(15) راجع: صحيح البخاري: ج2 ص 176 ، مسند أحمد بن حنبل: ج4 ص 438 ، نهج الحق وكشف الصدق: ص 283 .
(16) راجع: مروج الذهب للمسعودي: ج2 ص 334 - 336 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج2 ص 129 .
ذكر المسعودي في مروج الذهب ج 2 ص 334 : كان السبب في صرف الوليد بن عقبة وولاية سعيد ـ على ما روي ـ انّ الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح ، فلما أذّنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلالته ، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعاً ، وقال : أتريدون أن أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال ، إشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ما تزيد لا زادك الله من الخير ، والله لأعجب إلاّ ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي .
وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثّل بأبياتٍ لتأبط شرّاً :

ولست بعيداً عن مدام وقينــة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي * وأمشي الملأ بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّــه * انّ الوليد أحـقُّ بالعـذر
نادى وقد تمــت صلاتهــم * أأزيدكم ؟ ! ثِملاً وما يدري
ليزيدهم أخرى ، ولــو قبلوا * لقرنت بين الشفـعوالوتر
حبسوا عنانك في الصلاة ، ولو * خلّوا عنانك لم تزل تجري

وأشاعوا بالكوفة فعله ، وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر...الخ .
(17) العقد الفريد للأندلسي : ج 5 ص 39 ، نهج الحق وكشف الصدق: ص 295 .
(18) راجع: تاريخ الخميس: ج2 ص 271 ، مروج الذهب للمسعودي : ج 2 ص 338 ، نهج الحق وكشف الصدق: ص296 ، شرح نهج البلاغة لابي أبي الحديد : ج20 ص 36 .
(19) راجع : تاريخ اليعقوبي: ج2 ص 172 ، تاريخ الطبري : ج 4 ص 283، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج3 ص 113، مروج الذهب للمسعودي: ج2 ص 341، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج4 ص 232، فتح الباري: ج3 ص 212 - 213، أنساب الأشراف للبلاذري: ج5 ص 52 - 55، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج3 ص 52 وج8 ص 252 - 262، نهج الحق وكشف الصدق: ص 298 ، الغدير للأميني: ج8 ص292 - 386.
(20) العقد الفريد للأندلسي : ج 5 ص 39 .
(21) راجع: مجمع الزوائد: ج5 ص 241 - 243، أسد الغابة: ج2 ص 34 - 35، سير أعلام النبلاء: ج2 ص 107 - 108 ، العقد الفريد

للأندلسي : ج 5 ص 35، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج1 ص 198 ، الغدير للأميني: ج8 ص 244 ، الملل والنحل للشهرستاني: ج1 ص 32 .

(22) راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج6 ص 215 ، العقد الفريد للأندلسي: ج5 ص40 و43، تاريخ الطبري: ج 4 ص 459، الكامل في التاريخ لابن الاثير: ج3 ص206.

(23) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6 ص 215 .

(24) جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج 3 ص 206 ، وتاريخ الطبري : ج 4 ص459: أن عائشة لما خرجت من مكة تريد المدينة ، وقد كانت بسَرِف لقيها رجلٌ من أخوالها من بني ليث يقال له عُبيد بن أبي سلمة ، فقالت له : مَهْيَمْ ؟ قال : قتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ قال : اجتمعوا علي بيعة علي عليه السلام ، فقالت : ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ! ردوني ردوني ! فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ! فقال لها : ولِمَ ؟ والله إنَّ أوّل من أمال حرفه لأنتِ ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر ! قالت : إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب :

فمنك البـداءُ ومنكِ الغِيَرْ * ومنك الرّياح ومنكِ المطـرْ

وأنت أمـرْت بقتل الإمام * وقلت لنـا إنـه قد كفـر

فهبنا أطعنـاك في قتلـه * وقاتلهعندنـا مَنْ أمـرْ

ولم يسقط السقف من فوقنا * ولـم ينكسف شمسنا والقمر

وقد بايع النـاس ذا تُدْارَءِ * يزيل الشّبـا ويقيم الصَّعَر

ويلبس للحـرْبِ أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

(25) إسمه : ظالم بن عمرو ، قاضي البصرة ، قاتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه وقعة صفين وكان من وجوه الشيعة ، وقد أمره أمير المؤمنين عليه السلام بوضع شيء في النحو لمّا سمع اللّحن ، فكان أول من وضع النحو ، وكان معدوداً في الفقهاء والشعراء والنحاة ، وكان من أجلهم رأياً وعقلاً ، ويُعد من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام ، وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه ، مات سنة 69 وقيل سنة 99 . راجع : تنقيح المقال للمامقاني : ج 2 ص 111 ترجمة رقم : 5979 ، سير أعلام النبلاء : ج 4 ص 81 ترجمة رقم : 28 ، تهذيب التهذيب : ج 12 ص 10 ترجمة رقم : 52 .

(26) راجع : الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة للمفيد : ص 274 ،شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6 ص 226 و ج 9 ص 313 .

(27) راجع: صحيح البخاري: ج8 ص 150 - 151، مسند أحمد: ج5 ص 50 ، المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ج11 ص 406 - 407 ح 20854 وح20855 ، صحيح مسلم : ج4 ص 1800 ح40 ، جامع الأصول لابن الأثير : ج 10 ص 468 - 470، بحار الأنوار للمجلسي: ج28 ص 18 وص22 - 29، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ص 87 - 88 بتفاوت.

(28) فرارهم يوم حُنين: راجع: صحيح البخاري: ج5 ص 194 ب قوله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم ...) ، الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله : ج3 ص282 ، سيرة المصطفى لهاشم معروف: ص 617 - 618.

(29) سورة التوبة : الآية 25 .

(30) راجع : تاريخ اليعقوبي: ج2 ص 62 ، السيرة الحلبية: ج3 ص 109، الافصاح للمفيد: ص25، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 278 ، الإرشاد للمفيد: ص 74 ، غزوات أمير المؤمنين عليه السلام للنقدي ص 151 .

(31) فرار أبي بكر يوم أُحد، راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص 46 - 47 ، السيرة النبوية لابن كثير: ج3 ص 58 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 293.

فرار عمر يوم أُحد، راجع: حياة الصحابة: ج1 ص 501 - 503 ، كتاب المغازي للواقدي: ج1 ص 237، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 15 ص 2 وص 22 ، بحار الأنوار : ج 20 ص 141، وجاء في تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي : ص 96 : أن عمر أعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفاً ، فقيل له : ألا تزيد ابنك كما زدت هذا ؟ قال : إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا !!

(32) فرار أبي بكر وعمر يوم خيبر، راجع: أُسد الغابة: ج4 ص 21، البداية والنهاية: ج4 ص 186 ، حلية الأولياء للإصفهاني : ج 1 ص 62 ، مجمع الزوائد: ج9 ص 124 ، المستدرك للحاكم: ج3 ص 37 - 38.

(33) سورة الجمعة: الآية 11 .

(34) راجع: صحيح البخاري: ج6 ص 189 (كتاب التفسير)، مسند أحمد بن حنبل: ج3 ص313 و370 ، سنن الترمذي: ج5 ص 386 ح 3311 ، الدر المنثور للسيوطي: ج8 ص 165 - 167 ، جامع البيان للطبري: ج28 ص 67 - 68 ، مجمع البيان: ج10 ص 433 ، الإفصاح للمفيد : ص 26 .

(35) راجع: العقد الفريد للاندلسي: ج4 ص 113 - 114 وج 5 ص 114 - 115 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 56 وج11

ص 44 وج13 ص 220 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ص 82 - 85 ط الفارابي وص 28 ط الغري، ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج1 ص 225 ح271 و 272 ، الاصابة لابن حجر: ج4 ص465 ، نهج الحقّ وكشف الصدق: ص 310 - 311 ، إحقاق الحقّ للتستري : ج 3 ص 407 - 409.

(36) ومع كل هذه المحاولات اليائسة والتي بذلوا في سبيلها النفس والنفيس وسخروا كل طاقاتهم في محاربة أخي رسول الله ووصيه ، ومحو ذكره ، وشتمه على المنابر نحو ثمانين عاماً فإنها أبت بالفشل الذريع ، وذهبت أدراج الرياح ، وتلاشت كتلاشي الهشيم في الهواء، وبقي ذكر علي خالداً في شرق الدنيا وغربها كالشمس التي تشرق على الأنام في كل يوم، لأنه ما كان لله لم تهدمه الدنيا ولو اجتمع الخافقان على إزالته ما استطاعوا إليه سبيلا ، وعداً حقاً في كتابه قال تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وإليك بعض الكلمات التاريخية التي أشارت إلى هذا المعنى : 1 - روي عن محمد بن أبي الموج بن الحسين الرازي ، قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : الحمد لله الذي حفظ منا ما ضيع الناس ، ورفع منا ما وضعوه حتى لقد لعنا على منابر الكفر ثمانين عاماً ، وكتمت فضائلنا وبذلت الأموال في الكذب علينا ، و الله تعالى يأبى لنا إلا أن يعلى ذكرنا ويبين فضلنا والله ما هذا بنا ، وانما هو برسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتنا منه حتى صار أمرنا وما يروي عنه انّه سيكون بعدنا من أعظم آياته ودلالات نبوته . (عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ج 1 ص 175 ح 26) .

2 - روي عن عامر بن عبدالله بن الزبير أنه سمع ابناً له ينتقص علياً عليه السلام فقال : إياك والعودة إلى ذلك ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزده الله بذلك إلاّ رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عاودت على ما بنته فهدمته . (الاستيعاب : ج3 ص 1118) .

3 - أخرج السلفي في الطيوريات عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : سألت أبي عن علي ومعاوية ؟ فقال : اعلم أن علياً عليه السلام كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه، فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له (الصواعق المحرقة لابن حجر : ص127) .

المُناظرة الثانية والسبعون

مناظرة أبي جعفر العلوي البصري مع أحد الفقهاء في إيراده لكلام الجويني (1)في الصحابة بكتاب كتبه أحد الزيدية
قال ابن أبي الحديد المعتزلي : وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلويّ البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة ، وأحدُهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة(2)وخاض القوم ، فذمّه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون .
فقال بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرفٍ من علم الكلام على رأي الأشعري : الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة، وعمّا شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجوينيّ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نَهَى عن ذلك، وقال : « إيّاكم وما شَجَر بين صحابتي » ، وقال : « دَعُوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مِثل أُحد ذهباً لما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصفَيه »(3)؛ وقال : « أصحابي كالنجوم، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم »(4)(5)، وقال : « خيرُكم القَرن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه »(6). وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وما يُدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بَدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم »(7)؛ وقد رُوي عن الحسن البصري أنّه ذكر عنده الجمل وصِفّين، فقال : تلك دماءٌ طَهّر الله منها أسيافنا، فلا نلطّخ بها ألسنتنا.
ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا وبعُدت أخبارها على حقائقها؛ فلا يليق بنا أن نخوضَ فيها؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لَوَجب أن يُحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، ومن المروءة أن يُحفظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمّته، وفي طلحة الذي وقاه بيده .
ثمّ ما الذي ألزَمنا وأوجَب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأيُّ ثواب في اللعنة والبراءة ! إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلَّف : لِمَ لَمْ تَلعَن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لَعنتَ ؟ ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيراً له.
ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تُدخِل أنفسها في أُمور الخاصّة، وأولئك قوم كانوا أُمراء هذه الأُمّة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلةٍ جداً عنهم؛ فكيف يحسنُ بنا التعرض لذِكرهم ! أليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أُمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريّه ! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله صهراً لمعاوية، وأخته أُمّ حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أُمُّ حبيبة وهي أُمّ المؤمنين في أخيها.
وكيف يجوز أن يُلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودّة ! أليس المفسِّرون كلّهم قالوا : هذه الآية أُنزِلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى : (عَسَى اللهُ أن يَجعَلَ بَينَكُم وبينَ الذينَ عادَيْتُم مِنْهُمْ مَودَّة)(8)! فكان ذلك مُصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وتزويجه ابنته، على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يَثبُت، وما كان القوم إلاّ كبَني أُمّ واحدة، ولم يتكدر باطن أحدٍ منهم على صاحبه قطّ ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .
فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنت منذ أيّام عَلَّقت بخطّي كلاماً وجدتهُ لبعض الزَّيدية في هذا المعنى نَقضاً ورداً على أبي المعالي الجُوينيّ فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي ، وأنا أخرجُه إليكم لأستغني بتأمّله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، إنّي أجدُ ألماً يَمنعني من الإطالة في الحديث؛ لا سيما إذا خرج مَخرج الجدل ومُقاومة الخصوم .
ثمّ أخرج من بين كتبه كُراساً قرأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته .
قال : لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاة أوليائه، وضيق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها، أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه : (لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آبَاءَهُمْ أو أبنَاءَهُمْ أو إخوَانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ)(9) وبقوله تعالى : (وَلَو كانُوا يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبيِّ وَمَا أُنْزِلَ إلَيهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أولِياء)(10)وبقوله سبحانه : (لا تَتَوَلَّوا قَوماً غَضِبَ اللهُ عَلَيهِمْ)(11)ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرض عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى أنّ البغض في الله واجب، والحبَّ في الله واجب ـ لما تعرّضنا لمعاداة أحد من الناس في الدّين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلّفاً.
ولو ظنّنّا أنّ الله عزّ وجلّ يَعذرنا إذا قلنا : يا ربّ غاب أمرُهم عنّا، فلم يكن لخوضنا في أمرٍ قد غاب عنّا معنىً، لاعتمدنا على هذا العُذر، ووالَيناهم، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرُهم قد غاب عن أبصاركم، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعِكم؛ قد أتتْكم به الأخبارُ الصحيحة التي بمثلها ألزَمتم أنفسكم الإقرار بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وموالاة مَن صدّقه، ومعاداة من عصاه وجحده، وأُمرتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسول، فهلاّ حذِرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً : (رَبَّنا إنَّا أَطَعنا سَادَتَنا وَكُبَرَاءَنا فَأَضَلُّونا السبيلا)(12)!
فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها، وأوجبَها، ألا ترى إلى قوله : (أُولَئِكَ يَلعَنُهُم اللهُ وَيَلعَنُهُم اللاَّعِنُون)(13) فهو إخبارٌ معناه الأمر، كقوله : (وَالمُطَلَّقَاتُ يتربّصنَ بِأنفُسِهِنَّ ثلاثة قروءٍ)(14)؛ وقد لعن الله تعالى العاصين

بقوله : (لُعِن الذينَ كَفَروا مِنْ بني إسرائيل على لسان داود)(15) وقوله : (إنّ الذينَ يُؤذُون الله ورَسولَه لَعَنهُم اللهُ في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مُهيناً)(16) وقوله : (مَلْعُونين أينما ثُقِفوا أخذوا وقُتِّلوا تقتيلا)(17) وقال الله تعالى لإبليس : (وإن عَلَيْكَ لَعْنتي إلى يوم الدين)(18)وقال : (إن الله لعنَ الكافرين وأعدّ لهم سعيراً)(19).
فأمّا قولُ من يقول : « أيُّ ثواب في اللّعن ! وإن الله تعالى لا يقول للمكلّف لِمَ لمْ تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لَعَنت ؟ وأنّه لو جعل مكان لَعَن الله فلاناً، اللهم اغفر لي لكان خيراً له، ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلَّه لم يَلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك » ؛ فكلام جاهلٍ لا يدري ما يقول؛ اللعن طاعة، ويستحق عليها الثواب إذا فُعلت على وجهها، وهو أن يلعن مستحقُّ اللعن لله وفي الله، لا في العصبيّة والهوى، ألا ترى أن الشرع قد وَرَد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة : (أنّ لَعنة الله عليهِ إن كان من الكاذبين)(20)فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبّدهم بها، لما جعلها من معالم الشرع، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حق القائل : (وغَضِب اللهُ عليه ولعنه)(21) ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلاّ الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأنّ الله تعالى لعنه، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يسوغ في العقل؛ كما لا يجوز أن يمدح اللهُ إنساناً إلاّ ولنا أن نمدحه، ولا يذمّه إلاّ ولنا أن نذمَّه؛ وقال تعالى : (هَل أُنَبِّئُكُم بِشرٍ من ذلك مَثوبةً عِندَ اللهِ مَنْ لَعَنَه اللهُ)(22)وقال : (رَبَّنا آتِهم ضِعْفَين من العذابِ والْعَنْهُم لَعناً كبيراً)(23)، وقال عزّ وجلّ : (وَقَالت اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولةٌ غُلَّت أَيدِيْهِم وَلُعِنُوا بما قَالُوا)(24).
وكيف يقول القائل : إنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يسأل عن التولّي يَسأل عن التبرِّي ! ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يُطالب بأن يقال له : تلفَّظ بكلمة الشهادتين، ثم قل : برئتُ من كلّ دين يخالف دين الإسلام، فلابدّ من البراءة، لأنّ بها يتمّ العمل ! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثم تزعُمُ أنّني * صديقُك ، إنّ الرّأي عنكَ لعازِبُ

فمودّة العدوّ خروجٌ عن ولاية الوليّ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلاّ البراءة؛ لأنّه لا يجوز أن يكون الإنسانُ في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصاته بألا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نَفي هذه الواسطة.
وأمّا قوله : لو جعل عِوض اللعنة أستغفر الله لكان خيراً له، فإنّه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنّه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة ، والمُصِرّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأمّا من يعيش عمره ولا يلعن إبليس، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطىء؛ على أنّ الفرق بينه وبين ترك لَعنه رؤوس الضلال في هذه الأُمّة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما، أن أحداً من المسلمين لا يُورِث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس ، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم ، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب ، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء.
قال : ثمّ يقال للمخالفين : أرأيتم لو قال قائلٌ : قد غاب عنّا أمر يزيد بن معاوية والحجّاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصّتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما؛ هل كان هذا إلاّ كقولكم : قد غاب عنّا أمر معاوية والمغيرة ابن شعبة وأضرابهما، فليس لخوضنا في قصّتهم معنى !
وبعد ، فكيف أدخلتم أيها العامّة والحشوية(25)وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُضتم فيه، وقد غاب عنكم ! وبرئتم من قتله، ولعنتموهم ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصّديق في محمد ابنه فإنّكم لعنتموه وفسقتموه، ولا حفظتم عائشة أُمّ المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلّب على حقّه وحقوقهما ! وكيف صار لعنُ ظالم عثمان من السنّة عندكم، ولعن ظالم علي والحسن والحسين عليهم السلام تكلّفاً ! وكيف أدخلت العامّة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممّن نظر إليها، ومن القائل لها : يا حُميراء، أو إنّما هي حميراء، ولعنته بكشفه سترها ، ومنعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة عليها السلام وما جرى لها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.
فإن قلتم : إنّ بيت فاطمة عليها السلام إنّما دُخِل، وسترها إنّما كُشِف، حِفظاً لنظام الإسلام، وكيلا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.
قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنّما كشف، وهودجها إنّما هُتِك ، لأنها نشرت حبل الطاعة، وشقت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ

والسِّير(26) ، فإذا جاز دخول بيت فاطمة عليها السلام لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقّق ، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومن أوكد عُرا الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة عليها السلام والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها، وتهدّدها بالتحريق(27) من أوكد عُرا الدين، وأثبت دعائم الإسلام؛ ومما أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة؛ والحرمتان واحدة، والستران واحد، وما نحب أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى، فإنّها بضعة(28) منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنّما هي وُصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب، ونسب، وولاء؛ فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء : ولاء العتق؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة عليها السلام، وقد أجمع المسلمون كلّهم ـ من يحبّها ومن لا يحبّها منهم ـ أنّها سيّدة نساء العالمين(29).

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أُمّ حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفُسَها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليه السلام ، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمّه عثمان بن عفان، وقد قتلوهم ولعنوهم؛ ولقد كان كثير من الصحابة يَلعن عثمان وهو خليفة؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نَعثلاً ، لعن الله نعثلاً(30)؛ ومنهم عبدالله بن مسعود؛ وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب(31)وابنيه حسناً وحسيناً عليهم السلام وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصّلوات، وقد لعن أبوبكر وعمر سعد بن عبادة(32)وهو حيّ، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد(33)لما قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصيةً تقتضي اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يحفظ زيدٌ لأجل عمرو فلا يلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقّاص فلا يُلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام ، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرّة(34)وقاتل الحسين، ومخيف المسجد الحرام بمكّة، وأن يُحفظ عمر بن الخطاب في عبيدالله ابنه قاتل الهرمزان، والمحارب عليّاً عليه السلام في صفّين .

قال : على أنّه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نُعادهم ولو ضُربت رِقابُنا بالسيوف، ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدهم محبّته لصاحبه موضع العصبيّة، وإنّما أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبّة أصحابه لطاعتهم لله ، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبّتهم؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبّتهم، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحبُّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته، كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه.

والشاهد على ذلك إجماع الأُمّة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هو الذي أمر بذلك ودعا إليه وذلك أنّه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع يد السارق وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زنى، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار؛ ألا ترى أنّه قال : لو سرقت فاطمة لقطعتُها(35)؛ فهذه ابنته ، الجارية مجرى نفسه، لم يُحابها في دين الله، ولا راقبها في حدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفك(36) ، ومنهم مسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر.

قال : وبعد ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلّ من لا يعادى إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح، بل يجب أن يُراقب لأجل اسم الصُّحبة، ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لمّا اتّبع هواه، فانسلخ ممّا أُوتي من الآيات وغوى، قال سبحانه : (وأْتلُ عَلَيْهِمْ نَبأ الذي آتيناه آياتِنا فانسَلخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشيطَانُ فَكَانَ مِنَ الغاوِينَ)(37) ، ولكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحلّ، لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رسل الله سبحانه.

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المنزلة ؛ لعلمت ذلك من حال أنفسها، لأنّهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قدّرت أفعال بعضهم ببعض دلّتك على أن القصّة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم؛ هذا علي وعمار وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار، لم يَروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم ، لم يروا أن يمسكوا عن

علي عليه السلام حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا.
وهذا معاوية وعمرو لم يريا عليّاً بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره، ولم يقصِّرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكل من كان حيّاً من أهله، وقتل أصحابه ، وقد لعنهما هو أيضاً في الصلوات المفروضات، ولعن معهما أبا الأعور السلمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصحابة، وهذا سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأُسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وعبدالله بن عمر ، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقلّدوا عليّاً عليه السلام في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب علي، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنّهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون عليٌّ قد غلط وزلّ في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلاّ في حرب علي عليه السلام .
وهذا عثمان قد نفى أبا ذرّ(38)إلى الربذة(39)كما يفعل بأهل الخَنا والرِّيب ، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقّياه به لمّا ظهر لهما ـ بزعمهما ـ منه ما وعظاه لأجله ، ثمّ فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم ، ثمّ فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلّهم .
وهذا عمر يقول في قصّة الزبير بن العوّام لمّا استأذنه في الغزو : ها إنّي ممسك بباب هذا الشِّعب أن يتفرّق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، وزعم أنّه وأبو بكر كانا يقولان : إنّ عليّاً والعبّاس في قصّة الميراث زعما هما كاذبين ظالمين فاجرين؛ وما رأينا عليّاً والعبّاس اعتذرا ولا تنصّلا ، ولا نقل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما، ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّهم يريدون إضلال الناس ويهمون به، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار(40) ولا كسر ضلع ابن مسعود(41) ولا على عمار وابن مسعود ما تلقّيا به عثمان، كإنكار العامّة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامّة فيها؛ اللهم إلا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ القوم منهم ، وهذا عليٌّ وفاطمة والعبّاس ما زالوا على كلمة واحدة يكذِّبون الرواية : « نحن معاشر الأنبياء لا نُورِّث »(42)، ويقولون ؛ إنّها مختلَقَة .
قالوا : وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يُعرِّف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنّا ونحن الوَرثة؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدَّى هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم(43) إن أخّروا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثلبهم، وقال في حقّهم ما لو سمعته العامّة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان، ثمّ شهدت عليه بالرَّفض واستحلت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم، ثمّ ما شاع واشتهر من قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقى الله شرّها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه(44)؛ وهذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية .
ثمّ ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه : دُويبة سوء ولهو خيرٌ من أبيه، ثم عمر القائل في سعد بن عبادة، وهو رئيس الأنصار وسيّدها : اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً(45) ، اقتلوه فإنّه منافق. وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته(46)، وشتم خالد بن الوليد(47)وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخوَّن عمرو بن العاص(48)ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه، وكان سريعاً إلى المساءة، كثير الجبه والشتم والسبّ لكلّ أحد، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلِم من معرّة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملُّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلاّ احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة ! إمّا أن يكون عمر مخطئاً، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ !
فإن قالوا : عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلاّ إلى عاصٍ مستحقٍ لذلك، قيل لهم : فكأنّا نحن نقول : إنّا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة، كلاّ ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.
وإنّما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضّح أنّ الصحابة قومٌ من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، مَن أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلاّ بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر، وبعرضيَّة الشُّبه والشكوك، فمعاصينا أخف لأنّا أعذر.
ثمّ نعود إلى ما كنّا فيه فنقول : وهذه عائشة أُمّ المؤمنين؛ خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميص رسول الله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنّته(49)؛ ثمّ تقول : اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غداً . فمن الناس من يقول : روت في ذلك خبراً، ومن الناس من يقول : هو موقوف عليها؛ وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً. ثمّ قد حصر عثمان؛ حصرته أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك، ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته، وإنّما أنكروا على ما أنكر على

المحاصرين له ، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ من أشرافهم، ثمّ هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وللإمام حقّ على رعيّته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامّة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول؛ من أنّ الخطأ جائزٌ على آحاد الصحابة؛ كما يجوز على آحادنا اليوم. ولسنا نقدح في الإجماع، ولا ندعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنّما نقول : إنّ كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلّم أنّ ذلك كان خطأ ومعصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطىء ويعصي، وهو المطلوب .

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادُّعي عليه الزنا، وشهد عليه قوم بذلك(50)، فلم ينكر ذلك عمر، ولا قال : هذا محال وباطل لأنّ هذا صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه الزنا، وهلاّ أنكر عمر على الشهود وقال لهم : ويحكم هلاّ تغافلتم عنه لمّا رأيتموه يفعل ذلك، فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوىء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأوجب الستر عليهم ! وهلا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله في قوله « دعوا لي أصحابي » ، ما رأينا عمر إلاّ قد انتصب لسماع الدعوى، وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة : يا مغيرة، ذهب رُبعك ، يا مغيرة ، ذهب نصفك، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع، فجلد الثلاثة. وهلاّ قال المغيرة لعمر : كيف تسمع فيّ قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أصحابي كالنجوم، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم »(51)! ما رأيناه قال ذلك، بل استسلم لحكم الله تعالى . وها هنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون، لمّا شرب الخمر في أيّام عمر، فأقام عليه الحدّ، وهو رجل من علِّية الصحابة ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنة، فلم يردّ عمر الشهادة، ولا درأ عنه الحدَّ لعلّة أنّه بدريٌّ، ولا قال : قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر مساوىء الصحابة ، وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات(52)، وكان ممّن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحدّ عليه.

وهذا علي عليه السلام يقول : ما حدّثني أحدٌ بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ استحلفتهُ عليه(53)؛ أليس هذا اتّهاماً لهم بالكذب ! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر، وقد صرّح غير مرة بتكذيب أبي هريرة، وقال : لا أحد أكذب من هذا الدَّوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه : وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أعلن عليّ الحرب(54)فندم، والندم لا يكون إلاّ عن ذنب .

ثمّ ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد.

ثمّ قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة : فلمّا استخلفت عليكم خيركم في نفسي ـ يعني عمر ـ فكلُّكم وَرِمَ لذلك أنفُه ، يريد أن يكون الأمر له، لمّا رأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله لتتخذُنَّ ستائر الدِّيباج ، ونضائد الحرير(55)، أليس هذا طعناً في الصحابة، وتصريحاً بأنّه قد نسبهم إلى الحسد لعمر، لما نصّ عليه بالعهد ! ولقد قال له طلحة لمّا ذكر عمر الأمر : ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده، وقد ولّيت عليهم فظّاً غليظاً ! فقال أبو بكر : أجلسوني ، بالله تخوّفني ! إذا سألني قلت : ولّيت عليهم خير أهلك(56)، ثمّ شتمه بكلام كثير منقول؛ فهل قول طلحة إلاّ طعنٌ في عمر، وهل قول أبي بكر إلاّ طعن في طلحة !

ثمّ الذي كان بين أُبي بن كعب وعبدالله بن مسعود من السُّباب حتى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه، وكلمةُ أُبي بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هذه الأُمّة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيّهم ، وقوله : ألا هلك أهل العقيدة، والله ما آسى عليهم إنّما آسى على من يضلّون من الناس .

ثمّ قول عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان : يا منافق؛ وقوله : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما ولّيت عثمان شِسع نعلي ؛ وقوله : اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعلي عليه السلام في كلام دار بينهما : أبو بكر وعمر خير منك؛ فقال عليّ : كذبت، أنا خيرٌ منك ومنهما، عبدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما(57).

وروى سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار، قال : كنت عند عروة بن الزبير، فتذاكرنا كم أقام النبيُّ بمكّة بعد الوحي ؟ فقال عروة : أقام عشراً، فقلت : كان ابن عبّاس يقول : ثلاث عشرة، فقال : كذب ابن عبّاس .

وقال ابن عبّاس : المُتعة حلال؛ فقال له جُبير بن مطعم : كان عمر ينهى عنها، فقال : يا عُديَّ نفسه، من هاهنا ضللتم، أُحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتحدّثني عن عمر !

وجاء في الخبر عن علي عليه السلام ، لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلاّ شقيّ(58)؛ وقيل : ما زنى إلاّ شقّاً ، أي قليلاً .

فأمّا سبّ بعضهم بعضاً وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهيّة فأكثر من أن يُحصى، مثل قول ابن عبّاس وهو

يردّ على زيد مذهبه القول في الفرائض : إن شاء ـ أو قال : من شاء ـ باهلته إن الذي أحصى رمل عالج عدداً أعدل من أن يجعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً، هذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث!
ومثل قول أُبي بن كعب في القرآن : لقد قرأت القرآن وزيدٌ هذا غلام ذو ذُؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.
وقال علي عليه السلام في أُمّهات الأولاد وهو على المنبر : كان رأيي ورأي عمر ألا يُبعن، وأنا أرى الآن بيعهنّ، فقام إليه عبيدة السلماني، فقال : رأيك في الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك في الفُرقة، وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله.
وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عبّاس في عِدّة المتوفَّى عنها زوجها وهي حامل؛ وقالت : فرّوج يصقع مع الدِّيَكة .
وأنكرت الصحابة على ابن عبّاس قوله في الصّرف، وسفهوا رأيه حتى قيل : إنّه تاب من ذلك عند موته، واختلفوا في حدِّ شارب الخمر حتى خطّأ بعضهم بعضاً.
وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : الشؤم في ثلاثة : المرأة والدار، والفرس(59)، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذبت الراوي وقالت : إنّه إنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك حكايةً عن غيره(60).
وروى بعض الصحابة عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : التاجر فاجرٌ، فأنكرت عائشة ذلك، وكذّبت الراوي وقالت : إنّما قاله عليه السلام في تاجر دلّس .
وأنكر قومٌ من الأنصار رواية أبي بكر : « الأئمّة من قريش »(61)ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة .
وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصُهيب ونحوهما ، قد روي ذلك في عِدّة قضايا.
وقيل لابن عبّاس : إنّ عبدالله بن الزبير يزعم أنّ موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل؛ فقال : كذب عدوُّ الله ! أخبرني أُبي بن كعب، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر كذا ؛ بكلامٍ يدلّ على أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل .
وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك، فقال معاوية : أمّا أنا فلا أرى به بأساً؛ فقال أبو الدرداء : مَنْ عذيري مِن معاوية ! أخبره عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يخبرني عن رأيه ! والله لا أُساكنك بأرض أبداً.
وطعن ابن عبّاس في أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلنّ يده في الإناء حتى يتوضّأ » ، وقال : فما نصنع بالمِهراس(62)!
وقال علي عليه السلام لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : إن كانوا راقبوك فقد غشُّوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا .
وقال ابن عبّاس : ألا يتّقي الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً !
وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنّه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله.
وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله : إنّ النوم لا ينقض الوضوء، ونسبته إلى الغفلة وقلّة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : إن أكل البَرَد لا يفطّر، وهزِئت به ونسبته إلى الجهل .
وسمع عمرُ ، عبدالله بن مسعود وأُبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال : إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فعن أيّ فتياكم يصدر المسلمون ؟ لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلاّ فعلت وصنعت .
وقال جرير بن كليب : رأيت عمر ينهى عن المتعة ، وعلي عليه السلام يأمر بها ، فقلت : إنّ بينكما لشرّاً، فقال علي عليه السلام : ليس بيننا إلاّ الخير، ولكن خيرنا أتْبعنا لهذا الدين .
قال هذا المتكلّم : وكيف يصحُّ أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم »(63)؛ لا شبهة أنّ هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفِّين على هدى، وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى ؛ وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً؛ وقد صحّ الخبر الصحيح أنّه قال له : « تقتلك الفئة الباغية »(64)، وقال في القرآن : (فَقاتلوا التي تَبغي حتى تفيءَ إلى أَمرِ الله)(65)؛ فدلّ على أنّها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي، مُفارقة لأمر الله ، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.
وكان يجب أن يكون بسر بن أرطأة الذي ذبح ولَدي عبيدالله بن عبّاس الصغيرين(66) مُهتدياً، لأنّ بُسراً من الصحابة أيضاً، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعنان علياً أدبار الصلاة وولديه مهتديين؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتدّ عن الإسلام كطليحة ابن خويلد، فيجب أن يكون كلّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مُهتدياً.

قال : وإنّما هذا من موضوعات متعصّبة الأمويّة ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف .
وكذا القول في الحديث الآخر، وهو قوله : « القرن الذي أنا فيه » ، وممّا يدلّ على بطلانه أنّ القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شرُّ قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكّة، ونُقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوّة الخمور، وارتكبوا الفُجور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأُريقت الدِّماء الحرام، وقتل المسلمون، وسبي الحريم، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقش على أيديهم كما يُنقش على أيدي الرُّوم، وذلك في خلافة عبدالملك وإمرة الحجّاج . وإذا تأمّلت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلّها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنةً، فكيف يصحّ هذا الخبر.
قال : فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى : (لقد رضيَ الله عن المؤمنين)(67) ، وقوله : (محمّدٌ رسولُ الله والذين معه)(68).
وقول النبي صلى الله عليه وآله : إنّ الله اطّلع على أهل بدر؛ إن كان الخبر صحيحاً فكلّه مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلّفاً غير معصوم بأنّه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء .
قال هذا المتكلّم : ومَن أنصف وتأمّل أحوال الصحابة وجدهم مِثلنا، يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلاّ بالصحبة لا غير، فإنّ لها منزلةً وشرفاً ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلّ من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطىء ويزلّ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أوّل يومٍ يعلم كذب أهل الإفك، لأنّها زوجته، وصحبتها له آكد من صحبة غيرها ، وصفوان بن المعطّل أيضاً كان من الصحابة، فكان ينبغي ألاّ يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يحمل ذلك الهمّ والغمّ الشديدين اللذين حملهما ويقول : صفوان من الصحابة، وعائشة من الصحابة، والمعصية عليهما ممتنعة .
وأمثال هذا كثير، وأكثر من الكثير؛ لمن أراد أن يستقرىء أحوال القوم، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول، وإنّما اتخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك .
قال : ومن الذي يجترىء على القول بأنّ أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحدٍ منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شُرِّفوا برؤيته : (لَئِنْ أشركتَ ليحبطَنّ عملُك ولَتَكُونَنّ من الخاسِرين)(69)بعد قوله : (قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصيتُ رَبّي عذابَ يومٍ عظيمٍ)(70)وبعد قوله : (فاحكُمْ بَينَ الناس بالحقّ وَلا تتّبعِ الهَوى فَيُضلَّك عَن سبيلِ اللهِ إنَ الذين يَضِلُّون عَنْ سبيلِ اللهِ لهم عَذابٌ شَديدٌ)(71) إلا من لا فهم له ولا نظر معه، ولا تمييز عنده.
قال : ومَن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة، وطعن بعضهم في بعض وردِّ بعضهم على بعض، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم، وقدح بعضهم في بعض، فلينظر في كتاب النَّظّام(72)، قال الجاحظ : كان النظّام أشدَّ الناس إنكاراً على الرافضة، لطعنهم على الصحابة، حتى إذا ذكر الفُتيا وتنقُّل الصحابة فيها، وقضاياهم بالأُمور المختلفة، وقول من استعمل الرأي في دين الله، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها، وزاد عليها؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها.
قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غَلَطُ أبي حنيفة في الأحكام عظيم، لأنّه أضل خلقاً ، وغلط حمّاد(73)أعظم من غلط أبي حنيفة، لأنّ حمّاداً أصلُ أبي حنيفة الذي منه تفرّع، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حمّاد، لأنّه أصل حمّاد وغلط علقمة(74) والأسود (75)أعظم من غلط إبراهيم لأنّهما أصله الذي عليه اعتمد، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً، لأنّه أوّل من بدر إلى وضع الأديان برأيه، وهو الذي قال : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنّي .
قال : واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة(76)بخراسان حيث كان مع الرَّشيد بن المهدي، فسألوه كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي، فقال : لستُ على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب، وإنّما كتبته على علقمة والأسود وعبدالله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة .
قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عبّاس استصغره وقال : صاحب الذؤابة يقول في دين الله برأيه .
وذكر الجاحظ في كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنّ أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ولم يكن عليٌّ عليه السلام يوثّقه في الرّواية، بل يتهمه، ويقدح فيه، وكذلك عمر وعائشة(77).
وكان الجاحظ يفسِّق عمر بن عبد العزيز ويستهزىء به ويكفِّره، وعمر بن عبد العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامّة يرى له من الفضل ما يراه لواحدٍ من الصحابة.
وكيف يجوز أن نحكم حُكماً جزماً أنّ كل واحدٍ من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص ! وكفاك

به عدوّاً مُبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ومن الصحابة الوليد بن عُقبة الفاسق بنصّ الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبُسر بن أبي أرطأة عدوّ الله وعدوّ رسوله، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس، وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يُعرِّفه الله سبحانه كلّ المنافقين بأعيانهم، وإنّما كان يعرف قوماً منهم، ولم يعلم بهم أحداً إلاّ حذيفة فيما زعموا، فكيف يجوز أن نحكم حُكماً جزماً أن كل واحد ممّن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون، لا يقع منه خطأ ولا معصية، ومن الذي يمكنه أن يتحجّر واسعاً كهذا التحجّر، أو يحكم هذا الحكم !

قال : والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويثبتون أنّهم عصوا الله تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون فيه، ويقولون : قَدَري معتزلي، وربما قالوا : مُلحد مخالف لنصّ الكتاب؛ وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يُجادل في هذا الباب، فتارةً يقولون : إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرّجل من المرأة، وتارةً يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته، وتارةً يقولون : إنّ رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوّة، وربما ذكروا زينب بنت جَحش وقصّة الفداء يوم بدر.

فأمّا قَدحهم في آدم عليه السلام ، وإثباتُهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبهم ودَيدنهم، فإذا تكلّم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح، احمرّت وجوههم، وطالت أعناقهم، وتخازرت أعينهم ، وقالوا : مبتدع رافضي، يسبّ الصحابة، ويشتم السَّلف، فإن قالوا : إنّما اتّبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب؛ قيل لهم : فاتّبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب، فإنّه تعالى قال : (لا تَجِدُ قوماً يُؤمِنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورَسولَهُ)(78)، وقال : (فإنْ بَغَت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تَبغي حتى تَفيء إلى أمرِ اللهِ)(79)، وقال : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم)(80).

ثمّ يسألون عن بيعة علي عليه السلام هل هي صحيحة لازمة لكلّ الناس ؟ فلا بدّ من « بَلَى » ، فيقال لهم : فإذا خرج على الإمام الحقّ خارجٌ أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلاّ البراءة التي نذكرها لأنّه لا فرق بين الأمرين، وإنّما برئنا منهم لأنّا لسنا في زمانهم، فيُمكننا أن نقاتل بأيدينا ، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه.

قال هذا المتكلّم : على أنّ النظّام وأصحابه ذهبوا إلى أنّه لا حجّة في الإجماع، وأنّه يجوز أن تجتمع الأُمّة على الخطأ والمعصية، وعلى الفسق، بل على الرِّدة، وله كتابٌ موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء، ويقول : إنّها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجّة ، نحو قوله : (جعلناكم أُمّة وَسَطاً)(81) وقوله : (كنتم خيرَ أُمّةٍ)(82)وقوله : (ويتّبع غيرَ سبيلِ المؤمنينَ)(83).

وأمّا الخبر الذي صورته : « لا تجتمع أُمّتي على الخطأ »(84)فخبرٌ واحد، وأمثل دليل للفقهاء قولهم : إنّ الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابُها كثيرة عظيمة، فإنّه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال.

هذه خلاصة ما كان النَّقيب أبو جعفر علَّقه بخطّه من الجزء الذي أقرأناه(85).

---

(1) هو : عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين ، أعلم المتأخّرين من أصحاب الإمام الشافعي ، ولد في جوين ـ من نواحي نيسابور ـ سنة 419 هـ ، سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ثم خرج إلى الحجاز ، وجاور بمكّة أربع سنين وكان بالمدينة يدرس ويفتي ، ولهذا سمي إمام الحرمين ، ثمّ عاد إلى نيسابور ، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها ، له مصنّفات كثيرة، توفي سنة 478 هـ ، وقيل : إنّه بعد وفاته حزن الناس عليه حتى كسروا منبره ، وقعد الناس لعزائه حتى أن تلامذته كسروا محابرهم وأقلامهم حزناً عليه وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً. راجع ترجمته في : وفيات الأعيان لابن خلكان : ج 3 ص 167 - 170 ترجمة رقم : 378 ، الأعلام للزركلي : ج 4 ص 306 .

(2) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ج 16 ص 79 .

(3) مسند أحمد بن حنبل : ج3 ص 266 ، تاريخ بغداد : ج1 ص 209 ، مجمع الزوائد : ج10 ص 15 .

(4) ميزان الاعتدال : ج1 ص 413 ، اتحاف السادة المتقين : ج2 ص 223 ، كشف الخفاء : ج1 ص 147 ح381 ، لسان الميزان : ج2 ص118 ، التفسير الكبير للرازي : ج 27 ص 167 .

(5) هذا الحديث على فرض صحّته لا يمكن أن يكون المقصود به هم عامّة الصحابة ، إذ لا يمكن أن يتحقّق الاهتداء بكل واحد منهم لا على التعيين ، إذ نقطع بوجود الخلاف والنزاع فيما بينهم حتى حصل في ما بين بعضهم القتل والقتال ، وقد شتم بعضهم بعضاً ، وحيث أن الحق واحد فكيف يتحقّق الاهتداء بالأقتداء بكل واحد منهم ، والذي يؤيد هذا ما ورد عن محمد بن موسى بن نصر الرازي عن أبيه ، قال : سئل الرضا عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وعن قوله صلى الله عليه وآله : دعوا لي أصحابي ، فقال عليه السلام : هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يُبدل ، قيل : وكيف يعلم انّهم قد غيروا وبدلوا ؟ قال : لما يروونه : من انه صلى الله عليه وآله قال : ليذادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الأبل عن الماء ، فأقول : يا رب

أصحابي أصحابي ؟ فيقال لي : انّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟ فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : بُعداً لهم وسحقاً لهم ، أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 1 ص 93 ، والجدير بالذكر هو إنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله التعبير عن أهل البيت عليهم السلام بالأصحاب أيضاً كما عن بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار : ص 31 ح 2، بسنده عن إسحاق بن عمّار عن ـ أبي عبدالله ـ جعفر عن أبيه عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما وجدتم في كتاب الله فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه ، وما لم يكن فيه سنّة مني فما قال أصحابي فخذوه ، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم فبأيّها أخذ اهتدى ، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة ، قيل : يا رسول الله ومن أصحابك قال : أهل بيتي .

فهم الذين بلا شكّ من اتبعهم اهتدى ونجا ومن تخلّف عنهم غرق وهوى ، كما هو صريح حديث السفينة ، وبعض الأخبار مثل قوله صلى الله عليه وآله : ألا أن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 1 ص 182 . وحديث الثقلين أيضاً الذي هو أشهر من أن يُذكر ـ أُوصيكم بالثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي... لن تضلوا ما إن تمسّكتم بهما الخ فهو واضح الدلالة وصريح العبارة كالشمس التي لا تخفى ـ في دلالته على أنّ الاهتداء لا يتمّ إلاّ عن هذين الطريقين ويكون في مأمن من الضلالة بلا ريب بخلاف اتباع غيرهما فبعد هذا كله فهل يمكن الجزم بحصول الهداية من غير هذين الطريقين ، الكتاب والعترة ؟!

(6) مسند أحمد بن حنبل : ج1 ص 438 ، صحيح البخاري : ج3 ص 224 وج8 ص113، حلية الأولياء للاِصفهاني : ج8 ص391 ، السنن الكبرى للبيهقي : ج10 ص 74 ، الترهيب والترغيب للمنذري : ج4 ص8 ح 11 .

(7) الكتاب المصنف لابن أبي شيبة : ج14 ص 384 ح 18573 ، مسند أحمد بن حنبل : ج1 ص 80 ، صحيح البخاري : ج8 ص 32 ، المعجم الكبير للطبراني : ج12 ص 99 ح12592 .

(8) سورة الممتحنة : الآية 7 .

(9) سورة المجادلة : الآية 22 .

(10) سورة المائدة: الآية 81 .

(11) سورة الممتحنة : الآية 13 .

(12) سورة الأحزاب : الآية 67 .

(13) سورة البقرة : الآية 159 .

(14) سورة البقرة : الآية 228 .

(15) سورة المائدة : الآية 78 .

(16) سورة الأحزاب : الآية 57 .

(17) سورة الأحزاب : الآية 61 .

(18) سورة ص : الآية 78 .

(19) سورة الأحزاب : الآية 64 .

(20) سورة النور : الآية 7 .

(21)سورة النساء : الآية 93 .

(22) سورة المائدة : الآية 60 .

(23) سورة الأحزاب : الآية 68 .

(24) سورة المائدة : الآية 64 .

(25) الحَشَويَّة : هم طائفة من أصحاب الحديث تمسّكوا بالظواهر ، لقبوا بهذا اللقب لاحتمالهم كل حشو رُويَ من الأحاديث المتناقضة ، أو لأنهم قالوا بحشوا الكلام مثل قولهم في الإمامة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يستخلف على دينه من يقوم مقامه في لم الشعث ولم الكلمة في أُمور الملك والرعية ، كما ذهبوا إلى أن طريق معرفة الحق هو التقليد ، وإن البحث والنظر حرام ، ولم يعثر على أصل مبناهم في حظر الاجتهاد ولا على أصل التوجيه بهذا الحظر ، فهم يمنعون من تأويل الآيات الواردة في الصفات ، ويقولون بالجمود على الظواهر. راجع : معجم الفرق الاسلامية للأمين : ص 97 - 98 .

(26) راجع : مروج الذهب للمسعودي : ج2 ص 358 ، تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 181 ، تاريخ الطبري : ج 4 ص 469 .

(27) راجع : الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج 1 ص 19 .

(28) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : فاطمة بضعة مني ...الخ وقد تقدمت تخريجاته .

(29) راجع : فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام لابن شاهين : ص 34 - 35 ح13 ، مشكل الآثار : ج1 ص50 ، حلية الأولياء : ج2 ص42 ، ذخائر العقبى : ص43 .

(30) تقدمت تخريجاته .

(31) تقدمت تخريجاته.

(32) راجع : الامامة والسياسة : ج1 ص17 ، تاريخ الطبري : ج3 ص 222 .

(33) راجع : تاريخ الطبري : ج3 ص 278 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج2 ص 358 - 359.

(34) راجع : تاريخ الطبري : ج5 ص 482 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج4 ص111 .

(35) صحيح مسلم : ج3 ص1316 ح11 - (1689) ، السنن الكبرى للبيهقي : ج8 ص.281

(36) تاريخ الطبري: ج2 ص610-619، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج2 ص195-.199

(37) سورة الأعراف : الآية 175 .

(38) تقدمت تخريجاته .

(39) الرَّبذَة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عِرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تُريد مكَّة، خربت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة على يد القرامطة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ واسمه جُندب بن جنادة ، وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان فأقام بها إلى أن مات في سنة 32 .

راجع : مراصد الاطلاع : ج2 ص601 ، سفينة البحار للقمّي : ج1 ص500 .

(40) تقدمت تخريجاته .
(41) تقدمت تخريجاته .
(42) تقدمت تخريجاته.
(43) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج1 ص 28 - 29 ، تاريخ اليعقوبي : ج2 ص160 ، نهج الحق وكشف الصدق : ص286 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 1 ص187 .
(44) صحيح البخاري : ج8 ص 208 - 210 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج2 ص 326- 327، نهج الحق ص264 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 51 .
(45)راجع : الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج 1 ص 17 ، تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 124 ، الرياض النضرة : ج 1 ص 237 .
(46) البداية والنهاية لابن كثير : ج8 ص 106 ، سير أعلام النبلاء : ج2 ص600 .
(47) تقدمت تخريجاته.
(48) راجع ، تخوين الخليفة لبعض عماله أمثال أبي هريرة وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص : في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 42 - 43 .
(49) تقدمت تخريجاته .
(50) راجع : وفيات الأعيان لابن خلكان : ج6 ص 364 - 367 ، الأغاني لأبي فرج الإصفهاني : ج16 ص 95 - 99 ، فتوح البلدان للبلاذري : ص 339 - 340 ، البداية والنهاية لابن كثير : ج7 ص81 ، تاريخ الطبري : ج4 ص 69 - 72 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص231 - 239 ، الغدير للأميني : ج6 ص137 - 143 .
(51) تقدمت تخريجاته .
(52) راجع : السنن الكبرى للبيهقي : ج8 ص 312 - 313 ، تاريخ بغداد للخطيب : ج5 ص455 - 456 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص105 - 106 ، الغدير للأميني : ج6 ص316 .
(53) تقدّمت تخريجاته .
(54) راجع : الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج1 ص24 ، مروج الذهب للمسعودي : ج2 ص 301 ، نهج الحقّ وكشف الصدق : ص265 .
(55)العقد الفريد للأندلسي : ج 5 ص 20 .
(56)الرياض النضرة للطبري : ج 1 ص 260 .
(57) ورد هذا الحديث بألفاظ متفاوتة ، راجع : الاحتجاج للطبرسي : ج1 ص 157 ، ذخائر العقبى : ص58 - 60 ، الرياض النضرة : ج3 ص111 ، بناء المقالة الفاطمية : ص327 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 3 ص 251 ، الإستيعاب : ج 3 ص 1095 .
(58) راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص253 ، التفسير الكبير للرازي : ج 10 ص 50 ، الدر المنثور للسيوطي : ج 2 ص 486 ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 5 ص 130 وفيه أيضاً روى عن عطاء عن ابن عبّاس قال : ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله تعالى رحم بها عباده .
(59) الموطأ لمالك بن أنس : ج 2 ص 972 ح 22 .
(60) مجمع الزوائد : ج 5 ص 104 .
(61) الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 31 .
(62) المهراس : إناء مستطيل منقور يتوضّأ فيه .
(63) تقدمت تخريجاته .
(64) مسند أحمد : ج2 ص 161 وج5 ص306 ، تاريخ بغداد للخطيب : ج 3 ص 243 وج7 ص414 و ج 11 ص 218 و ج 13 ص 187، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ج4 ص172 ، مجمع الزوائد : ج7 ص242 ، البداية والنهاية لابن كثير : ج 2 ص 217 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 20 ص38 .
(65) سورة الحجرات : الآية 9 .
(66) راجع : تاريخ الطبري : ج5 ص 140 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج3 ص383 - 385 . قال المسعودي في هذه الحادثة الأليمة في مروج الذهب : ج3 ص21 - 22 : وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحّى، وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدّد أهل المدينة بالقتل، فأجابوه إلى بيعة معاوية، وبلغ الخبر عليّاً فأنفذ حارثة بن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين، ومضى بسر إلى مكّة، ثمّ سار إلى اليمن، وكان عبيد الله بن العبّاس بها، فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبدالله بن عبد المدان الحارثي، وخلف ابنيه عبدالرحمن وقُثم عند أُمّهما جويرية بنت قارض الكناني، فقتلهما بسر وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف ... وكانت جويرية أُمّ ابني عبيد الله بن العبّاس اللذين قتلهما بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها ... وهي تقول ترثيهما :

هــا من أحسَّ من ابنيَّ اللذين هما * كالدرتين تَشَظّى عنهما الصــدف
هــا من أحسَّ من ابنيَّ اللذين هما * سمعي وقلبي، فعقلي اليوم مختطف
هــا من أحسَّ من ابنيَّ اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهــف
نبئت بُسراً، وما صدَّقت ما زعموا * من قولهم ومن الإفك الذي وصفوا

أنحـــى علـى وَدَجي ابني مرهفة * مشحوذة، وكذاك الإثم يُقتـــرفُ

(67) سورة الفتح : الآية 18 .
(68) سورة الفتح : الآية 29 .
(69) سورة الزمر : الآية 65 .
(70) سورة الزمر : الآية 13 .
(71) سورة ص : الآية 26 .
(72) راجع أراء النظام في بعض الصحابة في : الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 59 .
(73) هو : حمّاد بن أبي سليمان .
(74) علقمة بن قيس .
(75) الأسود بن يزيد.
(76) ثمامة بن أشرس .
(77) راجع : كتاب (أبو هريرة) للسيّد شرف الدين : ص 188 ، وما بعدها .
(78) سورة المجادلة : الآية 22 .
(79) سورة الحجرات : الآية صلى الله عليه وآله .
(80) سورة النساء : الآية 59 .
(81) سورة البقرة : الآية 143 .
(82) سورة آل عمران : الآية 110 .
(83) سورة النساء : الآية 115 .
(84) المروي هكذا : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) راجع : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي : ص 143 ح 459 ، كشف الخفاء للعجلوني : ج 2 ص 470 ح 2999 ، الأسرار المرفوعة للقاري : ص 52 ح 163 ، بحار الأنوار : ج 2 ص 225 ح 3 وج 5 ص 20 ح30 وص 68 ح 1 ، وج 28 ص 104 ح 3 .
(85) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج20 ص10 - 34 .

المُناظرة الثالثة والسبعون

مناظرة الشيخ محمد الاشتهاردي مع أحد علماء الشافعية في أمر بعض الصحابة
قال الشيخ محمد الاشتهاردي : أذكر التقيت مرةً بأحد علماء الشافعية، وكان ضليعاً في فهم الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فبدأ اعتراضه على الشيعة بهذا السؤال:
إن الشيعة يطعنون ويسبّون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا خلاف ما نص به القرآن الكريم، لأن بنص القرآن الكريم أن الله سبحانه راضٍ عنهم، فالذي يقع مورد رضى الله لا يجوز لعنه وسبّه، والآية التي نزلت بهذا الشأن هي الآية 18 من سورة الفتح حيث يقول الله سبحانه (لقد رضيَ الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فأنزل الله السَّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً).
نزلت هذه الآية الشريفة في شهر ذي الحجة من السنة السادسة من الهجرة عندما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج من المدينة إلى مكة معتمراً مع ألفي وأربعمائة من المسلمين فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير و...
ولما بلغ بعسفان قرب مكة، علمت قريش بمسيرة النبي صلى الله عليه وآله فخرجوا ليمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين من الدخول إلى مكة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسلكوا طريقاً يوصلهم إلى الحديبية لاحتواءها على الماء والأشجار ويهبطوا فيها، وكانت الحديبية تبعد عن مكة عشرون كيلومتراً ، وليعلم ما يكون أمره مع قريش.
ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عثماناً إلى مكة وأشراف قريش فيذاكرهم حول مجيء النبي صلى الله عليه وآله ، وبعد فترة بلغ أن عثمان قد قتل، قال صلى الله عليه وآله : لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.(1) وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين، أن يدافعوا عن الإسلام إلى آخر لحظة، ولم يمضي وقتٌ حتى رجع عثمان سالماً، وأرعبت هذه البيعة قريشاً فأرسلوا سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا له: أنت محمداً فصالحه، فكان صلح الحديبية، وقالوا: أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة(2).
فعندها نزلت الآية 181 من سورة الفتح، ورضى الله عن الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، إذاً فالأصحاب الذين رضي الله عنهم لا يجوز الطعن فيهم!!
فقلت: أولاً: إن هذه الآية المباركة تنحصر بالذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تشمل الآخرين.
ثانياً: إن هذه الآية لا تشمل المنافقين الذين حضروا البيعة أمثال: عبدالله بن أُبي، وأوس بن خولي و... لأن جملة « رضى الله عن المؤمنين » أخرجتهم عن كونهم مؤمنين.
ثالثاً: الآية المذكورة تشير إلى الذين كانوا في زمن البيعة ورضي الله عنهم، وليس معناها أن الله رضي عنهم إلى الابد.
وبهذا الدليل نقرأ في الآية العاشرة من هذه السورة المباركة: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)، فدلت الآية على احتمال أن ينكث بعض الصحابة الحاضرين للبيعة بيعتهم، كما حصل بعد ذلك من قبل بعضهم ، فعليه إنّ آية الرضوان لا تدل على الرضا الأبدي عن الذين بايعوا رسول الله صلى الله عنه وآله، بل يحتمل أمران، فريق يُبقي بيعته، وفريق ينكث بيعته.(3)

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج 2 ص 631 - 632 .
(2) تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج2 ص633.
(3) أجود المناظرات ، الشيخ محمد الاشتهاردي : ص 292 - 294 .

المُناظرة الرابعة والسبعون

مناظرة السيد علي البطحائي مع بعضهم في مسألة عدالة الصحابة

قال السيد علي البطحائي : ذهبت مع عدد من الأَصدقاء إلى الجامعة الإِسلامية بالمدينة المنورة وأهدينا لعلمائها عدةً من كتب الشيعة ، واتصلنا بعميد الجامعة الشيخ عبدالعزيز بن باز ثم بعد السلام وإهداء التحيات قال الشيخ: صحابة الرسول صلى الله عليه وآله كلهم عدول وجاهدوا في سبيل الله.

قلت: على ما تقول ، لا يبقى مورد لثلث القرآن ، لأَن الآيات الراجعة إلى المنافقين كثيرة، إن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله مثل سائر الناس ، فيهم الطيب وغير الطيب والعادل والفاسق.

ثم ذهب الشيخ ، وجاء عدد من العلماء والمدرسين من الجامعة الإِسلامية للبحث والمناظرة، فسألت عن واحد منهم ـ إسمه الشيخ عبدالله ـ ما تقولون في هذه الرواية الواردة في صحيح البخاري في المجلد الأَول وفي المجلد التاسع عن ابن عباس لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وجعه ، قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده، قال عمر : ان النبي صلى الله عليه وآله غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، وكثر اللغط فقال الرسول صلى الله عليه وآله : قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع ، فخرج ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابته.(1)

قلت للعلماء: أي شيء يريد أن يكتب نبي الرحمة، وما معنى قول عمر : إن النبي صلى الله عليه وآله غلبه الوجع، هل معناه أن الرسول صلى الله عليه وآله ليست له مشاعر ولا يفهم شيئاً، وإذا كان كذلك ، هل تطيب نفس إنسان أن يقول في شخص الرسول الأَعظم الذي يقول القرآن في حقه: (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى)(2)أنه غلبه الوجع وليست له مشاعر.

قال الشيخ عبدالله ـ واحد من المدرّسين في الجامعة الإِسلامية ـ : أن معنى قول عمر أن الرسول صلى الله عليه وآله في شدة المرض لا تزاحموه حتى يصحو ويكتب الوصية.

قلت: هذا المعنى ينافي كلمة (فاختلفوا) في الرواية ، وكلمة (وكثر اللغط) وقول الرسول صلى الله عليه وآله : (قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع) ، لأَن الظاهر أنه وقع النزاع في محضر الرسول وإذا كان معنى قوله : إن النبي صلى الله عليه وآله في شدة المرض لاتزاحموه ما كان يقع التنازع والقيل والقال والاختلاف في محضر الرسول، وأيضاً فما معنى قول ابن عباس رضي الله عنه : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابته ، وما معنى تأسف ابن عباس إلا من جهة حيلولة عمر بين الرسول والكتابة.

ثم قلت للشيخ عبدالله: أنا وأنت جئنا من لندن ؟! لا نعرف معاني اللغة العربية فلنذهب عند الحمالين والبقالين من أهل المدينة نسأل معنى الرواية منهم.

قال: بحمد الله أنت عالم ديني تعرف كل شيء، ثم قال لي: أنت أكملت إيمانك من أصول الكافي؟

قلت: أنا أكملت إيماني من صحيح البخاري من أمثال هذه الرواية، مضافاً إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله طلب منهم الإِتيان بكتاب يكتب لهم ، لا أن الناس طلبوا منه صلى الله عليه وآله الكتابة(3) .

---

(1) صحيح البخاري : ج 1 ص 39 (ك العلم ب كتابة العلم) وج 6 ص 11 - 12 (ك الغزوات ب مرض النبي صلى الله عليه وآله) ج 7 ص 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني) ، وج 9 ص137 (ك الاعتصام بالكتاب والسنّة ب كراهية الخلاف) .

(2) سورة النجم : الآية 3 - 4 .

(3) مناظرات في الحرمين للبطحائي : ص 22 - 24 .

المُناظرة الخامسة والسبعون

مناظرة في حديث « أصحابي كالنجوم »
الأستاذ الشيعي: نحن نعتقد، أنّ الامامة والخلافة هي نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله في زعامة ورئاسة الدين والدنيا، لأن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم بمقامه لابد أن يسعى نحو ترسيخ ونشر أحكام الإسلام وصيانته للشريعة المقدسة، والقضاء على شتى أنواع الفتن والمفاسد، وإقامة حدود الله، ولا يليق هذا المقام الشريف لكل أحد ، سوى الذين يمتلكون القيم الإسلامية العالية، من التقوى، والجهاد والعلم والهجرة والزهد، والسيرة الحسنة، والحنكة السياسية ، والعدالة والشجاعة، وسعة الصدر، وعلو الهمة، والأخلاق الفاضلة، وهذه الفضائل لا يمتلكها سوى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبشهادة التاريخ والروايات المستفيضة من علماء الفريقين.
الأستاذ السنّي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم »(1) . إذن بأي فرد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اقتدينا فقد اهتدينا.
الأستاذ الشيعي: مع غض النظر عن سند هذا الحديث، فهو مجعول وساقط عن الاعتبار ، لوجود عدّة أدلة قاطعة وأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينطق به، ولم يتفوه به.
الأستاذ السنّي: بأيّ دليل؟
الأستاذ الشيعي: أدلة نفي هذا الحديث كثيرة. منها:
1 ـ عندما يضل المسافرون في الليل جادتهم الأصلية، فهناك ملايين من النجوم من السماء، ولو اختاروا أياً منها حسب أهوائهم لما اهتدوا أبداً، بل إن النجوم التي تهدي إلى جادة الصواب هي نجوم خاصة ، ومعروفة تتميز عن بقيةالنجوم، وعلى ضوئها يعثر المسافرون في الليل على مرادهم وطريقهم.
2 ـ هذا الحديث يتناقض مع عشرات الأحاديث، مثل حديث الثقلين، وحديث الخلفاء الأثني عشر من قريش، وحديث « عليكم بالأئمة من أهل بيتي »،وحديث « أهل بيتي كالنجوم »، وحديث السفينة: « مثل أهل بيتي كسفينة نوح... »، وحديث « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف »(2).
فضلاً عن أنّ الحديث المذكور أعلاه قد نقلته طائفة خاصة من المسلمين، أما الأحاديث المخالفة له فقد نقلتها جميع طوائف المسلمين.
3 ـ الحوادث الواقعة بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأصحاب واختلافهم، لا تتلائم مع الحديث المذكور، لإن ارتداد بعض الأصحاب، وطعن بعضهم البعض كطعن أكثر الصحابة في خلافة عثمان الذي انتهى إلى قتله.
كما أن هذا الحديث لا يتلائم مع لعن بعض الصحابة بعضاً، كأمر معاوية بسب علي عليه السلام(3) ، وكذلك لا يتلائم مع قتال الصحابة بعضهم بعضاً ، كما حارب طلحة والزبير أميرالمؤمنين علي عليه السلام في حرب الجمل، ومعاوية في صفين، وكما لا يتلائم بصدور بعض الذنوب الكبيرةمن الصحابة مثل الزنا وشرب الخمر والسرقة حيث أقيمت حدود على بعضهم، أمثال (الوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة...).
وعلى سبيل المثال: إن علياً عليه السلام ومعاوية كانا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل بعضهم بعضاً، ولعن بعضهم بعضاً، فكيف يمكن مع اعتبار الحديث المذكور، إذا اقتدينا بإيهما اهتدينا؟
وهل الاقتداء بـ« بُسر بن أرطأة » الذي كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، والذي سفك دماء الآلاف من الابرياء من المسلمين، سبب الهداية؟،وهل الاقتداء بالمنافقين الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله مع كثرتهم في المدينة سبب الهداية؟ وهل الاقتداء بمروان بن الحكم الذي قتل طلحة سبب الهداية؟ وهل الاقتداء بالحكم أبي مروان الذي كان من الأصحاب، وكان يستهزء بالنبي صلى الله عليه وآله سبب الهداية؟
فالعمل بالحديث المذكور المختلق « أصحابي كالنجوم » مع مانلمسه من الواقع الخارجي، ويحكيه التاريخ لنا أمر مضحك وغريب!!
الأستاذ السنّي: المقصود من الأصحاب، الأصحاب الحقيقيين المخلصين للنبي صلى الله عليه وآله، لا المنافقين والكاذبين.
الأستاذ الشيعي: إن كنت تقصد أمثال: سلمان وأبو ذر،ومقداد، وعمار دون سواهم، مع اعتبارك غيرهم،بقي الأشكال والأختلاف بيننا مستحكماً، والأفضل التمسك بتلك الأحاديث التي تخلو من الإشكال، والواضحة كحديث الثقلين، وحديث السفينة، الواردة في إمامة وولاية أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .
وعلى هذا الأساس جاء في الروايات: أنه عندما قصد سلمان المدائن التقى بالأشعث وجرير، وكانا يجهلانه،لكن سرعان ما عرَّف نفسه، قائلاً: « أنا سلمان، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله »، ثم قال: « إعلما، إنما

صاحبه من دخل معه الجنّة »(4)، وبعبارة أوضح: إن الصحابي هو الذي يسير على نهج النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر لحظة من حياته الإِيمانية، ولا يستبدله بمنهج آخر،ولا ينحرف عن الأَحكام الإِلهية قط(5).

---

(1) تقدمت تخريجاته .
(2) المستدرك للحاكم: ج3 ص149 .
(3) وقد قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله : من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ، راجع: كنز العمّال : ج11 ص 602 ح 32903 .
(4) فتاوى الصحابي الكبير: ص677 .
(5) أجود المناظرات للاشتهاردي : ص 350 - 353 .

المُناظرة السادسة والسبعون

مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض أهل السنة في أمر بعض الصحابة

قال الدكتور التيجاني : كنت يوماً في العاصمة التونسية(1)داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصلاة جلس الإمام وسط حلقة من المصلّين وبدأ درسه بالتنديد والتكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله واسترسل في حديثه قائلاً :

إيّاكم من الذين يتكلّمون في أعراض الصحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، إنهم يريدون تشكيك الناس في دينهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا وصل بكم الحديث إلى أصحابي فأمسكوا، فوالله لو أنفقتم مثل أحدٍ ذهباً لما بلغتم معشار أحدهم »(2) .

وقاطعه أحد المستبصرين كان يصحبني قائلاً : هذا الحديث غير صحيح وهو مكذوب على رسول الله !

وثارت ثائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمئزين، فتداركت الموقف متلطّفاً مع الإمام وقلت له : يا سيدي الشيخ الجليل، ما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في القرآن قوله : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسولٌ قَد خَلَت من قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفإن ماتَ أو قُتِل انقَلبتُم على أَعقابِكُم، وَمَن يَنقَلِب على عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئاً وَسَيجزي اللهُ الشاكِرين)(3).

وما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في صحيح البخاري(4)وفي صحيح مسلم(5) قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : « سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال، فأقول : إلى أين ؟ فيُقال : إلى النار والله، فأقول : يا ربّ هؤلاء أصحابي، فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا من بعدك إنّهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي، ولا أرى يخلصُ منهم إلاّ مثل همل النعم »(6).

وكان الجميع يستمعون إليّ في صمت رهيب، وسألني بعضهم : إن كنت واثقاً من وجود هذا الحديث في صحيح البخاري ؟

وأجبتهم : نعم كوثوقي بأن الله واحد لا شريك له، ومحمداً عبدهُ ورسوله .

ولمّا عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها قال في هدوء : نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم الله تعالى بأنّ الفتنة نائمة فلعن الله من أيقظها .

فقلت : يا سيدي الفتنة عمرها ما نامت، ولكنّا نحن النائمون، والذي يستيقظ منّا ويفتح عينيه ليعرف الحق تتهمونه بأنّه أيقظ الفتنة، وعلى كل حال فإنّ المسلمين مطالبون باتّباع كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، لا بما يقوله مشايخنا الذين يترضّون على معاوية ويزيد وابن العاص .

وقاطعني الإمام قائلاً : وهل أنت لا تترضّى عن سيدنا معاوية ، كاتب الوحي ؟

قلت : هذا موضوع يطول شرحه، وإذا أردت معرفة رأيي في ذلك، فأنا أهديك كتابي « ثمّ اهتديت »(7)لعلّه يوقظك من نومك ويفتح عينيك على بعض الحقائق وتقبّل الإمام كلامي وهديّتي بشيء من التردّد، ولكنّه وبعد شهر واحد كتب إليّ رسالة لطيفة يحمد الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم وأظهر ولاءً وتعلّقاً بأهل البيت عليهم السلام وطلبتُ منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما فيها من معاني الود وصفاء الرّوح التي متى ما عرفت الحق تعلّقت به وهي تعبّر عن حقيقة أكثر أهل السنّة الذين يميلون إلى الحق بمجرد رفع الستار.

ولكنّه طلب منّي كتم الرسالة وعدم نشرها، لأنّه لا بدّ له من الوقت الكافي حتى يُقنع المجموعة التي تصلي خلفه، وهو يحبذ أن تكون دعوته سلمية بدون هرج ومرج حسب تعبيره(8).

---

(1) تونس : عاصمة الجمهورية التونسية ، وعاصمة البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية، وهي أهم مدينة وميناء فيها ومركز صناعي في البلاد. (المنجد ـ قسم الإعلام ـ ص197).

(2) تقدّمت تخريجاته .

(3) سورة آل عمران : الآية 144 .

(4) صحيح البخاري : ج 8 ص 150 ـ 151 ، (باب في الحوض) .

(5) صحيح مسلم : ج 4 ص 1800 ح 40 (باب اثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله) .

(6) وقد تقدّم المزيد من تخريجاته .

(7) وقد شرح فيه كيفية استبصاره والأسباب التي دعته للأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام وذلك بعد مسيرة ـ ليست قصيرة ـ من البحث والمناظرة في شتى مسائل الخلاف مع الأعلام والمحقّقين في النجف الأشرف وغيره .

(8) كتاب فاسألوا أهل الذكر للدكتور التيجاني السماوي : ص115 ـ 117 .

مفتريات

المُناظرة السابعة والسبعون

مناظرة الدكتور التيجاني مع بعضهم علماء العامة في بعض المفتريات على الشيعة
قال الدكتور التيجاني في رسالته التي أرسلها إلى السيد أبي الحسن الندوي العالم الهندي ـ معتذراً له عن عدم زيارته له في الهند ـ :
سيدي العزيز قدمتُ إلى الهند في زيارة قصيرة ، وكان أملي أن التقي بحضرتكم لما أسمعه عنكم ، ولما أعلمه بأنّكم المشار إليه بين أهل السنّة والجماعة عندكم ، ولكن عاقني عن ذلك بُعدُ المسافة وضيق الوقت ، واكتفيت بزيارة مدينة بومباي وبونة وجبل بور وبعض المدن الاَخرى في كوجراتي، وتألمت كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة .
وقد كنت أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً ، وتُسفك دماء بريئة من الطرفين بإسم الإسلام ، ولم أكن أصدق، معتقداً بأنّه مبالغة في التشويه، ولكنّ ما شاهدته وما سمعته خلال زيارتي يبعث حقّاً على الحيرة والاستغراب ، وأيقنتُ بأنّ هناك نوايا خسيسة ومؤامرات خطيرة تُحاك ضد الإسلام والمسلمين، للقضاء عليهم جميعاً سنّة وشيعة ، ومّما زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنّة يتقدّمهم الشيخ عزيز الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية ، وكان اللقاء في مسجدهم بـ « بومباي » وبدعوة منهم .
وما أن حللتُ بينهم حتّى بدأ الازدراء والتهكّم والسبُّ واللّعنُ لشيعة آل البيت عليهم السلام وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي ، لعلمهم مُسبقاً بأنّي قد ألّفتُ كتاباً يدعو للتّمسك بمذهب أهل البيت ـ سلام الله عليهم ـ ولكنّي فهمتُ قصدهم، وتمالكتُ أعصابي وابتسمتُ لهم قائلاً: أنا ضيف عندكم وأنتم الذين دعوتموني فجئتكم مُسرعاً مُلبّياً، فهل دعوتموني لتسبّوني وتشتموني، وهل هذه هي الاَخلاق التي علّمكم إيّاها الإسلام ؟؟
فأجابوني بكل صلافة ، بأني لم أكن يوماً في حياتي مسلماً لاَنني شيعي، والشيعة ليسوا من الإسلام في شيء ، وأقسموا على ذلك.
قلتُ: اتّقوا الله يا إخوتي ، فربّنا واحد ونبيّنا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة، والشيعة يوحّدون الله ويعملون بالإسلام اقتداءاً بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، وهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ، ويحجّون بيت الله الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟؟
أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتقية ، وإمامكم قال: التقية ديني ودين آبائي(1)، وأنتم فرقة يهودية أسّسها عبد الله بن سبأ اليهودي(2) .
قلتُ لهم مبتسماً : دعونا من الشيعة، وتكلّموا معي أنا شخصياً ، فقد كنتُ مالكياً مثلكم ، واقتنعتُ بعد بحث طويل بأن أهل البيت عليهم السلام هم أحق وأولى بالاتباع، فهل عندكم حجّة تجادلوني بها، أو تسألوني ما هو دليلي وحجّتي عسى أن نفهم بعضنا بعضاً؟
قالوا : أهل البيت هم نساء النبي صلى الله عليه وآله وأنتَ لا تعرف من القرآن شيئاً
قلت: فإنّ صحيح البخاري وصحيح مسلم يُفيدان غير ما ذكرتم!
قالوا : كل ما في البخاري ومسلم ، وكتب السنة الاَخرى من حجج تحتجّون بها هي من وضع الشيعة دسّوها في كتبنا.
أجبتهم ضاحكاً : إذا كان الشيعة وصلوا للدّس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة ولا قيمة لها ولا لمذهبكم القائم عليها!!
فسكتوا وأفحموا ، ولكنّ أحدهم عَمَدَ إلى التهريج والإثارة من جديد فقال: من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي عليه السلام وسيدنا معاوية وسيدنا يزيد فليس بمسلم !
ودهشت لهذا الكلام ، الذي ما سمعتُ مثله في حياتي ، وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد، وقلتُ في نفسي : معقول أن يترضّى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان فهذا أمرٌ طبيعي ، أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلاّ في الهند، والتفتُّ إليهم جميعاً أسألهم : أتوافقون هذا على رأيه! فأجابوا كلّهم : نعم.
وعند ذلك عرفتُ بان لا فائدة في مواصلة الكلام، وفهمتُ بأنهم إنّما يريدون إثارتي حتّى ينتقموا منّي، وربّما يقتلوني بدعوى سبّ الصحابة فمن يدري؟
ورأيت في أعينهم شرّاً ، وطلبتُ من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً، فأخرجني وهو يتحسّر ويعتذر إليَّ على ما وقع ، وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرّف على الحقيقة هو الشاب

المهذّب شرف الدين صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في « بومباي » فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاورة المذكورة ، ولم يُخفِ استياءه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء(1).

---

(1) تقدمت تخريجاته .
(2) هذه الفرية .. ألصقها أعداء الشيعة فيهم ليخرجوهم عن الإسلام ويُكرّهوا الناس فيهم !! ومما لا مرية فيه أنهم يعلمون جزماً براءة الشيعة من هذه الدعوى الكاذبة المزيفة ، والتي لا أساس لها إلاّ كراهيتهم لهذا المبدأ القويم الذي أسس مبادئه النبي الكريم صلى الله عليه وآله ، وهو الذي دعى إليه وشيّد أركانه ، وإن شئت فاقرأ ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم ، ومن ذلك قوله لأمير المؤمنين :
1 ـ إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين . (مجمع الزوائد : ج 9 ص 131 ، النهاية لابن الأثير ج 4 ص 106) .
2 ـ أنت أول داخل الجنة من أمّتي ، وأن شيعتك على منابر من نور مسرورون مبيضة وجوههم حولي ، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني (مجمع الزوائد : ج 9 ص 131 ، كفاية الطالب : ص 135) .
3 ـ يا علي ، إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك (الصواعق : 161 ، 232 ، 235) .
4 ـ أنت وشيعتك في الجنة (تاريخ بغداد : ج 12 ص 289) .
5 ـ إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم ، وأسماء أُمّهاتهم ستراً من الله عليهم إلاّ هذا ـ يعني علياً عليه السلام ـ وشيعته فإنّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم (مروج الذهب : ج 2 ص 428 دار الأندلس ، وج 3 ص 6 ط السعادة بمصر) .
وإن أردت المزيد في ذلك فراجع ما رواه المفسرون في قوله تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فقد رووا قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : هم أنت وشيعتك . (راجع : الدر المنثور في تفسير الآية الكريمة) .
فبعد هذا كلّه هل تجد مسوغاً لأحد أن يتفوه بالزور والباطل في حقّ من امتدحهم النبي صلى الله عليه وآله وبشرهم بموالاتهم أمير المؤمنين عليه السلام ، ودعاهم للتمسّك به والاعتصام بحبل ولائه ، إذن ما هو ذنبهم بعدما قامت عندهم الحجة البالغة التي تأخذ بإعناقهم حتى يتفوه عليهم كلّ أفّاكٍ أثيم بالقول الباطل والبهتان ؟ كأن لم يكن عندهم شغلٌ شاغل في الحياة الدنيا إلاّ أن التعرض للفرقة الناجية بالسوء والقدح فيهم .
وهنا أترك للقارىء الكريم أن يقرأ مقالة الحق التي جاءت على لسان واحد من ناصريه وهو العلامة الأميني عليه الرحمة في رده على ابن حزم الذي كال التهم إلى الشيعة الإمامية بلا تثبت فيما كتبه عنهم ! قال عليه الرحمة :
نعم ذنبهم الوحيد الذي لا يغفر عند ابن حزم أنّهم يوالون علياً أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الأئمّة الأمناء صلوات الله عليهم إقتداءً بالكتاب والسنة ، ومن جزاء ذلك يستبيح صاحب الفصل من أعراضهم ما لا يُستباح من مسلم ، و الله هو الحكم الفاصل .
وأما ما حسبه من أن مبدء التشيع كان إجابةً ممّن خذله الله لدعوة من كاد الإسلام ، وهو يريد عبدالله بن سبأ الذي قتله أمير المؤمنين عليه السلام إحراقاً بالنار على مقالته الإلحادية وتبعته شيعته على لعنه والبراءة منه .
فمتى كان هذا الرجس من الحزب العلوي حتى تأخذ الشيعة منه مبدءَها القديم ؟! وهل تجد شيعياً في غضون أجيالها وأدوارها ينتمي إلى هذا المخذول ويمتُّ به ؟! لكن الرجل أبى إلاّ أن يقذفهم بكل مائنة وشائنة ، ولو استشف الحقيقة لعلم بحق اليقين أن ملقي هذه البذرة ـ التشيع ـ هو مشروع الإسلام صلى الله عليه وآله يوم كان يُسمى علياً عليه السلام بشيعته ويضيفهم اليه ويطريهم ويدعوا أمته الى موالاته واتباعه .
ولتفاهة هذه الكلمة لا نسهب في رده ونقتصر على كلمة ذهبية للاستاذ محمد كرد علي في خطط الشام : ج 6 ص246 قال : أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة عبدالله بن سبأالمعروف بأبن السوداء فهو وهم !! وقلة علم بتحقيق مذهبهم ! ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبرائتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك ، علم مبلغ هذا القول من الصواب .
الغدير : ج3 ص94 ـ 95 ، ولتقف أيضاً على المزيد من حقيقة هذا الإفتراء راجع : ج8 ص380 ـ 382 ، وج9ص218 ـ 222 .
(3) كتاب : فاسألوا أهل الذكر للدكتور التيجاني : ص11 ـ 13 .

المُناظرة الثامنة والسبعون

مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الخوئي قدس سره في الافتراء المنسوب إلى الشيعة أن جبرئيل أعطى الرسالة النبي صلى الله عليه وآله بدل علي (1) عليه السلام

يقول الدكتور التيجاني في لقائه مع السيد الخوئي قدس سره : ودخل السيد الخوئي ومعه كوكبة من العلماء عليهم هيبة ووقار، وقام الصبيان وقمت معهم، وتقدّموا من « السيد » يقبّلون يده، وبقيت مستمّراً في مكاني، ما إن جلس « السيد » حتى جلس الجميع وبدأ يحيّيهم بقوله : « مسّاكم الله بالخير » يقولها لكل واحد منهم ، فيجيبه بالمثل حتى وصل دوري فأجبت كما سمعت، بعدها أشار عليَّ صديقي الذي تكلّم مع « السيد » همساً، بان أدنو من « السيد » وأجلسني على يمينه وبعد التحية قال لي صديقي : احكِ للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس .

فقلت : يا أخي ، كفانا من الحكايات التي نسمعها من هنا وهناك، والمهم هو أن أعرف بنفسي ماذا يقول الشيعة، وعندي بعض الأسئلة أريد الجواب عنها بصراحة.

فألحّ عليّ صديق وأصرّ على أن أروي « للسيد » ما هو اعتقادنا في الشيعة، قلت : الشيعة عندنا هم أشدّ على الإسلام من اليهود والنصارى ، لأنّ هؤلاء يعبدون الله ويؤمنون برسالة موسى عليه السلام ، بينما نسمع عن الشيعة أنّهم يعبدون عليّاً ويقدّسونه، ومنهم فرقة يعبدون الله ولكنهم ينزلون عليّاً بمنزلة رسول الله ، ورويت قصّة جبريل كيف أنّه خان الأمانة حسب ما يقولون ، وبدلاً من أداء الرسالة إلى علي ، أدّاها إلى محمد صلى الله عليه وآله .

أطرق « السيد » رأسه هنيئة ، ثم نظر إليّ وقال : نحن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ـ صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ـ، وما عليٌّ إلاّ عبد من عبيد الله ، والتفت إلى بقية الجالسين قائلاً ومشيراً إليّ : انظروا إلى هؤلاء الأبرياء كيف تغلّطهم الإشاعات الكاذبة، وهذا ليس بغريب فقد سمعت أكثر من ذلك من أشخاص آخرين، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، ثم التفت إليّ وقال : هل قرأت القرآن ؟

قلت : حفظت نصفه ولم أتخطّ العاشرة من عمري.

قال : هل تعرف أنّ كلّ الفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها متفقة على القرآن الكريم، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندكم.

قلت : نعم هذا أعرفه.

قال : إذاً ، ألم تقرأ قول الله سبحانه وتعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ)(2).

وقوله أيضاً : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)(3).

وقوله : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)(4)

قلت : بلى أعرف هذه الآيات

قال : فأين هو علي عليه السلام ؟ إذا كان قرآننا يقول بأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أين جاءت هذه الفرية ؟ سكتُّ ولم أجد جواباً.

وأضاف يقول : وأمّا خيانة جبرئيل « حاشاه » فهذه أقبح من الأولى، لأنّ محمداً كان عمره أربعين سنة عندما أرسل الله سبحانه إليه جبرئيل عليه السلام، ولم يكن عليّ عليه السلام إلاّ صبياً صغيراً عمره ستّ أو سبع سنوات، فكيف يا ترى يخطيء جبرئيل ولا يفرّق بين محمد الرجل وعلي الصبي ؟.

ثم سكتّ طويلاً ، بينما بقيت أفكّر في أقواله وأنا مطرق أحلّل وأتذّوق هذا الحديث المنطقي الذي نفذ إلى أعماقي وأزال غشاوة عن بصري ، وتساءلت في داخلي كيف لم نحلّل نحن بهذا المنطق .

أضاف « السيد الخوئي » يقول : وأزيدك بأنّ الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كل الفرق الإسلامية الأخرى التي تقول بعصمة الأنبياء والأئمة ، فإذا كان أئمتنا ـ سلام الله عليهم ـ معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا، فكيف بجبرئيل وهو ملك مقرّب سمّاه ربّ العزّة بـ « الروح الأمين » .

قلت : فمن أين جاءت هذه الدعايات ؟!

قال : من أعداء الإسلام ، الذين يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض ، وإلاّ فالمسلمون إخوة سواء كانوا شيعة أم سنّة ، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً وقرآنهم واحد ، ونبيّهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، ولا يختلف الشيعة عن السنّة ، إلاّ في الأمور الفقهية ، كما يختلف أئمة المذاهب السنّية أنفسهم في ما بينهم ، فمالك يخالف أبا حنيفة، وهذا يخالف الشافعي وهكذا...

قلت : إذاً كل ما يحكى عنكم هو محض افتراء ؟

قال : أنت بحمد الله عاقل ، وتفهم الأمور وقد رأيت بلاد الشيعة وتجوّلت في أوساطهم فهل رأيت أوسمعت شيئاً من

تلك الأكاذيب ؟
قلت : لا ، لم أسمع ولم أر إلاّ الخير(5) .

---

(1) هذه الفرية على ما يبدو إنها ظهرت من قبل أكثر من ألف سنة ، فقد نسبها إلينا كلّ من ابن عبد ربه الأَندلسي (ت 328 هـ) في العقد الفريد : ج 2 ص 250 ، بلا تورع ولا تثبت فيما ينقل عن الشيعة الإمامية ، وأبو القاسم النيسابوري (ت 406 هـ) في كتابه عقلاء المجانين ص 184 ح 322 بسنده عن بكار بن علي عن أبي سعيد الضبعي ، الذي يزعم أن الشيعة تقول : إن الله بعث جبرئيل إلى علي عليه السلام فغلط فأتى محمداً صلى الله عليه وآله !! وتكفي شهادة راوي الحديث ـ بكار بن علي ـ في المروي عنه ـ وهو أبو سعيد الضبعي ـ أنه قد خولط في عقله. هذا في نفس الكتاب المطبوع في بيروت نشر دار النفائس تحقيق الدكتور عمر الأسعد ، أما في الكتاب المطبوع في القاهرة نشر مكتبة إبن سينا تحقيق مصطفى عاشور ص 119 ـ 120 فقد حذفت منه شهادة الراوي في المروي عنه (إنه قد خولط في عقله) ولا أدري كيف حذفت منه ، أهو من أجل دفع شبهة الجنون عن الراوي لتزكيته لتثبيت التهمة ، أو لخطأ من الناسخ أو غيرهما الله العالم راجع تعلم ، كما ذكر هذه الفرية أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج : ج 10 ص 13 إلا انه لم ينسبها إلى فئة معينة ، قال : وادعوا فيه ـ أي الإمام علي عليه السلام ـ انه كان الرسول صلى الله عليه وآله ولكن الملك غلط فيه .
وبسبب هؤلاء غير المتثبتين الذين ألصقوا هذه الفرية على الشيعة الإمامية انطوت على أولئك الذي لا يتورعون عن بث الفرقة والخلاف في أوساط المسلمين ، وراحوا يبثونها ما وجدوا إليها من سبيل حتى عولَ عليها مَنْ لا تثبت عنده ، ولم يسأل نفسه عن مصدرها وحقيقتها ، فهل وجد هذه الفرية في كتاب من كتب الشيعة مثبتة ، أو سمع أحداً منهم تفوه بها ولو كان شاذاً ، والعجب كل العجب من بعض الكتاب الذي يعيشون في عصر الثقافة والعلم، أمثال الشرقاوي الذي انطوت عليه مثل هذه الأكذوبة التي لا أصل لها ، فقد ذكر في مقال كتبه عن (زيد الشهيد) نشرته جريدة الأهرام بتاريخ 4 | 8 | 1978 م ، ص 10 ، قال فيه: وفي العراق جماعات مختلفة متطرفة من شيعة آل بيته ، اضطرهم جو الحكام وظلمهم لآل البيت عليهم السلام إلى المبالغة والتطرف والتفوا حوله ، منهم جماعة تدعي ان الوحي كان سينزل على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنه أخطأ . انتهى .
ولنا أن نحاسب الشرقاوي في ما كتبه ، فمن أين جاء بهذه المعلومة فهل سمع من هؤلاء الجماعة التي تزعم ذلك بنفسه أن لقفها من الأبواق المأجورة ، ومن هؤلاء أيضاً عبد الرحمن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة : ج 4 ص 75 ، في باب النكاح في مبحث الكفاءة ، حيث يقول في صدد استعراض من يختلف مع المسلمين بالدين ، قال :
المخالفون للمسلمين في العقيدة ثلاثة أنواع : الأول ، الذين لا كتاب لهم سماوي ، ولا شبهة كتاب ، إلى أن قال : ويُلحق بهؤلاء المرتدون الذين ينكرون المعلوم من الدين الإسلامي بالضرورة ، كالرافضة الذين يعتقدون أن جبرئيل غلط في الوحي ، فأوحى إلى محمد مع أن الله أمره بالإيحاء إلى علي عليه السلام ... إلى آخر كلامه الذي سوف يؤاخذ عليه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وبعد هذا كله هل تجد مسوغاً لأمثال هؤلاء الذين لا يتورعون عن الإفتراء على أمة بكاملها ، ولم يحاسبوا أنفسهم ، ولم يكلفوها عناء البحث والتحقيق والتثبت ؟!
(2) سورة آل عمران : الآية 144 .
(3) سورة الفتح : الآية 29 .
(4) سورة الأحزاب : الآية 40 .
(5) كتاب : ثم اهتديت للدكتور التيجاني ص 55 ـ 57 .